المفخري

المنتخب للطريحي

تأليف

الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي

المتوفى سنة ١٠٨٥

مؤسسة التاريخ العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

الفخري

المنتخب للطريحي

تأليف

الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي

المتوفى سنة ١٠٨٥

الناشر
مؤسسة التاريخ العربي
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

THE ARABIC HISTORY
Publishing & Distributing

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان الجديد

بيروت – طريق المطار – خلف غولدن بلازا – هاتف ٠١/٥٤٠٠٠٠ – ٠١/٤٥٥٥٥٩ – فاكس ٨٥٠٧١٧ – ص.ب. ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Air port street - Golden plazza - Tel: 01/540000 - 01/455559 - Fax: 850717 - p.o.box 7957/11

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي جعل الدنيا جنة لأعدائه، وسجناً ومحنة لأوليائه وأحبائه ليبلوهم فيها بالاكتئاب، ليجازيهم من الثواب والعقاب، والصلاة والسلام على محمد وآله الأكرمين الأنجاب، وعلى من سلك سبيلهم من التابعين والأصحاب.

وبعد، فيقول الفقير إلى الله، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح النجفي:

إني مورد في هذا الكتاب ما استطرفته من فضائل أهل البيت عليهم السلام ومراثيهم، وذكر مصائبهم وتعازيهم، وجعلته مرتباً على عشرين مجلساً وأبواباً، طالباً بذلك الرضا وجزيل الثواب من الكريم الوهاب، وسمّيته بكتاب «المنتخب في جمع المراثي والخطب».

وها أنا ذا أشرع وأقول، والله الثقة والمأمول:

المجلس الأول

في الليلة الأولى من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها المؤمنون المخلصون والأمناء الصالحون: اعلموا إن الله عزَّ وجلَّ قد ابتلى ابن بنت نبيّه وأهل بيته عليهم السلام بمصائب جليلة ورزايا عظيمة وبلايا جسيمة لم يبتل بها أحد من نبي أو وليّ أو شريف أو دني، من القتل والصلب والحرق والضرب والغيلة والحبس والسبي والخلس وضروب النكال والوبال، حتى بنوا عليهم الأبنية وضيّقوا عليهم الأودية، فتفرقوا في البلاد وتركوا الأهل والأولاد، وكتموا الأنساب من الأحباب خوفاً من الأعداء والطلاب، ولم يزل السيف يقطر من دمائهم، والسجون مشحونة بأحرارهم وإمائهم، ولله در من قال من الرجال:

ولقد بكيت لقتل آل محمد ... بالطف حتى كل عضو مدمع
عفرت بنات الأعوجية هل درت ... ما يستباح بها وماذا يُصنع
وحريم آل محمد بين العِدى ... نهباً تقاسمها اللئام الوُضع
تلك الضغائن كالإماء متى تُسق ... يعنف بهن وبالسياط تقنع
من فوق أقتاب المطي يشلها ... لكع على حنق وعبد أكوع
مثل السبايا بل أذلّ يشق منهن ... الخمار ويُستباح البرقع
فمصفد في قيده لا يُفْتَدى ... وكريمة تسبى وفرط يُنزع
تالله لا أنسى الحسين وشَلْوه ... تحت السنابك بالعراء موزَّع
متلفعاً حمر الثياب وفي غد ... بالخضر من فردوسها يتلفع
تطأ السنابك صدره وجبينه ... والأرض ترجف خيفة وتضعضع
والشمس ناشرة الذوائب ثاكل ... والدهر مشقوق الرداء مقنع
لهفي على تلك الدماء تُراق في ... أيدي أُمية عنوة وتضيع

روى الصدوق القمي: أن جميع الأئمة عليهم السلام خرجوا من الدنيا على الشهادة، قُتل علي فتكاً، وسُم الحسن سراً، وقُتل الحسين جهراً، وسَمّ الوليد زين العابدين، وسَمّ إبراهيم بن الوليد الباقر، وسم جعفر المنصور الصادق، وسم الرشيد الكاظم، وسم المأمون الرضا، وسم المعتصم محمد الجواد، وسم المعتز علي بن محمد الهادي، وسم المعتمد الحسن بن علي العسكري. وأما القائم المهدي فروي أنه هرب خوفاً من المتوكل لأنه أراد قتله ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

وكان أول من استفتح بالظلم من أخر علياً عليه السلام عن الخلافة، وغصب فاطمة عليها السلام ميراث أبيها، وقتل المحسن في بطن أمه، ووجأ عنق سلمان، وقتل سعد بن عبادة ومالك بن نويرة، وداس بطن عمار بن ياسر، وكسر أضلاع عبد الله بن مسعود بالمدينة، ونفى أبا ذر إلى الربذة وأشخص عمار بن قيس، وغرّب الأشتر النخعي، وأخرج عدي بن حاتم الطائي، وسيّر عميراً بن زرارة إلى الشام، ونفى كميل بن زياد إلى العراق، وخاض في دم محمد بن أبي بكر، ونكب كعب بن جبل، ونفى جارية بن قدامة، وعذّب عثمان بن حنيف، وعمل ما عمل بحباب بن زهير، وشريح بن هاني، ونحو هؤلاء ممن مضى قتيلاً، أو عاش في غصة ذليلاً، ولله درّ من قال:

لولا حدود من صوارم ... أمضى مضاربها الخليفة
لنشرت من أسرار آل ... محمد نكتاً لطيفة
وأريتكم أن الحسين ... أُصيب في يوم السقيفة
ولأي شيء أُلْحِدَتْ ... بالليل فاطمة الشريفة

فانظروا يا إخواني إلى فعل أوائلهم واقتفاء أرجاس بني أمية آثارهم، يقتلون من قاربهم، ويعذّبون من ظاهرهم، كقتل معاوية بن عمار بن ياسر، وزيد بن صوحان، وصعصعة بن صوحان، وحنيف بن ثابت، وأويس القرني، ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وهاشم المرقال، وعبد الرحمٰن بن حسان وغيرهم، وتسليط زياد بن سمية على قتل الألوف من الشيعة بالكوفة وهو الذي دسّ في قتل الحسن عليه السلام إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس وتبعه ابنه يزيد على ذلك حتى قتل الحسين بن علي في نيف وسبعين رجلاً، منهم تسعة من بني عقيل، وثلاثة من بني جعفر، وتسعة من بني علي عليهم السلام، وأربعة من بني الحسن عليهم السلام، وستة من بني الحسين عليهم السلام، والباقي من أصحابه، مثل حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، ونافع بن هلال وأحزابهم.

---

(1) سورة التوبة: الآية 32.

ثم تسلَّط على الشيعة عبيد الله بن زياد لعنه الله، فجعل يصلبهم على جذوع النخل، ويقتلهم ألوان القتل، وهو الذي خرَّب سناباد لما رجم أهلها من كان مع رأس الحسين عليه السلام فبقيت خراباً إلى يومنا هذا.

ثم تسلَّط آل الزبير على الحجاز والعراق، فقتلوا المختار بن أبي عبيدة الثقفي، والسائب بن مالك، وعبد الله بن كامل ونحوهم، وكانوا قد حبسوا محمد بن الحنفية يريدون إحراقه، ونفوا عبد الله بن العباس إلى الطائف ومات بها.

ثم استولى مروان بن الحكم وقتل عبد الله بن معاوية بن جعفر بهرات.

ثم استولى عبد الملك بن مروان وسلّط الحجاج على الحجازيين والعراقيين فقتل سعيد بن جبير بن أم الطويل، وميثم التمار، وكُميل بن زياد، وقنبر عبد علي بن أبي طالب عليه السلام وأشباههم، حتى محى آثار أهل البيت عليهم السلام.

وقُتل زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام على يد نصر بن خزيمة الأسدي، وصلبه يوسف بن عمر بالكناسة عرياناً، فكسى من بطنه جلدة سترت عورته، وبقي مصلوباً أربع سنوات، وكان لا يقدر أحد يندب عليه. وألقوا امرأة زيد بن علي على المزبلة بعدما دقت بالضرب حتى ماتت.

ثم تبعه الوليد بن زيد وأنفذ إلى يحيى بن مسلم بن جون في عشرة آلاف فارس وليس مع يحيى يومئذ إلا مائة وخمسون رجلاً فقتلوا أجمعين وبقي يحيى يقاتل حتى قُتل يوم الجمعة، ثم صُلب وأحرق وذرى، وهكذا فعل بأشياعهم والتابعين لهم.

والله درّ من قال:

أبيت كأن الدهر يهوى إلى الأسى ... فأقداره طول الزمان به تسري

ففي كل يوم تنتحبني صروفه ... وقد خانني صبري وضيَّعني فكري

كأن الرزايا ظلّ آل محمد ... إذا مرّ قوم جاء قوم على الأثر

فانظروا يا إخواني إلى حال من تبع بني أمية الأرجاس إلى أن ظهرت الدولة العباسية، افتتح أبو مسلم بقتل عبد الله بن الحسن بن الحسن بخراسان، ثم سلّ المنصور سيفه في آل علي عليهم السلام فقتلهم في كل ناحية وقصدهم بالجيوش من كل وجه، وحمل عبد الله بن الحسن بن علي في أحد عشر رجلاً وهم: علي بن الحسن بن علي، والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي، ونَحُوهُم من الحجاز إلى العراق فوق الأقتاب بالقيود والأغلال وخلَّدهم في سجنه معذَّبين حتى ماتوا كلهم.

وخرج محمد بن عبد الله، وقاتل حتى قتله حميد بن قحطبة بن عيسى بن موسى،

وبنى جامع المنصور وجعل أساسه على السادات من آل رسول الله ﷺ. ويقال: أنه دسّ في سوق الرقة كثيراً منهم.

نقل: أنه لما بنى المنصور الأبنية ببغداد جعل يطلب العلويين طلباً شديداً وجعل من ظفر به منهم بالأسطوانات المجوفة المبنية من الجص والآجر، فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه عليه شعر أسود، من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فسلّمه إلى البنّاء الذي كان يبني له، فأمر أن يجعله في جوف أسطوانة ويبني عليه، فوكّل به من ثقاته من يرعى ذلك حتى يجعله في جوف أسطوانة بمشهده، فجعله البنّاء في جوف أسطوانة، فدخلته رقّة عليه ورحمة له، فترك في الأسطوانة فَرْجة يدخل منها الروح، وقال للغلام: لا بأس عليك فاصبر فإني سأخرجك من هذه الأسطوانة إذا جن الليل.

فلما جن الليل جاء البنّاء في ظلمته وأخرج ذلك العلوي من جوف تلك الأسطوانة وقال له: اتق الله في دمي ودماء الفعلة الذين معي وغيِّب شخصك، فإني إنما أخرجتك في ظلمة هذا الليل من جوف هذه الأسطوانة، إلا خفت إن تركتك في جوفها يكون جدك رسول الله خصمي يوم القيامة بين يدي الله عزَّ وجلَّ. ثم أخذ شعره بآلات الجصاصين ما أمكن، وقال له: غيِّب شخصك وانج بنفسك ولا ترجع إلى أمك.

قال الغلام: إن كان هكذا فعرِّف أمي إني قد نجوت وهربت لتطيب نفسها ويقلّ جزعها وبكاؤها، وأنه لم يكن لعودي إليها وجه.

فهرب الغلام ولا يدري إلى أين يقصد من أرض الله تعالى، ولا أي بلد وقع.

قال البنّاء: وكان الغلام قد عرَّفني مكان أمه وأعطاني شعره، فانتهيت إليها في الموضع الذي دلني عليه، فسمعت دوياً كدوي النحل من البكاء، فعلمت أنها أمه، فدنوت منها وعرَّفتها خبر ابنها وأعطيتها شعره وانصرفت[1].

فلما ولّى الدوانيقي قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني بالسند على يد هشام ابن عمر التغلبي، وخنق عبد الله بن الحسن في حبسه، وقتل ابنيه محمداً وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي، وهزم إدريس بفخ حتى وقع على الأندلس فريداً. وما مات الدوانيقي إلا بعد أن ملأ سجونه من أهل بيت النبوَّة والرسالة. واقتفيت هذه الآثار حتى قتل في أيام المهدي الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن علي، وعبد الله بن الحسن بن علي بن الحسن المعروف بالأفطس، وكان مع القوم بفخ، وسم هارون الرشيد موسى بن جعفر عليهما السلام، وقتل

(1) كذا في «عيون أخبار الرضا».

يحيى بن زيد بالسجن بالجوع والعطش، ويحيى بن الحسن... إلى تمام الستمائة رجل من أولاد فاطمة عليها السلام، قتلوا في مقام واحد.

وقتل المأمون محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي، وكان قد خرج ومعه أبو السرايا على ابن هرثمة بن أعين، وقتلوا من أصحاب زين العابدين مثل خالد الكابلي، وسعيد بن جبير، ومن أصحاب الباقر عليه السلام مثل: بشر الرحال، والكميت بن زيد. ومن أصحاب الصادق عليه السلام مثل: المعلى بن خنيس.

وقتل المتوكل من أصحاب الرضا عليه السلام مثل: يعقوب بن السكيت الأديب. وسبب قتله أنه كان معلماً للمعين والمؤيد ابني المتوكل إذ أقبل فقال له: يا يعقوب، أهما أحب إليك أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قنبراً غلام علي خير منهما ومن أبيهما. فقال المتوكل: سلوا لسانه من قفاه. فسلوه فمات رحمة الله عليه. ومثل: دعبل الخزاعي.

وانتهت بالمتوكل العداوة لأهل البيت عليهم السلام إلى أن أمر بهجو علي وفاطمة وأولادها فهجاهم ابن المعتز وابن الجهم وابن سكرة وآل أبي حفصة ونحوهم، لعنهم الله جميعاً، وصار من أمر المتوكل إلى أن أمر بهدم البناء على قبر الحسين عليه السلام وإحراق مقابر قريش. وفي ذلك أنشد حيث قال:

قام الخليفة من بني العباس ... بخلاف أمر إلٰهه في الناس
ضاها بهتك حريم آل محمد ... سفهاً فِعال أمية الأرجاس
والله ما فعلت أمية فيهم ... معشار ما فعلوا بنو العباس
ما قَتْلَهم عندي بأعظم مأتماً ... مِنْ حرقهم مِنْ بعدُ في الأرماس

ثم جرى الظلم على ذلك، إلى أن هدم سبكتكين مشهد الرضا عليه السلام وأخرج أبوابه وأخرج منه وقر ألف جمل مالاً وثياباً، وقتل عدّة من الشيعة.

قيل: وممن دُفِن حياً من الطالبيين: عبد العظيم الحسني بالري، ومحمد بن عبد الله ابن الحسين، ولم يبق في بيضة الإسلام بلدة إلاّ قُتِل فيها طالبي أو شيعي حتى ترى الظلمة يُسلِّمون على من يعرفونه دهرياً أو يهودياً أو نصرانياً ويقتلون من عرفوه شيعياً ويسفكون دم من اسمه علي، ألا تسمعون بيحيى المحدث كيف قطعوا لسانه ويديه ورجليه وضربوه ألف سوط ثم صلبوه، وبعلي بن يقطين كيف اتهموه، وبزرارة بن أعين كيف جبهوه، وأبي تراب الرموزي كيف حبسوه، ومنصور بن الزبرقان من قبره كيف نبشوه.

ولقد لعن بنو أمية علياً عليه السلام ألف شهر في الجُمع والأعياد، وطافوا بأولاده في الأمصار والبلاد، وليس فيها مسلم ينكر ذلك، حتى أن خطيباً من خطبائهم بمصر نسى

اللعنة في الخطبة فلما ذكرها قضاها في الطريق، فبني في ذلك الموضع مسجداً وسموه مسجد الذِكْر يتبرَّكون به، ثم أنهم لم يرضوا بذلك حتى قالوا: مات أبو طالب كافراً، ولا تزال تسمع بذلك دون أن تسمع عن أبي أو عن... أو عن... شيئاً من ذلك.

فيا عجباً، بقيت آثار كسرى إلى الآن وآثار رسول الله ﷺ دارسة، وأعلامه طامسة، استولوا على ماله بعده وخربوا بيته وأضرموا ناراً على أهل العبا، وحرَّفوا كتاب الله، وغيَّروا السُّنن، وأبدعوا في الدين، وخذلوا الأوصياء، وقتلوا العترة، وسَبُوا نساء النبي ﷺ وذريته، وذبحوا أطفاله وصَبِيته، وداروا برؤوسهم في البلدان من فوق عالي السنان. فهذه رزية لم تماثلها رزية، وبلية عظُمَت على كل بلية.

ولله در من قال، وهو على ما نقل، أول شعر قيل في الحسين عليه السلام:

إذا العين قرت في الحياة وأنتم ... تخافون في الدنيا فأظلم نورها
مررت على قبر الحسين بكربلا ... ففاض عليه من دموعي غزيرها
فما زلت أبكيه وأرثي لشجوه ... ويُسعد عيني دمعها وزفيرها
وأبكيت من بعد الحسين عصائباً ... أطافت به من جانبيه قبورها
سلام على أهل القبور بكربلا ... وقل لها مني سلام يزورها
سلام بآصال العشي وبالضُحىٰ ... تؤديه نكباح الرياح ومورها
ولا يبرح الوفاد زوار قبره ... يفوح عليهم مسكها وعبيرها

ومما يحسن في هذا الباب ذكر من قتله الرشيد من أولاد رسول الله ﷺ بعد قتله لموسى بن جعفر عليهما السلام بالسم، في ليلة واحدة، سوى من قتل منهم في الليالي والأيام.

روي عن عبد الله البزاز النيسابوري قال: كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي معاملة، فدخلت في بعض الأيام، فبلغه قدومي، فاستحضرني للوقت وعليَّ ثياب السفر لم أغيِّرها، وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر. فلما دخلت عليه رأيته في بيت يجري فيه الماء، فسلمت عليه وجلست، فأتى بطشت وإبريق فغسل يده وأمرني، فغسلت يدي، وأُحضرت المائدة وذهب عني فقلت: إني صائم وإني في شهر رمضان. ثم ذكرت، فأمسكت يدي، فقال حميد: ما لك لا تأكل؟ فقلت: أيها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولا بي علة توجب الإفطار وإني لصحيح البدن. ثم دمعت عيناه وبكى، فقلت له بعدما فرغ من طعامه: ما يبكيك أيها الأمير؟ فقال: أنفذ إليّ هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل أن أجب الأمير، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه خادماً واقفاً، فلما

قمت بين يديه رفع رأسه إليَّ، فقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال. فأطرق ثم أذن لي بالانصراف فلم ألبث في منزلي حتى عاد إلي الرسول وقال: أجب الأمير، فقلت في نفسي: إنا لله وإنا إليه راجعون، وأخاف على نفسي أن يكون قد عزم على قتلي وأنه لما رآني استحى مني. فعدت إلى بين يديه، فرفع رأسه وقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ قلت: بالنفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكاً ثم قال: أذنت لك بالانصراف. فلما دخلت منزلي لم ألبث أن عاد إليَّ الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين. فحضرت بين يديه وهو على حاله فرفع رأسه وقال: كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت: بالنفس والمال والأهل والولد والدين. فضحك ثم قال: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم. قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه وجاء إلى بيت بابه مغلق ففتحه فإذا فيه بئر في وسطه ثلاث بيوت أبوابها مغلقة، ففتح باب بيت منها فإذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب شيوخ وكهول وشبان، مقيدون، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ـ وكانوا كلهم علويين من ولد علي وفاطمة عليهما السلام ـ فجعل يخرج إليَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه حتى أتيت على آخرهم، فرمى أجسامهم ورؤوسهم في البئر، ثم فتح باب آخر فإذا فيه أيضاً عشرون نفساً من العلويين من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيدون، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء. فجعل يُخرج إليَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر، حتى أتيت على آخرهم، ثم فتح باب البيت الثالث فإذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيدون عليهم الشعور والذوائب، فقال لي: إن أمير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء أيضاً، فجعل يُخرج إليَّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه فيرمي به في تلك البئر حتى أتيت على تسعة عشر نفساً منهم وبقي شيخ منهم عليه شعر، فقال لي: تباً لك يا مشؤوم! أي عذر لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله ﷺ وقد قتلت من أولاده ستين نفساً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام. ثم قال: فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي، فنظر إليَّ الخادم فزجرني فأتيت على ذلك الشيخ أيضاً فقتلته ورميت به في تلك البئر، فإذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله ﷺ فما ينفعني صومي ولا صلاتي وأنا لا أشك أني مخلّد في النار[1].

فيا إخواني: أي قلب يسر بعد قتلهم، وأي فؤاد يفرح بعد فقدهم، أم أية عين تحبس دمعها وتبخل بانهمالها ودفعها، كيف وقد بكت لهم السبع الشداد، والجبال

(1) كذا في «عيون أخبار الرضا».

والأوتاد، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار ومن في جميع الأمصار والأقطار، والملائكة المقرّبون، وأهل السماوات أجمعين، وكيف لا وقد أصبح أهل البيت مطردين مشردين مذودين عن الديار والأوطان والأهل والولدان.

فيا إخواني: اجتهدوا في النياحة والعويل، وتساعدوا على إقامة هذا المصاب الجليل، والبسوا لباس الأحزان، وتخلقوا بجلباب الأشجان، وخاطبوا السلوة خطاب الهجر متمثلين بقول من قال:

* أيا سلوة الأيام موعدك الحشر *

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

لم أبكِ ربعاً للأحبة قد خلا ... وعفا وغيره الجديد وأمحلا
كلا ولا كلفت صحبي وقفة ... في الدار إن لم أشف صباً عللا
ومطارح النادي وغزلان النقا ... والجزع لم أحفل بها متغزلا
وبواكر الأضعان أسكب لها ... دمعاً ولا خل نأى وترحلا
لكن بكيت لفاطم ولمنعها ... فدكاً وقد أتت الخؤن الأولا
إذ طالبته بإرثها فروى لها ... خبراً ينافي المُحكم المُتنزلا
لهفي لها وجفونها قرحى وقد ... حملت من الأحزان عبئاً مثقلا
وقد اعتدت منفية وحميها ... متطيراً ببكائها متثقلا
تخفي تفجُّعها وتخفض صوتها ... وتظلُّ نادبة أباها المُرْسلا
تبكي على تكدير دهر ما صفا ... من بَعده وقرير عيش ما حلا
لم أنسها إذ أقبلت في نسوة ... من قومها تروي مدامعها الملا
وتنفسَّت صعداً ونادت: أيها ... الأنصار يا أهل الحماية والكلا
أخذ الإلٰه لك العهود على الورى ... في الذر لما أن يرى وبك ابتلى
في يوم قال لهم: ألست بربكم ... وعلي مولاكم؟ معاً قالوا: بلى!!
قسماً بوردي من حياض معارفي ... وبشربتي العذب الرحيق السلسلا
ومن استجارك من نبي مرسلا ... ودعى بحقك ضارعاً متوسلا

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله تعالى.

لـو قـلـت أنـك رب كـل فـضـيـلـة ... مـا كـنـت فـيـمـا قـلـتـه مـتـنـحـلا
أو بحت بالخطر الذي أعطاك رب ... الـعـرش كـادونـي وقـالـوا قـد غـلا
فـإلـيـك مـن تـقـصـيـر عـبـدك عـذره ... فـكـثـيـر مـا أبـكـي أراه مـقـلّـلا
بـل كـيـف يـبـلـغ كـنـه وصـفـك قـائـل ... وأبـيـه فـي عـلـيـاك أبـلـغ مـقـولا
ونـفـائـس الـقـرآن فـيـك تـنـزّلـت ... وبـك اغـتـدى مـتـحـلـيـاً مـتـجـمـلا
فـاستـحـلّـهـا بـكـراً فـأنـت مـلـيـكـهـا ... وعـلـى سِـواك يـجـل مـن أن يُـجـتـلـى
ولـئـن بـقـيـت لأنـظـمـن قـلائـداً ... يـنـسـى تـرصُّـعـهـا الـنـظـام الأولا
شـهـد الإلٰـه بـأنـي مـتـبـرىء ... مـن حـبـتـر ومـن الـدلام ونـعـثـلا
وبـراءة الـخـلـعـي مـن عـصـب الـخـنـا ... تـبـنـى عـلـى أن الـبـرأ أصـل الـولا

الباب الثاني

أيها الإخوان: الطريق واضح، والحق بيِّن لائح، لا يضلُّ عنه إلاَّ من دان الله على قلبه، وطبع على عقله ولبّه.

علم النبي ﷺ فيما أوحي إليه أن أصحابه من بعده يبتزون نحلة ابنته ويشجعون ببلغة ذريته، قال: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني»، فلم يسمعوا. وقال: «فاطمة يغضب الله لغضبها» فلم يرتدعوا.

ثم علم إن آله يشرَّدون عن الأوطان ويُقتلون في كل مكان، فقال بعدما ورد في حقهم من القرآن: «من أحب أن ينسى له في أجله وأن يمتعه الله بما خوله الله فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فلمن لم يخلفني فيهم بتر الله عمره وورد عليَّ يوم القيامة مسوّداً وجهه» فلم يرجعوا، فصبروا عليهم السلام على مضض وعلى استئصالهم في الحال دون المآل، إلا أن الحكمة من الحكيم اقتضت تأخيرهم من العذاب الأليم رجاء أن يخرج من أصلابهم قوم يعبدون الله ويسبِّحونه ويهلِّلونه ويقدِّسونه.

قيل: لما بلغ فاطمة عليها السلام إصرار أبي بكر على منعها فدكاً والعوالي، قامت ولاثت خمارها واشتملت بأزارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونسائها تطأ في أذيالها من شدة الحياء حتى دخلت على أبي بكر وهو في مسجد أبيها وحوله جمع من المهاجرين والأنصار، فأمرت أن يضرب بينها وبينهم ستر، ثم أنها أنَّت أنَّة أجهش القوم بالبكاء والنحيب رحمة لها، ثم أمهلت حتى سكنوا من فورتهم فقالت: يا معشر المسلمين كيف ابتز إرث أبي وأنتم الآن تزعمون أنه إرث لي؟ أفحكم الجاهلية تبغون!؟ ومن أحسن من

الله حكماً لقوم يوقنون، فكيف أُحرم ميراث أبي وأنت ـ تعني أبا بكر ـ ترث أباك؟ لقد جئت شيئاً فرياً. فقال لها: ما أرّثك أبوك شيئاً، وأنه قال: إن الأنبياء لا يورثون شيئاً. فقالت له: هذا يخالف من أنزل في كتابه العزيز حيث يقول: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[1]، ولم يجعل ذلك خاصاً بالأمة دونه، وكيف تروي عن أبي ﷺ أنه قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، وقد قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[2]، وقال تعالى عن زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[3]؟.

فلما ألحت عليه بالجدال قال: هاتي أسود وأبيض يشهدوا لك بذلك.

فقام إليه رجل من المؤمنين وقال له: مَن شهد لعلي ببيعته يوم الغدير من ذلك الجم الغفير حتى يشهد لفاطمة بفدك والعوالي؟

فجائت أم أيمن وشهدت لها بذلك، قال: هذه امرأة لا يقبل قولها، مع أن جميع الصحابة رووا أن رسول الله ﷺ قال: «إن أم أيمن من أهل الجنة».

ثم جاء علي عليه السلام وشهد لها بذلك، فقال: هذا بعلك يجر النفع إلى نفسه ولا نحكم بشهادته لك. مع أنهم رووا جميعاً أن رسول الله ﷺ قال: «علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار، لن يفترقا حتى يردا على الحوض». قال: فعند ذلك غضبت فاطمة عليها السلام وانصرفت وحلفت أن لا تكلمه وصاحبه حتى تلقى أباها وتشكو إليه ما نالها منهما.

وروي من كرامتها عليها السلام وعظمتها عند الله: لما مُنِعَت حقها أخذت بعضادتي حجرة رسول الله ﷺ وقالت: ليست ناقة صالح عند الله بأعظم مني، ثم رفعت جنب قناعها إلى السماء وهمَّت أن تدعو، فارتفعت جدران المسجد عن الأرض وتدلى العذاب، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فمسك يدها الشريفة وقال: يا بنت الصفوة وبقيَّة النبوَّة وشمس الرسالة ومعدن الرحمة، إن أباك رحمة للعالمين فلا تكوني عليهم نقمة، أقسمت عليك بالرؤوف الرحيم أن ترجعي. فعادت إلى مصلاها عليها السلام.

ولله در من قال:

دكـــدك الـــقـــوم مـــسـجـــدك مـــنـــعـــوا فـــاطـــمـــاً فـــدك
فـــعـــلـــى الـــقـــوم لـــعـــنـــة كـــلـــمـــا حـــرّك الـــفـــلـــك

فلما حضرتها الوفاة، أوصت إلى علي عليه السلام أن يدفنها ليلاً، ولم يدع أحداً

---

(1) سورة النساء: الآية 11.
(2) سورة النمل: الآية 16.
(3) سورة مريم: الآيتان 5 – 6.

منهم يصلي عليها مع أنهم رووا جميعاً أن النبي ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني» كما تقدم القول فيه.

ولو كان قول أبي بكر صحيحاً فيما رواه من: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، ما كان ترك البغلة والسيف والعمامة عند علي عليه السلام، وما كان حكم بها لعلي لما ادعاها العباس، مع أن الأمر على خلاف ذلك.

وتفكروا يا معاشر الإخوان كيف أن المرأة لما حاربت علياً أطاعها على حربها عشرات الألوف وساعدوها على الحرب ولم يساعد أحد منهم سيدة نساء العالمين لما طالبت بحقها!، وسموا المرأة: أم المؤمنين، ولم يسموا محمد بن أبي بكر خال المؤمنين حيث كان ملازماً لعلي عليه السلام، وسموا أخته أم المؤمنين، وسموا معاوية خال المؤمنين، مع أن رسول الله ﷺ قال: «لعن الله معاوية الطليق ابن الطليق»، وقال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه».

وكان معاوية من المؤلفة قلوبهم، وقد قاتل علياً، وعلي عندهم أنه رابع الخلفاء، وهو إمام حق، وكل من حارب إماماً حقاً فهو باغ وطاغ. وسموا معاوية كاتب الوحي ولم يكتب كلمة واحدة منه، وإنما نقل أنه كان من كتّاب الرسائل والذين كانوا يكتبون الوحي أربع عشرة نفساً أخصهم وأقربهم علي.

وأما معاوية فلم يزل مشركاً مدة كون النبي ﷺ مبعوثاً، وكان يكذب بالوحي ويستهزىء بالشرع. وكان في بلاد اليمن يوم فتح مكة وكان يطعن على رسول الله ﷺ، وكان يكتب إلى أبيه صخر يعيِّره بإسلامه ويقول له: صبوت إلى دين محمد بن عبد الله!، بئس ما فعلت. وكان يراسله بالشعر قبل إسلامه وينهاه عن ذلك.

وكان رسول الله ﷺ قد فتح مكة في شهر رمضان لثمان سنين من قدومه إلى المدينة، ومعاوية يومئذ مقيم على شركه هارب من النبي ﷺ إلى بلاد اليمن لأن النبي ﷺ كان قد هدر دمه فهرب على وجهه. فلما لم يجد له مأوى صار إلى النبي ﷺ مضطراً وأظهر الإسلام، وكان إسلامه قبل وفاة النبي ﷺ بخمسة أشهر، وطرح نفسه على العباس عم رسول الله ﷺ فتشفَّع فيه رسول الله ﷺ، فعفى عنه. ثم أن العباس تشفَّع لمعاوية عند الرسول ﷺ أن يجعله من جملة كُتّاب الرسائل، وكان النبي ﷺ لا يحب مخالفة عمه العباس، فأجابه إلى ذلك. ولو سلم أنه كان من كُتّاب الوحي فكم يستحق من الكتابة المتداولة بين أربع عشرة نفساً حتى استحق أن يوصف بذلك دون غيره.

كيف وقد حكى عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي ﷺ وهو في مسجده، فسمعته

يقول لجلسائه: الآن يطلع عليكم رجل يموت على غير سنّتي. فما استتم كلامه إذ طلع معاوية وجلس معنا في المسجد، فقام النبي ﷺ يخطب، فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة، فلما رآه النبي ﷺ خارجاً مع ابنه قال: لعن الله القائد والمقود.

ثم أن معاوية بعد وفاة الرسول ﷺ بالغ في محاربة الإمام علي وقتل جمعاً كثيراً من خيار الصحابة، وطال حربه معه حتى هلك عالم كثير. ثم أنه استمر مع قومه على سب علي ثمانين سنة، ولم يكفه ذلك حتى سم الحسن الزكي عليه السلام.

ولما هلك معاوية، تولى من بعده ولده يزيد لعنه الله، فنهض إلى حرب الحسين عليه السلام وجهَّز له العساكر وجيَّش له الجيوش وأمرَّ عليهم عبيد الله بن زياد، وأمرهم بقتل الحسين وقتل رجاله وذبح أطفاله وسبي عياله ونهب أمواله، ولم يقنعهم ذلك حتى أنهم بعد قتله رضُّوا أضلاعه وصدره بحوافر الخيول، عادمي الرأي والعقول، وحملوا رؤوسهم على القنا وحريمهم على أقتاب الجِمال في أشد العنا، مع أن مشايخهم رووا: أن يوم قتل الحسين قطرت السماء دماً، ونقل عن الشافعي في «شرح الوجيز»: أن هذه الحمرة التي تُرى في السماء ظهرت يوم قُتل الحسين ولم تُر قبله أبداً. ونقل عنه أيضاً: أنه ما رفع حجر في الدنيا يوم قُتل الحسين إلا وُجد تحته دم عبيط، ولقد مطّرت السماء يوم قتله دماً حتى بقي أثره على النبات حتى فنى.

وا خجلتا من أبيهم يوم يَشْهدهم ... مُضرجين نشاوى من دم قان
يقول: يا أمة حفّ الضلال بها ... واستبدلت للعمى كفراً بإيمان
ماذا جَنَيْتُ عليكم إذ أتيتكم ... بخير ما جاء من آي وفرقان
ألم أجركم وأنتم في ضلالتكم ... على شفا حفرة من حرِّ نيران
قَتلتم ولدي صبراً على ظمأ ... هذا وترجون عند الحوض إحساني
سَبَيْتُم ـ ثكلتكم أمهاتكم ـ ... بني البتول وهم لحمي وجثماني
وماذا تُجيبون والزهراء خصمكم ... والحاكم الله للمظلوم والجاني

عن رسول الله ﷺ: «تحشر ابنتي فاطمة الزهراء يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول: يا عدل، يا جبَّار، احكم بيني وبين قاتل ولدي»، قال رسول الله ﷺ: «فيحكم لابنتي ورب الكعبة».

وعنه ﷺ أنه قال لسلمان: «يا سلمان مَن أحب فاطمة ابنتي فهو في الجنة معي، ومن أبغضها فهو في النار. يا سلمان، حب فاطمة ينفع مائة موطن من المواطن، أيسر تلك المواطن: الموت والقبر والميزان والمحشر والسراط والمحاسبة، فمن رضيت عنه

ابنتي فاطمة رضيت عنه، ومن رضيت عنه رضي الله عنه، ومن غضبت عليه غضبت عليه، ومن غضبت عليه غضب الله عليه. يا سلمان، ويل لمن يظلمها ويظلم بعلها، وويل لمن يظلم ذريتها».

وعنه ﷺ أنه قال: «أنا شجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا ورقها، فالشجرة أصلها في جنة عدن، والأصل والفرع واللقاح والورق والثمر في الجنة».

يا حبذا دوحة في الخُلد نابتة ... ما مثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة ... ثم اللقاح على سيد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر ... والشيعة الورق الملتف بالثمر
إني بحبهم أرجو النجاة غداً ... والفوز في زمرة من أفضل الزمر
هذا مقال رسول الله جاء به ... أهل الرواية في العالي من الخبر

فيا إخواني: كيف لا نبكي على أمناء الرحمٰن وسادات أهل الزمان، وكيف لا نجدِّد النوح والأحزان في كل آن ومكان على الشهيد العطشان النائي عن الأهل والأوطان، المدفون بلا غسل ولا أكفان.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون وإياهم
فلينذب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[1]:

مصاب شهيد الطف جسمي أنحلا ... وكدَّر من دهري وعيشي ما حلا
فما هلَّ شهر العشر إلا تجدَّدت ... بقلبي أحزان توسد في البلا
وأذكر مولاي الحسين وما جرى ... عليه من الأرجاس في طف كربلا
فوالله لا أنساه بالطف قائلاً ... لعترته الغرّ الكِرام ومَن تلا
ألا فانزلوا في هذه الأرض واعلموا ... بأني بها أمسي صريعاً مجدلا
وأسقى بها كأس المنون على ظمأ ... ويصبح جسمي بالدماء مُغَسّلا
ولهفي له يدعو اللئام تأملوا ... مقالي يا شر الأنام وأرذلا
ألم تعلموا إني ابن بنت محمد ... ووالدي الكرّار للدين كَمَّلا
فهل سنّة غيَّرتها أو شريعة ... وهل كنت في دين الإلٰه مُبدِّلا

(1) القصيدة للشيخ محمد، وكأنها لابن حماد.

أأحلّلت ما حرّم الطهر أحمد ... أحرّمت ما قد كان قبل محلّلا
فقالوا له: دع ما تقول فإننا ... سنسقيك كأس الموت غصباً معجّلا
كفعل أبيك المرتضى بشيوخنا ... ونشفي صدوراً من ضغائنكم ملا
فأثنى إلى نحو النساء جواده ... وأحزانه منها الفؤاد قد امتلى
ونادى: ألا أهل بيتي تصبّروا ... على الضر بعدي والشدائد والبلا
فإني بهذا اليوم أرحل عنكم ... على الرغم مني لا مِلال ولا قلى
فقوموا جميعاً أهل بيتي وأسرعوا ... أودعكم والدمع في الخد مسبلا
فصبراً جميلاً واتقوا الله إنه ... سيجزيكم خير الجزاء وأفضلا
فأثنى على أهل العِناد مبادراً ... يحامي عن دين المهيمن ذي العلا
وصال عليهم كالهزبر مجاهداً ... كفعل أبيه لن يذلّ ويُخذلا
فمال عليه القوم من كل جانب ... فألقوه عن ظهر الجواد معجلا
وحزّ كريم السبط يا لك نكبة ... بها أصبح الدين القويم معطلا
فارتجت السبع الشداد وزلزلت ... وناحت عليه الجن والوحش في الفلا
وراح جواد السبط نحو نساءه ... ينوح وينعي الظامي المترملا
خرجن بنيات البتول حواسراً ... فعاينَّ مهر السبط والسرج قد خلا
فأدمينّ باللطم الخدود لفقده ... واسكبنّ دمعاً حره ليس يصطلى
ولم أنس زينب تستغيث سكينة ... أخي كنت لي حصناً حصيناً ومؤثلا
أخي يا قتيل الأدعياء كسرتني ... وأورثتني حزناً مقيماً مطوّلا
أخي كنت أرجو أن أكون لك الفدا ... فقد خبت فيما كنت فيه أؤملا
أخي ليتني أصبحت عمياً ولا أرى ... جبينك والوجه الجميل مرمّلا
وتدعو إلى الزهراء بنت محمد ... أيا أم ركني قد وهى وتزلزلا
أيا أم قد أمسى حبيبك بالعرى ... طريحاً ذبيحاً بالدماء مُغسلا
أيا أم نوحي فالكريم على القنا ... يلوح كالبدر المنير إذا انجلا
ونوحي على النحر الخضيب واسكبي ... دموعاً على الخد التريب المُرملا
ونوحي على الجسم التريب تدوسه ... خيول بني سفيان في أرض كربلا
ونوحي على السجّاد في الأسر بعده ... يُقاد إلى الرجس اللعين مغلّلا

فيا حسرة ما تنقضي ومصيبة إلى أن نرى المهدي بالنصر أقبلا
إمام مقيم الدين بعد خفائه إمام له رب السماوات فضّلا
أيا آل طٰه يا رجائي وعِدّتي وعوني ويا أهل المفاخر والعُلى
يميناً بأني ما ذكرت مصابكم أيا سادتي إلا أبيت مقلقلا
فحزني عليكم كل آن مجدّد مقيم إلى أن أسكن التُرب والبلا
عبيدكم العبد الحقير محمد كئيب وقد أمسى عليكم معوّلا
يؤملّكم يا سادتي تشفعوا له إذا ما أتى يوم الحساب ليُسألا
فوالله ما أرجو النجاة بغيركم غداً يوم آتي خائفاً متوجّلا
إذا فرّ مني والدي ومصاحبي وعاينت ما قدَّمت في زمن خلا
ومنُّوا على الحضّار بالعفو في غد لأن بكم قدري وقدرهم علا
عليكم سلام الله يا آل أحمد سلام على مرّ الزمان مطوّلا

الباب الثالث

اعلموا أيها الأمة أن الأئمة كثيرة جمة، كلما كتمها المبغضون نمت اشتهاراً وكلما سترها الحاسدون انكشفت إظهاراً حتى من الخصوم في مصنفاتهم وأخبارهم ورواياتهم، وفي ذلك تكمل الحجة وتستتم عليهم المحجة، ولله در من قال:

ومليحة شهدت لها ضرائها والفضل ما شهدت به الضرّاء

روي عن طريق الخصم، عن البلخي يرويه متصلاً عن مشايخه قال: كانت فاطمة عليها السلام عند رسول الله ﷺ في شكاته التي قبض فيها، فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله ﷺ طرفه إليها فقال: «حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ قالت: أخشى الضيعة من بعدك، فقال: يا حبيبتي أما علمت أن الله قد اطلع إلى الدنيا إطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته، واطلع إطلاعة أخرى فاختار منها بعلك، وأوحى إليَّ أن أزوِّجك به، يا فاطمة نحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعطها لأحل قبلنا ولا يعطي لأحد بعدنا؛ أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحب المخلوقين إليه، ووصيُّ خير الأوصياء وأحبهم إلى الله تعالى وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله تعالى وهو حمزة بن عبد المطلب عم أبيك وبعلك، ومنا من له جناحان أخضران يطير بهما في الجنة مع الملائكة حيث يشاء وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين عليهما السلام وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما والذي بعثني

بالحق خير منهما؛ يا فاطمة والذي بعثني بالحق أن منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغيراً يوقّر كبيراً، فيبعث الله عند ذلك من يفتح حصون الضلالة ويقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به أول الزمان، ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً. لا تحزني ولا تبكي فإن الله أرحم بك وأرأف عليك لمكانك مني وموقعك من قلبي، وزوّجك الله بعلي وهو أشرف أهل بيتك حسباً وأعلاهم منصباً وأرحمهم بالرعية، وأعدلهم بالسوية، وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي أن تكوني أول من يلحقني».

فلم تبق بعده إلا خمسة وسبعون يوماً حتى ألحقها الله به.

وبالإسناد المذكور قال: قال رسول الله ﷺ: «فيأتي المهدي وقد نزل عيسى ابن مريم كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدم صلِّ بالناس، فيقول عيسى: إنما أُقيمت الصلاة لك. فيصلي عيسى ثم خلفه رجل من ولدي، فإذا صلّيت الصلاة قام عيسى حتى جلس في المقام فبايعه فيمكث أربعين سنة. أول الآيات في زمان الدجال، ثم نزول عسى، ثم نار تخرج من بحر عدن تسوق الناس إلى المحشر».

فيا إخواني، أي فضل أعظم من فضل أئمتكم، وأي حق أوجب من حق صفوتكم، شهد القرآن بفضلهم وأكد الله على الناس بحقهم، فقال فيما أوحى على لسان الرسول ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، فجعل جزاء الإسلام والخلاص من النار محبة الآل الأطهار، فانظروا إلى البلاء الذي رُفع بسبب مودّتهم عنكم، ولكن على قدرة المحبة لهم منكم. ولله در من قال:

وإني قد علقت بحب قوم ... إذا نادهم المضطر جاؤوا
هم القوم الذي إذا ألمّت ... من الأيام مظلمة أضاؤوا
وإن بلادهم ما قد علمتم ... على الأيام أن يقع البلاء

بمديحهم يستعين المادحون فيتسع لهم المقال فيما يقول كأن لهم النصيب الكامل، بل الكل لديهم حاصل، وإن كان لغيرهم شيء من الشرف فمن بحرهم أخذ واغترف.

روى جمع من الصحابة قالوا: دخل النبي ﷺ دار فاطمة فقال: يا فاطمة إن أباك اليوم ضيفك، فقالت: يا أبة إن الحسن والحسين يطالباني بشيء من الزاد فلم أجد لهما شيئاً يقتاتان به. ثم أن النبي ﷺ دخل وجلس مع علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام، وفاطمة متحيرة، ما تدري كيف تصنع؟. ثم أن النبي ﷺ نظر إلى السماء ساعة، وإذا

(1) سورة الشورى: الآية 23.

بجبرائيل قد نزل وقال: يا محمد العليّ يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: قل لعلي وفاطمة والحسن والحسين أي شيء يشتهون من فواكه الجنة؟ فقال النبي ﷺ: يا علي ويا فاطمة ويا حسن ويا حسين إن رب العزَّة علم أنكم جياع فأي شيء تشتهون من فواكه الجنة؟ فأمسكوا عن الكلام ولم يردوا جواباً حياء من النبي ﷺ، فقال الحسين: عن إذنك يا أباه يا أمير المؤمنين وعن إذنك يا أماه يا سيدة نساء العالمين، وعن إذنك يا أخاه الحسن الزكي أختار لكم شيئاً من فواكه الجنة؟ فقالوا جميعاً: قل يا حسين ما شئت فقد رضينا بما تختاره لنا، فقال: يا رسول الله قل لجبرائيل: إنا نشتهي رطباً جنياً، فقال النبي ﷺ: قد علم الله ذلك. ثم قال: يا فاطمة قومي ادخلي البيت وأحضري إلينا ما فيه، فدخلت فرأت فيه طبقاً من البلور مغطى بمنديل من السندس الأخضر وفيه رطب جني في غير أوانه، فقال النبي ﷺ: أنىٰ لكِ هذا؟ قالت: هو من عند الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1] ـ كما قالت بنت عمران ـ، فقام النبي ﷺ وتناوله منها وقدمه بين أيديهم ثم قال: بسم الله الرحمٰن الرحيم. ثم أخذ رطبة فوضعها في فم الحسين فقال: هنيئاً مريئاً يا حسين، ثم أخذ رطبة فوضعها في فم الحسن وقال: هنيئاً مريئاً يا حسن، ثم أخذ رطبة ثالثة فوضعها في فم فاطمة الزهراء وقال: هنيئاً مريئاً لك يا فاطمة الزهراء، ثم أخذ رطبة رابعة فوضعها في فم علي، وقال: هنيئاً مريئاً لك يا علي، ثم ناول علياً رطبة أخرى والنبي ﷺ يقول له: هنيئاً لك يا علي. ثم وثب النبي ﷺ قائماً ثم جلس ثم أكلوا جميعاً من ذلك الرطب. فلما اكتفوا وشبعوا ارتفعت المائدة إلى السماء بإذن الله تعالى، فقالت فاطمة: يا أبة لقد رأيت اليوم منك عجباً!، فقال: يا فاطمة أما الرطبة الأولى التي وضعتها في فم الحسين وقلت له هنيئاً يا حسين فإني سمعت ميكائيل وإسرافيل يقولان: هنيئاً لك يا حسين، فقلت أيضاً موافقاً لهما بالقول هنيئاً لك يا حسين. ثم أخذت الثانية فوضعتها في فم الحسن فسمعت جبرائيل وميكائيل يقولان: هنيئاً لك يا حسن، فقلت أنا موافقاً لهما في القول، ثم أخذت الثالثة فوضعتها في فمك يا فاطمة فسمعت الحور العين مسرورين مشرفين علينا من الجنان وهن يقلن: هنيئاً لك يا فاطمة، فقلت موافقاً لهن بالقول. ولما أخذت الرابعة فوضعتها في فم علي سمعت النداء من الحق سبحانه وتعالى يقول: هنيئاً مريئاً لك يا علي، فقلت موافقاً لقول الله عزَّ وجلَّ، ثم ناولت علياً رطبة أخرى ثم أخرى وأنا أسمع صوت الحق سبحانه وتعالى يقول: هنيئاً مريئاً لك يا علي، ثم قمت إجلالاً لربّ العزَّة جلَّ جلاله فسمعته يقول: يا محمد وعزَّتي وجلالي لو ناولت علياً من هذه الساعة إلى يوم القيامة رطبة رطبة لقلت له هنيئاً مريئاً بغير انقطاع.

(1) سورة آل عمران: الآية 37.

فيا إخواني، هذا هو الشرف الرفيع، والفضل المنيع، ولله در من قال:

لمثل عُلاهم ينتهي المجد والفخر ... وعند نداهم يخجل الغيث والبحر
وعمر سواهم في العلى مثل يومهم ... إذا ما علا قدراً ويومهم عمر
وأيامهم بيض إذا اسود حادث ... وأسيافهم حمر وأكنافهم خضر
ملكتم فلا عدوى، حكمتم فلا هوى ... علمتم فلا دعوى، علوتم فلا كبر
وذكركم في كل شرق ومغرب ... على الناس يُتلى كلما تُلي الذكر

فيا إخواني، كيف الصبر لمن يتأمل مولاه الحسين عليه السلام واقفاً في عرصة كربلاء وهو ينادي: ألا هل من نصير ينصر آل محمد المختار؟ ألا هل من ذاب يذبُّ عن الذرية الأطهار؟ أين الثقاة البررة! أين الأتقياء الخيرة! أين من أوجب حقاً عليه الإسلام! أين الوصية فينا من الرسول ﷺ!؟ فوا عجباه من غفلة أهل هذا الزمان واشتغالهم عن إقامة عزاء الشهيد العطشان، وما عذر أهل الإيمان في إضاعة البكاء والأحزان على سيد شباب أهل الجنان ونسل سيد ولد عدنان، ألم يعلموا أن النبي ﷺ أضحى لمصابه موتوراً ولقتله مضطهداً مقهوراً؟ وكيف لا نبكي لبكاء الزهراء، وكيف لا نحزن لحزن المرتضى، وكيف لا ننوح لقتل الإمام المنبوذ بالعراء لنفوز بثواب هذا المصاب ونحرز الجنة يوم المآب؟.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فلينذب النادبون، ولمثلهم تُذرف الذموع من العيون

أو لا تكون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

أهجرت يا ذات الجمال دلالاً ... وجعلت جسمي للصدود خيالا
وسقيتني كأس الفراق مرارة ... ومنعت عذب رضابك السلسالا
أسفاً كما مُنِعَ الحسين بكربلا ... ماء الفرات وأوسعوه خيالا
وسقوه أطراف الأسنة والقنا ... ويزيد يشرب في القصور زلالا
لم أنس مولاي الحسين بكربلا ... ملقى طريحاً بالدماء رمالا
وا حسرتا كم يستغيث بجدِّه ... والشمر منه يقطِّع الأوصالا
ويقول: يا جداه ليتك حاضراً ... فعساك تمنع دوننا الأنذال
ويقول للشمر اللعين وقد علا ... صدراً تربَّى في تُقىً ودلالا

(1) القصيدة للشيخ الجليل ابن حماد.

يا شمر تقتلني بغير جناية حقاً ستُجزى في الجحيم نِكالا
فاحتز بالغضب المهند رأسه ظلماً وهزَّ برأسه العسالا
وعلا به فوق السنان وكبَّروا للّه جلَّ جلاله وتعالى
فارتجَّت السبع الطباق وأظلمت وتزلزلت لمصابه زلزالا
وبكينَّ أطباق السماء وأمطرت أسفاً لمصرعه دماً قد سالا
يا ويلكم أتكبِّرون لفقد مَن قتلوا به التكبير والتهليلا
تركوه شلواً في الفلاة وصيَّروا للخيل في جسد الحسين مجالا
ولقد عَجِبْت من الإلٰه وحلمه في الحال جلَّ جلاله وتعالى
كفروا فلم يخسف بهم أرضاً بما فعلوا وأمهلهم به إمهالا
وغدا الحصان من الوقيعة عارياً ينعى الحسين وقد مضى إجفالا
متوجهاً نحو الخيام مخضباً بدم الحسين وسرجه قد مالا
وتقول زينب: يا سكينة قد أتى فرس الحسين فانظري ذا الحالا
قامت سكينة عاينته محمحماً مُلقى العنان فأعولت إعوالا
فبكت وقالت: وا شماتة حاسديّ قتلوا الحسين وأيتموا الأطفالا
يا عمتاه جاء الحصان مخضباً بدم الشهيد ودمعه قد سالا
لما سمعنَّ الطاهرات سكينة تنعى الحسين وتُظهر الإعوالا
أبرزن من وسط الخدور صوارخاً يندبن سبط محمد المفضالا
فلطمن منهن الخدود وكشفت منها الوجوه وأعولت إعوالا
وخمشن منهن الوجوه لِفَقْدِ مَن نادى مناد في السماء وقالا
قُتِل الإمام ابن الإمام بكربلا ظلماً وقاسى منهم الأهوالا
وتقول: يا جداه نسل أمية قتلوا الحسين وذبحوا الأطفالا
يا جدنا فعلوا علوج أمية فعلاً شنيعاً يُدهش الأفعالا
يا جدنا هذا الحسين بكربلا قد بضَّعوه أسنة وَنِصالا
مُلقى على شاطىء الفرات مُجدلاً في الغاضرية للورى أمثالا
ثم استباحوا في الطفوف حريمه نهبوا السراة وقوّضوا الأجمالا
وغدوا بزين العابدين مُكَتّفاً فوق المطية يشتكي الأهوالا

يبكي أباه بعبرة مسفوحة ... أسروه مضنى لا يطيق نِزالا
وأتوا به نحو الخيام وأمه ... تبكي وتسحب خلفه الأذيالا
وتقول: ليت الموت جاء ولم أر ... هذي الفِعال وأنظر الأنذالا
لو كان والده علي المرتضى ... حياً لجندل دونه الأبطالا
ولفرّ جيش المارقين هزيمة ... من سيفه لا يستطيع قِتالا
يا ويلكم فستُسْحَبُونَ أذلّة ... وستَخْمِلُونَ بفعلكم أثقالا
فعلى ابن سعد واللعين عبيدة ... لعن تجدَّد لا يزول زوالا
وعلى محمد ثم آل محمد ... روح وريحان يدوم مقالا
وعليهم صلّى المهيمن ما حدا ... في البيد ركبان تسير عجالا
فمتى تعود لآل أحمد دولة ... ونرى لمُلك الظالمين زوالا
يا آل أحمد أنتم سُفُن النجا ... وأنا وحقكم لكم أتوالا
أرجوكم لي في المعاد ذريعة ... وبكم أفوز وأبلغ الآمالا
فلأنتم حجج الإلٰه على الورى ... مَن لم يقل ما قلت قال محالا
والله أنزل هل أتى في مدحكم ... والنمل والحجرات والأنفالا
والمُرتقي من فوق منكب أحمد ... منكم ولو رام السماء لنالا
وعليكم نزل الكتاب مفضلاً ... والله أنزله لكم إنزالا
نصّ بإذن الله لا من نفسه ... ذو العرش به نص لكم إفضالا
فتكلَّم المُختار لمَّا جاءه ... من ربّه جبريلهم إرسالا
إذ قال: هذا وارثي وخليفتي ... في أُمتي فلتسمعوا ما قالا
أفديكم آل النبي بمهجتي ... وأبي وأُبذل فيكم الأموالا
وأنا ابن حماد ولّيُكم الذي ... لم يرض غيركم ولا يتوالا
أصبحت معتصماً بحبل ولائكم ... جسداً وإن قصر الزمان وطالا
وأنا الذي أهواكم يا سادتي ... أرجو بذاك عناية ونوالا
بعد الصلاة على النبي محمد ... ما غرَّد القمري وأرخى البالا

* * *

المجلس الثاني

في أول يوم من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

يا إخواني: لو تصوَّر المحب لآل الرسول ما لاقوا من الخطب المهول لاختاروا الموت والفناء على الحياة والبقاء، وكيف لا والحسين عليه السلام مجدل فوق الرمال، معلى رأسه على رأس رمح ميال، وذراريه تسبى حسراً على الجِمال، يُطاف بهم في البلاد مقيَّدين في الأصفاد، كل هذا والدموع جامدة والعيون راقدة والأصوات خامدة، فسيلوا رحمكم الله على هذا المصاب شآبيب الهتان، وتجلببوا جلابيب الاكتئاب والأحزان، وأظهروا النوح والعويل على هذا الرزء الجليل، أما علمتم أنكم توافقون الملائكة في ثوابهم وتواسون النبي ﷺ في الحزن على مصابهم، أما تحبون أن يرضى عنكم مبدع الموجودات، أما تريدون أن تكونوا بذلك آمنين من الكربات يوم عرض الخلائق على رب السماوات، فإن من لم يحزن لمصابهم فليس هو من أتباعهم وأحبائهم، ولله در من قال:

يا لكرب بكربلاء عظيم ... ولرزء على النبي ثقيل
كم بكى جبرائيل مما دهاه ... في بنيه صلُّوا على جبرائيل
سوف تأتي الزهراء تلتمس ... الحكم إذا حان محشر التعديل
وأبوها وبعلها وبنوها ... حولها والخصام غير قليل
وتنادي يا رب ذُبِحَ أولادي ... لماذا وأنت خير مُديل
فيناد بمالك ألهب النار ... وأجج وخذ بأهل الغلول
يا بني المصطفى بكيت وأبكيت ... ونفسي لم تأت بعد بسول
ليت روحي ذابت دموعاً ... فأبكي لِلذي نالكم من التذليل
ومتى كادني النواصب فيكم ... حسبي الله وهو خير وكيل

روي عن سيد البشر فيما جاء من الخبر أنه قال: «من ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع بقدر جناح الذبابة كان ثوابه على الله تعالى، ولم يرض له بدون

الجنة جزاء».

وعن أبي هارون المكفوف إنه قال: قال لي الصادق عليه السلام: يا أبا هارون أنشد لي في الحسين شعراً، فأنشدته قصيدة فبكى بكاء شديداً وكذلك أصحابه، فقال: زدني قصيدة أخرى، فأنشدته فبكى طويلاً وسمعت أيضاً نحيباً من وراء الستر من أهل بيته ولم أزل أسمع نحيب عياله وأهل بيته حتى فرغت من إنشاد القصيدة. فلما فرغت قال لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى أو أبكى واحداً كتب الله له ولهما الجنة.

وحكى دعبل الخزاعي قال: دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيام فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله، فلما رآني مقبلاً قال لي: مرحباً بك يا دعبل مرحباً بناصرنا بيده ولسانه، ثم أنه وسع لي وأجلسني إلى جانبه ثم قال لي: يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية، يا دعبل من بكى أو أبكى على مصابنا ولو كان واحداً أجره على الله، يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا، يا دعبل من بكى على مصاب جدي الحسين غفر الله له ذنوبه البتة. ثم أنه عليه السلام نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين عليه السلام، ثم التفت إلي وقال: يا دعبل إرثي الحسين فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حياً فلا تقصر عن نصرتنا ما استطعت. قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً ... وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذاً للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلات
قبور بكوفان وأخرى بطيبة ... وأخرى بفخ نالها صلوات
قبور ببطن النهر من جنب كربلا ... معرسهم فيها بشط فرات
توفوا عطاشى بالعرى فليتني ... توفيت فيهم قبل حين وفاة
إلى الله أشكوا لوعة عند ذكرهم ... سقتني بكأس الثكل والصعقات
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمد ... وجبرائيل والقرآن والسورات
وعدوا علياً ذا المناقب والعلى ... وفاطمة الزهراء خير بنات
وحمزة والعباس ذا الدين والتقى ... وجعفرها الطيار في الحجبات

أولئك مشؤومون هنداً وحزبها سمية من نوكى ومن قذرات
هم منعوا الآباء من أخذ حقهم وهم تركوا الأبناء رهن شتات
سأبكيهم ما حج لله راكب وما ناح قمري على الشجرات
فيا عين ابكيهم وجودي بعبرة فقد آن للتسكاب والهملات
بنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله منهتكات
وآل زياد في الحصون منيعة وآل رسول الله في الفلوات
ديار رسول الله أصبحن بلقعاً وآل زياد تسكن الحجرات
وآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد غلظ القصرات
وآل رسول الله تدمى نحورهم وآل زياد ربة الحجلات
وآل رسول الله تسبى حريمهم وآل زياد آمنوا السربات
إذا وتروا مدوا إلى واترهم أكفاً عن الأوتار منقبضات
سأبكيهم ما در في الأرض شارق ونادى منادي الخير للصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها وبالليل أبكيهم وبالغدوات

فيا إخواني، كيف لا يحق لنا البكاء عليهم وإظهار الجزع والاكتئاب لديهم وهم أعلام الرحمٰن وأمناء القرآن.

روي عن الباقر عليه السلام إنه قال: أيما مؤمن ذرفت عيناه على مصاب الحسين عليه السلام حتى تسيل على خده بوّأه الله في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيما مؤمن مسّه أذى فينا صرف الله عن وجهه الأذى يوم القيامة وآمنه من سخط النار.

وعن الصادق عليه السلام إنه قال: من ذكرنا عنده ففاض من عينه ولو مثل رأس الذبابة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر.

وعنه عليه السلام إنه قال: رحم الله شيعتنا لقد شاركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة على مصاب الحسين عليه السلام.

وعنه عليه السلام إنه قال: من بكى أو أبكى فينا مائة فله الجنة، ومن بكى أو أبكى خمسين فله الجنة، ومن بكى أو أبكى ثلاثين فله الجنة، ومن بكى أو أبكى عشرة فله الجنة، ومن بكى أو أبكى واحداً فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة، ومن لم يستطيع أن يبكي فليقشعر جلده من الحزن.

فيا إخواني، انظروا إلى عظم فضيلة البكاء على هذا الشخص الرباني، واغسلوا درن

ذنوبكم بماء دموعكم، ونعوذ بالله من عين لا تدمع، وقلب لا يخشع.

روي أنه لما أخبر النبي ﷺ ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن، بكت فاطمة عليها السلام بكاء شديداً وقالت: يا أبتي متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خال مني ومنك ومن علي. فاشتد بكاؤها وقالت: يا أبة فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟ فقال النبي ﷺ: يا فاطمة إن نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة، فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة، يا فاطمة كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت على مصاب الحسين فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة.

فيا إخواني، أكثروا البكاء والعويل على هذا العزيز الجليل لتفوزوا بالثواب الجزيل من الرب الجليل، فإن الله جعل متابعتنا لهم فيما أمكن من الفعال وبكاؤنا عليهم بالدمع السجال، وبعث عيوب أعدائهم أهل الضلال قائماً مقام الجهاد معهم في يوم القتال، كما ورد في الخبر عن وصي سيد البشر أنه قال لأصحابه: إلزموا بيوتكم واصبروا على البلاء ولا تتحركوا بأيديكم وسيوفكم وهوى ألسنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة من حق ربه وحق رسوله وآل رسوله كان كمن مات شهيداً ووقع أجره على الله تعالى واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام إصالته وجهاده بسيفه ويده، وإن لكل شيء أجلاً وانتهاءً.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

أي عـذر لـمـهـجـة لا تـذوب ... وحِـشَـاً لا يـشـبُّ فـيـهـا لـهـيـب
ولـقـلـب يـفـيـق مـن ألـم الـحـزن ... ولـعـيـن دمـوعـهـا لا تـصـوب
وابـن بـنـت الـنـبـي بـالـطـف مـطـروح ... مـلـقـى والـجـبـيـن مـنـه تـريـب
حـولـه مـن بـنـي أبـيـه شـبـاب ... صـرعـتـهـم أيـدي الـمـنـايـا وشـيـب
وحـريـم الـنـبـي عـبـرى مـن الـثـكـل ... وحُـرى خـمـارهـا مـنـهـوب
تـلـك تـدعـو أخـي وتـلـك تـنـادي ... يـا أبـي وهـو شـاخـص لا يـجـيـب
لـهـف قـلـبـي وطـفـلـه فـي يـديـه ... يـتـلـظـى والـنـحـر مـنـه خـضـيـب

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله.

لهف قلبي لأخته زينب تأوي اليتامى ودمعها مسكوب
لهف قلبي لفاطم خيفة السبي تجافي وقلبها مرعوب
لهف قلبي لأم كلثوم والخدان منها قد خدَّدتها الندوب
وهي تدعو يا واحدي يا شقيقي يا مغيثي قد برحت بي الخطوب
ثم تشكو إلى النبي ودمع العين في خدها الأسيل وصيب
جد يا جد لو ترانا حيارى قد عرتنا بكربلاء الكروب
جد يا جد لم يفد ذلك النصح وذاك الترغيب والترهيب
جد لم تقبل الوصية في الأهل ولم يرحم الوحيد الغريب
يصبح الجاهد البعيد من الحق قريباً منهم ويقصى القريب
أين عيناك والحسين قتيل وعلي مغلَّل مضروب
لو ترى سبطك المفدى طريحاً عارياً والرداء منه سليب
لو ترانا نساق بالذل ما بين العدى قد قست علينا القلوب
لو ترانا حرى وقد أبرزت منا وجوه صينت وشقت جيوب
بأبي الطاهرات تحدى بهن العيس بين الملا وطوى السهوب
بأبي رأس نجل فاطمة يشهره للعيون رمح كعوب
يا ابن أزكى الورى نجاراً على مثلك يستحسن البكا والنحيب
ها جفوني لما أصيبت به قرحى وقلبي لما رزيت كئيب
أين قلبي الشجي والفارغ البال وأين المحق والمستريب
لا هنأني عيشي ومبسمك الدريّ باد وقد علاه قضيب
ليت أبي فداك لو كان بالعبد يُفدى المولى الحسيب النسيب
سهم بغى الأولى أصابك من قبـ ـل ولله عنك سهم مصيب
أظهروا فيك حقد بدر ومن قبـ ـل دعوا للهدى ولم يستجيبوا
يا بني أحمد إلى مدحكم قلب الخليعي مستهام طروب
كيف صبر امرىء يرى الود في القربى وجوباً وإرثكم مغصوب
أنتم حجة الإلٰه على الخلق وأنتم للطالب المطلوب
بولاكم وبُغض أعدائكم تُقبل أعمالنا وتُمحى الذنوب

لـثـنـاكـم شـاهـت وجـوه ذوي الـنـ ـصـب وشُـقّـت مـن الـنـغـول الـقـلـوب

الباب الثاني

اعلموا أيها الإخوان أن نفثات الأحزان إذا صدرت عن زفير نيران الأشجان فرجت بعض الكروب عن الواله المكروب، والدموع الهتان إذا أسبلت عن مقرحات الأجفان، نفّس ذلك الدمع المصبوب ما يجده المتيَّم المتعوب، فليلبس كل واحد منكم شعار أحزانه؛ وليتجلبب بجلباب كآبته وأشجانه، أما تعلمون أن لكل واحد منكم تمام إيمانه، أما تحبون أن يرجع ذلك لكل واحد منكم بميزانه، أأبلغ شاهد من هذا تريدون؟ فلم عن إقامة العزاء متقاصرون؟ أما بلغكم أن بعينهم جميع ما تصنعون؟ أما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1]، بل والله إنه قول لا مرية فيه، ولا شك يعتريه، ولله در من قال:

يـا مـن بـجـاهـهـم الـظـلـيـل وعـزّهـم لـذوي الـمـراتـب فـي الـبـرايـا سـادوا
فـلـهـم عـلـى الـسـبـع الـطـرائـق مـنـصـب عـالـي الـبـنـاء لـه الـعـلاء عـمـاد
وحـيـاض وردهـم لـكـل مـؤمـل يـروى بـه الـرواد والـوراد
إن أوعـدوا صـفـحـوا عـن الـجـانـي وإن وعـدوا بـخـيـر أنـجـزوا الـمـيـعـاد
تـضـع الـمـلـوك جـبـاهـهـم فـي أرضـهـم ولـزهـدهـم تـتـأدب الـزهـاد
إن كـان غـيـري نـاسـيـاً لـمـصـابـكـم فـالـحـزن فـي قـلـبـي لـه تـزداد
بـالله أقـسـم لا تـعـدى ديـنـكـم إلا زنـيـم ديـنـه إلـحـاد

عن الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمة عليها السلام قبة من نور، ويقبل الحسين عليه السلام ماشياً ورأسه في يده فإذا رأته فاطمة عليها السلام شهقت شهقة عظيمة فلا يبقى في ذلك الموقف ملك ولا نبي إلا وبكى لبكائها، فيمثل الله الحسين في أحسن صورة، فيخاصم قتلته وهو بلا رأس فيجمع الله قتلته والمجهزين عليه ومن شرك في قتاله فيقتلهم علي، ثم ينشرون فيقتلهم الحسن، ثم ينشرون فيقتلهم الأئمة.

وفي خبر آخر عن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة الزهراء في لمة من نساء أهل الجنة، فيقال لها: ادخلي، فتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صُنع بولدي الحسين، فيقال لها: انظري في قلب القيامة، فتنظر يميناً وشمالاً فترى الحسين وهو قائم

(1) سورة آل عمران: الآية 169.

ليس عليه رأس فتصرخ صرخة عالية وتصرخ الملائكة لصرختها وتقول: وا ولداه، وا ثمرتا فؤاداه، قال: فيشتد غضب الله عند ذلك فيأمر الله ناراً اسمها هبهب قد أوقدوا عليها ألف عام حتى اسودت وأظلمت لا يدخلها روح ولا يخرج منها همّ ولا غمّ أبداً، فيقال لها: التقطي قتلة الحسين، فتلتقطهم جميعاً واحداً بعد واحد، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت بهم وصهلوا بها وشهقت بهم وشهقوا بها، واشتد عليهم العذاب فيقولون: ربنا لم أوجبت علينا النار قبل عبدة الأوثان؟ فيأتيهم الجواب عن الله: أن من علم ليس كمن لا يعلم فذوقوا عذاب الهون بما كنتم تعملون. ولله در من قال:

عين تروم فراق شخصك ساعة كُحِلَتْ بأميال العمى آماقها
نفس للحظك لم تكن مشتاقة ضربت بأسياف العدى أعناقها

روي عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لما أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده وإنه يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يُذبح أعزّ ولده، فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: يا إبراهيم من أحب خلقي إليك؟ فقال: يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إليَّ من حبيبك محمد ﷺ، فأوحى الله إليّ: يا إبراهيم هو أحب إليك أم نفسك؟ فقال: بل هو أحب إليّ من نفسي، قال: فولده أحب إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أرجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي، قال: يا إبراهيم إن طائفة تزعم أنها من أمته ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك بيدك بجزعك على الحسين وقتله وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب. وذلك قول الله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[1]. ولله در من قال:

عليك يا ابن خير المرسلين تأسفي وحزني وإن طال الزمان طويل
جللت فجلّ الرزء فيك على الورى كذا كل رزء للجليل جليل

فوا حسرتاه لتلك الجسوم المرملة بالدماء، ووا لهفتاه لتلك الأفواه اليابسة من الظماء، ووا حرّ قلباه لمولاي الحسين وهو ينادي فلا يُجاب ويستغيب وليس من يرد الخطاب، ويطلب شربة من الماء فلا يُسقى، أو لا يداري وقد حرموه عليه وحلّلوه على اليهود والنصارى ومنعوه من توديع الأحباب والأولاد وأظهروا في الإسلام حزناً لا ينقضي

(1) سورة الصافات: الآية 107.

حتى المعاد، فلا غرو إن بكت عليه محاجري أو فرَّ السهاد عن ناظري.

فيا إخواني، كيف يحسن نوح النايحين وبكاء الباكين على إلف وخدين؟ ولا يحسن على ابن أمير المؤمنين وابن سيدة نساء العالمين؟ بلى والله والحق المبين، ولله در من قال:

يا أهل بيت محمد دمعي لكم جار وقلبي ما حييت كئيب
أنتم ولاة المسلمين وحبكم فرض ونهج هداكم ملحوب
طبتم فحبكم النجاة وبغضكم كفر برب العالمين وحوب

نقل عن ابن عباس أنه قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة بكى بكاء شديداً حتى بلت دموعه لحيته، فقلت له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي وما يُصنع بهم من بعدي وما يفعلون بهم أشرار أمتي، فكأني بفاطمة عليها السلام ابنتي وقد ظُلمت من بعدي وغُصب حقها وقهر بعلها وغصبت على ميراثها، فكأني بها وهي تنادي: يا أبتاه يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي. فسمعت فاطمة كلام أبيها فبكت، فقال لها النبي ﷺ: اسكتي يا فاطمة وابشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بي ولن تلبثي بعدي إلا قليلاً وأنك أول من يلحق بي من أهل بيتي. فسُرت بذلك سروراً عظيماً.

وفي بعض الأخبار عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما رأيت فاطمة ضاحكة بعد رسول الله ﷺ. وقيل: ما كان في الدنيا أعبد من فاطمة، كانت تقوم للصلاة حتى تتورم قدماها. وقيل: لما دفن رسول الله ﷺ ورجعت فاطمة إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، انقطع عنا خبر السماء. ثم قالت:

أغبر آفاق البلاد وكوِّرت شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي حزينة أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها وليبكه مصر وكل يمان
نفسي فداؤك ما لرأسك مائلاً ما وسدوك وسادة الوسنان

ونقل أنها وقعت على قبره وقالت:

ما ضرّ من شمَّ تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صُبَّت عليَّ مصائب لو أنها صُبَّت على الأيام صرن لياليا

فيا إخواني، إن رغبتم في المنزل الكريم، والثواب العظيم الجسيم، فأديموا الحزن عليهم والجزع والكآبة لديهم، فإنه يكتب لكم في صحائف الحسنات ويمحو عنكم

الذنوب المعضلات.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف دموع العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال[1]:

خواطر فكري في الحشاء تجول ... وحزني على آل النبي طويل
أراق دموعي ظلم آل محمد ... وقتلي لنفسي في الهداة قليل
تهون الرزايا عند ذكر مصابهم ... ورزؤهم في العالمين جليل
لعمرك خطب لو علمت جليل ... وأمر عنيف لو علمت مهول
مصارع أولاد النبي بكربلا ... عليهن حزني ما حييت يطول
قبور عليها النور يزهو عندها ... صعود لأملاك السما ونزول
قبور بها يستدفع الضر والأذى ... ويعطي بها رب السما وينيل
ولما رأيت الحير حارت مدامعي ... وكان لها من قبل ذاك همول
ومثل لي يوم الحسين وقوله ... لأعدائه بالطف وهو يقول:
أما فيكم أيها الناس راحم ... لعترة أولاد النبي وصول
أأُقْتَلُ مظلوماً وقدماً علمتم ... بأن ليس لي في العالمين عديل
أليس أبي خير الوصيين كلهم ... أما أنا للطهر النبي سليل
أما فاطم الزهراء أمي ويلكم ... وعمّاي أيضاً جعفر وعقيل
دعوني أرِد ماء الفرات ودونكم ... لقتلي فعندي للظماء غليل
فنادوه مهلاً يا ابن بنت محمد ... فليس إلى ما تبتغيه سبيل
فداؤك روحي يا حسين وعترتي ... وأنت عفير في التراب جديل
فديتك لما مر مهرك عارياً ... ورأسك في رأس السنان مثيل
بناتك تسبى كالإماء حواسراً ... وسبطك ما بين العداة قتيل
وزينب تدعو بالحسين وقلبها ... حزين لفقدان السلو ثكول
أخي يا أخي قد كنت عزي ومنعتي ... فأصبح عزي فيك وهو ذليل
أخي يا أخي لم أعط سؤلي ولم يكن ... لأختك مأمول سواك وسول

(1) القصيدة للشيخ ابن حماد رحمه الله.

أخي لو ترى عيناك ما فعل العدا ... بنا لرأت أمراً هناك يهول
ترانا سبايا كالإماء حواسراً ... يجد بنا نحو الشئام رحيل
أخي لا هنت بعد فقدك عيشتي ... ولا طاب لي حتى الممات مقيل
فإن كنت أزمعت المغيب فقل لنا ... أما لك من بعد المغيب قفول
أقول كما قد قال عني والدي ... وأدمعه بعد البتول همول
أرى علل الدنيا عليَّ كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وإن بقائي بعدكم لقليل
يريد الفتى أن لا يفارق خِله ... وليس إلى ما يبتغيه سبيل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل
عليكم سلام الله يا خيرة الورى ... ومَنْ فضلهم عند الإلٰه جليل
بكم طاب ميلادي وإن ودادكم ... بان على ما في الأمور دليل
لأنكم أعلى الورى عند ربكم ... إذ الطرف في اليوم المعاد كليل
وإن موازين الخلايق حبكم ... خفيف لما يأتي به وثقيل
وأصفيتكم ودي ودنت بحبكم ... مقيم عليه لست عنه أحول
وإنكم يوم المعاد وسيلتي ... وما لي سواكم إن علقت وسيل
تسمع لها بكر الغواني إذا بدت ... تتيه على أقرانها وتصول
منمقة الألفاظ من قول قادر ... على الشعر إن رام القريض يقول
لساني حسامي مرهف الحد قاطع ... ورأيي سديد في الأمور دليل
وذلك فضل من إلٰهي وطوله ... وفضل إلٰهي للعباد جزيل
ألا رب مغرور تناسى ولو درى ... لكان إلى ما في الأمور يؤول
تشبه لي في الشعر عزّ فهل ترى ... يكون سواء عالم وجهول
ولولا حفاظ العهد بيني وبينه ... لقلت ولكن الجميل جميل
كفى أن من يهوى غوات أراذل ... لأم تناشوا في الخنا ونغول
وإني بحمد الله ما بين عصبة ... لهم شيم محمودة وعقول
بحبكم يرجو ابن حماد سؤله ... ويعلوه ظلّ في الجنان ظليل
فقل للذي يبغي عنادي لحينه ... رويداً رويداً فالحديث يطول

الباب الثالث

أتظنون أيها المؤمنون إخوانكم أصحاب الحسين عليهم السلام عظمت عليهم تلك الآلام أو أضرت بهم تلك الجراح في ميدان الكفاح؟ لا وخالق الأرواح أليس هم بعين الملك الجبار؟ أليس هم في نصرة النبي المختار؟ أما هم الذين باعوا الدنيا بالآخرة في نصرة الذرية الطاهرة؟ لقد والله شاهدوا مقاعدهم في الجنان مشاهدة الحضور والعيان، وعلموا أنهم قادمون عليها فبذلوا وسارعوا إليها، ولله در من قال فيهم:

قوم إذا حضر الوغى لم يسألوا حذر المنية عن سبيل الهارب
وإذا الكماة تطاعنوا ألفيتهم يتقدمون إلى مكان الضارب

فيا حبذا نجم سعدهم اللائح، ويا طيب نشر عطرهم الفائح، كيف لا وقد تحقق أن القتيل منهم في سبيل الملك الجليل لا يجب له التغسيل، لما ورد في الخبر عن سيد البشر: «رملوهم بدمائهم فإنهم يُحشرون يوم القيامة تشخب أوداجهم دماً، اللون لون الدم والريح ريح المسك».

فيا إخواني، هل هذا إلا لمكرمة حصَّلوها وفضيلة أدركوها؟ وذلك هو الحظ العظيم والنيل الجسيم.

نقل أنه لما قدم الحسين عليه السلام إلى أرض كربلاء كان معه اثنان وسبعون رجلاً وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، وكان عسكر ابن سعد سبعين ألف فارس فحملوا بأجمعهم على الحسين وأصحابه عليهم السلام، فأمر ابن سعد برميهم في السهام فرموهم بها حتى صار جسد الحسين كالقنفذ وجرَّحوه في بدنه ثلاثمائة ونيفاً وعشرين جرحاً بالرماح والسيوف والنبل والحجارة، حتى أنه عليه السلام حجم عنهم وضعف عن القتال، فطعنه (سنان) بسنانه فصرعه إلى الأرض فابتدر إليه (خولى) ليحتز رأسه فارتعد ورجع عن قتله، فقال له الشمر: فتّ الله عضدك ما لك ترعد؟ ثم إن الشمر نزل عن فرسه ودنا إلى الحسين فذبحه كما يذبح الكبش! ألا لعنة الله على القوم الظالمين، وكان عدد من قُتل مع الحسين من أهل بيته وعشيرته عليهم السلام ثمانية عشر نفساً.

فمن أولاد علي عليه السلام ستة، وهم: العباس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان، وعبيد الله، وأبو بكر.

ومن أولاد الحسين عليه السلام اثنان، وهما: علي بن الحسين، وعبد الله الطفل المذبوح بالسهم.

ومن أولاد الحسن عليه السلام ثلاثة، وهم: القاسم، وأبو بكر، وعبد الله.

ومن أولاد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب اثنان، وهما: محمد، وعون.

ومن أولاد عقيل ثلاثة، وهم: عون، وجعفر، وعبد الرحمٰن.

ومن أولاد مسلم بن عقيل اثنان، وهما: عبد الله بن مسلم، وعبيد الله بن مسلم.

فهؤلاء ثمانية عشر نفساً من أهل البيت عليهم السلام قتلوا مع الحسين عليه السلام، وكلهم مدفونون مما يلي رجلي الحسين في مشهده، وإنهم حفر لهم حفيرة عميقة وألقوا فيها جميعاً وسوَّى عليهم التراب رحمة الله عليهم. وأما العباس فإنه دُفن ناحية عنهم في موضع المعركة عند (المسناة) وقبره ظاهر على ما هو الآن. وليس لقبور إخوته وبني عمه الذي سمعنا لهم أثر ظاهر، وإنما يزورهم الزائر عند رجلي الحسين ويومي إلى الأرض ويشير إليهم بالسلام، وعلي بن الحسين من جملتهم. وقيل: إنه أقرب منهم إلى قبر أبيه.

وأما أصحاب الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه من سائر الناس وهم ثلاثة وخمسون رجلاً، فإنهم دفنوا حوله وليس لهم أجداث على الحقيقة. ولا شك أنهم في الحائر المقدس على ما نقل من الثقاة، والحائر محيط بهم رضوان الله عليهم أجمعين.

وأما رأس الحسين عليه السلام، فنقل عن بعض علمائنا أنه ردّ من الشام ودُفن مع جسده الشريف. وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام: أنه بلغ في مسيره من المدينة إلى الغرى شرّفه الله تعالى ومعه ابنه إسماعيل وجماعة من أصحابه، نزل عن دابته في موضع عند الغرى قريباً من القبر مما يلي الرأس وزار الحسين عليه السلام وصلّى عنده ركعتين، فقال له بعض من كان معه: يا ابن رسول الله أليس رأس الحسين بُعث إلى الشام إلى يزيد؟ فقال: بلى، ولكن رجل من موالينا اشتراه من بعد موت يزيد وأتى به إلى هذا الموضع ودفنه هنا. وليس هذا ببعيد، وكذلك اشتهر بين الأصحاب زيارته من عند رأس قبر أبيه.

وجاء في بعض الأخبار: أنه كان للحسين أربعة ذكور، وهم: علي بن الحسين الأكبر، وكان عمره يوم قتل مع أبيه سبع عشرة سنة. وعلي بن الحسين الأصغر وهو الإمام عليه السلام الذي عاش بعد حياة أبيه. وجعفر بن الحسين عليه السلام، مات في حياة أبيه ودفن بالمدينة ولا بقية له. وعبد الله بن الحسين عليه السلام، هو الطفل الذي قتل في حجر أبيه، جاءه سهم مشؤوم وهو يستقي له من القوم ماءاً فجاءه السهم في نحره فذبحه من الأذن إلى الأذن فجعل أبوه الحسين عليه السلام يلقي الدم من نحره ويرمي به إلى السماء فلا يسقط منه قطرة، وهو مع ذلك يبدي الشكاية إلى الله تعالى ويبكي ويقول: قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدك العفا.

فانظروا يا إخواني بعيون بصائركم إلى مصاب العترة الطاهرة، واعملوا فكركم فيما أصابهم من الفئة الفاجرة، أتدرون إذا حزنتم على المصاب أي شيء تحوزون من الأجر والثواب؟

لقد طالما أسهر أجفاني تمثلهم في خاطري وجناني

ولله در من قال:

حتى متى وإلى متى تتصبر فلمثل هذا اليوم دمعك يذخر

اليوم فلتذب النفوس كآبة وعلى الخدود من المحاجر تقطر

روي عن الإمام أبي عبد الله قال: سمعت أبي يقول: إن فاطمة عليها السلام كانت تأتي قبور الشهداء فتبكي ثم تأتي قبور البقيع بين اليوم واليومين، فكانت إذا وهجتها الشمس تفيأت بظل أراكة هناك، فبلغ الرجلين ذلك فبعثا فقطعا الأراكة. فلا جرم لقد كانت الأراكة سبباً لأعمال سيوف فتاكة في نسلها وبنيها وولدها وذريتها. ولله در من قال:

ستعلم في الحساب إذا التقينا غداً عند الإلٰه من الظلوم

إلى ديَّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

روي عن الصادق عليه السلام: أنه إذا هلَّ هلال عاشوراء اشتد حزنه وعظم بكاؤه على مصاب جده الحسين عليه السلام، والناس يأتون إليه من كل جانب ومكان يعزونه بالحسين ويبكون وينوحون على مصاب الحسين عليه السلام. فإذا فرغوا من البكاء يقول لهم: أيها الناس اعلموا أن الحسين حي عند ربه يرزق من حيث يشاء وهو عليه السلام دائماً ينظر إلى موضع عسكره ومصرعه ومن حلَّ فيه من الشهداء، وينظر إلى زواره والباكين عليه والمقيمين العزاء عليه، وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنازلهم في الجنة، وأنه ليرى من يبكي عليه فيستغفر له ويسأل جده وأباه وأمه وأخاه أن يستغفروا للباكين على مصابه والمقيمين عزاءه، ويقول: لو يعلم زائري والباكي عليَّ ما له من الأجر عند الله تعالى لكان فرحه أكثر من جزعه، وأن زائري والباكي عليّ لينقلب إلى أهله مسروراً وما يقوم من مجلسه إلا وما عليه ذنب وصار كيوم ولدته أمه.

وعنه عليه السلام، أنه قال: لما قُتل الحسين عليه السلام بكت عليه السماوات السبع ومن فيهن من الجن والأنس والوحوش والدواب والأشجار والأطيار، ومن في الجنة والنار، وما لا يرى، كل ذلك يبكون على الحسين عليه السلام ويحزنون لأجله، إلا ثلاث طوائف من الناس فإنها لم تبك عليه أبداً. فقيل: فمن هذه الثلاثة التي لم تبك على الحسين؟ فقال: هم أهل دمشق، وأهل البصرة، وبنو أمية لعنة الله على الظالمين.

فيا عجباً من القلوب القاسية والنفوس العاصية! كيف لا تبكي لمن بكاه محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء سيدة النساء وملائكة السماء وما بينهما وما تحت الثرى؟.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون
وإياهم فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف دموع العيون

أو لا تكون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[1]:

ألا يا عين لا لمراتع وخيامي ... أودت بساكنها يد الأيام
لا ينفع الغل الدموع بربها ... إلا إذا ندب القتيل الظامي
ما عذر مَنْ لم يبك يوم مصابه ... متأسفاً بدم ودمع هام
سحي الدموع على الحسين وحاذري ... تستنزلك ألْسُن اللوّام
وتمثيله بكربلاء يا ظامياً ... يرنو إلى ماء الفرات الطامي
وابكي على الشيب التريب معفّراً ... وابكي على النحر الخضيب الدامي
وتمثيله إخوانه وبناته ... يندبنه بتفجُّع ولطامي
هذي تنوح وهذي تبكي لما ... سلب العدى من برقع ولثام
وابكي اليتامى للطغاة خواضعاً ... وا رحمتاه لتخضع الأيتام
وابكي مصارع فتية علوية ... شربوا على ظمأ كؤوس حِمام
أحشاء فاطمة لهم مقروحة ... وعلى النبي توجُّع الأيتام
وابكي لزينب تستغيث بأمها ... ذات المفاخر والمحل السامي
يا أم قومي من ثراك وسارعي ... وتبيَّني ذلّي وسوء مقامي
وقفي على المقتول وانفجعي له ... وابكي له فرداً بغير محامي
وابكي على الطفل الصغير مضمخاً ... بدماه بعد تحرُّق وأوام
وابكي عزيزات الحسين حواسراً ... يسترن أوجههنّ بالأكمام
وابكي لزين العابدين مقيّداً ... في الأسر يشكو كربة الأسقام
وابكي لنا نُسْبَى على الأقتاب ما ... بين الملأ في مهمه وأكام
وابكي لرأس السبط يُشهر في القنا ... كالبدر يجلو حندس الإظلام
يا للرجال لثار عترة أحمد ... الهادي وبالحمية الإسلام

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله.

أيكون صاحب شرعة الأحكام والداعي الأنام منكس الأعلام
وتُبيد آل زياد آل محمد قتلاً بحدِّ صوارم وسِهام
ويبيت جسم ابن النبي مرملاً تربأ يوطىء الخيل والأقدام
وإلى ابن آكلة الكبود برأسه يسري بعين الواحد العلام
ويمكِّن الرجس القضيب بجهله وبضغنة من ثغره البسَّام
لكنه أملى لهم فتمردوا في الكفر وازدادوا من الآثام
يا سادة شُرِّفَ الكتاب بما حوى فيهم من الإجلال والإعظام
يا مَن إذا ذكر اللبيب مصابهم هانت عليه مصائب الأيام
قسماً بمن فرض الولاء على الورى لكم وذلك أعظم الأقسام
ما أطمع الأرجاس فيما أبدعوا فيكم وجرَّأهم على الإقدام
إلا الذين تعاقدوا أن ينقضوا ما أحكم الهادي من الإبرام
يا قاسم النيران يا من حبه فرض عليَّ مؤكد الإلزام
أنا عبدك الخليعي لا أخشى لظىٰ وعليك معتمدي وأنت عصامي
فلقد عرفت بغير نكر خالقي ونبيي الهادي معاً وإمامي
ولقد دللت على وجوب رياسة المعصوم لا حصر ولا متعامي
فلتعطفن عليَّ يوم تقول للأشياع طبتم فادخلوا بسلام
وتُقاد أعداء الرسول إلى الردى عصب الخنا والرجس والآثام
ويعجل الله العذاب لمعشر غدروا فأبلغ من عداك مرامي

* * *

المجلس الثالث

في الليلة الثانية من عشر المحرَّم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

اعلموا، أعزَّكم الله بقيام الدين، وأحياكم وأماتكم على سنَّة سيد المرسلين: أن نور الإسلام ما ظهر ولا استقام إلا بعلي عليه الصلاة والسلام، وجهاده بين يدي سيد الأنام لإظهار الإسلام، فقتل الرجال، وجدل الأبطال في حومة النزال، فلم يبقَ بيت من قريش إلا وعمل صليل حسامه في جوانبه، وأخنى على أهله وأقاربه.

لا جرم بغضه أهل الشقاق فأبطنوا الخلاف وأظهروا الوفاق، فحين عرف النبي ﷺ ذلك من ضمائرهم، إذ هو المطلع على ما في سرائرهم، قام فيهم بالوصية فيه وفي ذريته وبنيه مقاماً بعد مقام حتى أسمع كافة الإسلام فلم يسعهم إلا القبول في الظاهر لما يقول.

فلما توفي ﷺ ارتدُّوا وقصدوه وأساؤوا إلى وصيِّه وقتلوه وثنوا ببنيه وأشياعه ومواليه، فحقت عليهم كلمة الكفر بالارتداد التي وعدهم بها رب العباد.

روي عن ابن عباس قال: حضرت مسألة فعجز عمر عن ردها، فقال: ما تقولون يا صحابة رسول الله؟ من ترون يقوم بجواب هذه المسألة؟ فقالوا: أنت أعرف منا، قال: كلنا والله يعلم ابن بجدتها والخبير بها، فقالوا: لعلك أردت علي بن أبي طالب، قال: وآنى يعدل بي عنه، قالوا: لو بعثت إليه لأتاك، قال: هيهات هناك شمخ من هاشم وأثرة من علم يؤتى لا يأتي، قوموا بنا إليه. فقام القوم بأجمعهم، فإذا هو عليه السلام في حائط له متكىء على مسحاة في يده يتلو قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾﴾[1]، ودموعه تجري على خديه، فأجهش القوم لبكائه ثم سكن وسكنوا، فأصدر إليه عمر مسألته وأدى علي جوابها، فقال: يا أبا الحسن لقد أرادك الحق ولكن أبى قومك، فقال: يا أبا حفص حفظ عليك من هنا ومن هناك ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾[2]. فلما أراد عمر الانصراف قال: أؤنسك يا ابن عباس؟ قال ابن عباس: فأخذ بيدي وقال: يا ابن

---

(1) سورة القيامة: الآيتان 37 - 38.
(2) سورة النبأ: الآية 17.

عباس لقد كان ابن عمك أحق بهذا الأمر لولا ثلاث، قلت: وما هي؟ قال: حداثة سنه، ومحبته لأهل بيته، وبغض قريش له. قال: فقلت يا أمير المؤمنين أتأذن لي في الجواب؟ فقال: قل، فقلت: أما حداثة سنه فوالله ما استحدثه الله حين جعله أخاً لنبيه وجعل نفسه كنفسه، وأما محبته لأهل بيته فقد عمل بقول الله تعالى فيهم: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، وأما بغض قريش له فعلى مَن نقمت قريش! أعلى الله حيث أمر رسوله بحربها؟ أم على رسوله حيث أمر علياً بقتالها، أم على علي حيث أطاع رسوله فيها؟ قال: فجذب يده وقال: يا ابن عباس إنك لتغرف من بحر.

فانظروا يا إخواني إلى ما في ضمائرهم من الأحقاد حيث قتل بسيفه منهم الآباء والأولاد امتثالاً لأمر رب العباد، طلبوا نيل مفاخره الجميلة فعجزوا عنها وأعيتهم وجوه الحيلة، فلما صارت أزِمة الأمور إليهم وردوها عليهم صوبوا صوائب المصائب في ذريته وبنيه وشيعته ومحبيه، فلا ترى إلا قتيلاً على وجه الثرى، أو مأسوراً قد أضر به طول السرى، أو نسوة حواسر على أقتاب الجِمال تتصفح وجوههم الرجال ويندبن جدهم المصطفى وأباهم المرتضى وأمهم الزهراء، يُسار بهم بالعنف الشديد إلى أشر العبيد كأنهم أسارى بعض اليهود والنصارى. ولله در من قال من الرجال:

يا للرجال لعظم هول مصيبة	جلت مصيبتها وخطب هائل
الشمس كاسفة لِفَقْدِ إمامنا	خير الخلائق والإمام العادل
يا خير من ركب المطي ومن مشى	فوق الثرى من محتف أو ناعل
يا ابن النبي لرزءكم هُدم الهدى	والحق أصبح خاضعاً للباطل

روي عن أبي سلمة قال: حججت مع عمر بن الخطاب، فلما صرنا بالأبطح فإذا بأعرابي قد أقبل علينا فقال: يا عمر إني خرجت من منزلي وأنا حاج محرم فأصبت بيض النعام فاجتنيت وشويت وأكلت، فما يجب علي؟ قال: ما يحضرني في ذلك شيء، فاجلس لعل الله يفرج عنك ببعض أصحاب محمد ﷺ. فإذا بأمير المؤمنين عليه السلام قد أقبل والحسين يتلوه، فقال عمر: يا أعرابي هذا علي بن أبي طالب فدونك ومسألتك، فقام الأعرابي فسأله، فقال علي عليه السلام: يا أعرابي سل هذا الغلام عندك ـ يعني الحسين عليه السلام ـ، فقال الأعرابي: إنما يحيلني كل واحد منكم على الآخر! فأشار الناس إليه: ويحك هذا ابن رسول الله فاسأله. فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله إني خرجت من بيتي حاجاً محرماً، وقص عليه القصة، فقال الحسين عليه السلام: ألك إبل؟ قال: نعم، قال:

(1) سورة الشورى: الآية 23.

خذ بعدد البيض الذي أصبت نوقاً فاضربها بالفحولة فما فضلت فاهدها إلى بيت الله الحرام. فقال عمر: يا حسين، النوق يزلقن، فقال الحسين: يا عمر، إن البيض يمرقن، فقال: صدقت وبررت. فقام علي عليه السلام وضمه إلى صدره وقال: ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

فوا عجباه من قوم عرفوا فضائلهم الكريمة وارتكبوا منهم هذه الأفعال العظيمة، ولكنها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[2].

ولله در من قال:

مطهرون نقيات ثيابهم ... تجري الصلاة عليهم أين ما ذكروا
مَن لم يكن علوياً حين تنسبه ... فما له من قديم الدهر مفتخر
والله لما بدا خلقاً فأتقنه ... صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلا وعندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور

روى بشار بن عبد الله قال: دخلت على مولاي الصادق عليه السلام وهو يومئذ مقيم بالكوفة، فرأيت قدامه طبقاً فيه رطب وهو يأكل منه، فقال له: يا بشار ادن فكل معي من هذا الرطب، فقلت: هنأك الله به وجعلني فداك، فقال لي: لِمَ لا تأكل؟ فقلت: إني في همٍّ عظيم من شيء رأيته الآن في طريقي هذا قد أوجع قلبي وأهاج حزني، فقال لي: بحقي عليك إلا ما أخبرتني بما رأيت، فقلت: يا مولاي، رأيت ظالماً يضرب امرأة ويسوقها إلى الحبس هي وتنادي المستغاث بالله وبرسول الله ولم يغثها أحد من الناس، فقال: ولم فعل بها ذلك؟ فقلت: سمعت من الناس يقولون إنها عثرت بحجر وهي تمشي فقالت: لعن الله ظالميك يا فاطمة الزهراء، فسمعها هذا الجلواز فصنع بها ما سمعت. قال: فقطع الصادق عليه السلام أكله وتظاهر حزنه ولم يزل يبكي حتى ابتل منديله ولحيته وقال لي: نغصت عليَّ يا بشار، قم بنا إلى مسجد سهيل لندعوا الله عزَّ وجلَّ ونسأله خلاص هذه المرأة.

قال: ووجه بعض أصحابه إلى باب السلطان وقال له: لا تبرح حتى تأتيني بالخبر الصحيح، فإن حدث في المرأة حدث سر إلينا حيث كنا. فسرنا إلى مسجد السهلة وصلى كل منا ركعتين لله عزَّ وجلَّ، ثم رفع الصادق عليه السلام يديه بالدعاء وابتهل إلى الله تعالى بالثناء ثم خرّ ساجداً لله ساعة ثم رفع رأسه وقال: الحمد لله، قم يا بشار أُطْلِقَت

(1) سورة آل عمران: الآية 34.
(2) سورة الحج: الآية 46.

المرأة. فبينما نحن على الطريق إذ أتانا الرجل الذي وجَّهه الصادق عليه السلام إلى باب السلطان، فقال له: ما الخبر؟ فقال: أُطلقت المرأة، فقال: كيف كان طلاقها؟ قال: كنت واقفاً عند باب السلطان إذ خرج الحاجب فدعا المرأة وقال لها: ما الذي تكلمت به؟ قالت: عثرت بحجر فقلت لعن الله ظالميك يا فاطمة الزهراء ففعل بي ما ترون، قال: فناولها مائتي درهم وقال: خذي هذا المال واجعلي السلطان في حل، فأبت أن تأخذها وانصرفت إلى منزلها. فقال الصادق عليه السلام: أبت أن تأخذها وهي والله محتاجة إليها. ثم أنه عليه السلام أخرج من جيبه صرة فيها سبعة دنانير لم يكن عنده غيرها، وقال لي: اذهب أنت يا بشار إلى منزلها واقرأها عني السلام وادفع إليها هذه الدنانير.

قال: فمضيت إليها وأقرأتها منه السلام، فقالت: بالله عليك أقرأني مولاي الصادق السلام؟ فقلت: إي والله، فخرَّت ساجدة لله ساعة ورفعت رأسها وقالت: أقرأني مولاي السلام؟ فقلت: نعم، فسجدت لله شكراً حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، فقلت لها: يا أمة الله خذي ما أرسله إليك سيدي وأبشري بالجنة. فأخذت واستبشرت وشكرته على ذلك وقالت: يا بشار اسأله أن يستوهب أمة الله من الله تعالى. قال: فرجعت إليه وحدثته بما جرى فجعل يبكي ويقول: غفر الله لها.

فتفكروا يا إخواني بمصائب سادة الناس وما حل بهم من الكفرة الأرجاس، أزالوهم عن مناصبهم التي أحلّهم الله فيها، ودفعوهم عن الدرجة التي لم يصلوا إليها، فهذه القضية أصل كل بلية إن كنت تعيها. ولأن علا نحيبي من هذا المصاب فلعظم ما في قلبي من الحزن والاكتئاب وعظم شوقي وتزايد زفرتي غير خفي على موالي وسادتي. ولله در من قال:

سلوا ضمائركم عني فإن وجدت غير الصفا فلوموني على الكدر
فإن وفت فأنا ذاك الوفي على ما تعهدون إلى أن ينقضي عمري

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون وإياهم
فليندب النادبون ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[1]:

العين عبرى دمعها مسفوح والقلب من ألم الأسى مقروح
ما عذر مثلي يوم عاشوراء إذا لم أبك آل محمد وأنوح
أم كيف لا أبكي الحسين وقد غَدَا شلواً بأرض الطف وهو ذبيح

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله.

والطاهرات حواسر من حوله كلٌّ تنوح ودمعها مسفوح
هذي تقول أخي وهذي والدي ومن الرزية قلبها مقروح
أسفي لذاك الشيب وهو مضمخ بدمائه والوجه فيه قروح
ولفاطم تبكي عليه بحرقة وتقبِّل الوجنات وهي تصيح
ظلّت تلعلع حاسراً مسبية وسكينة ولهى عليه تنوح
يا والدي لا كان يومك إنه يوم لباب مصائبي مفتوح
اليوم مات محمد يا والدي والطهر موسى والمسيح ونوح
اليوم آدم في العزاء وعرسه حوى وقد جلَّ المصاب جموح
اليوم تبكيك السماء بأدمع مثل الدماء أسفاً ويكسف نوح
لهفي عليه مرملاً بدمائه ومن السوافي كفَّنته الريح
لهفي له يبغي النصيح وما له في كربلاء من الأنام نصوح
لهفي له والجسم منه مجدلاً فوق الثرى حتى حواه ضريح
لهفي لرأس ابن النبي محمد كالبدر من فوق السنان يلوح
والطهر زين العابدين مقيّد يمشي وقد أردى به التبريح
والطاهرات على المطايا حُسر تغدوا العداة عليهم وتروح
قد أقفلوهن الشئام بلا وطا وعلى الجسوم لباسهن مسفوح
وإلى الذبول جيوبهن وقد غدت تلك الجسوم بها القروح تسيح
والجو معتكر الظلام بلا ضحى بادٍ وفي وجه الثرا كلوح
والأرض ترجف من رزية أحمد وعليه وحش الفلا مقروح
وعلى الزمان من الكآبة ذلّة وإليه طرف الحادثات لموح
يا آل أحمد إن شعري فيكم والمدح ما طال المدى تسبيح
شرفي بكم وبمدحكم ولطال ما في الناس شرّف مادحاً ممدوح
أترى أرى المهدي يظهر قبل ما يوماً على جسدي يضم ضريح
فهنالك الخليعي يبلغ ما نوى وبظاهر السر الخفي يبيح
وإليكم مرثية ما أنشدت إلا ومنها المسك ظل يفوح
شعر الورى في غير آل محمد جسم بلا روح وشعري روح

ولقد روي عن جعفر بن محمد خبر أتى والنقل عنه صحيح
أن الولاء بلا براء ما ينفع المولى وهذا واضح مشروح
صلّى الإلٰه عليكم يا سادتي ما غاب نجم في السماء يلوح

الباب الثاني

أيها المؤمنون، أجروا ماء العيون، ويا أيها الباكون سلوا لذيذ الرقاد من جفون الجفون، أما تنظرون إلى هذا الخطب الفادح وهذا المصاب الفادح؟ أما تستحق مواليكم أهل العلا الممادح بكاء باك ونوح نائح؟ بلى والله لأنه خطب تذل له النفوس وتحل بين أطباق الثرى والرموس؟ مصاب أبكى فاطمة البتول وأحزن قلب المصطفى الرسول، مصاب بكت عليه السماء دماً، وأقيم له فوق الطباق مأتماً، أفيعذر أحد من ذوي الألباب في ترك الحزن والاكتئاب على المصاب، كيف؟ وهم الذين فيهم قال بعض مادحيهم:

أمحب آل محمد جد بالبكا إن كنت من يهوى النبي المرسلا
واسكب شآبيب الدموع فإن تكن فيه الأخير فقد تبعت الأولا
وابك الفروع الطيبات تفرعت من دوحة لمحمد فسقت علا
وابك الغصون الناظرات ومن علا ذرواتها ناحت حمامات البلا
وابك البدور والطالعات كواملا حاق المحاق بها فأمست أفلا
وابك البحور الزاخرات ووردها قد كان الموارد عذباً سلسلا
وابك الجبال الراسخات ومن بنى مجداً أسمى سما العلاء مؤثلا
فمصابه أبكى السماء كآبة والشهب حزناً والسماك الأعزلا
من أجل ذلك إن قلبي لم يزل متقلقاً لمصابهم متقلقلا
والعيش في الدنيا إذا ما نغصوا فيها فما يحلو فكيف وما حلا

روي أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض لم ير حواء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرَّ بكربلاء فاعتلّ وأعاق وضاق صدره من غير سبب وعثر في الموضع الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام حتى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلٰهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به فإني طفت جميع الأرض ما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض؟ فأوحى الله إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين عليه السلام ظلماً فسال دمك موافقة لدمه. فقال آدم: يا رب أيكون الحسين

نبيّاً؟ قال: لا ولكنه سبط النبي محمد، فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد، فقال آدم: فأي شيء أصنع يا جبرائيل؟ فقال: إلعنه يا آدم، فلعنه أربع مرات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك.

وروي أن نوحاً عليه السلام لما ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، فلما مرت بكربلاء أخذته الأرض وخاف نوح الغرق فدعا ربه وقال: إلٰهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرائيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يُقتل الحسين عليه السلام سبط محمد خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء، فقال: ومن القاتل له يا جبرائيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين. فلعنه نوح أربع مرات فسارت السفينة حتى بلغت الجودي واستقرت عليه.

وروي أن إبراهيم مرَّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً، فعثرت به وسقط إبراهيم عليه السلام وشج رأسه وسال دمه فأخذ في الاستغفار وقال: إلٰهي أي شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرائيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه. قال: يا جبرائيل ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرض والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربه فأوحى الله تعالى إلى القلم أنك استحقيت الثناء بهذا اللعن. فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً، وأمن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: أي شيء عرفت حتى تؤمن على دعائي؟ فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك عليَّ فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد.

وروي أن إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشط الفرات، فأخبره الراعي أنها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربه عن سبب ذلك؟ فنزل جبرائيل عليه السلام وقال: يا إسماعيل سل غنمك فإنها تجيبك عن سبب ذلك. فقال: لم لا تشربين من هذا الماء؟ فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أن ولدك الحسين عليه السلام سبط محمل يقتل عطشاناً فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه. فسألها عن قاتله، فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين، فقال إسماعيل: اللهم إلعن قاتل الحسين.

وروي أن موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجليه وسال دمه، فقال: إلٰهي أي شيء حدث مني؟ فأوحى الله إليه: أن هنا يقتل الحسين وهنا يسفك دمك موافقة لدمه،

فقال: رب ومن يكون الحسين؟ فقيل له: هو سبط محمد المصطفى وابن علي المرتضى، فقال: ومن يكون قاتله؟ فقيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء. فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعى عليه، وأمن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه.

وروي أن سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء، فمر ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتى خافوا السقوط، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء، فقال سليمان للريح: لم سكنتي؟ فقالت: إن هنا يقتل الحسين عليه السلام، فقال: ومن يكون الحسين؟ قالت: هو سبط محمد المختار وابن علي الكرار، فقال: ومن قاتله؟ قالت: لعين أهل السماوات والأرض يزيد، فرفع سليمان يديه ولعنه ودعى عليه وأمن دعائه الأنس والجن، فهبت الريح وسار البساط.

وروي أن عيسى عليه السلام كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون، فمروا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدم عيسى عليه السلام إلى الأسد وقال له: لم جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمر فيه؟ فقال الأسد بلسان فصيح: إني لم أدع لكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين، فقال عيسى: ومن يكون الحسين؟ قال: سبط محمد النبي الأمي وابن علي الولي؛ قال: ومن قاتله؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع خصوصاً أيام عاشوراء. فرفع عيسى عليه السلام يديه ولعن يزيد ودعى عليه وأمَّن الحواريون على دعائه، فتنحى الأسد عن طريقهم ومشوا لشأنهم.

فيا إخواني الذين اقتدوا بالأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين باللعن على يزيد الغوي العنيد ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ولله در من قال:

إذا جاء عاشوراء تضاعفت حسرتي ... لآل رسول الله وانهلَّ عبرتي
هو اليوم فيه أغبرت الأرض كلها ... وجوماً عليهم والسماء اقشعرت
مصائب ساءت كل من كان مسلماً ... ولكن عيون الفاجرات أقرت
إذا ذكرت نفسي مصيبة كربلاء ... وأشلاء سادات بها قد تفرت
أضاقت فؤادي واستباحت تجارتي ... وعظم كربي ثم عيشي أَمَرَّت
أُريقت دماء الفاطميات بالملا ... فلو عقلت شمس النهار لخرَّت

(1) سورة هود: الآية 18.

ألا بأبي تلك الدماء التي جرت بأيدي كلاب في الجحيم استقرت
توابيت من نار عليهم قد أطبقت لهم زفرة في جوفها بعد زفرة
فشتان مَن في النار قد كان هكذا ومَن هو في الفردوس فوق الأسِرَّة

روي عن طريق الخصم، مما صح روايته عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، هذا على عاتقه الأيمن، وهذا على عاتقه الأيسر وهو يلثم هذا مرة وهذا أخرى، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: إنك لتحبهما؟ قال: «ومن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

وبالطريق المذكور عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال للحسن والحسين: «من أحبكما كان معي في الجنة ومن أبغضكما ففي النار».

فيا عاذلي خلِّ عن عذلي أيحسن أن يسلو مثلهم مثلي

أتروم ويحك سلواني، أو تحاول إطفاء نيراني، وتبريد وجدي وأشجاني، هيهات هيهات، هذا لا يكون، وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون، فيا حرقى تزايدي، ويا نار وجدي توقدي، ويا فؤادي القريح من الحزن والكآبة لا تستريح، ويا قلبي الولهان دُم في العناء والأحزان. ولله در من قال:

لا أَضْحَكَ الله سنّ الدهر إن ضَحَكَت وآل أحمد مظلومون قد قُهِروا
مشرَّدون نفوا عن عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يُغتفر

روي عن بعض الأخيار: أن النبي ﷺ أجلس يوماً الحسين عليه السلام على فخذه الأيمن وولده إبراهيم على فخذه الأيسر وجعل يلثم هذا مرة وهذا أخرى من شدة شغفه بهما، فهبط جبرائيل من عند رب العالمين وقال: يا محمد إن الله لم يكن ليجمع لك بينهما فاختر من شئت منهما فإن الله قد أمر بقبض روح واحد منهما؟ فقال: يا أخي جبرائيل إن مات الحسين بكى عليه علي وفاطمة والحسن وأنا، وإن مات ولدي إبراهيم بكيت أنا وحدي، فسل ربك إليه يقبض إبراهيم ولدي. فمات إبراهيم بعد ثلاثة أيام، فكان النبي ﷺ إذا رأى حسيناً مقبلاً إليه يقول له: مرحباً بمن فديته بابني إبراهيم.

فانظروا يا إخوتي إلى هذا الشخص العظيم الرباني، أيفديه سيد المرسلين بولده الذي هو من فلذة أحشائه وكبده، ويقتله أولاد الزواني وتخون فيه الأماني، أولئك هم الخاسرون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان فنظم فيهم وقال[1]:

جفون لا تَملُّ من الهمول ... وجسم لا يفكُّ من النحول
وقلب لا يفيق من الرزايا ... لتذكار القتيل ابن القتيل
قتيل بالطفوف أطال نَوْحِي ... وأسلمني إلى الحزن الطويل
قتيل أورث المختار حزناً ... وأذكى النار في قلب البتول
بنفسي وهو يسري والمنايا ... أمام الركب تسري بالحمول
بنفسي وهو يسري مستدلاً ... وضوء سناه نهج هذا الدليل
يقول: ألا أخبروني ما اسم أرض ... أراني كارهاً فيها نزولي
أبينوا ما اسمها المشهور عنها؟ ... فقالوا: كر بلا يا ابن الرسول
فقال: هي البلا وفي ثراها ... تريق دماؤنا أيدي النغول
بها تضحى أعزتنا أسارى ... يلوح عليهم كسر الذليل
بها تُسبى كرائمنا وفيها ... يتامانا تعثر في الذيول
إلى الرحمٰن أستعدي وأشكو ... على عضب رموني بالذحول
أضاعوا عهد جدي عن قريب ... وساقوني إلى الورد الوبيل
ألا حطوا رحالكم وقيلوا ... فليس مِنَ المنية مِنْ مقيل
ومن رام النجاة وحاد عني ... إلى الدنيا ففي دعة الجليل
فقالوا: ما لنا فيها خلود ... وليس متاعها غير القليل
وكيف يلذُّ بعدك طِيْب عيشٍ ... لأرباب البصائر والعقول
أما وأبيك لا نلوى وظل ... سيوف مظنة الظلِّ الظليل
فمُر إلى المضارب غير وانٍ ... بقلب عاطف بِرٍّ وَصُول
ونادي زينباً: يا أخت قومي ... إلى التوديع من قبل الرحيل
أوصيكم بتقوى الله إنَّا ... قبيل محمد خير القبيل

---

(1) القصيدة للشيخ للخليعي رحمه الله.

عليك بطاعة السجَّاد بعدي ... محل الذِكر والعلم الجزيل
وإن نودي بقتل أخيك بين ... الورى فعليك بالصبر الجميل
وقولي في سبيل الله إني ... رزيت فإنه خير السبيل
ولطم الخد يقبح بالموالي ... وشقُّ الجيب يرزي بالأصيل
ومر مشمراً للحرب يسطو ... على الأبطال بالسيف الصقيل
فلما أثخنوا وخرّ ملقى ... وراح المهر يعلن بالصهيل
برزنَّ الطاهرات مهتكات ... حيارى لا يفقن من العويل
ونادت زينب لما رأته ... يجود بنفسه تحت الخيول:
أخي هل للسبايا من ولّيّ ... أخي هل لليتامى من كفيل
وخرَّت فوقه تلقي دماءاً ... براحتها على الخد الأسيل
وتدعو أمها الزهراء وتطفي ... بسح دموعها حرّ الغليل
ألا يا أم قومي وساعديني ... على نكبات دهري واندبي لي
ترى هل أنت عالمة بأنَّا ... نُجرر بالحزون وبالسهول
وهل أُخبرت بالسجَّاد أضحى ... مع الأعداء في قيد ثقيل
عليلاً يشتكي مرضاً وأسراً ... فوا أسفي على العاني العليل
ويدعو السبط وهو ملقى رميل ... يلاحظها بناظره الكليل
فيا لله من نوب رمتنا ... بأسهمها ومِن خطب جليل
أيحمل رأس مولى الخلق طراً ... إلى الأمصار في رمح طويل
وتهدى الطاهرات إلى يزيد ... سبايا بالمذلّة والخمول
ألا يا ابن النبي ومَن هداني ... بحبكم إلى نهج السبيل
مصابك يا قتيل الطف أدمى ... جفوني لا البكاء على الطلول
وبُعدي عن مزار ثراك أضنى ... فؤادي لا مفارقة الخليل
وإن ولّيك الخليعي برجو ... الشفاعة منك في اليوم المهول
محبكم وعارفكم يقيناً ... بإيضاح المحجة والدليل
يواليكم ويبري من عداكم ... ولا يصغي إلى عذل العذول
ينوح عليكم ما دام حياً ... ويبكيكم وما هو بالملول

لقد بلغ المنى عبد عطفتم عليه وفاز منكم بالقبول

الباب الثالث

أيها الإخوان، ألا تستنهضون مضمرات الأحزان فتجرونها في ميادين الأشجان، ألا تمتطون كواهل عوامل الأشواق وتحثونها في ميادين السباق فتحوزوا قصب السبق التي أنتم أولى بها وأحق؟ أما علمتم أن المقصر عن هذه الغاية بنفسه قصر والمتأخر عن بلوغ النهاية لحظه أخّر ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾[1]. ولئن سحَّت من جفوني الدموع فإنها عن نيران بين الضلوع، ولئن جزعت من هذا المصاب فلعظم ما في قلبي من الوجد والاكتئاب. ولله در من قال من الرجال:

لأي مصاب يذرف الشأن ماءه وتقضي نفوس أو تفتّ كُبُود
لأعظم من هذا المصاب وخطبه عظيم على أهل السماء شديد
مصاب له في قلب كل مصيبة سهام لحبات القلوب تبيد
وللهم همّ والرزايا رزية وللحزن حزن زايد ويزيد

روي في بعض الأخبار عن الصحابة الأخيار قال: رأيت النبي ﷺ يمص لعاب الحسين كما يمص الرجل السكرة وهو يقول: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، وأبغض الله من أبغض حسيناً، حسين سبط من الأسباط لعن الله قاتله»، فنزل جبرائيل وقال: يا محمد إن الله قتل بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً من المنافقين وسيقتل بابن ابنتك الحسين سبعين ألفاً من الكافرين وسبعين ألفاً من المعتدين، وإن قاتل الحسين في تابوت من نار ويكون عليه نصف عذاب أهل الدنيا وقد شُدّت يداه ورجلاه بسلاسل من نار وهو منكس على أم رأسه في قعر جهنم وله ريح يتعوذ أهل النار من شدة نتنها، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم لا يفتر عنه، ويسقى من حميم جهنم.

وروي عن الصادق عليه السلام أيضاً في بعض الأخبار: أن ملكاً من ملائكة الصف الأعلى اشتاق لرؤية النبي ﷺ واستأذن ربه بالنزول إلى الأرض لزيارته وكان ذلك الملك لم ينزل إلى الأرض أبداً منذ خلق، فلما أراد النزول أوحى الله تعالى إليه يقول: أيها الملك أخبر محمداً أن رجلاً من أمته اسمه يزيد يقتل فرخه الطاهر بن الطاهرة نظيرة البتول مريم بنت عمران، فقال الملك: لقد نزلت إلى الأرض وأنا مسرور برؤية نبيك محمد ﷺ فكيف أخبره بهذا الخبر الفظيع، وإنني لأستحي منه أن أفجعه بقتل ولده؟ فليتني لم أنزل

(1) سورة فصلت: الآية 46.

إلى الأرض، قال: فنودي الملك من فوق رأسه أن افعل ما أُمرت به، فدخل الملك إلى رسول الله ﷺ ونشر أجنحته بين يديه وقال: يا رسول الله اعلم أني استأذنت ربي في النزول إلى الأرض شوقاً لرؤيتك وزيارتك، فليت ربي كان حطَّم أجنحتي ولم آتك بهذا الخبر ولكن لا بد من إنفاذ أمر ربي عزَّ وجلَّ، اعلم يا محمد أن رجلاً من أمتك اسمه يزيد ـ زاده الله لعناً في الدنيا وعذاباً في الآخرة ـ يقتل فرخك الطاهر ابن الطاهرة ولن يتمتع قاتله في الدنيا من بعده إلا قليلاً ويأخذه الله مقاصاً له على سوء عمله ويكون مخلداً في النار. فبكى النبي ﷺ بكاءً شديداً وقال: أيها الملك هل تفلح أمة تقتل ولدي وفرخ ابنتي؟ قال: لا يا محمد بل يرميهم الله باختلاف قلوبهم وألسنتهم في دار الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم.

وعن كعب الأحبار حين أسلم في أيام خلافة عمر بن الخطاب وجعل الناس يسألونه عن الملاحم التي تظهر في آخر الزمان، فصار كعب يخبرهم بأنواع الأخبار والملاحم والفتن التي تظهر في العالم، ثم قال: وأعظمها فتنة وأشدها مصيبة لا تُنسى إلى أبد الآبدين مصيبة الحسين عليه السلام وهي الفساد الذي ذكره الله تعالى في كتابه المجيد حيث قال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[1] وإنما فتح الفساد بقتل هابيل ابن آدم وخُتم بقتل الحسين عليه السلام، أو لا تعلمون أنه تفتح يوم قتله أبواب السماوات ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً، فإن رأيتم الحمرة في السماء قد ارتفعت فاعلموا أن السماء تبكي حسيناً. فقيل: يا كعب لم لا تفعل السماء كذلك ولا تبكي دماً لقتل الأنبياء ممن كان أفضل من الحسين؟ فقال: ويحكم إن قتل الحسين أمر عظيم وإنه ابن سيد المرسلين وإنه يقتل علانية مبارزة ظلماً وعدوناً ولا تحفظ فيه وصية جده رسول الله ﷺ، وهو مزاج مائة وبضعة من لحمه يذبح بعرصة كربلاء، فوالذي نفس كعب بيده لتبكينه زمرة من الملائكة في السماوات السبع لا يقطعون بكاءهم عليه إلى آخر الدهر، وإن البقعة التي يدفن فيها خير البقاع وما من نبي إلا ويأتي إليها ويزورها ويبكي على مصابه، ولكربلاء في كل يوم زيارة من الملائكة والجن والأنس فإذا كانت ليلة الجمعة ينزل إليها تسعون ألف ملك يبكون على الحسين ويذكرون فضله، وإنه يسمى في السماء «حسيناً المذبوح»، وفي الأرض «أبا عبد الله المقتول»، وفي البحار «الفرخ الأزهر المظلوم»، وإنه يوم قتله تنكسف الشمس بالنهار، ومن الليل ينخسف القمر وتدوم الظلمة على الناس ثلاثة أيام وتمطر السماء دماً، وتدكدك الجبال، وتغطمط البحار، ولولا بقية من

(1) سورة الروم: الآية 41.

ذريته وطائفة من شيعته الذين يطلبون بدمه ويأخذون بثاره لصبّ الله عليهم ناراً من السماء حرقت الأرض ومن عليها.

ثم قال كعب: يا قوم كأنكم تتعجبون بما أحدثكم فيه من أمر الحسين عليه السلام، وإن الله تعالى لم يترك شيئاً كان أو يكون من أول الدهر إلى آخره إلا وقد فسره لموسى عليه السلام، وما نسمة خلقت إلا وقد رفعت إلى آدم عليه السلام في عالم الذر وعرضت عليه، ولقد عرضت عليه هذه الأمة ونظر إليها وإلى اختلافها وتكالبها على هذه الدنيا الدنية، فقال آدم: يا رب ما لهذه الأمة الزكية وبلاء الدنيا وهم أفضل الأمم؟ فقال له: يا آدم إنهم اختلفوا فاختلفت قلوبهم وسيظهرون الفساد في الأرض كفساد قابيل حين قتل هابيل، وأنهم يقتلون فرخ حبيبي محمد المصطفى. ثم مُثِل لآدم عليه السلام مقتل الحسين عليه السلام ومصرعه ووثوب أمة جده عليه، فنظر إليهم فرآهم مسودة وجوههم فقال: يا رب أبسط عليهم الانتقام كما قتلوا فرخ نبيك الكريم عليه أفضل الصلاة.

ولله در من قال من الرجال:

إذا أبصرتك العين من بعد غاية ... وعارض فيك الشك أثبتك القلب

ولو أن قوماً يمموك لقادهم ... باسمك حتى يستدل بك الركب

وروي عن ريان بن شبيب قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: يا ابن شبيب أصائم أنت؟ فقلت: لا، فقال: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا زكريا ربه عزَّ وجلَّ فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾[1]، فاستجاب الله تعالى له وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[2]، فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله تعالى استجاب الله له كما استجاب لزكريا، يا ابن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال لحرمته فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفر الله لهم ذلك أبداً، يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابكي للحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فإنه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماء والأرض لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصرته فلم يؤذن لهم فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، عجل الله تعالى فرجه الشريف، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين عليه السلام.

---

(1) سورة آل عمران: الآية 38.

(2) سورة آل عمران: الآية 39.

يا ابن شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام أنه لما قتل جدي الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وتراباً أحمراً. يا ابن شبيب إن بكيت على الحسين ثم تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً. يا ابن شبيب إن سرك أن تلقى الله ولا ذنب عليك فزُر الحسين عليه السلام. يا ابن شبيب إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي ﷺ فالعن قاتل الحسين. يا ابن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً. يا ابن شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنات فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله معه يوم القيامة.

فيا أيها الأبرار لا تبخلوا بالدموع الغزار على عترة النبي المختار، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويجزل ثوابكم، أليس هم شفعاءكم يوم المعاد إذا وقفتم بين يدي رب العباد، أليس بهم تُحط الأوزار، أليس هم الجِنن الواقية من النار، فسارعوا رحمكم الله إلى النوح والبكاء عليهم فإن ذلك من أعظم القرب إلى الله وإليهم، فيا عجباً ممن يطيل النوح على الديار ويندب الربوع المقفرة والآثار ولا يبكي لمصاب السادة الأبرار وأولاد علي الكرار ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم فيهم وقال[2]:

لا تنكري إن ألفت الهمّ والأرقا ... وبت من بعدهم حلف الأسى قلقا
قد كنت آمل روحي أن تفارقني ... ولا أرى شملنا الملتام مفترقا
ليث الركائب لازمت لبينهم ... وليت ناعق يوم البين لا نعقا
كم هد ركني وكم أوهى قوى جلدي ... وكم دم بمواضي جوره هرقا
لا تطلبوا أبداً مني البقاء فهل ... يرجى مع البين من أهل الغرام بقا
يحق لي إن بكت عيني دماً لهم ... وإن غدوت بنار الحزن محترقا
يا منزلاً لعبت أيدي الشتات به ... لعب النحول بجسمي إذ به علقا
ما لي على ربعك البالي غدوت به ... وظللت أسأل عن أهليه ما نطقا

(1) سورة الحج: الآية 46.
(2) القصيدة للنيلي رحمه الله.

أبكي عليه ولو أن البكاء على ... سوى بني أحمد المختار ما خُلقا
تحكمت فيهم الأعداء ويلهم ... ومن نجيع الدما أسقوهم علقا
تداركت منهم الأعداء ثأرهم ... يوم الطفوف وداروا حولهم حلقا
ذادوهم عن ورود الماء ويلهم ... ومن نجيعهم أسقوهم العلقا
تالله كم قصموا ظهراً لحيدرة ... وكم بَرُوا للرسول المصطفى عنقا
والله ما قبلوا بالطف يومهم ... إلا بما يوم بدر فيهم سبقا
وقد رواه حديثاً صادقاً لهم ... زيد بن أرقم إذ كان أمره حذقا
إذ قال: كنت مقيماً في دمشق ... جاءت سبايا حسين تذرف الإمقا
حتى إذا أحضروهن الطغاة إلى ... يزيد إذ زاده من كفره حنقا
حتى إذا أبرزت للسبي جارية ... كأنها البدر من حسن إذا اتسقا
فقال: من هذه؟ قالوا: سكينة بنت ... الخارجي الذي عن حكمنا أبقا
فقال: كيف رأيتِ الله مكّنني ... رقابكم إذ لنا صُرتم من العتقا
أخذت ثاري من ابن النبي ومن ... غدا من أسلافنا من جدكم سبقا
هناك قالت أمه: إني ثكلتك يا ... أردى الأنام ويا من ليس فيه تُقا
اسمع مناماً رأت عيناي بارحتي ... يزيد قلبك همّاً عندما طفقا
فقال: قصي لنا رؤياك، فابتدرت ... تقصُّ والدمع منها يسبق النطقا
فبينما أنا إذ صلّيت نافلتي ... أثني على خالقي والليل قد غسقا
إذ الحسين أبي قد جاء ملتثماً ... فرقَّ وقد مدَّ لي كفّيه مُعتنِقا
وعاينت مقلتي من بعد ذاك إلى ... قصر من النور يزهو أبيضاً يققا
عالٍ شرانفه الياقوت حمرتها ... للناظرين إليها يدهش الإمقا
فبينما أنا نحو القصر ناظرة ... إذ شرع الباب لي من بعد ما غُلِقا
وعاينت مقلتي خمساً وقد برزوا ... من المشايخ في ترتيبهم نسقا
ومن بين أيديهم شخص فقلت له ... والقلب مني لما عاينت قد خفقا
لمن ترى يا فتى ذا القصر؟ قالوا: لمو ... لاكِ الحسين ولولاه لِمَا خُلِقا
وهذه الخمسة الأشباح: آدم ... ثم الطهر نوح الذي في حبكم سقا
وذا الخليل، وهناك الكليم، وذا ... عيسى النبي الذي يبرىء بغير رقا

وعاينت مقلتي شخصاً لطلعته نور علا الشمس لما تبلغ الأفقا
وكفّه قابض من فوق لمّته باكٍ بعبرته قد صار مُختنِقا
وقد قطّعت زفرات الحزن مهجته والقلب منه لِما قد ناله حنقا
فقلت: من ذا؟ فقالوا: يا سكينة ذا النبي جدك ينجو من به علقا
فقمت أسعى إليه ثم قلت له: يا جد لم يبق منا من به وثقا
يا جدنا لو ترى بالطف قد قتلت رجالنا وابنك السبط الشهيد لقا
يا جدنا لو ترانا نستغيث فلا نُغاث قد قطعوا من دوننا الطُرقا
يا جدنا لو ترانا إذ نحثُّ على الأقتاب نطلب من أعدائنا الرِفقا
فعندها ضمني جدي وقبَّلني وخرَّ من عظم ما حدَّثته صَعِقا
ومدَّ كفي وصيف القوم أدخلني في القصر وهو بطيب المسك قد عبقا
وفيه خمس نساء لو برزن إلى الشمس الظهيرة خلتا نورها شفقا
وبين تلك النساء الخمس باكية قد أكثرت دونهن النوح والحرقا
أثوابها من سود قد صبغن وفي أزياقها الدمع في الأردان قد خرقا
وشعرها فوق كتفيها تنشره على الحسين ومنها الجيب قد مُزِقا
فقلت: أخبرني يا ذا الوصيف فمن هذي النساء فقل لي لا لقيت شقا
فقال: هاتيك يا سكينة والأخرى خديجة أوفى العالمين تُقا
وهذه مريم أيضاً وسارتها مع هاجر قد ملِكن الخلق والخلقا
وذي القميص الذي قد ضمخته دماً بنت النبي الذي فوق البراق رقا
فقمت أسعى إليها ثم قلت لها: أخبرك أن أبي بالبيض قد مُزِقا
يا جدنا لو ترى عيناك ابنك بين الرأس منه وبين الجسم قد مُزِقا
يا جدنا لو رأيتنا وليس لنا عن أعين الناس من فوق المطي وقا
فعندها صرخت في الحل فاطمة حتى لقد خلت أن القصر قد طبقا
وأقبلت وهي تشكي تستغيث على قتل الحسين وتذري الدمع مندفقا
وا لهفتاه لحزن فيك يا ولدي وا حسرتا يا قتيل الصحب والرفقا
وا طول لهفي عليك اليوم يا ولدي لأهجرن سهادي فيك والإرقا
وظلّ من حولها النسوان في ثكل يندبن للسبط لا لهواً ولا ملقا

هناك قامت وضمَّتني براحتها لصدرها فسكبت الدمع مندفقا
وأقبلت وهي تذري الدمع تسألني عن الحسين وعن طاغ به طرقا
وتستغيث وتدعوا: يا سكينة مَن أضحى يغسل ابني، من به رفقا
ويلاه ويلاه من أضحى يكفِّنه ومن رأى وجهه والنحر والحدقا
ويلاه ويلاه من عبّى الحنوط ومن ترى سار حول النعش وانطلقا
ويلاه ويلاه من صلّى عليه ومَن أيضاً تُرى للثرى في لحده طبقا
ومن ترى يكفل الأيتام ويحك بعد ابني الحسين ومَن في حبنا صدقا
وكيف خلف زين العابدين ومَن أوصى إليه من الأصحاب والرفقا
متى أرى القائم المهدي يقدم جيش الله والسنجق المنصور قد خفقا
هناك أظهر عن ما لو أردت به خرق السماوات من دون الورى خرقا
يا آل طٰه لقد نال الأمان بكم في البعث كل وليٍّ مؤمن صدقا
أحب أعدائي فيكم إذ تحبكم وإنني أهجر الأهلين والرفقا
فها نموها من النبلى رائقة تحكي الحيا رقة لفظاً ومنتسقا
إذا تلا نائح يوماً محاسنها أزرت على كل من بالشعر قد نطقا
من شاعر في مجال الشعر خاطره إلى طريق العلا والمجد قد سبقا
بها سماوات على من قال مقتدماً حي الفريق الحي فافترقا
وأزفت ما قال نصر في قصيدته طيف لخنساء من بعد الكرى طَرَقا
بعد الصلاة على المختار سيِّدنا خير الورى شرفاً ما مثله خُلِقا

* * *

المجلس الرابع

في اليوم الثاني من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها المؤمنون، ألم تسمعوا بمصائب آل الرسول وأولاد الزهراء البتول، أم سمعتم وأنتم غافلون بإهراق الدموع متباخلون، ليس هذا من فعل المحبين ولا من دأب المريدين، وكيف لا يحزن على مثلهم وهم أمناء الرحمٰن ومن شعد بفضلهم القرآن وبكى عليهم كل مخلوق كان، والمخدومون والملائكة الكرام، والمباهي بفضلهم النبي ﷺ، تركهم الأعداء بين مقتول بالسم، وشهيد مضرج بالدم، وفقيد لا يعرف قبره، وإلى أي شيء آل أمره، وبين رأس على سنان، وبدن بلا رأس بين الأبدان، وبين شيبة بالدماء مخضوبة، وبنت لرسول الله مسلوبة، وحرمة الرسول مهتوكة، وطريدة بالعلى منهوكة. فيا شوهاً لطوائف الأدعياء، وقبحاً لأولئك الأشقياء، كيف ترونهم ينظر إليهم النبي أو يسقيهم من الحوض الوصي، وكيف بهم إذا أتت بنت سيد الثقلين مصبوغة ثيابها بدماء الحسين، وتعلقت بقائمة العرش وهي تقول: يا عدل، يا حكيم، احكم بيني وبين قاتل ولدي! فهناك حقت عليهم كلمة العذاب ولهم عذاب شديد غير مبيد.

ولله در بعض ذوي العقول حيث يقول:

بنفسي طريحاتٌ نازحاً عن دياره ... تريب المحيا عاري الجسم مجتلا
بنفسي نساء السبط يبكين حوله ... ظمايا حيارى حاسرات وثكلا
بنفسي علي بن الحسين مقيّداً ... بقيد ثقيل بالحديد مكبّلا
تناديه بالشجو العظيم سكينة ... أيا أبتا ماذا دهانا وأثكلا
وزينب تدعو جدها يا محمد ... أيا جدنا صفوة الله ذي العلا
أيا جدنا يعزز عليك بأن يُرى ... حبيبك مقتولاً عفيراً مُجدلا
وساقوا السبايا حاسرات أذلّة ... وقادوا علي بن الحسين مُغلّلا
وساروا برأس الطاهرين وخلّفوا ... حسيناً بأرض الطف شلواً مُجدلا

تجر عليه العاصفات ذيولها ويبكي عليه الوحش والطير في الفلا
ألا لعن الرحمٰن آل أمية وعجلهم ثم الدلام ونعثلا
وأشياعهم أو من رضى بِفِعالهم واتبعهم أو مَن لهم كان قد تلا
عليكم سلام الله ما درّ شارق وما إن حدى الحادي وركب تُحملا

روى شرحبيل بن أبي عون أنه قال: لما ولد الحسين عليه السلام هبط ملك من ملائكة الفردوس الأعلى ونزل إلى البحر الأعظم، ونادى في أقطار السماوات والأرض: يا عباد الله البسوا ثوب الأحزان وأظهروا التفجُّع والأشجان، فإن فرخ محمد مذبوح مظلوم مقهور. ثم جاء ذلك الملك إلى النبي ﷺ وقال: يا حبيب الله يُقتل على هذه الأرض قوم من أهل بيتك، تقتلهم فرقة باغية من أمتك، ظالمة معتدية فاسقة، يقتلون فرخك الحسين ابن ابنتك الطاهرة، يقتلوه بأرض كربلاء، وهذه تربته. ثم ناوله قبضة من أرض كربلاء وقال له: يا محمد احفظ هذه التربة عندك حتى تراها وقد تغيرت واحمرت وصارت كالدم فاعلم أن ولدك الحسين قد قُتل.

ثم إن ذلك الملك حمل من تربة الحسين عليه السلام على بعض أجنحته وصعد إلى السماء بها، فلم يبق ملك في السماء إلا وشمَّ تربة الحسين عليه السلام وتبرك بها. قال: ولما أخذ النبي ﷺ تربة الحسين عليه السلام جعل يشمها ويبكي وهو يقول: «قتل الله قاتلك يا حسين، وأصلاه في نار الجحيم، اللهم لا تبارك في قاتله وأضْلِهِ حر نار جهنم وبئس المصير». ثم دفع تلك التربة من تربة الحسين إلى زوجته أم سلمة وأخبرها بقتل الحسين عليه السلام بطف كربلاء، وقال لها: يا أم سلمة خذي هذه التربة إليك وتعاهديها بعد وفاتي فإذا رأيتيها وقد تغيرت واحمرت وصارت دماً عبيطاً فاعلمي أن ولدي الحسين قد قُتل بطف كربلاء.

فلما أتى للحسين سنة كاملة من مولده هبط إلى رسول الله ﷺ إثني عشر ألف ملك على صور شتى محمرة وجوههم، باكية عيونهم، ونشروا أجنحتهم بين يدي رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا محمد، أنه سينزل بولدك الحسين مثل ما نزل بهابيل من قابيل. قال: ولم يبق ملك في السماء إلا ونزل على رسول الله ﷺ يعزيه بولده الحسين ويخبره بما يعطى من الأجر لزائره والباكي عليه، والنبي ﷺ مع ذلك يبكي ويقول: «اللهم أخذل من خذله، واقتل من قتله، ولا تمتعه بما أمله في الدنيا وأضْلِهِ حر نارك في الآخرة».

ولله در من قال:

أزالوهم بالقهر عن إرث جدهم عناداً وما شاؤوا أحلُّوا وحرَّموا

وقادوا علياً في حمائل سيفه وعمَّار دقوا ضلعه وتهجموا
على بيت بنت المصطفى وإمامهم ينادي: ألا في بيتها النار فاضرم
فوالله ما أدري الحسين ورهطه وصبرهم فيئاً يُحاز ويُقسم
سوى حبتر ثم الدلام ونعثل لأنهم في كل ظلم تقدموا
وتلك التي جاءت تقود عسكراً على جمل يحدوا بها المترنم
أبوها يولِّي الدبر في كل موقف وابنته عند اللقا تتقدم
ألا لعن الله المهيمن حبتراً وابنته تعداد ما الله يعلم

روي في بعض الأخبار عن ثقاة الأخيار: أن نصرانياً أتى رسولاً من ملك الروم إلى يزيد وقد حضر في مجلسه الذي أتى فيه برأس الحسين عليه السلام، فلما رأى النصراني رأس الحسين بكى وصاح وناح حتى ابتلت لحيته بالدموع، ثم قال: اعلم يا يزيد أني دخلت المدينة تاجراً في أيام النبي ﷺ وقد أردت أن آتيه بهدية فسألت من أصحابه: أي شيء أحب إليه من الهدايا؟ فقالوا: الطيب أحب إليه من كل شيء، وأن له رغبة فيه. قال: فحملت من المسك قارتين وقدراً من العنبر الأشهب وجئت به إليه وهو يومئذ في بيت زوجته أم سلمة، رضي الله عنها، فلما شاهدت جماله ازداد لعيني من لقائه نوراً ساطعاً وزادني منه سروراً وقد تعلق قلبي بمحبته، فسلمت عليه ووضعت العطر بين يديه، فقال: ما هذا؟ قلت: هدية محقرة أتيت بها إلى حضرتك، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: اسمي عبد شمس، فقال لي: بدِّل اسمك، فأنا أسميك عبد الوهاب إن قبلت مني الإسلام قبلت منك الهدية. قال: فنظرته وتأملته فعلمت إنه نبي وهو الذي أخبرنا عنه عيسى حيث قال: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1]، فاعتقدت ذلك وأسلمت على يده في تلك الساعة ورجعت إلى الروم وأنا أخفي الإسلام، ولي مدة من السنين وأنا مسلم مع خمسة من البنين وأربع من البنات، وأنا اليوم وزير ملك الروم وليس لأحد من النصارى اطلاع على حالنا. واعلم يا يزيد أني يوم كنت في حضرة النبي ﷺ وهو في بيت أم سلمة رأيت هذا العزيز الذي رأسه وُضِعَ بين يديك مُهاناً حقيراً قد دخل على جده من باب الحجرة والنبي ﷺ فاتح باعه ليتناوله وهو يقول: مرحباً بك يا حبيبي، حتى أنه تناوله وأجلسه في حجره وجعل يقبِّل شفتيه ويرشف ثناياه وهو يقول: بعداً لا رحمه الله من قتلك يا حسين وأعان على قتلك، والنبي ﷺ مع ذلك يبكي. فلما كان اليوم الثاني كنت مع النبي ﷺ في مسجده إذ أتاه الحسن عليه السلام مع أخيه الحسين عليه السلام وقال: يا جداه قد

(1) سورة الصف: الآية 6.

تصارعت مع أخي الحسين عليه السلام ولم يغلب أحدنا الآخر وإنما نريد أن نعلم أينا أشد قوة من الآخر، فقال لهما النبي ﷺ: يا حبيبيّ ويا مهجتي إن التصارع لا يليق لكما، اذهبا فتكاتبا فمن كان خطه أحسن كذلك تكون قوته أكثر. قال: فمضيا وكتب كل واحد منهما سطراً وأتيا إلى جدهما النبي ﷺ، فأعطياه اللوح ليقضي بينهما فنظر النبي ﷺ إليهما ساعة ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما، فقال لهما: يا حبيبيّ إني أُمي لا أعرف الخط، إذهبا إلى أبيكما ليحكم بينكما وينظر أيكما أحسن خطاً. قال: فمضيا إليه وقام النبي ﷺ أيضاً معهما ودخلوا جميعاً إلى منزل فاطمة عليها السلام، فما كان إلا ساعة وإذا النبي ﷺ مقبل وسلمان الفارسي معه وكان بيني وبين سلمان صداقة ومودة، فسألته كيف حكم أبوهما وخط أيهما أحسن؟ قال سلمان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لم يجبهما بشيء لأنه تأمل أمرهما وقال: لو قلت خط الحسن أحسن كان يغتمّ الحسين، ولو قلت خط الحسين أحسن كان يغتمّ الحسن، فوجهتهما إلى أبيهما، فقلت: يا سلمان بحق الصداقة والأخوة التي بيني وبينك وبحق دين الإسلام إلا ما أخبرتني كيف حكم أبوهما بينهما؟ فقال: لما أتيا إلى أبيهما وتأمل حالهما رقّ لهما ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما قال لهما: أمضيا إلى أمكما فهي تحكم بينكما. فأتيا إلى أمهما وعرضوا عليها ما كتبا في اللوح وقالا: يا أماه إن جدنا أمرنا أن نتكاتب فكل من كان خطه أحسن تكون قوته أكثر، فتكاتبنا وجئنا إليه فوجهنا إلى أبينا فلم يحكم بيننا ووجهنا إلى عندك. فتفكرت فاطمة عليها السلام بأن جدهما وأباهما ما أرادا كسر خاطرهما، أنا ما أصنع وكيف أحكم بينهما؟ فقالت لهما: يا قرة عيني أني أقطع قلادتي على رأسكما فأيكما يلتقط من لؤلؤها أكثر كان خطه أحسن وتكون قوته أكثر. قال: وكان في قلادتها سبع لؤلؤات، ثم أنها قامت فقطعت قلادتها على رأسهما فالتقط الحسن ثلاث لؤلؤات والتقط الحسين ثلاث لؤلؤات وبقيت الأخرى، فأراد كل منهما تناولها فأمر الله تعالى جبرائيل عليه السلام بنزوله إلى الأرض وأن يضرب بجناحيه تلك اللؤلؤة ويقدّها نصفين بالسوية ليأخذ كل منهما نصفاً لئلا يغتمّ قلب أحدهما، فنزل جبرائيل عليه السلام كطرفة عين وقدّ اللؤلؤة نصفين فأخذ كل منهما نصفاً. فانظر يا يزيد أن رسول الله ﷺ لم يدخل على أحدهما ألم الترجيح في الكتابة ولم يرد كسر قلبهما، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام وكذلك ربّ العزَّة لم يرد كسر قلب أحدهما، بل أمر من قسَّم اللؤلؤة بينهما لجبر قلبهما، وأنت هكذا تفعل بابن بنت رسول الله ﷺ!؟ أف لك ولدينك يا يزيد.

ثم أن النصراني نهض إلى رأس الحسين عليه السلام واحتضنه وجعل يقبله وهو

يبكي ويقول: يا حسين اشهد لي عند جدك محمد المصطفى وعند أبيك المرتضى وعند أمك فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين، فيا إخواني أديموا، رحمكم الله، الحزن الطويل، وواظبوا على الندب والعويل.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

لم أبك ربعاً دارس العرصات ... أضحت معارفه من النكرات
دُرِسَت معاهده وغيَّرها البلى ... ونأت بساكنها يد الغربات
عفت الوقوف على الديار تجنبي ... منها الصدى بتردد الكلمات
لكن بكيت على حريم محمد ... يُشهرنّ فوق غوارب البدنات
وتذكري رفع الكريم أعاد لي ... حزناً كيوم مصارع السادات
بأبي ربيبات البتول نوادباً ... من عظم أحزان وطول شتات
لما قفلن إلى الشآم قريحة ... أجفانهن سواكب العبرات
والرأس منتصب وزينب عنده ... ودموعها تجري على الوجنات
تشكو إليه ووجهه متوقد ... كالبدر يجلو حندس الظلمات
وتصيح وا حزني وتدعو يا أخي ... وخليفتي لعظائم النكبات
لهفي عليك وأنت ثاوٍ بالعرى ... ملقى على الرمضاء في الفلوات
لهفي عليك وأنت تشتكي ... حر الظما وتلهب الزفرات
لهفي على ما نيل منك بكربلا ... من قتل أبناء وسبي بنات
لهفي لهن مسلبات حسراً ... بفواضل الأردان مختمرات
لهفي لما أودعت قلب محمد ... وفؤاد فاطمة من الحسرات
يا واحدي لو كنت شاهد ما جرى ... من ذلّنا وتعزُّز الشمَّات
صبَّت عليَّ مصائب لا تنقضي ... من فَقْدِ أحباب وقتل حُمات
وتعج والأيام سكرى حولها ... قرحى الجفون خوافت الأصوات
ولرأس مولاي الحسين ترنَّم ... في الليل يتلو مُحكَم الآيات

(1) القصيدة للشيخ للخليعي رحمه الله تعالى.

والسيد السجّاد يدعوها ألا ... اصطبري فأت كلما هو آت
وكُفي الدموع ورأفتي رب العلا ... فعليك منه أفضل الصلوات
وتيقني أن الشهيد مخلّد ... لا تحسبيه يُعدُّ في الأموات
واستبشري يا عمتي فلك الهنا ... بقيام دولة آخذ الثارات
والقائم المهدي والمولى الذي ... يستأصل الأعداء بالنقمات
يا سادتي يا مَن بنور هداهم ... وسناهم يجلى دجى الظلمات
بولاكم يا خير من وطأ الثرى ... نيل المنى وتُقبل الطاعات
وكذا البراءة من أعاديكم بها ... يعفو الإلٰه غداً من الزلات
واليتكم ونصبت حرب عداكم ... فرفعتم فوق العلى درجات
وتناوشوني حاسد ومعاند ... وتظاهرا بالحقد والإحنات
يا رب فاشهد إنني متبرىء ... منهم وممن خان عقد ولات
من معشر جحدوا النبي حقوقه ... وتحاملوا ظلماً على مولاتي
نال الخليعي الأمان بحبكم ... ونجا من النيران أي نجات
لا تحسب الشعراء إن قد أدركوا ... تحديد فضلكم بكنه صفات
لكنهم نظروا الكتاب فضمنوا ... من مدحكم ما جاء في الآيات
ليبدلن الله خوف ولّيتكم ... أمناً ويجزيه على الحسنات
ويُمكِّن الدين الذي لكم ارتضى ... جهراً على رغم الزنيم العات

الباب الثاني

اعلموا، تقبَّل الله أعمالكم وأحسن لديه آلكم، أن الله تعالى لا يقبل الأعذار في ترك المآتم على الآل الأطهار لأنه تعالى جرت عادته بتكليف العباد بعد إلهامهم الرشاد ليفيض عليهم من الخيرات فيصلون إلى الكمالات، ولا شيء لعمري أدعى لحصول الثواب العظيم وإزالة العذاب الأليم من إظهار شعائر الأحزان وإجراء الدموع الهتان على ما أصابهم في ذلك الزمان من أهل الغدر والخذلان، فكم من دم مسفوح، وطفل مذبوح، وقلب مقروح، ومرمل بالدماء، ومسلوب للرداء، ومنبوذ بالعرى، ومذبوح من القفا، وقرة عين المصطفى، وثمرة فؤاد الزهراء بنت خاتم الأنبياء، فيا لله ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسولﷺ. فنوحوا أيهاالإخوان، وضجوا بالعويل، وعجوا بالبكاء على هذا

الرزء الجليل. ولله در من قال من الرجال:

بنفسي خدوداً في التراب تعفَّرت ... بنفسي جسوماً بالعراء تعرَّت
بنفسي رؤوساً معليات على القنا ... إلى الشام تهدى بارقات الأسنة
بنفسي شفات ذابلات من الظما ... ولم تحظ من ماء الفرات بقطرة
بنفسي عيوناً غابرات شواهراً ... إلى الماء منها نظرة بعد نظرة
بنفسي من آل النبي خرائد ... حواسر لم تغدف عليهم بسترة
تفيض دموعاً بالدماء مشوبة ... كقطر الغوادي من مدامع ثرت
على خير جيل من كهول وفتية ... مصاليت أنجاد إذا الخيل كرَّت
ربيع اليتامى والأرامل فابكها ... مدارس للقرآن في كل سحرة
وأعلام دين المصطفى وولاته ... وأصحاب قربان وحج وعمرة
ينادون يا جداه أية محنة ... نراها علينا من أمية مرت
ضغائن بدر بعد ستين أظهرت ... وكانت أجنت في الحشا وأسرت
كأني ببنت المصطفى قد تعلّقت ... يداها بساق العرش والدمع أذرت
وفي حجرها ثوب الحسين مضمخاً ... وعنها جميع العالمين بحسرت
يقول أيا عدل اقضي بيني وبين مَن ... تعدى على ابني قد قهر وقسرت
أجالوا عليه بالصوارم والقنا ... وأسقوه كأس الموت طعم الممرت
هم أول العادين ظلماً على الورى ... ومن سار فيهم بالأذى والمضرت
مضوا وانقطعت أيامهم وعهودهم ... سوى لعنة باءوا بها واستمرت

روي عن السيد السعيد عبد الحميد، يرفعه إلى مشايخه عن منذر الثوري، عن أبيه، عمن أخبره قال: قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة، ما ذكرت عند مؤمن إلا بكى واغتمَّ لمصابي.

وروى أيضاً عبد الحميد يرفعه إلى مشايخه إلى جابر الجعفي يرويه عن أبي عبد الله، ثم قال: يا جابر، كم بينكم وبين قبر الحسين عليه السلام؟ قال: قلت يوم وبعض آخر، فقال لي: أتزوره؟ قال: قلت نعم، قال: ألا أفرِّحك، ألا أبشِّرك ثوابه؟ قلت: بلى جعلت فداك. قال: إن الرجل منكم ليتهيأ لزيارته فتباشر به أهل السماء فإذا خرج من باب منزله راكباً أو ماشياً وكَّل الله عزَّ وجلَّ به أربعين ألفاً من الملائكة يصلُّون عليه حتى يوافي قبر الحسين عليه السلام، وثواب كل قدم يرفعها كثواب المتشحط بدمه في سبيل الله، فإذا

سلمت على القبر فاستلمه بيدك وقل: السلام عليك يا حجة الله في أرضه، ثم انهض إلى صلاتك فإن الله تعالى يصلّي عليك وملائكته حتى تفرغ من صلاتك، ولك بكل ركعة تركعها عنده ثواب من حج ألف حجة واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة، وكمن وقف في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل، فإذا أنت قمت من عند القبر نادى مناد لو سمعت مقالته لأفنيت عمرك عند قبر الحسين عليه السلام وهو يقول: طوبى لك أيها العبد لقد غنمت وسلمت قد غفر الله لك ما سلف فاستأنف العمل، قال: فإن مات من عامه أو من ليلته أو من يومه لم يقبض روحه إلا الله تعالى، قال: ويقوم معه الملائكة يسبّحون ويصلون عليه حتى يوافي منزله فتقول الملائكة: ربنا عبدك وافى قبر ولّيك وقد وافى منزله فأين نذهب؟ فيأتيهم النداء من قبل السماء: يا ملائكتي قفوا بباب عبدي فسبّحوني وقدّسوني وهلّلوني واكتبوا ذلك في حسناته إلى يوم وفاته، فإذا توفي ذلك العبد شهدوا غسله وكفنه والصلاة عليه ثم يقولون: ربنا وكّلتنا بباب عبدك وتوفي فأين نذهب؟ فيأتيهم النداء: يا ملائكتي قفوا بقبر عبدي فسبحوني وقدسوني وهللوني واكتبوا ذلك في حسناته إلى يوم القيامة. فيا طوبى لمن أحبهم ووالاهم ويا خسران من أبغضهم وعاداهم:

عدوي عن محبتكم فنائي وموتي تحت أرجلكم صلاحي
هواكم قبلة تهوي إليها قلوب الناس من كل النواحي
فلا والله لا أسلو هواكم ولا أصبو إلى قول اللواحي

فلعمري لو تضاعفت أحزاني وتزايدت أشجاني وأجريت عوض الدموع دماً وجعلت عمري كله مأتماً وبقيت من شدة الجزع والاكتئاب كالخلال لم أوف ببعض ما يجب عليَّ من حق الآل.

روي عن عاصم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا عاصم من زار الحسين عليه السلام وهو مغموم أذهب الله غمه، ومن زاره وهو فقير أذهب الله الفقر عنه، ومن كانت به عاهة فدعى الله أن يذهبها استجيبت دعوته وفرّج همه وغمه، فلا تدع زيارته.

فكأنك كلما أتيته كتب الله لك بكل خطوة تخطوها عشر حسنات ومحى عنك عشر سيئات، وكتب لك ثواب شهيد في سبيل الله أهريق دمه، فإياك أن تفوتك زيارته، وأما في الآخرة فبولايتهم يحصل الفوز بالنعيم الدائم المقيم وبحبهم يحصل الخلاص من العذاب الأليم.

وعن الإمام أبي عبد الله قال: قال الحسين عليه السلام: من زارني بعد موتي زرته يوم القيامة ولو لم يكن إلا في النار لأخرجته.

يـا عـتـرة الـهـادي الـنـبـي ومَـن هـم عـزي وكـنـزي والـرجـا والـمـفـزع
والـيـتـكـم وبـرئـت مـن أعـدائـكـم فـأنـا بـغـيـر ولاكـم لا أقـنـع
صـلـى الإلٰه عـلـيـكـم مـا أحـيـيـت فـكـروا وقـضـت الـعـيـون الـهـجـع

روي عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بين قبر الحسين عليه السلام إلى السماء مختلف الملائكة.

وعن بشير الدهان قال: قلت لأبي عبد الله: ربما فاتني الحج وأعرف عند قبر الحسين؟ قال: أحسنت يا بشير أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات متقبلات وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل. قال: قلت: وكيف لي مثل الموقف؟ قال: فنظر إليَّ شبه المغضب ثم قال: يا بشير إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين يوم عرفة فاغتسل بالفرات ثم توجه إليه كتب الله عزَّ وجلَّ له بكل خطوة حجة بمناسكها، ولا أعلمه إلا وقال: عمرة.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: خلق الله تعالى كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام ثم قدسها وبارك فيها فما زالت أرض كربلاء مقدسة مباركة طاهرة قبل أن يخلق الله الخلق وقبل أن يكوِّن الكون، ولم تزل كذلك حتى جعلها الله أفضل أرض في الجنة وأفضل مسكن يسكن الله أولياءه في الجنة وهي أعلا وأرفع مساكن الجنة، وأنها إذا زلزل الله الأرض وسيَّرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية فجعلت أول روضة من رياض الجنة وأفضل مسكن في الجنة، لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون وأولوا العزم من الرسل، وأنها لتزهو بين رياض الجنة كما يزهو الكوكب الدري لأهل الأرض، يغشى نورها أبصار أهل الجنة جميعاً، وهي تنادي: أنا الأرض المقدسة والطينة المباركة التي تضمنت جسد سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة أبا عبد الله الحسين.

وفي بعض الأخبار: أن الله تعالى لما خلق أرض الكعبة افتخرت وابتهجت وقالت: مَن مثلي وقد بني بيت الله على ظهري، ويأتيني الناس من كل فج عميق، وجعلت حرم الله وأمنه. فأوحى الله تعالى إليها: يا أرض الكعبة كفي وقري فوا عزتي وجلالي ما فضّلتك به فيما أعطيت كربلاء إلا بمنزلة الإبرة التي أغمست في البحر ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا ما تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به، فقُري واستقري وكوني متواضعة ذليلة مهينة غير مستنكفة ولا مستكبرة على أرض كربلاء وإلا سخت بك وأهويت بك في نار جهنم. كل ذلك تعظيماً للحسين عليه السلام وإجلالاً له.

مـا لـي إذا وُضِـعَ الـحـسـاب وسـيـلـة أنـجـو بـهـا مـن حـر نـار الـمـوعـد

إلا اعـتـرافـي بـالـذنـوب وأنـنـي مـتـمـسـك بـولاء آل مـحـمـد

روي في بعض الأخبار: أن رجلاً جاء إلى الصادق عليه السلام وشكا إليه من علة أردته، فقال له الصادق عليه السلام: يا هذا استعمل تربة جدي الحسين عليه السلام فإن الله تعالى جعل الشفا فيها من جميع الأمراض وأماناً من جميع الخوف. وإذا أراد أن يستعملها للشفاء فليأخذ من تلك التربة ثم يقبّلها ويضعها على وجهه وعينيه وينزلها على جميع بدنه ويقول: اللهم بحق هذه التربة وبحق من خلقها وبحق جده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من ولده وبحق الملائكة الحافين به إلا جعلتها شفاء من كل داء وبرء من كل مرض ونجاة من كل خوف وحرزاً مما أخاف وأحذر برحمتك يا أرحم الراحمين. ثم استعمل من تلك التربة أقل من الحمصة فإنك تبرىء بإذن الله تعالى. قال الرجل: فوالله إني فعلت ذلك فشفيت من علتي في وقتي وساعتي من بركات سيدي وابن سيدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وعن إسحاق بن إسماعيل أنه قال: سمعت من الصادق عليه السلام يقول: أن لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة معروفة من عرفها واستجار بها أُجير، فقلت: يا مولاي فصف لي موضعها جعلت فداك، فقال: امسح من موضع قبره الآن خمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه ومن ناحية رجليه كذلك وعن يمينه كذلك وعن شماله، واعلم أن ذلك روضة من رياض الجنة ومنه معراج الملائكة تعرج فيه إلى السماء بأعمال زواره وليس ملك في السماوات ولا في الأرض إلا وهم يسألون الله عزَّ وجلَّ في زيارة قبر الحسين ففوج منهم ينزل وفوج يعرج إلى يوم القيامة.

يـا جـوهـر قـام الـوجـود بـه والـنـاس بـعـدك كـلـهـم عـرض
أسـهـرت عـيـنـاً أنـت قـرّتـهـا ولـهـي عـلـيـك ولـيـس تـغـمـض
وأتـهـت قـلـبـاً أنـت مُـنـيـتـه الـقـصـوى بـحـزن فـيـك يـعـتـرض

روي: أن الصادق عليه السلام أصابه مرض، فأمر مولى أن يستأجر له أجيراً يدعو به بالعافية عند قبر الحسين عليه السلام. فخرج المولى فوجد رجلاً مؤمناً على الباب فحكى له ما أمر به الصادق، فقال الرجل: أنا أمضي، لكن الحسين إمام مفترض الطاعة والصادق إمام مفترض الطاعة، فكيف ذلك؟ فرجع مولاه وعرّفه بمقالة الرجل، فقال الصادق: صدق الرجل في مقالته لكن لله بقاعاً يُستجاب فيه الدعاء فتلك البقعة من تلك البقاع وأن الله عزَّ وجلَّ عوَّض الحسين عليه السلام من قتله بثلاثة أشياء: إجابة الدعاء تحت قبته، والشفاء في تربته، والأئمة من ذريته.

يـا بـقـعـة مـات بـهـا سـيـد ما مـثـلـه فـي الـنـاس مـن سـيـد
مـات الـهـدى مـن بـعـده والـنـدا والـعـلـم والـحـلـم مـع الـسـؤدد

روي في بعض الأخبار: أن رجلاً صالحاً قال: رفعت لي امرأة غزلاً أبيض فقالت لي: ادفع هذا الغزل إلى سدنة مكة ليخيط بها كسوة الكعبة. فكرهت أن أدفعه إلى الحجبة، فقال عليه السلام: اشتر به عسلاً وزعفراناً وخذ قليلاً من طين قبر الحسين عليه واعجنه بماء السماء واجعل فيه العسل والزعفران وفرّقه على أوليائنا المؤمنين ليداووا به مرضاهم. ففعلت ما أمرني مولاي، فكل مريض أخذ منه شفي بإذن الله تعالى.

فيا إخواني، ما أطيب نشر فضائلهم الفاضلة، وما أعذب ذكر مدائحهم الكاملة، تقدست أنفس امتنعت عليهم من الهجوع وطهرت أعين أسبلت عليهم شآبيب الدموع، وظفر بالنصيب الوافر من والاهم، وحصّل الشرف الظاهر من مال عمن عاداهم، ما ضرهم ما تجرعوه من الآلام لم تكن لحظة واحدة فيحلون دار السلم جوار الملك العلام. فيا عيني سحي دموعي، ويا جفوني وافقي وأطيعي.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[1]:

بـان صـبـري وبـان خـافـي شـجـونـي واسـتـهـلّـت بـالـدمـع مـنـي جـفـونـي
واسـتـهـلـت لـمـا اسـتـهـلـت بـدمـع حـيـن جـادت بـه شـؤون شـؤونـي
وقَـلَـتْ مـقـلـتـي الـرقـاد ارتـقـابـاً بـالـسـهـى والـسـهـاد أِلـف عـيـونـي
واسـتـسـرت مـسـرت الـسـر لـمـا بـان خـوفـي مـن سـرهـا الـمـكـنـون
فـتـبـدت مـصـونـة الـحـزن مـن قـلـبـي الـمُـعـنّـى الـمـتـيـم الـمـحـزون
ثـم قـالـت لـلـطـرف أبـرز مـا كـان مـصـانـاً مـن دمـعـك الـمـسـجـون
واسـتـمـد الـدمـاء إن نـفـد الـدمـع فـبـالـدمـع أنـت غـيـر ضـنـيـن
واندب السبط في الطفوف فريداً قـد تـخـلا مـن مـسـعـد ومـعـيـن
يـتـمـنـى لـكـي يـبـل غـلـيـلاً وشـربـه مـن مـبـاح مـاء مـعـيـن
فـسـقـاه الـعـدو كـأسـاً دهـاقـاً مـن كـؤوس الـردى ومـاء الـمـنـون
لـهـف قـلـبـي عـلـيـه وهـو فـؤول يـهـدو فـي قـولـه وسـكـون

(1) القصيدة للشيخ محمد السمين رحمه الله تعالى.

ويحكم لا تهونوا بقتل حسين فتذوقوا طعم العذاب المهين
لا تقولوا يوم القيامة إنّا ما علمنا وإنكم تجهلوني
تعرفوني بأنني خير خلق الله قدماً وآنفاً تنكروني
تنكروني فلِمَ بغير اجترام تقتلوني وأنتم تعرفوني
أن جدي النبي أشرف خلق الله ذو الفضل والفِخار المبين
وأبي المرتضى الوصي عليّ وهو رب الإمكان والتمكين
والبتول الزهراء بنت رسول الله أمي لأجلها راقبوني
فأجابوه قد علمنا يقيناً أن هذا الكلام حق اليقين
غير أنّا نروم منك مراماً فأعطياه بالطوع يا ابن الأمين
قل رضينا يزيد مولا وليّاً والياً حاكماً بحق مبين
فمتى قلت أنت في دعة الله وحرز من بأسنا بيقين
عندما أفحشوا الجواب اجتراءاً آب عنهم بصفقة المغبون
ثم نادى أهل الخيام ودمع العين جارية برقة وبلين
أم كلثوم يا سكينة يا زينب يا بنت فاطمة جاوبيني
أنت في عترتي وفي أهل بيتي وعيالي وصبيتي تخلفيني
ثم قومي إذا أردت وداعاً ودِّعيني من قبل أن تفقديني
أن هذا الأوان آن انتقالي وارتحالي وحان يا أخت حيني
أخت ابني علي بعد ولّيي وأما هادٍ لدنيا ودين
أخت صبراً صبراً فليس يضيِّع الله أجر الصبور والمستكين
لا تشقّي جيباً عليَّ وابكي كل حين بفيض دمع هتون
وإذا ما مررت بالجسد المُلقى على الأرض شاحباً فاندبيني
وإذا ما تلوت نافلة الذِكر وصلّيت دائماً فاذكريني
والْعَنِي ما شربت ماء فرات من عن الماء ظامياً منعوني
فأجابته عزّ والله ما قلت علينا وليس ذاك بهون
لو قدرنا على الفداء فديناك بأرواحنا وبالمخزون
وشربنا من شربك كاسات المنايا من كف ساقي المنون

ثم لما رأته ملقى على الترب ... تريب الخدين دامي الجبين
صرخت صرخة وقالت: أجدة ... العيس رفقاً هنية أوقفوني
لأودعه كي أبل غليلي ... بوداعي منه ولا تمنعوني
فهو روحي فأين عنه رواحي ... وهو قلبي فعنه لا تقبلوني
وهو شخصي فأين عنه شخوصي ... فاشخصوا ثم عنه لا تشخصوني
وهو عدلي فأين عنه عدولي ... فاعدلوا ثم عنه لا تعدلوني
فأجابوا صوت الشجى بسوط ... وبضرب يبدي خفي الأنين
فاستغاثت بجدها وأبيها ... وأخيها الزاكي الإمام المبين
بدموع على الخدود تجاري ... من جفون قرحى وقلب حزين
ثم قالت: يا مؤثلي يا مآلي ... يا حصوني وأين مني حصوني
آه يا كسرتي لفقد حماتي ... آه يا خذلتي لفقد معين
آه يا حسرتي ويا طول وحدتي ... آه يا ذلّتي ويا طول هوان
جدي هذا القناع يسلب مني ... ثم بالسوط بعد قنّعوني
جدي هذا صدر الحسين قد دِيسَ ... عناداً له بقب البطون
رضضوه بغير إفراض غسل ... جامع للحنوط والتكفين
جدي هذا الكريم فوق سنان ... وسنان يغله باليمين
جدي هذي الرؤوس فوق قناها ... وهي تهدى إلى يزيد اللعين
جدي هذي سكينة أسكنوها ... بعد دار الإعزاز في دار هون
والسبايا على المطايا عرايا ... مبديات لكل وجه مصون
سائرات بنا بغير وطاء ... في سهول من بِيدها وحزون
وإذا قلت للحداء رويداً ... أزعجوا العيس عامداً وأزعجوني
وإذا قلت استروني بثوب ... سلبوني ثوبي وما ستروني
وإذا قلت أحجبوني عن الناس ... تعدوا كفراً وما حجبوني
وإذا ما شكوت ضرّاً وبؤساً ... رجموني بغياً وما رحموني
وإلى الله مشتكانا وما نلقاه ... فيه من الأذى والهون
يا ذوي البيت والمشاعر والأركان ... والحجر والصفا والحجون

يـــا ذوي الـــذاريـــات والـــطـــور والأعـراف والـنـحـل والـنـسـاء ونـون
فـاز مـن مـكَّـن الـيـديـن مـن الـود وفـــازت يـــداه بـــالـــتـــمـــكـــيـــن
فـاز بـالـصـدق فـي الـولاء كـمـا فـاز بـصـدق الـولاء نـجـل الـسـمـيـن
عـبـدكـم أهـدى إلـيـكـم نـظـامـاً فـاق فـي نـظـمـه نـظـام الـثـمـيـن
فـعـلـيـكـم مـن ربـكـم صـلـوات وسـلام فـي كـل وقـت وحـيـن

الباب الثالث

تفكروا يا إخواني في الدين، فيما قدم عليه الأنصار من إخوانكم المؤمنين لكنهم ظهر لهم السر المكنون فعلموا ما كان وما يكون، ورضوا عن الرحمٰن فسمحوا في محبته بالأرواح، وأغضبوا الملك الديان فأجادوا في سبيله بالكفاح، آساد غيل غرير عرينها قليل قرينها، جاهدوا في سبيل ذي الجلال وبذلوا نفوسهم في محاربة أهل الزيغ والضلال، رموهم بالجياد حتى انطوين، وضربوهم بالسيوف حتى انحنين، وطعنوهم بالرماح حتى ارتوين. أو ليس هم القوم الذين إذا دعوا لم يقولوا أين أين، ولم يخافوا الحين، ولا سقطوا بَيْنَ بَيْنِ وأين، لكم مثل أنصار مولاكم الحسين أين. ولله در من قال فيهم من الرجال:

هـم الـقـوم أقـيـال مـنـاجـيـد سـادة مـذاويـد أبـطـال لـهـا الـحـرب مـنـزل
كـمـاة حـمـاة يـرهـب الـمـوت بـأسـهـم ولـيـس لـهـم عـن حـومة الـضـرب مـعـدل
فـكـم غـادروا مـن غـادر فـي كـريـهـة وكـم عـقـلـوا مـن كـافـر لـيـس يـعـقـل
وحـادوا وجـادوا بـالـنـفـوس أمـامـه وذاك مـن الـجـود الـعـظـيـم الـمـؤمـل
وسـادوا فـشـادوا مـنـزلاً مـتـطـاولاً دعـائـمـه فـوق الـسـمـاكـيـن أطـول
وحـامـوا فـحـامـوا دون سـبـط مـحـمـد إلـى أن تـداعـوا لـلـمـنـايـا وقـتـلـوا
فـلـهـفـي لـهـم صـرعـى أمـام إمـامـهـم ومـن دمـهـم وجـه الـثـرى مـتـبـلـل
وقـد نـسـجـت أيـدي الـريـاح مـن الـثـرى لـهـم حـلـلاً مـن فـوقـهـم تـتـجـلـل
فـلـو أنـنـي شـاهـدت مـشـهـد كـربـلاء وسـيـفـي بـكـفـي كـنـت لـلـنـفـس أبـذل
وواسـيـتـهـم بـالـطـعـن والـضـرب والـقـنـا فـذاك الـمـنـى لـو أن ذلـك يـحـصـل

روي من طريق الخصم، وعن أنس بن مالك قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ

عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: بيوت الأنبياء. فقام الأول فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها ـ يعني بيت علي وفاطمة ـ؟، قال: «نعم ومن أفاضلها».

ومن طريقهم أيضاً في «الصحيحين» قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2]، قالوا: يا رسول الله ومن قرابتك التي أوجبت علينا مودتهم؟ فقال: «علي وفاطمة وابناهما».

ومن طريقهم أيضاً ما رواه الفقيه المغازلي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: سئل النبي ﷺ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، فقال: «سأله بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ألا تبت عليَّ!، فتاب عليه».

آل طٰـه يـا مَـن بـهـم يـغـفـر الله ... ذنـوبـي ومـا جَـنَـتـه يـمـيـنـي
وإمـامـي فـي يـوم بـعـثـي وأمـنـي ... عـنـد خـوفـي فـي كـل خـطـب وضـيـنـي
أنـتـمـوا قـبـلـتـي وحـجـي وفـرضـي ... وصـلاتـي وأصـل نـسـكـي ودِيـنـي
مـن تـمـسـك بـكـم وأمَّ إلـيـكـم ... قـد نـجـا والـتـجـأ بـحـصـن حـصـيـن
لا أبـالـي وإن تـعـاظـم ذنـبـي ... يـوم بـعـثـي لـكـن يـقـيـنـي يـقـيـنـي
كـل عـزّي بـيـن الأنـام وفـخـري ... يـوم أخـشـى بـابـكـم تـقـبـلـونـي
أنـا مـنـكـم لـكـم بـكـم وإلـيـكـم ... فـرط وجـدي وذا حـنـيـن أنـيـنـي
فـعـلـيـكـم مـن الإلٰـه صـلاة ... كـلـمـا نـاح طـائـر بـالـغـصـون

يا إخواني، من علق بحبهم سلم، والتجأ إلى كهف عزهم ربح وغنم، ومن اقتفى أثرهم حصل على سواء الطريق، ومن تنكب عن سمتهم وقع في المضيق بالتحقيق، إذا أحب الله عبداً ألقى حجتهم عليه، وإن أبغض عبداً ألقى الشيطان بغضهم إليه، فمحبتهم المقربة إلى الملك العلام، المؤدية إلى أعظم المرام لا تحصل بمجرد الكلام ما لم تقترن باعتقاد يحصل به برد الإيمان وتشب به على مصابهم نيران الأحزان.

روى قتادة: أن أروى بنت الحارث بن عبد الملك دخلت على معاوية بن أبي سفيان وقد قدم المدينة وهي عجوز كبيرة، فلما رآها معاوية قال: مرحباً بك يا خالة كيف كنت بعدي؟ قالت: كيف أنت يا ابن أختي، لقد كفرت النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك بلا بلاء كان منك ولا من آبائك في ديننا ولا

(1) سورة النور: الآيتان 36 - 37. (2) سورة الشورى: الآية 23.

سابقة كانت لكم، بل كفرتم بما جاء به محمد ﷺ، فأنغس الله الخدود، وأصغر منكم الخدود، ورد الحق إلى أهله، فكانت كلمتنا هي العليا ونبينا هو المنصور على من ناوأه فوثبت قريش علينا من بعده حسداً لنا وبغياً فكنا بحمد الله ونعمته أهل بيت فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان سيدنا فيكم بعد نبينا ﷺ بمنزلة هارون من موسى، غايتنا الجنة وغايتكم النار. فقال لها عمرو بن العاص: كفي أيتها العجوز الضالة واقصري من قولك مع ذهاب عقلك إذ لا تجوز شهادتك وحدك! فقالت: وأنت يا ابن الباغية تتكلم وأمك أشهر بغي بمكة وأقلهم أجرة وادعاك خمسة من قريش فسألت أمك عن ذلك فقالت كل أتاها فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب شبه العاص بن وائل جزار قريش ألأمهم مكراً وأبهتهم خبراً فألومك بغضاً. قال مروان بن الحكم: كفي أيتها العجوز واقصدي لما جئت له، فقالت: وأنت يا ابن الزرقاء تتكلم والله وأنت ببشير مولى ابن كلدة أشبه منك بالحكم بن العاص وقد رأيت الحكم سبط الشعر مديد القامة وما بينكما قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المقرف، فاسأل عما أخبرتك به أمك فإنها ستخبرك بذلك. ثم التفتت إلى معاوية فقالت: والله ما جرّأ هؤلاء غيرك وإن أمك القائلة في قتل حمزة:

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات السعر

إلى آخر الأبيات، فأجابتها ابنة عمي:

خزيت في بدر وغير بدري يا بنت وقاح عظيم الكفر

إلى آخر الأبيات. فالتفت معاوية إلى مروان وعمر وقال: والله ما جرّأها عليَّ غيركما ولا أسمعني هذا الكلام سواكما. ثم قال: يا خالة أقصدي ودعي أساطير النساء عنك. قالت: تعطيني ألفي دينار وألفي دينار وألفي دينار. قال: ما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أزوج فقراء بني الحارث بن عبد المطلب، قال: هي لك، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أستعين بها على شدة الزمان وزيارة بيت الله الحرام، قال: قد أمرت بها لك، فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أشتري بها عيناً خرارة في أرض خوارة تكون لفقراء بني الحارث بن عبد الملك، قال: هي لك يا خالة، أما والله لو كان ابن عمك علي ما أمر لك بها، قالت: تذكر علياً! فض الله فاك وأجهد بلاك، ثم علا نحيبها وبكاؤها وجعلت تقول:

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ألا فابكي أمير المؤمنينا
رُزينا خير من ركب المطايا وجال بها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمُبينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راق الناظرينا

ألا فـابـلـغ مـعـاويـة بـن حـرب فـلا قـرّت عـيـون الـشـامـتـيـنـا
أفـي الـشـهـر الـحـرام فـجـعـتـمـونـا بـخـيـر الـخـلـق طـراً أجـمـعـيـنـا
مـضـى بـعـد الـنـبـي فـدتـه نـفـسـي أبـو حـسـن وخـيـر الـصـالـحـيـنـا
كـأن الـنـاس إذا فـقـدوا عـلـيـاً نـعـام جـال فـي بـلـد سـنـيـنـا
فـلا والله لا أنـسـى عـلـيـاً وحُـسـن صـلاتـه فـي الـراكـعـيـنـا
لـقـد عـلـمـت قـريـش حـيـث كـانـت بـأنـك خـيـرهـا حـسـبـاً ودِيـنـا
فـلا يـفـرح مـعـاويـة بـن حـرب فـإن بـقـيـة الـخـلـفـاء فـيـنـا

قال: فبكى معاوية ثم قال: يا خالة لقد كان كما قلت وأفضل.

فانظروا يا إخوان الدين إلى هؤلاء الكفرة الملاعين، يعترفون بالحق ويرغبون عنه ويتطلعون إليه ويفرون منه، استحوذ عليهم الشيطان فسلك بهم في أودية الهوان، وقادتهم أزمة الباطل وأرخت لهم العنان فباؤوا بالخيبة والخسران واستحقوا عذاب النيران ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

روي عن بعض الصادقين أنه قال: دخلت إلى جامع بني أمية لأصلي صلاة الصبح، وإذا أنا برجل من بني أمية جاء ووقف يصلي قريباً مني، فلما طأطأ رأسه للسجود سقطت عمامته عن رأسه فإذا رأسه ووجهه كرأس الخنزير وشعره كشعر الخنزير، فلما نظرته طار عقلي وطاش لبي ولم أعلم ما صلّيت ولا ما قلت في صلاتي. فلما فرغ من الصلاة تنفّس الصعداء وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا أخي إني أخبرك بقصتي وأظهرك على حالي. ثم أنه كشف عن رأسه ونزع قميصه فإذا رأسه ووجهه كالخنزير وبدنه وشعره مثل جلد الخنزير، فتعجبت منه وقلت له: ما الذي أرى بك من البلاء؟ فقال: اعلم أني كنت مؤذناً لبني أمية وكنت كل يوم ألعن علي بن أبي طالب ألف مرة بين الأذان والإقامة، وإذا كان يوم الجمعة ألعنه أربعين ألف مرة، فبينما أنا نائم ليلة الجمعة رأيت في منامي كأن القيامة قد قامت ورأيت رسول الله ﷺ وعلياً والحسن والحسين وماء الكوثر مترع وبيد الحسين عليه السلام إبريق من نور، وبيد الحسين عليه السلام كأس من نور هما يسقيان الناس كافة وأنا في عطش شديد، فدنوت من الحسين عليه السلام وقلت له: اسقني يا ابن رسول الله، فقال لي: ستشرب من حميم جهنم، فقال له النبي ﷺ: لم لا تسقيه؟ فقال: يا جداه كيف أسقيه وهو يلعن أبي كل يوم ألف مرة؟ فالتفت إليَّ النبي ﷺ وقال لي: ما لك يا لعين يا

(1) سورة النحل: الآية 118.

شقي أتلعن أخي وخليفتي وابن عمي علي بن أبي طالب؟ ثم بصق في وجهي وقال: غيّر الله ما بك من نعمة، فانتبهت من منامي مرعوباً وإذا هو قد مُسخ كما ترى وصار عبرة لمن يسمع ويرى، وأنا أحمد الله تعالى مما كان مني، ووالیت علي بن أبي طالب وتبرأت من أعدائه.

أيا مَن هُم فلك النجاة ومن هم هداة وغوث للأنام وجود
ولولاهم ما كان نور ولا دجا ظلام ولا للخلق كان وجود
عليكم سلام الله حيث ثناءكم حكى نشره نداً يصوغ وعود
وحيث بكم هبت نسيم ونسمة هبوب وللعيدان رنح عود

فالويل الدائم لمن عاداهم، والخيبة لمن ضل عن هداهم وما والاهم.

روي: أنه دخل أبو أمامة الباهلي على معاوية فقربه وأدناه ثم دعا بالطعام، فجعل يطعم أبا أمامة بيده ثم أوسع رأسه ولحيته طيباً بيده وأمر له ببدرة من دنانير فدفعها إليه ثم قال: يا أبا أمامة أبالله أنا خير أم علي بن أبي طالب؟ فقال أبو أمامة: نعم ولا كذب ولو بغير الله سألتني لصدقت، علي والله خير منك وأكرم وأقدم إسلاماً وأقرب إلى رسول الله ﷺ قرابة وأشد في المشركين نكاية، وأعظم عند الأمة غناء، أتدري من علي يا معاوية؟ علي ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته سيدة نساء العالمين، وأبو الحسن والحسين شيدا شباب أهل الجنة، وابن عم أخي حمزة سيد الشهداء، وأخو جعفر ذي الجناحين، فأين تقع أنت من هذا يا معاوية؟ أظننت إني أختارك على علي بألطافك وإطعامك وعطائك فأدخل إليك مؤمناً وأخرج منك كافراً، بئس ما سولت لك نفسك يا معاوية. ثم نهض وخرج من عنده فأتبعه بالمال، فقال: لا والله لا أقبل منك ديناراً واحداً.

فهذه هي المحبة الناصحة، والمودة الرائقة الخالصة.

فعلى مثل أهل البيت فليبك الباكون، وإياهم فليندب
النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال[1]:

ألا ما لجفني بالسهاد توكُّل وقلبي لأعباء الهول يتحمَّل
وما بال عيني ليس ترقى دموعها وقلبي بعبء السم يذوي فينحل

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله تعالى.

ولم يشجعني فقد الأنيس ولم أطل ... وقوفي على الرَبع الدريس فأسأل
ولا قلت للحادي ترفق هنيئة ... وللركب لما سار أين ترحل
ولا ارتقيت طيف الخيال من الكرى ... ولا أنا ممن بالمنى يتعلل
ولكن شجتني عصبة علوية ... تداعوا جميعاً بالفنى ثم قتلوا
لهم طال حزني وأسكنت أضالعي ... على جمرة في عشرة عاشور تشعل
ولم أنس مولاي الحسين وقد غدا ... يودع أهله ويوصي ويعجل
ينادي ألا يا أهل بيت محمد ... أصيخوا لما أوصيكموا وتقبلوا
عليكم بتقوى الله لا تتغيروا ... لعظم رزاياكم ولا تتبدلوا
ودوموا على أعمالكم وابتهالكم ... وقوموا إذا جنَّ الدجى وتقبلوا
وإن نابكم خطب فلا تتضعضعوا ... لوقع الرزايا واصبروا وتحملوا
وفاطمة الصغرى تقول لأختها: ... هلمي إلى التوديع فالأمر مهول
أرى والدي يوصي بنا أخواته ... وعيناه من حزن تفيض وتهمل
وتدعو: ألا يا سيدي بلغ العدا ... بنا ما تمنوا في النفوس وأملوا
فيحنُوا عليها باكياً ويضمها ... ويدني إليه وجهها ويقبِّل
ومر إلى حرب الطغاة ولم يزل ... يفلق هامات العدى ويقلل
إلى أن هوى فوق التراب مجدلاً ... قتيلاً وراح المهر ينعي ويعول
فقمن النساء الفاطميات ولهاً ... فأبصرن منه ما يسوء ويذهل
وخرت عليه زينب مستغيثة ... ومعجزها من نحرها متبلل
وتشكو إلى الزهراء فاطم حالها ... وتندب مما نالها وتولول
أيا أم قومي من ثرى القبر وانظري ... حبيبك ملقى في الثرى لايغسل
ترى هل شهدت اليوم يا بنت أحمد ... وخيري مكسور وعزي مذلّل
وهل أنت يا ست النساء عليمة ... بأنا حيارى نستجير ونسأل
وهل لك علم من علي بأنه ... أسير عليل في القيود مغلّل
علمتم وما أعلمتمونا برزئنا ... وحمَّلتمونا اليوم ما ليس يُحمل
فيا حسرة لا تنقضي ومصيبة ... لقد نزلت بالناس دهياء معضل
ويا عثرة الدهر لينت مقالة ... ويا صفقة مغبونها متزلزل

أَيُشْتَهر الرأس السماوي في القنى ... ويُهدى إلى الرجس اللعين ويُحمل
وتُسبى بنيات الرسول حواسر ... وينهرهن المارق المتنحل
ويعنف السجاد وهو ممرض ... عليل بأصفاد الحديد مثقل
وينظر في تلك الوجوه التي لها ... تدين البدور المشرقات وتخجل
وتلك الأنوف الشامخات برغمها ... تهتك ما بين الملا وتبذل
ولم يعجل الله العذاب لمعشر ... أراقوا دماء المصطفى وتأولوا
لقد أورثتنا قتلة الطف قرحة ... وحزناً على مر الزمان مطول
فلا حزنه يسلى ولا الوجد نازح ... ولا مدمعي يرقى ولا الجرح يدمل
ألا يا بني المختار يا من بحبهم ... إلى الله فيما نابني أتوسل
خذوا بيد العبد الخليعي في غد ... فقد فاز من أضحى عليكم يعول
وأفلح من والاكم متبرء ... إلى الله من قوم أضاعوا وبدلوا

❊ ❊ ❊

المجلس الخامس

في الليلة الثالثة من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها الإخوان، دعوا التشاغل عن الأهل والأوطان، وتفكروا فيما أصاب سادات الزمان، الذين بموالاتهم استحققتم دخول الجنان، فلو أنصف المحب الولهان لأضرمت في جسمه نيران الأحزان، ولو صدق في المحبة العشاق ما شجوا بالدمع المهراق ولعجلوا السماح بالأرواح يوم التلاق، فلو تلفت نفس من شدة الأحزان لتلفت نفس محبهم عليهم، ولو تفتت كبدة من شدة الأشجان لتفتت أكباد مواليهم بالنسبة إليهم؛ وهيهات هيهات لا وفاء للأحباء بعد الممات، أو ما بلغكم مقال الحسين عليه السلام وهو ينادي على رؤوس الأشهاد، وما لاقاه به أهل الزيغ والفساد حيث أظهروا له العناد وأجابوه بخلاف ما طلب وأراد، أسرفوا فيه وفي بنيه وبني أبيه النبال، فصرعوهم على الآكام والرمال، فهم ملقون على غير فراش ولا مهاد، ولا وطأ ولا وساد، تهب عليهم الصبا والدبور؛ وتغدوا عليهم العقبان والنسور. ولله در بعض محبيهم حيث قال فيهم:

ليبك على الإسلام من كان باكياً ... فقد ضيّعت أحكامه واستحلّت
غداة حسين والرماح رميمة ... وقد نهلت منه السيوف وعلت
وغودر في الصحراء لحماً مبدداً ... عليه عتاق الطير باتت وظلّت
فما نصرته أمة السوء إذا دعا ... لقد طاشت الأحلام منها وظلّت
ولكن محو أنوارهم بأكفهم ... فلا سلمت تلك الأكف وشلّت
أذاقته حر القتل أمة جده ... هفت نعلها في كربلاء وزلت
فلا قدس الرحمٰن أمة جده ... وإن هي صامت للإلٰه وصلّت
كما فجعت بنت الرسول بنسلها ... وكانوا حماة الحرب حين استقلت

روي عن أم سلمة زوجة النبي ﷺ قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم ودخل في أثره الحسن والحسين عليهما السلام وجلسا إلى جانبيه فأخذ الحسن على ركبته اليمنى

والحسين على ركبته اليسرى وجعل يقبِّل هذا تارة وهذا أخرى، وإذا بجبرائيل قد نزل وقال: يا رسول الله إنك لتحب الحسن والحسين؟ فقال: وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا وقرتا عيني؟ فقال جبرائيل: يا نبي الله إن الله قد حكم عليهما بأمر فاصبر له، فقال: وما هو يا أخي؟ فقال: قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسموماً، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً، وإن لكل نبي دعوة مستجابة فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحسين فادع الله أن يسلمهما من السم والقتل، وإن شئت كانت مصيبتهما ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أمتك يوم القيامة. فقال النبي ﷺ: يا أخي جبرائيل أنا راض بحكم ربي لا أريد إلا ما يريده، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمتي ويقضي الله في ولدي ما يشاء.

وروي أن النبي ﷺ كان ذات يوم جالساً وحوله علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال لهم: يا أهل بيتي كيف لي بكم إذا كنتم صرعى وقبوركم شتى؟ فقال له الحسين عليه السلام: يا جدي نموت موتاً أو نقتل قتلاً؟ قال: يا بني بل تقتل ظلماً وعدواناً وتشرد ذراريكم في الأرض شرقاً وغرباً، فقال الحسين: ومن يقتلنا يا جد؟ فقال: يقتلكم أشرار الناس، قال: فهل يزورنا بعد قتلنا أحد من أمتك؟ فقال: نعم طائفة من أمتي يزورون قبوركم ويبكون عليكم ويندبون وينوحون حزناً على مصابكم ويريدون بذلك بري وصلتي، فإذا كان يوم القيامة جئتهم إلى الموقف فآخذ بأعضادهم فأخلصهم من أهوال يوم القيامة وشدائدها:

عجباً لمصقول أصابك حدّه ... في الرأس منك وقد علاه غبار
لم لا تقطعت السيوف بأسرها ... حزناً عليك وطنّت الأوتار

فويل لأولئك الكفرة اللئام أما علموا أنه أشرف المقول والأحلام؟ أليس هو ممن باهل الله به أهل نجران صغيراً؟ وقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[1] فضمه مع أبيه وأمه وأخيه فوصف بالكمال وأن يبلغ مبلغ الرجال.

روي عن الليث بن سعد قال: إن النبي ﷺ كان يصلي في فئة من أصحابه وكان الحسين عليه السلام صغيراً جالساً بالقرب منه، فلما سجد النبي ﷺ قام الحسين وركب على ظهره فصار النبي ﷺ يطيل الذكر في سجوده فإذا أراد النبي ﷺ أن يرفع رأسه أخذه أخذاً رفيقاً ووضعه إلى جانبه، فإذا سجد عاد الحسين على ظهره ولم يفعل هكذا حتى فرغ النبي ﷺ من صلاته. وكان رجل يهودي واقفاً ينظر ما يصنع الحسين بجده رسول الله ﷺ،

(1) سورة الإنسان: الآية 8.

فقال اليهودي: يا محمد إنكم لتفعلون بصبيانكم شيئاً لم نفعله نحن، فقال النبي ﷺ: لو أنكم تؤمنون بالله وبرسوله لرحمتم الصبيان الصغار، فقال اليهودي: ما أحسن سجيتك وما أحسن خلقك. ثم أنه أسلم على يد رسول الله ﷺ لما رأى كرم أخلاقه مع جلالة قدره.

ومن طرقهم أن الحسين عليه السلام كان يركب على ظهر جده في بعض صلاته فيبلغ به التعظيم للحسين أن يطيل الذكر في سجوده إلى أن ينزل الحسين عن ظهر جده باختياره، فإذا فرغ النبي ﷺ من صلاته يأخذه إليه ويجلسه على ركبته ويقبّله ويرشف ثناياه ويضمه إلى صدره، فقال له بعض الأنصار: يا رسول الله أن لي ابناً قد نشأ وكبر وما قبّلته قط، فقال رسول الله ﷺ أرأيت كأن الله قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع بك؟ من لم يرحم صغيراً ولم يوقر كبيراً فليس منا في شيء. ثم قال: من لا يَرحم لا يُرحم.

يا أمة قتلت حسيناً عنوة ... لم ترع حق الله فيه فتهتدي
قتلوه يوم الطف طعناً بالقنا ... وبكل بيض صارم ومهند
ولطال ما ناداهم بكلامه ... جدي النبي خصيمكم في المشهد
جدي النبي وأبي علي فاعلموا ... والفخر فاطمة الزكية محتدي
يا قوم إن الماء يشربه الورى ... ولقد ظمئت وقلَّ منه تجلدي
قد شقني عطشي وأقلقني الذي ... ألقاه من ثقل الحديد الموتد
قالوا له هذا عليك محرم ... حتى تبايع للبغي الأسود
فأتاه سهم من يد مشؤومة ... من قوس ملعون خبيث المولد
يا عين جودي بالدموع وجودي ... وابكي الحسين السيد ابن السيد

روي عن عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر إذ أقبل الحسين من عند أمه وهو طفل صغير فوطأ الحسين عليه السلام على ذيل ثوبه فكبى وسقط على وجهه فبكى فنزل النبي ﷺ إليه وضمه إلى صدره وسكته من البكاء وقال: قاتل الله الشيطان إن الولد لفتنة، والذي نفسي بيده لما كبى ابني هذا رأيت كأن فؤادي قد وهى مني. لأنه ﷺ كان رحيم القلب سريع الدمعة كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1].

وعن أبي السعادات قال: خرج النبي ﷺ من بيت عائشة، فمر على باب دار ابنته فاطمة الزهراء، فسمع الحسين يبكي فقال لها: يا فاطمة سكتيه، ألم تعلمي أن بكاءه

(1) سورة الأحزاب: الآية 43.

يؤذيني؟ أخذه إليه ومسح الدموع عن عينيه وقبله وضمه إليه صلوات الله وسلامه عليه، فكيف ولو رآه ملقى على الرمضاء مذبوحاً من القفا مرملاً بالدماء يتلظى من الظماء والشمر جاث على صدره وأولغ السيف في نحره وهو يستغيث فلا يُغاث، ويستجير فلا يُجار؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد صدق فيما قال لسان الحال:

وما حيلة المضني وقد شط إلفه وحال التنائي دون نيل مراده
هو الشوق لا دمع يضن وكوفه إذ ضن وكاف الحيا بعهاده
وزفرة أشجان يكاد مرورها يذيب الحصى من حره واتقاده

روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بكربلاء فبكى حتى اغرورقت عيناه بالدموع وقال: هذا مناخ رِكابهم، هذا ملقى رِحالهم، ها هنا تُراق دماءهم، طوبى لك من تربة عليها تُراق دم الأحبة، مناخ ركاب ومنازل شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من كان بعدهم.

فيا إخواني، كيف لا يستحقون هذه الأوصاف من صاحب الأعراف؟ وقد وقوا ولده بأنفسهم من مصارع الهوان، وعرضوا أرواحهم دونه للحدثان، فوا حسرتاه على تلك الجسوم المرملة بالدماء، ويا لهفتاه على تلك الأفواه اليابسة من الظماء، حسدوهم على الكمال، وجلّ وعلا مجدهم أن يُنال، فأخذوا في تحصيل الفرص فما أمكنتهم، وجرّعوهم الغصص فخالفوا في أفعالهم الملك الجليل فضلوا عن الاهتداء إلى سواء السبيل، فالويل لمن شفعاؤه يوم القيامة خصماؤه، ومن خصماؤه يوم القيامة شفعاؤه، وما ضرهم ما تجرعوه من الغصص والآلام ما هي إلا لحظة واحدة وإذا هم في دار السلام وجوار الملك العلام.

ولله در من قال فيهم من بعض محبيهم:

هنيئاً لكم روح الجنان وطيبها نعيماً مقيماً دائماً يتجدد
ديار من الياقوت والأرض فضة وخيمات مرجان وفيها محمد
وأنهارها خمر ومسك ترابها وفيها قصور لؤلؤ وزبرجد
وأشجارها مملؤة من ثمارها وأطيارها من فوقها تتغرد

روي أنه لما ثقل رسول الله ﷺ في مرضه والبيت غاص بمن فيه، قال: ادعوا إليّ الحسن والحسين. قال: فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه قال: فجعل علي يرفعهما عن وجه رسول الله ﷺ، ففتح النبي ﷺ عينيه وقال: دعهما يتمتعان مني وأتمتع منهما فإنهما سيصيبهما بعدي أثرة. ثم قال: أيها الناس قد خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل

بيتي، فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي، والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي.

وعن ابن عباس في حديث أم الفضل بنت الحارث حين أدخلت حسيناً على رسول الله ﷺ فأخذه رسول الله ﷺ وبكى وأخبرها بمقتله، إلى أن قال: ثم هبط جبرائيل عليه السلام في قبيل من الملائكة قد نشروا أجنحتهم يبكون حزناً منهم على الحسين عليه السلام وجبرائيل معه قبضة من تربة الحسين تفوح مسكاً أذفر فدفعها إلى النبي ﷺ وقال: يا حبيب الله هذه تربة ولدك الحسين بن فاطمة وستقتله اللعناء بأرض كربلاء. قال: فقال النبي ﷺ: حبيبي جبرائيل وهل تفلح أمة تقتل فرخي وفرخ ابنتي؟ فقال جبرائيل: لا بل يضربهم الله بالاختلاف فتختلف قلوبهم وألسنتهم إلى آخر الدهر.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون، وإيام
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

دمع عين يجود غير نحيل ... وغرام يقوى بجسم نحيل
ماء عين لم يطف حر غرام ... وعليل فيه شفاء عليل
كيف يشفى الفؤاد من ألم الحزن ... وداء بين الضلوع دخيل
وجوى الحزن لا يزال مقيماً ... فيه والصبر مؤذن بالرحيل
أين صبري إذا ذكرت قتيل ... الطف ملقى أكرم به من قتيل
ما ذكرت القتيل إلا وسالت ... عبرتي في الخدود كل مسيل
وذكى الوجد في الفؤاد وشبّت ... نار حزني ولوعتي وعويلي
لست أنساه في الطفوف ينادي ... جيله الأكرمين أكرم جيل
وينادي عياله أخت: قومي ... لوداعي من قبل وشك الرحيل
أخت أوصيك في العيال جميلاً ... وتَلَقِّي البلا بصبر جميل
نحن قوم إذا بلينا بأمر ... نتلقاه بالرضى والقبول
ثم أبدا عذراً وقال مقالاً ... واضحاً بيِّناً لأهل العقول
أيها الناس قد علمتم بأني ... للنبي الأمي خير سليل
وأبي المرتضى وربي ارتضاه ... لهداه فما له من مثيل

(1) القصيدة للشيخ محمد بن السمين.

والبتول الطهر الزكية أمي خير أم أكرم بها من بتول
راقبوا الله واسمعوا ما أتانا في الوصايا على يدي جبرائيل
واحذروا زلّة الفِعال وخافوا عثرات ما لها من مقيل
فأبى الأشقياء إلا عدولاً عنه في البغي ما له من عدول
عندها قال للمواسين قوموا أيها القوم للثواب الجزيل
قاتلوا القوم ساعة ثم قيلوا في ظلال الجنان خير مقيل
فأجاب النداء كل نجيب طيب النحر رب أصل أصيل
فأحبوا كره الفناء وأجابوا داعي الله للبقاء الطويل
وغدا بعدهم فريداً ينادي هل معين لأهل بيت الرسول
فأعينوا ولم يعينوه وأردوه بسمر القنا وبيض النصول
وغدا المهر باكياً يندب السبط ويبدي بكاءه بالصهيل
فرأى النسوة الكرائم بدر التم قد غيّبته حجب الأفول
وهو ملقى على ثرى الأرض في البيداء قد رضته أيدي الخيول
أسفي للنساء يندبن ندباً بغرام من الأسى مشغول
وينادين جدهن رسول الله يا خير مرسل ورسول
لو ترانا يا جدنا قد فقدنا نِعم مولى لنا وخير كفيل
وغياث العباد إن أجدب الدهر وخصب البلاد عند المحول
لو ترانا ونحن بين أسير وجريح دامي وبين قتيل
قتلوا كل ماجد وكريم سيد من شبابنا وكهول
أو ترى ابنك العليل أسيراً زدت حزناً على الأسير العليل
أو ترى أوجهاً فقدن وجيهاً كل وجه لناظر مبذول
وكسينا لما سلبن لباساً من هوان وذلة وخمول
أو ترانا ونحن نُسرى أسارى في حزون من الفلا وسهول
أو ترانا والرؤوس وهي أمام الركب فوق الرماح بين الحمول
كنت جاهدت دوننا بمواض ورماح خطية ونصول
غير يا جد أننا قد سمعنا هاتف الجن بين تلك الطلول

يندب السبط باكياً وحزيناً ... ثم يبدي نظام سعر مقول
أيها القاتلون ظلماً حسيناً ... أبشروا بالعذاب والتنكيل
كل أهل السماء تدعوا عليكم ... من مليك ومرسل وقبيل
قد لعنتم على لسان ابن داود ... وموسى وصاحب الإنجيل
يا لها من مصيبة عمت الإسلام ... شؤوماً وخطب أمر جليل
يا لها محنة لم ينج منها ... غير نزر من الأنام قليل
آل ياسين سدتم الخلق طراً ... وسموتم أعلا العلا الأثيل
وحللتم أسما سماء المعالي ... فسما شأن قدرها بالحلول
وكرمتم عناصراً ونجاراً ... فزكى فرعكم لطيب الأصول
جدكم للهدى مدينة علم ... وأبوكم للعلم باب الدخول
فلهذا والله لولا هديكم ... ما اهتدينا إلى سواء السبيل
فهديكم هو الدليل وقد قام ... بهذا الدليل صدق الدليل
وولاكم فرض به قد أتتنا ... بينات التنزيل والتأويل
من تلقى الولاء بحسن قبول ... تتلقونه بحسن القبول
تسكنوه وقد نجى من حميم ... تحت ظل من الجنان ظليل
حبكم جنة له وولاكم ... جنة من عذاب يوم مهول
فاز نجل السمين من بعد هذا ... مذ تولاكم بخير جزيل
أنتم سؤله وأقصى مناه ... ورجاه وغاية المأمول
فعليكم آل النبي صلاة ... كل يوم في بكرة وأصيل

الباب الثاني

اعلموا، وفقكم الله تعالى لتحصيل الكمالات والارتقاء إلى معالي أعلا الدرجات، أن كل جزع في المصائب قبيح إلا على أهل هدايتكم، والأسف على الفائت مذموم عند العقلاء إلا على أئمتكم السادات النجباء، فيا ليت لفاطم وأبيها عيناً تنظر ما صنع ببناتها وبنيها ما بين مسلوب وجريح، ومسموم وذبيح، ومقتول وطريح، ومشققات للجيوب ومفجوعات بقتل المحبوب شاكيات بين يدي علام الغيوب، ناشرات للشعور بارزات من الخدور لاطمات للخدود، فاقدات للآباء والأبناء والجدود، يسترن وجوههن بالأردان

حذراً من أهل العناد والطغيان، فيا لها من حسرات لا تنقضي أبداً، ومن أحزان مجددات طول المدى.

يا أهل عاشور يا لهفي على الدين ... خذوا حدادكم يا آل ياسين
اليوم شُقَّ جيب الدين وانتهبت ... بنات أحمد نهب الروم والصين
اليوم قام بأعلى الطف نادبهم ... يقول: من ليتيم أو لمسكين
اليوم خرّ نجوم الفخر من مضر ... على مناخر تذليل وتوهين
اليوم أطفىء نور الله متقداً ... وجررت لهم التقوى على الطين
اليوم هتك أستار الهدى مزقاً ... وبرقت غرة الإسلام بالهون
اليوم زعزع قدس من جوانبه ... وهاج بالخيل سادات الميادين
اليوم شقُّوا على الزهراء كلتها ... وساوروها بتكئيب وتوهين
اليوم نال بنو حرب طوايلهم ... مما صلوه ببدر ثم صفين
اليوم جدك سبط المصطفى شرفاً ... من نفسه بنجيع غير مسنون
نالوا أزمة دنياهم ببيعهم ... فليتهم سمحوا منها بماعون
آل الرسول عباديد السيوف فمن ... هام على وجهه خوفاً ومسجون
يا عين لا تدعي شيئاً لغادته ... تهمى ولا تدعي دمعاً لمحزون
قومي على جدث بالطف فانتقضي ... بكل لؤلؤ دمع فيك مكنون

فيا إخواني، تعساً لمن أردى تلك العصابة الكرام، وخيبة لمن نكس أعلام أولئك الأعلام.

روي عن سعيد بن المسيب قال: لما استشهد سيدي ومولاي الحسين عليه السلام وحج الناس من قابل، دخلت على علي بن الحسين فقلت له: يا مولاي قد قرب الحج فماذا تأمرني؟ فقال: امض على نيتك وحج. فحججت، فبينما أنا أطوف بالكعبة وإذا أنا برجل مقطوع اليدين ووجهه كقطع الليل المظلم وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم رب هذا البيت الحرام اغفر لي وما أحسبك تفعل؛ ولو تشفع في سكان سماواتك وأرضيك وجميع ما خلقت لعظم جرمي.

قال سعيد بن المسيب: فشغلت وشغل الناس عن الطواف حتى حف به الناس واجتمعنا عليه، فقلنا: يا ويلك لو كنت إبليس ما كان ينبغي لك أن تيأس من رحمة الله، فمن أنت وما ذنبك؟ فبكى وقال: يا قوم أنا أعرف بنفسي وذنبي وما جنيت، فقلنا له:

تذكره لنا، فقال: أنا كنت جمالاً لأبي عبد الله الحسين عليه السلام لما خرج من المدينة إلى العراق، وكنت أراه إذا أراد الوضوء للصلاة يضع سراويله عندي فأرى تكته تغشي الأبصار بحسن إشراقها وكنت أتمناها تكون لي إلى أن صرنا بكربلاء وقتل الحسين عليه السلام وهي معه، فدفنت نفسي في مكان من الأرض، فلما جن الليل خرجت من مكاني فرأيت في تلك المعركة نوراً لا ظلمة ونهاراً لا ليلاً والقتلى مطروحين على وجه الأرض، فذكرت لحيني وشقائي التكة فقلت: والله لأطلبن الحسين وأرجو أن تكون التكة في سراويله فآخذها. ولم أزل أنظر في وجوه القتلى حتى أتيت إلى الحسين فوجدته مكبوباً على وجهه وهو جثة بلا رأس ونوره مشرق مرمل بدمائه والرياح سافية عليه، فقلت: هذا والله الحسين، فنظرت إلى سراويله كما كنت أراها فدنوت منه وضربت بيدي إلى التكة لآخذها فإذا هو قد عقدها عقداً كثيراً فلم أزل أحلها حتى حللت عقدة منها، فمد يده اليمنى وقبض على التكة فلم أقدر على أخذ يده عنها ولا أصل إليها، فدعتني النفس الملعونة إلى أن أطلب شيئاً أقطع به يده فوجدت قطعة سيف مطروح فأخذتها واتكيت على يده ولم أزل أحزّها حتى فصلتها عن زنده ثم نحيتها عن التكة ومددت يدي لأحلها فمد يده اليسرى فقبض عليها فلم أقدر على أخذها، فأخذت قطعة السيف ولم أزل أحزّها حتى فصلتها عن التكة ومددت يدي إلى التكة لآخذها فإذا الأرض ترجف والسماء تهتز وإذا بجلبة عظيمة وبكاء ونداء وقائل يقول: وا أبتاه وا مقتولاه وا ذبيحاه وا حسيناه وا غريباه يا بني قتلوك وما عرفوك ومن شُرب الماء منعوك. فلما رأيت ذلك صعقت ورميت نفسي بين القتلى وإذا بثلاثة نفر وامرأة وحولهم خلائق وقِرَبٌ وقد امتلئت الأرض بصور الناس وأجنحة الملائكة، إذ بواحد منهم يقول: يا أبتاه يا حسين فداؤك جدك وأبوك وأمك وأخوك، وإذا بالحسين قد جلس ورأسه على بدنه وهو يقول: لبيك يا جداه يا رسول الله، ويا أبتاه يا أمير المؤمنين، ويا أماه يا فاطمة الزهراء، ويا أخاه المقتول بالسم عليكم مني السلام. ثم إنه بكى وقال: يا جداه قتلوا والله رجالنا، يا جداه سلبوا والله نساءنا، يا جداه نهبوا والله رحالنا، يا جداه ذبحوا والله أطفالنا، يا جداه يعز والله عليك أن ترى رحالنا وما فعل الكفار بنا. وإذا هم جلسوا يبكون على ما أصابه وفاطمة تقول: يا أباه يا رسول الله أما ترى ما فعلت أمتك بولدي؟ أتأذن لي أن آخذ من دم شيبه وأخضب به ناصيتي وألقى الله عزَّ وجلَّ وأنا مختضبة بدم ولدي الحسين؟ فقال لها: خذي وأنا آخذ يا فاطمة. فرأيتهم يأخذون من دم شيبه وتمسح به فاطمة ناصيتها والنبي ﷺ وعلي والحسن يمسحون به نحورهم وصدورهم وأبدانهم إلى المرافق. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: فديتك يا حسين يعز والله عليَّ أن أراك مقطوع الرأس مرمل الجبين دامي النحر مكبوباً على قفاك قد كساك

الذراري من الرمول وأنت طريح مقتول مقطوع الكفين، يا بني من قطع يدك اليمنى وثنى باليسرى؟ فقال: يا جداه كان معي جمَّال من المدينة وكان يراني إذا وضعت سراويلي للوضوء فيتمنى أن تكون تكتي له فما منعني أن أدفعها إليه إلا لعلمي أنه صاحب هذا الفعل، فلما قُتلت خرج يطلبني بين القتلى فوجدني جثة بلا رأس فتفقد سراويلي فرأى التكة وقد عقدتها عقداً كثيرة فضرب بيده إلى التكة فحل عقدة منها فمددت يدي اليمنى فقبضت على التكة فطلب المعركة فوجد قطعة سيف مكسور فقطع يميني ثم حل عقدة أخرى فقبضت على التكة بيدي اليسرى كي لا يحلها فتُكشف عورتي فحز يدي اليسرى، فلما أراد حل التكة حس بك فرمى نفسه بين القتلى. لما سمع النبي ﷺ كلام الحسين بكى بكاءاً شديداً وأتى إليَّ بين القتلى إلى أن وقف نحوي فقال: ما لي وما لك يا جمَّال تقطع يدين طالما قبلهما جبرائيل وملائكة الله أجمعين وتباركت بهما أهل السماوات والأرضين؟ أما كفاك ما صنع به الملاعين من الذل والهوان!؟ هتكوا نساءه من بعد الخدور وانسدال الستور، سوَّد الله وجهك يا جمَّال في الدنيا والآخرة وقطع الله يديك ورجليك وجعلك في حزب من سفك دماءنا وتجرّأ على الله. فما استتم دعاؤه ﷺ حتى شلّت يداي وحسست بوجهي كأنه أُلبس قطعاً من الليل مظلماً وبقيت على هذه الحالة، فجئت إلى هذا البيت أستشفع وأنا أعلم أنه لا يُغفر لي أبداً. فلم يبق في مكة أحداً إلا وسمع حديثه وتقرَّب إلى الله تعالى بلعنه، وكلٌّ يقول: حسبك ما جنيت يا لعين ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

وإني لمطوى الضلوع على جوى ... متى حلَّ فوق الجمر يحترق الجمر
أحنُّ إلى أنفاسكم ونسيمكم ... وأذكركم والصب يقلقه الذكر
فقربكم مع قلة المال لي غنى ... وبُعدكم مع كثرة المال لي فقر

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: البكاؤن خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليه السلام. فأما آدم فبكى على الجنة حتى صارت في خديه أمثال الأودية. وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره حتى قيل له: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2]. وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا: أما تبكي بالليل وتسكت بالنهار أو تبكي بالنهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منهما. وأما فاطمة بنت

(1) سورة الشعراء: الآية 227.
(2) سورة يوسف: الآية 85.

محمد فبكت على رسول الله ﷺ حتى تأذى بها أهل المدينة وقالوا لها: قد آذيتينا ببكائك. فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف. وأما علي بن الحسين عليه السلام فإنه بكى على الحسين عليه السلام أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، فيقول: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[1] [يوسف: 68] إني لم أذكر مصرع بنيّ فاطمة إلا خنقتني العبرة.

تعوَّدت مسّ الضرّ حتى ألِفْتَهُ وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر
وصيّرني يأسي من الناس واثقاً بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

روي عن بعض المشايخ قالوا: دخلنا كنيسة في الروم فإذا في الحائط صخرة مكتوب عليها:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فقلنا لشيخ في الكنيسة: منذ كم هذه الكتابة في هذه الصخرة؟ قال: قبل أن يُبعث صاحبكم بثلاثمائة عام. فأكثروا أيها الإخوان من النوح والأحزان على ما أصاب سادات الزمان من أهل البغي والعدوان ولا تبخلوا بالدموع الهتان فإنها السبب التام لدخول الجنان والحور والولدان.

فعلى الأطائب من أهل البيت فلبيكي الباكون وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان فنظم وقال فيهم[2]:

خليليّ مرّا بي على أرض كربلاء نزور الإمام الفاضل المتفضلا
سليل رسول الله وابن وصيه وسيد شبان الجِنان المؤملا
حسين ابن بنت المصطفى خيرة الورى وأكرم خلق الله طراً وأفضلا
قتيل بني حرب وآل أمية فديت القتيل المستظام المجدلا
دعيت بكتب الخدع أن سر مبادراً إلينا وشمِّر للمسير وعجِّلا
فليس لنا إلا جنابك سيد إمام رشيد بالفخار تسربلا
فسار حسين الطهر من أرض يثرب بذرية والأهل والصحب والملا

(1) سورة يوسف: الآية 68.

(2) القصيدة للشيخ راشد بن سليمان الحريري رحمه الله تعالى.

وجدّ السير يطوي الفيافي ميمماً إلى أن أتى في سيره أرض كربلا
فلم ينبعث مهر الحسين بخطوة فقال: ألا يا صاحبي ما هذه الفلا
فقالوا: تسمى كربلا قال: هونوا مسيركم يا قوم قد نزل البلا
ففي هذه يا قوم قتلي ومصرعي وهتك حريمي عاجلاً لا مؤجلا
وفي هذه تضحى الرؤوس على القنا تسير بها الأقوام أن تتمهلا
وفي هذه نبقى على الأرض صرعاً بلا كفن نلقى ولن نتغسلا
قفوا وانزلوا يا قوم إن بهذه نُعلا على رؤوس القنا ونُنزَّلا
فلا حول لي يا قوم بل ولا قوة ولا حكم لي إلا لذي الطول والعلى
فما كان إلا ساعة ثم أقبلت جيوش ابن سعد جحفلاً ثم جحفلا
وحاطوا بمولاي الحسين وصحبه فقال لهم: ما شأنكم أيها الملا
ألم تكتبوا لي بالمسير إليكم فقالوا له: دع عنك هذا التطولا
فليس لنا كتب إليك ولا أتى رسول فاقصر عن كلامك مجملا
فقال: اتركوني نحو يثرب راجعاً فقالوا له: هيهات لن تتحولا
لقد علقت فيكم مخالبنا فلا براح إلى أن تقتلن وتخذلا
فصال عليهم صولة علوية فحكم فيهم أسمراً ثم متصلا
إلى أن سقوا أصحابه جمرة الردى وظلّ وحيداً للأذى متحملا
يكرُّ عليهم كرّة إثر كرّة إلى أن أتاه سهم رجس فجدلا
فخرَّ عن الطرف الجواد لوجهه عفيراً خضيباً بالدماء مغسلا
وأقبل شمر الرجس فاحتزَّ رأسه وكبَّر للّه العلي وهلَّلا
وركَّب رأس السبط فوق قناته كبدر الدجى في دمه قد ترملا
وأقبل مهر السبط يصرخ ناعياً إلى خيمة النسوان يبكي معولا
فلما رأين المهر قد جاء خالياً خرجن من الفسطاط يبكين حفلا
وشققن منهن الجيوب بحسرة وأبرزن من بعد الخدور إلى الملا
وصحنّ: ألا وا سيداه بربه تكاد لها الأطواد أن تتزلزلا
وهبَّت خيول الظالمين بركضها لتجري على جثمانه وتهرولا
وهشَّمت الصدر الكريم وظهره وقطَّعت الأوصال عال وأسفلا

وأظلمت الدنيا وأكسفت شمسها ... وزُلزلت الأرضون منه تزلزلا
وناحت عليه من عظم شجوها ... وجبرائيل نادى في السماء وأعولا
وهتكت النسوان من بعد صونها ... يصحن بشجو لاطمات وذلّلا
بنفسي صريعاً ظامياً مرضضاً ... بنفسي ذبيحاً بالتراب مُغسلا
بنفسي طريحاً نازحاً عن دياره ... تريب المحيا عاري الجسم مجدلا
بنفسي نساء السبط يبكين حوله ... ظمايا حيارى حاسرات وثكلا
بنفسي علي بن الحسين مقيداً ... بقيد ثقيل بالحديد مكبلا
تناديه بالشجو العظيم سكينة ... أيا أبتاه ماذا دهانا وأثكلا
وزينب تدعو جدها يا محمد ... أيا جدنا يا صفوة الله ذي العلا
أيا جدنا يعزز عليك بأن ترى ... حبيبك مقتولاً عفيراً مجدلا
ونادى ابن سعد بالطغاة: ألا ارحلوا ... إلى الشام لم نلبث ولن نتمهلا
وساقوا السبايا حاسرات أذلّة ... وغاروا على ابن الحسين مغللا
وساروا برؤوس الطاهرين وخلفوا ... حسيناً بأرض الطف شلواً مجدلا
تجر عليه السافيات ذيولها ... وتبكي عليه الوحوش والطير في الفلا
أيا لهف نفسي يوم سِير برأسه ... على رأس رمح نوره قد تهلّلا
ونسوته فوق المطايا حواسراً ... بلا وطاء بين الخلائق والملا
ويروى لنا عن جابر أن فاجراً ... لئيماً على فعل النقى لن يعولا
وقد كان جمَّالاً لمولاي آنفاً ... وكان الحسين الطهر للرجس مؤثلا
وكان كثيراً قد يرى معه تكة ... حجازية حازت نساجاً مكمَّلا
وتغشى سنا الأبصار حسناً ورونقاً ... وتشرق إشراقاً كبدر تهلّلا
وكان يقول الرجس: يا ليتها تكن ... لمثلي ملبوساً عطاء معجلا
فلما أتى أرض العراق ميمماً ... وجُدل مولاي الحسين بكربلا
وقد قصد الملعون بطن مغارة ... إلى أن دجى الليل البهيم والبلا
فقام اللعين الرجس جذلان باسماً ... وجاء إلى نحر الحسين معجلا
ومد إلى نحو الحسين يمينه ... ليأخذ منه تكة لن تعولا
فلما أراد الرجس حل عقودها ... فمانعه مولاي أن تتحللا

وشدّ بها يمنى يديه مدافعاً ... فلم يقدر الملعون أن يتوصلا
فحز يمين السبط بالسيف عامداً ... من الزند أبراها عظاماً ومفصلا
وأهوى إليها كي يحل عقودها ... إذا بيسار السبط صار محولا
لم يستطع تحريك كف إمامنا ... فطير منه الكف بالسيف معجلا
فحلَّ سراويل الإمام فأرجفت ... به الأرض رجفاً فانثنى وتزلزلا
فأُسمع ذات الرجس صوت مهول ... فقام اللعين الرجس حيران مجفلا
وجاء إلى القتلى فألقى بنفسه ... إذا برسول الله في الأرض أُنزلا
وأهبطت الأملاك من كل جانب ... تسبِّح لله المهيمن ذي العلا
فنادى رسول الله: يا سبط أحمد ... يعزّ علينا أن نراك مجدلا
يعز علينا أن نراك مرضضاً ... عفيراً نحيراً بالدماء مغسلا
إذا بحسين الطهر قد صار جالساً ... وقال: ألا لبّيك يا سيد الملا
ألا يا رسول الله صالت أمية ... علينا وأسقونا العذاب معجلا
فصاح رسول الله إذ ذاك صيحة ... وأبدى بكاءاً عاجلاً وتوجلا
وجاء على الطهر يبكيه ناعياً ... لوجنة مولاي الحسين مُقَبِّلا
وقال: ألا يا ليتني كنت حاضراً ... فأسقيهم كأس المنون معجلا
يعزّ علينا يا حسين بأن نرى ... لرأسك من فوق القناة محملا
حسين ألا يا شق روحي ومنيتي ... فلم يك جبار السماء ليغفلا
فديتك لا قبراً ولا كفناً أرى ... ولا غاسلاً يأتي إليك ليغسلا
وأقبلت الزهراء تمسح فرقها ... بدم الحسين الطهر حتى تبللا
فقالت: ألاقي الله في يوم حشرنا ... وأشكوا إليه ما ألاقي من البلا
فقال رسول الله: يا سبط أحمد ... فما فعل الرجس اللعين المضلّلا
ومن قطع الكفين منك بسيفه ... ولا راقب الله المهيمن ذا العلا
فقال له: يا جد قد كان صحبتي ... إلى الطف جمَّال وكان مضلّلا
وقد كان ينظر في سراويل تكتي ... فلما قُتلت الآن قام معجِّلا
ليأخذها مني فمانعته وقد ... أقام على الطغيان لن يتبدلا
فقصَّ يدي اليمنى وثنّى بأختها ... وأهوى إلى تلك العقود ليُخلِلا

فلما أحس الرجس أنك هابط ... رمى نفسه كي لا تراه فيُقتلا
فمد رسول الله في الطف طرفه ... رأى الرجس في وسط المغارة فدخلا
فقال رسول الله: يا أرذل الورى ... ويا شر خلق الله طراً وأنذلا
عليك من الله المهيمن لعنة ... وسوَّد منك الوجه يا أرذل الملا
وأشلّل منك الكف يمنى ويسرة ... وأصلاك ناراً حرّها لن يُبَدّلا
فلما استتم الطهر منه دعاؤه ... إذا بيديه قد أبينت من العلا
وسوِّد منه وجهه فكأنه ... ظلامة ليل حالك ليس يُجتلا
ألا لعن الرحمٰن آل أمية ... وعجّلهم ثم الدلام ونعثلا
عليهم من الله الميهمن لعنة ... تغشاهم ما دامت الأرض والفلا
وتغشى يزيد الرجس وابن سمية ... وخولى وشمراً وابن سعد المُضلّلا
وأشياعهم أو من رضي بفعالهم ... وأتباعهم أو من لهم كان قد تلى
أيا سادتي يا آل أحمد أنتم ... ملاذي وذخري لا أبالي بمن قلى
وإني عليكم وافد متوكل ... ولا خيّب الرحمٰن من قد توكلا
أؤمل أن أحظى بحور وجنة ... وحاشاكموا أن تحرموا المتأملا
فدونكم ابن الحريري مذحة ... منمقة الألفاظ تحلو لمن قلى
بها يرتجي منكم شفاعتكم غداً ... ويعلوه ظلّ في الجنان مظلّلا
عليكم سلام الله ما درّ شارق ... وما أن حدى الحادي ورُكَبٌ تُحملا

الباب الثالث

يا إخواني، شهد لهم بالفوز الجليل والثناء الجميل الرب الجليل، فقال تعالى في كتابه المكنون الذي لا يمسه إلاّ المطهرون: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[1]، ولا جهاد أعظم من جهاد أنصار الإمام الحسين عليه السلام، أذن لهم في ترك القتال ومقاسات الأهوال فأبوا واختاروا الموت على الحياة في طاعته وأحبوا مفارقة الدنيا دون مفارقته:

جادوا بأنفسهم في حب سيدهم ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

يعدُّ أحدهم مصافحة الصفاح غنيمة باردة، ومزاحمة الرماح فائدة زائدة، ومكافحة

(1) سورة التوبة: الآية 20.

الكتاب مكرمة عايدة، ومناوحة المقانب منقبة شاهدة.

يرى الموت أولى من ركوب دنية ولا يغتدي للناقصين عديلا
ويستعذب التعذيب فيما يفيده نزاهة عن أن لا يكون ذليلا

فوا حر قلباه على تلك الأجساد بلا مهاد ووساد.

روي أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ وهي تبكي وتقول: خرج الحسن والحسين ولا أدري أين هما؟ فقال: يا فاطمة طيبي نفساً فهما في ضمان الله تعالى حيث كانا. فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: هما في حائط بني النجار نائمان متعانقان وقد بعث الله إليهما ملكاً فبسط جناحاً تحتهما وجناحاً فوقهما. فخرج رسول الله ﷺ وأصحابه معه، فرآهما هناك وحية دائرة كالحلقة حولهما، فأخذهما رسول الله ﷺ على سكينة فحملهما، فقال أصحابه: نحملهما عنك يا رسول الله؟ فقال: نِعم المطية مطيتهما، ونِعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما.

ألا فيا إخواني، هذا هو الشرف الرفيع، والفضل الشامخ المنيع، ولذا حسدوهم على الكمال فجلَّ وعلا مجدهم أن يُنال.

إليكم كل منقبة تؤول إذا ما قيل جدّكم الرسول
وفيكم كل مكرمة تجول إذا ما قيل أمكم البتول
فلا يبقى لمادحكم كلام إذا تمَّ الكلام فما أقول

روي أن فاطمة عليها السلام جاءت إلى رسول الله ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: ضاع مني الحسين فلا أجده. فقام النبي ﷺ واغرورقت عيناه وذهب ليطلبه فلقيه يهودي فقال: يا محمد ما لك تبكي؟ فقال: ضاع ابني، فقال: لا تحزن فإني رأيته على تل كذا نائماً. فقصده النبي ﷺ واليهودي معه فلما قرب من التل رأى ضباً بفمه غصن أخضر يروح به الحسين، فلما رأى الضب النبي ﷺ قال بلسان فصيح: السلام عليك يا زين القيامة، وشهد له بشهادة الحق ثم قال: لم أر أهل بيت أكثر بركة من أهل بيتك لأن ولدي ضاع مني ثلاث سنين فطفت العالم أطلبه فلم أجده فببركة ولدك وجدته الآن فأكافيه. ثم قال ولد الضب: يا رسول الله أخذني السيل فأدخلني البحر ثم ضربت بي الأمواج إلى أن وقعت بجزيرة كذا فلم أجد سبيلاً ومخرجاً منها حتى أهبَّ الله ريحاً فأخذتني وألقتني في هذا الموضع عند أبي. فقال ﷺ: من تلك الجزيرة إلى ها هنا ألف فرسخ. فأسلم اليهودي وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله:

لآل محمد أصبحت عبداً وآل محمد خير البرية

أُنـاس حـلّ فـيـهـم كـل خـيـر مـواريـث الـنـبـوة والـوصـيـة

روى ابن عباس أنه قال: لما ولد الحسين أمر الله عزَّ وجلَّ جبرائيل أن يهبط إلى الأرض بألف من الملائكة المقربين ليهنىء محمداً خاتم النبيين بمولود سيدة نساء العالمين، قال: فهبط جبرائيل مع الملائكة على جزيرة من جزائر البحر فرأى فيها ملكاً يقال له فطرس، وكان قد أرسله الله إلى أمر من أموره فأبطأ عليه فغضب عليه فكسر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة مدة طويلة، فمكث الملك يعبد الله تعالى سبعمائة عام حتى ولد الحسين عليه السلام فقال الملك: يا أخي جبرائيل أين تريد؟ فقال: إن الله تعالى أنعم على محمد بمولود من ابنته فبعثت إليه أهنيه عن الله تعالى، فقال الملك: يا جبرائيل قد مكثت في هذه الجزيرة سبعمائة سنة وقد ضاق صدري وعيل صبري أريد أن تحملني معك إليه لعل محمداً يدعو لي بالعافية ويشفع لي عند الله تعالى في جبر جناحي المكسور. قال: فحمله جبرائيل معه على طرف ريشة من جناحه حتى أدخل به على النبي ﷺ فهنأه جبرائيل من الله تعالى ومنه وأخبره بحال الملك فطرس، فقال النبي ﷺ: يا جبرائيل قل له يقوم ويمسح جناحه بهذا المولود وعد إليَّ. قال: فقام الملك ومسح جناحه المكسور بالحسين عليه السلام فعوفي من ساعته وصار كما كان. فقال الملك فطرس: يا رسول الله، اعلم أن أمتك تقتل ولدك هذا ـ يعني الحسين عليه السلام ـ وله عليَّ مكافأة، يا محمد لا يزوره زائر إلا أبلغته عنه الزيارة، ولا يسلم عليه مسلم إلا أبلغته سلامه، ولا يصلي عليه مصلٍّ إلا أبلغته صلاته. ثم ارتفع طائراً إلى السماء ببركة الحسين سيد الشهداء وهو يقول: من مثلي وأنا عتيق الحسين ابن فاطمة وعتيق جده النبي الأمي.

قال ابن عباس: فهذا الملك لا يعرف في السماء بين الملائكة إلا أن يقال: هذا مولى الحسين عليه السلام.

ونقل عن أبي جعفر في «مصباح الأنوار»: أن الله عزَّ وجلَّ لما غضب على هذا الملك خيّره في عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فاختار عذاب الدنيا فكسر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة وكان معلقاً بأشفار عينيه سبعمائة سنة لا يمر به حيوان من تحته إلا احترق من دخان يخرج منه غير منقطع. فلما أحس بجبرائيل والملائكة النازلين من السماء كان ما كان من أمره بإذن الله تعالى، فعفى الله عنه ببركة الحسين عليه السلام.

فانظروا يا أهل المعالي إلى هذا الشرف العالي، جعلنا الله وإياكم من أشياعهم وأتباعهم ومواليهم:

نـعـم بـادكـاري كـربـلاء ومَـن بـهـا تـفـاقـهـم كـربـي واسـتـحـمَّ بـلائـي

وأنفذ عيني ماءها ببكاءها عليهم وقد أمددها بدمائي
وسِيقَ بنو بنت النبي محمد إلى الشام للذبح العنيف كشائي
فيا ويح قوم قاتلوهم إذا بدا شفيعتهم في معرض الخصماء

عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1] قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي، وفاطمة وابناهما».

وعن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة بهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي. بعلها نور بصري والأئمة من ولدها أمنائي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، ومن اعتصم بهم نجى، ومن تخلّف عنهم هوى».

وعن بلال بن حمامة قال: طلع علينا النبي ﷺ ذات يوم ووجهه مشرق كدائرة القمر، فقام عبد الرحمٰن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ فقال ﷺ: «بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي، وإن الله تعالى زوَّج علياً من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهزَّ شجرة طوبى فحملت رقاقاً ـ يعني صكاكاً ـ بعدد محبي أهل بيتي وأنشأ من تحتها ملائكة من نور ودفع إلى كل ملك صكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق، فلا تلقى محباً لنا أهل البيت إلا دفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار بأخي وابن عمي وابنتي.

عن جابر قال: رأى رسول الله ﷺ على فاطمة كساء من أوبار الإبل وهي تطحن، فبكى وقال: يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً. قال: فنزلت عند ذلك: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾[2].

محن الزمان صحائب مترادفة هي بالفوادح والفواجع ساجمة
وإذا الهموم تعاورتك فسلها بمصاب أولاد البتولة فاطمة

عن ابن عباس قال: كنت جالساً بين يدي النبي ﷺ ذات يوم وبين يديه علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إذ هبط جبرائيل ومعه تفاحة فتحيا بها النبي ﷺ وحيا بها علي بن أبي طالب فتحيا بها علي وقبّلها وردها إلى رسول الله، فتحيا بها رسول الله ﷺ وحيا بها الحسن فتحيا بها الحسن وقبلها وردها إلى رسول الله ﷺ، فتحيا بها رسول الله ﷺ وحيا بها الحسين فتحيا بها الحسين وقبلها وردها إلى النبي، فتحيا بها ﷺ وحيا بها فاطمة

(1) سورة الشورى: الآية 32.
(2) سورة الضحى: الآية 5.

فتحيت بها فاطمة وقبلتها وردتها إلى النبي ﷺ، فتحيا بها الرابعة وحيا بها علي بن أبي طالب فتحيا بها علي بن أبي طالب. فلما همَّ أن يردها إلى النبي ﷺ سقطت التفاحة من بين أنامله فانفلقت نصفين فسطع منها نور حتى بلغ السماء فإذا عليها سطران مكتوبان: (بسم الله الرحمٰن الرحيم: تحية من الله تعالى إلى محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن، والحسين سبطيّ رسول الله، وأمان لمحبيهما يوم القيامة من النار).

وعن أبي سلمان راعي رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلَّ جلاله: آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه، قلت: والمؤمنون؟ قال: صدقت، يا محمد من خلفت في أمتك؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يا رب، قال: يا محمد إني اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشققت لك اسماً من أسمائي فلا أُذكر في موضع إلا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد. ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي. يا محمد إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين. يا محمد لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم، يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يا رب، فقال لي: التفت إلى يمين العرش. فالتفت وإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والمهدي، في ضحضاح من نور قيام يصلُّون وهو في وسطهم ـ يعني المهدي ـ كأنه كوكب دري، وقال: يا محمد هؤلاء الحجج ـ وإنه يعني المهدي، عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم من أعدائي.

هم النور نور الله جلَّ جلاله ... هم التين والزيتون والشفع والوتر
مهابط وحي الله خزَّان علمه ... ميامين في أبياتهم نزل الذكر
وأسماؤهم مكتوبة فوق عرشه ... ومكنونة من قبل أن يخلق الذر
فلولاهم لم يخلق الله آدماً ... ولا كان زيد في الأنام ولا عمرو
ولا سُطِحَت أرض ولا رُفعت سما ... ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر

ونوح بهم في الفلك لما دعا نجى وغيض به طوفانه وقضي الأمر
ولولاهم نار الخليل لما غدت سلاماً وبرداً وانطفىء ذلك الجمر
ولولاهم يعقوب ما زال حزنه ولا كان عن أيوب ينكشف الضر
ولان لداود الحديد بسرهم وقدر في سر يحير به الفكر
ولما سليمان البساط بهم دعا أُسيلت له عين يفيض بها القطر
وسخرت الريح الرخاء بأمره فغدوتها شهر وروحتها شهر
وهم سر موسى في العصا عندما عصى أوامره فرعون والتقف السحر
ولولاهم ما كان عيسى ابن مريم يغادر من طي اللحود له نشر
سرى سرهم في الكائنات وفضلهم فكل نبي فيه من سرهم سر
مصابكم يا آل طٰه مصيبة ورزء على الإسلام أحدثه الكفر

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان فنظم فيهم وقال[1]:

أيفرح من له كبد يذوب وقلب من صبابته كئيب
وقفت بكربلاء فيهجت لي كروباً ليس يشفيها طبيب
ومُثِّل لي الحسين بها غريباً بنفسي ذلك الثاوي الغريب
فلا سعد ابن سعد حين حرب إلى حرب الحسين به الحروب
عجبت لهم وحلم الله عنهم وكل فِعالهم تعس عجيب
حبيب محمد فيهم صريع يناديهم وليس له مجيب
بنات محمد فيهم سبايا ورحل محمد فيهم نهيب
كأني بالنساء مهتكات عليهن الكآبة والشحوب
فلما أن بصرن به صريعاً له خد على الرمضاء تريب
سقطن على الوجوه مولولات وأدمعهن واكفة تصوب
وشققن الثياب عليه حزناً وشقّت منهم أسفاً جيوب

(1) القصيدة للشيخ ابن حماد رحمه الله تعالى.

وأنّت زينب من حزن قلب بنار الوجد محترق يذوب
ونادت: ليت أمي لم تلدني ولم أرى ما الذي بك يا غريب
تنادي أختها: يا أخت قومي فموتك بعد سيدنا قريب
فيا ليت المنية قدمتنا ومتنا قبل ما قُتل الحبيب
أخية لا حيينا بعد هذا فإن حياتنا ليست تطيب
فوا حزناً ووا سلباً إذا ما تراءى جسمه العاري السليب
فيا رب السماء إليك نشكو فأنت على فِعالهم رقيب
سأبكي ما حييت لهم وأبكي وقل لهم بكائي والنحيب
صلاة الله والأملاك تترى عليهم ما سرت في الأرض نيب
سأنشر فضلهم سراً وجهراً وألعن ثم مَن لهم يعيب
وحسبي مدح ساداتي حبيباً بهم أرجو النجاة ولا أخيب
هم نجباء خير الخلق طراً وليس يحبهم إلا نجيب
وذكرهم يبين كل أصل بهم عرف المطهر والمشوب
لعبدكم ابن حماد قريض يلذ سماعه الفطن اللبيب

* * *

المجلس السادس

في اليوم الثالث من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها المؤمنون الناصحون والأتقياء الصالحون، إجروا الدماء من العيون واهجروا لذيذ الرقاب من الجفون لهذا الخطب العظيم والرزء الجسيم، مصاب أبكى الرسول والزهراء البتول والسماء دماً وأقيم له فوق الطباق مأتماً، فوا أسفاه على ما تجرعوه من الحتوف ومرارات حر السيوف.

فيا إخواني، بالغوا في النوح والاجتهاد وأعدوه أكرم الزاد ليوم المعاد على قوم بهم أفيضت عليكم النعم الفاخرة في الحياة الدنيا والآخرة، وكيف لا نحزن لفتية عصمهم الله من الخطأ والزلل وجعلهم سفن النجاة لمن بهم اتصل، كما ورد في الخبر عن سيد البشر أنه قال: «أهل بيتي كسفينة نوح في قومه من ركبها نجى ومن تخلّف عنها هلك». أعلام الله في أرضه وحججه على عباده، فرسان الكلام وولاة الإسلام المجاهدون في سبيل ذي الجلال بالأنفس والأموال، الصابرون على عظم النكال وشديد الوبال:

لهم وجوه على الأنوار مشرقة ... تضيء نوراً بإشراق ولمعان
تضيء أنوار آثار السجود لها ... لما بها من علامات وعنوان
لله كم لهم بالطف من جسد ... مسربل بقميص النقع عريان
ملقى على الأرض هوناً بعد غربته ... بلا حنوط ولا غسل وأكفان
لهفي وقد صرعوا من حوله نفر ... زهر المناقب من شيب وشبان
كأنهم أنجم تنقض من فلك ... وكل نجم هوى رجم لشيطان
لهفي وقد خرّ والرمضاء من دمه ... تُروى ويُقتل فيها غير ديّان
لهفي على مهره إذ مر منقلباً ... يشكو إلى الله من فَقْدٍ ووجدان
لهفي لنسوته يندبنه أسفاً ... لهفي لملهوفة تشكو للهفان
لهفي لفاطمة تدعوه صارخة ... بكسر قلب من الأحزان ملآن

وكل عين على هذا المصاب جرت فكيف لم تجر من عيني عينان
يا آل أحمد يا من طيب ذكرهم إذا تنشقته في الترب أحياني
حزني لكم مثل ودي دائماً أبداً لا ينقضي وصباباتي وأشجاني

روي عن طريق أهل البيت عليهم السلام: أنه لما استشهد الحسين عليه السلام، بقي في كربلاء صريعاً ودمه على الأرض مسفوحاً، وإذا بطائر أبيض قد أتى ومسح بدمه وجاء والدم يقطر منه، فرأى طيوراً تحت الظلال على الغصون والأشجار وكل منهم يذكر الحب والعلف والماء، فقال لهم ذلك الطير المتلطخ بالدم: يا ويلكم أتشتغلون بالملاهي وذكر الدنيا والمناهي والحسين في أرض كربلاء في هذا الحر ملقى على الرمضاء ظام مذبوح ودمه مسفوح!؟. فعادت الطيور كل منها قاصدة كربلاء، فرأوا سيدنا الحسين عليه السلام ملقى في الأرض جثة بلا رأس ولا غسل ولا كفن قد سفت عليه السوافي وبدنه مرضوض قد هشمته الخيل بحوافرها، زوّاره وحوش القفار، وندبته جن السهول والأوغار، قد أضاء التراب من أنواره، وأزهر الجو من إزهاره. فلما رأته الطيور تصايحن وأعلن بالبكاء والثبور وتواقعن على دمه يتمرغن فيه وطار كل واحد من منهم إلى ناحية يُعلم أهلها عن قتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فمن القضاء والقدر: أن طيراً من هذه الطيور قصد مدينة الرسول وجاء يرفرف والدم يتقاطر من أجنحته ودار حول قبر سيدنا رسول الله ﷺ يعلن بالنداء: ألا قُتل الحسين بكربلاء، ألا ذُبح الحسين بكربلاء، فاجتمعت الطيور عليه وهم يبكون عليه وينوحون، فلما نظر أهل المدينة من الطيور ذلك النوح وشاهدوا الدم يتقاطر من الطير ولم يعلموا ما الخبر حتى انقضت مدة من الزمن وجاء خبر مقتل الحسين عليه السلام علموا أن ذلك الطير كان يخبر رسول الله ﷺ بقتل ابن فاطمة البتول وقرّة عين الرسول ﷺ. وقد نقل أنه في ذلك اليوم الذي جاء فيه الطير إلى المدينة أنه كان في المدينة رجل يهودي وله بنت عمياء زمنة طرشاء مشلولة والجذام قد أحاط ببدنها، فجاء ذلك الطائر والدم يتقاطر منه ووقع على شجرة يبكي طول ليلته، وكان اليهودي قد أخرج ابنته تلك المريضة إلى خارج المدينة إلى بستان وتركها في البستان الذي جاء الطير ووقع فيه، فمن القضاء والقدر أن تلك الليلة عرض لليهودي عارض فدخل المدينة لقضاء حاجته فلم يقدر أن يخرج تلك الليلة إلى البستان التي فيه ابنته المعلولة، والبنت لما نظرت أباها لم يأتها تلك الليلة لم يأتها نوم لوحدتها لأن أباها كان يحدثها ويسليها حتى تنام، فسمعت عند السحر بكاء الطير وحنينه فبقيت تتقلب على وجه الأرض إلى أن صارت تحت الشجرة التي عليها الطير،

فصارت كلما حنَّ ذلك الطير تجاوبه من قلب محزون، فبينما هي كذلك إذ وقع من الطير قطرة من الدم فوقعت على عينها ففتحت، ثم قطرة أخرى على عينها الأخرى فبرئت، ثم قطرة على يديها فعوفيت، ثم على رجليها فبرئت؛ وعادت كلما قطرت قطرة من الدم تلطخ بها جسدها، فعوفيت من جميع مرضها من بركات دم الحسين عليه السلام.

فلما أصبح الصباح أقبل أبوها إلى البستان فرأى بنتاً تدور ـ ولم يعلم أنها ابنته ـ فسألها أنه كان لي في البستان بنت عليلة لا تقدر أن تتحرك، فقالت ابنته: والله أنا ابنتك. فلما سمع كلامها وقع مغشياً عليه، فلما أفاق قام على قدميه فأتت به إلى ذلك الطير فرآه واكراً على الشجرة يئن من قلب حزين محترق مما فُعل بالحسين عليه السلام. فقال له اليهودي: بالذي خلقك أيها الطير أن تكلمني بقدرة الله تعالى، فنطق الطير مستعبراً ثم قال: اعلم أني كنت واكراً على بعض الأشجار مع جملة من الطيور قبالة الظهر وإذا بطير ساقط علينا وهو يقول: أيها الطيور تأكلون وتتنعمون والحسين في أرض كربلاء في هذا الحر على الرمضاء طريحاً ظامياً والنحر دام ورأسه مقطوع على الرمح مرفوع، ونساءه سبايا حفاة عرايا، فلما سمعن بذلك تطايرن إلى كربلاء فرأيناه في ذلك الوادي طريحاً، الغسل من دمه، والكفن الرمل السافي عليه، فوقعنا كلنا ننوح عليه ونتمرغ بدمه الشريف وكان كل منا طار إلى ناحية، فوقعت أنا في هذا المكان. فلما سمع اليهودي ذلك تعجب وقال: لو لم يكن الحسين ذا قدر رفيع عند الله ما كان دمه شفاء من كل داء. ثم أسلم اليهودي وأسلمت البنت وأسلم خمسمائة من قومه.

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القناة يُدار

روي أن فاطمة الزهراء عليها السلام ندبت ولدها الحسين من قبل أن تحمل به، ولقد ندبته بالغريب العطشان البعيد عن الأوطان، الظامي اللهفان، المدفون بلا غسل ولا أكفان. ثم قالت لأبيها: يا رسول الله من يبكي على ولدي الحسين من بعدي؟ فنزل جبرائيل من الرب الجليل يقول: إن الله تعالى ينشىء له شيعة تندبه جيلاً بعد جيل. فلما سمعت كلام جبرائيل سكن بعض ما كان عندها من الوجل. ولله در من قال من الرجال[1]:

شغل الدموع عن الديار بكاؤها لبكاء فاطمة على أولادها

(1) القصيدة للسيد المرتضى رحمه الله تعالى.

وا لـهـفـتـاه لـعـصـبـة عـلـويـة تـبـعـت أمـيـة بـعـد ذلّ قـيـادهـا
الله سـابـقـكـم إلـى أرواحـهـا وكـسـبـتـم الآثـام فـي أجـسـادهـا
إن قـوِّضـت تـلـك الـقِـبـاب فـأنـهـا خـرّت عـمـاد الـديـن قـبـل عِـمـادهـا
هـي صـفـوة الله الـتـي أحـيـا لـهـا وقـضـى أوامـره إلـى أمـجـادهـا
تـروي مـنـاقـب فـضـلـهـا أعـداؤهـا أبـداً فـتـسـنـدهـا إلـى أضـدادهـا
يـا فـرقـة أضـاعـت دمـاء مـحـمـد وبـنـيـه بـيـن يـزيـدهـا وزيـادهـا
صـفـدت بـمـال الله مـلأ أكـفـهـا وأكـف آل الله فـي أصـفـادهـا
ضـربـوا بـسـيـف مـحـمـد أبـنـاءه ضـرب الـغـرائـب عـدن بـعـد زيـادهـا
يـا يـوم عـاشـوراء كـم لـك لـوعـة تـتـرقـص الأحـشـاء فـي إيـقـادهـا
مـا عـدت إلا عـاد قـلـبـي غـلـة حـزنـي ولـو بـالـغـت فـي إيـرادهـا

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بي أنذرتم ثم بعلي بن أبي طالب اهتديتم، وقرأ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]، وبالحسن أُعطيتم الإحسان، وبالحسين تُسعدون وبه تشقون. ألا وإنما الحسين باب من أبواب الجنة من عانده حرَّم الله عليه رائحة الجنة».

وروي: أن رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه إلى طعام دُعوا له، فتقدم رسول الله ﷺ أمام القوم والحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق يفر ها هنا مرة وها هنا مرة، فجعل رسول الله ﷺ أيضاً يضاحكه حتى أخذه. قال: فوضع إحدى يديه تحت فاهه والأخرى تحت ذقنه، فوضع فاهه على فيه فقبله وقال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسيناً سبط من الأسباط».

حَسْب الـذي قـتـل الـحـسـيـن مـن الـخـسـارة والـنـدامـة
أن الـشـفـيـع لـدى الإلٰـه خـصـيـمـه يـوم الـقـيـامـة

ذكر أحمد بن أعثم الكوفي: أن الفرزدق لقى الحسين وسلم عليه ودنا منه فقبّل يده، فقال له الحسين عليه السلام: من أين أقبلت يا أبا فراس؟ فقال: من الكوفة يا ابن رسول الله، قال: فكيف خلفت أهل الكوفة؟ قال: خلفت قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء. فقال له الحسين: صدقت وبررت، إن الأمر لله يفعل ما يشاء ربنا تبارك وتعالى كل يوم هو في شأن، فإن نزل القضاء بما نحب

(1) سورة الرعد: الآية 7.

فالحمد لله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلن تبعد من الحق بلية. فقال له الفرزدق: يا ابن رسول الله وكيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته؟ قال: فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً ثم قال: رحم الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحيته ورضوانه، أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا. قال: ثم أنشأ يقول:

فإن تكن الدنيا تُعد نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أُنشئت ... فقتل امرىء في الله بالسيف أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً ... فقلة حرص المرء في الرزق أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

ثم ودعه الفرزدق في نفر من أصحابه ومضى يريد مكة، فأقبل عليه ابن عم له من بني مجاشع فقال: يا أبا فراس هذا الحسين بن علي، فقال الفرزدق: هذا الحسين بن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى، هذا والله ابن خيرة الله وأفضل من مشى على الأرض من ولد آدم أبي البشر، وقد كنت قلت أبياتاً قبل اليوم فلا عليك إن تسمعها، فقال له ابن عمه: ما أكره ذلك يا أبا فراس فإن رأيت أن تنشدني ما قلت فيه؟ فقال الفرزدق: نعم، أنا القائل فيه وفي أبيه وأخيه وجده هذه الأبيات:

هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحِلُّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العَلَم
هذا حسين رسول الله والده ... أمست بنور هداه تهتدي الأمم
هذا ابن فاطمة الزهراء عترتها ... أئمة الدين مجرياً به القلم
إذا رأته قريش قال قائلها: ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
بكفه خيزران ريحه عبق ... بكف أروع في عرنينه شمم
يغضى حياء من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الدجى عن نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت أرومته والخيم والشيم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم فوز ومعتصم
يُستدفع الظلم والبلوى بحبهم ... ويستقيم به الإحسان والنِّعم

إن عُدَّ أهل الندى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل: هُمُ
لا يستطيع جوازاً بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
بيوتهم في قريش يُستضاء بها ... في النائبات وعند الحَكَم إن حكموا
وجده من قريش في أرومتها ... محمد وعلي بعده عَلَم
بدر له شاهد والشعب من أُحد ... والخندقان ويوم الفتح قد علموا
وخيبر وحنين يشهدان له ... وفي قريضة يوم صيلم قتم
مواطن قد علت في كل نائبة ... على الصحابة لم أكتم كما كتموا

ثم أقبل الفرزدق على ابن عمه ذلك، فقال: والله لقد قلت فيه الأبيات غير متعرض لمعروفه ولكن أردت الله بذلك والدار الآخرة.

فعلى مثل هؤلاء الأطائب فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[1]:

هاج حزني وهاج حرّ لهيبي ... وشجاني ذكر القتيل الغريب
وجفّت مقلتيّ كراهاً وسحت ... سحب أجفانها بدمع سكوب
وقليل لمن يمثل مولاه ... لدى الطف ذا حيين تريب
فيض دمع على الخدود وتسهاد ... جفون قرحى وطول نحيب
كربلاكم تركت عندي كروباً ... برزايا تذيب حب القلوب
كم هوى في ثراك من بدر تمّ ... وأضرّ النوى بغصن رطيب
لهف نفسي على ابن بنت رسول الله ... يدعو وما له من مجيب
قائلاً: ليس في الأنام ابن بنت ... لنبيٍّ غيري فلا تغدروا بي
هل على بدعة أبحتم دمي، أم ... كنت قصَّرت ساهياً عن وجوب
لهف قلبي لطفله فوق كفيه ... بصدر ظام ونحر خضيب
وهو يستقبل الدماء ويلقيها ... ويبدي شكواه للمستجيب
لهف نفسي لزينب تلطم الوجه ... فتدمي خدودها بالندوب
وتناديه: يا أخي يا ابن أمي ... يا شقيقي أسلمتني للخطوب
أين جدي، أين البتول، ألا أين ... علي، وا وحدتي وا لهيبي

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله تعالى.

لهف نفسي لسبي فاطمة الصغرى ولهفي لقلبها المرعوب
لهف نفسي على سكينة من خوف الأعادي تبكي بدمع صبيب
لهف نفسي لأم كلثوم من سلب نقاب ومحجر منهوب
لست أنسى رأس الحسين كبدر التم يبدو في رأس رمح كعوب
يا لثارات أحمد وعلي من شنيع جرى وأمر عصيب
أيرى ثغر ابن فاطمة يقرعه أرذل الورى بالقضيب
يا ابن بنت النبي يا ابن الذي أودعه الله سر علم الغيوب
ليت أن الوصي وافاك بالطف فلم تخش من أذى وكروب
ولقد أخبر الرواة عن الشيخ المفيد الحبر الصدوق الأريب
يسند النقل عن رجال ذوي عدل ثقاة لا نقل إفك وحوب
أخبر العامري عن جابر بن الحر يوماً بغير شك مريب
قال يرويه عن جويرية العبدي فيما رواه غير كذوب
قال: لما توجه المرتضى يطلب صفين مؤذناً للحروب
مرّ في كربلاء فقام بها مستعبراً باكياً بقلب كئيب
ثم نادى: هذا مناخ رِكاب القوم يفنون من شباب وشيب
ومحطُّ الرِحال منهم وتفوق المنايا بكل سهل مصيب
وكأني بهم وهم بين مقتول بكرب الظما وعار سليب
يدخلون الجنان ولم يسألوا عن واجب كلفوا ولا مندوب
بأبي افتديتهم وإلى الله احتسابي والله خير حسيب
فعجبنا من أمره حيث لا ينفك يأتي بكل أمر عجيب
فعرفنا لما رأينا حسيناً ثَم ملقى فضل الإمام النجيب
وعلمنا بأن كشف الطويات وتكليمه لجان وذيب
وخطاب الإلٰه بالطائر المشهور جهراً وردّ شمس المغيب
لم تكن في الأنام إلا لمستودع سر من القريب المجيب
يا بني أحمد إليكم تطرّبت بمدحي وأنتم مطلوبي
بكم يرتجي الخليعي في الحشر أماناً من موبقات الذنوب

الباب الثاني

أيها المؤمنين الصالحين، كيف لا تحزنون على سادات العباد، وأنوار الله في جميع الأقطار والبلاد، وحجج الله على الخلائق، ولسانه الناطق، والشهداء على الأمم بين يدي بارىء النسم، وهم بين قتيل بالسم، وآخر مضرّج بالدم، أترونهم ما علموا فضلهم الذي أجمع عليه كافة المسلمين؟ أم عساهم جهلوا رتبتهم العالية عند رب العالمين؟ كلا ولكن أغواهم الشيطان وأوصلهم إلى دار الهوان ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

أيأمن وحش البر غائلة الورى ... وآل النبي المصطفى غير آمن
تكدّرت الدنيا عليهم وقد صفت ... لكل عنيدٍ جاهل متماجن

فيا خيبة ظالميهم كيف لم يتفطنوا بما ورد فيهم؟ فما صح روايته من طريق الخصم مرفوعاً إلى أحمد بن حنبل عن علي عليه السلام قال: أخذ النبي ﷺ بيد الحسن والحسين فقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي يوم القيامة».

وبالإسناد المذكور مرفوعاً إلى علي عليه السلام قال: دخل رسول الله ﷺ وأنا نائم في المنام فاستسقى الحسن والحسين، قال: فقام النبي ﷺ إلى شاة لنا كي يحلبها فحلبها فدّرت فجاء الحسين فنحاه النبي ﷺ، فقالت فاطمة: يا رسول الله كان الحسن أحبهما إليك؟ فقال: «لا لكن أستسقي قبله». ثم قال: «إني وإياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة».

وبالإسناد المذكور قال: كان الحسن والحسين يأتيان رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فيثبان عليه فإذا نُهيا عن ذلك أشار بيده: دعوهما، فإذا قضى الصلاة ضمهما وقال: «من أحبني فليحب هذين».

وبالإسناد المذكور عن علي عليه السلام قال: في الجنة درجة تسمى الوسيلة وهي لنبي أو لرسول، فإذا سألتموها لي!، قالوا: ومن يسكن معك فيها؟ قال: فاطمة والحسن والحسين.

أيا بني الوحي والتنزيل يا أملي ... يا مَن ولاهم غداً في البر يؤنسني
حزني عليكم جديد دائم أبداً ... ما دمت حياً إلى أن ينقضي زمني

روي: أنه لما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان وقُتل شهيداً وقُطع رأسه الشريف، أمر عمر بن سعد، لعنه الله، بدفن جميع الخوارج والمنافقين من بني أمية

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

وتركوا الحسين عليه السلام على وجه الأرض ملقى بغير دفن وكذلك أصحابه، وجاؤوا بالنساء قصداً وعناداً وعبّروهم على مصارع آل الرسول، فلما رأت أم كلثوم أخاها الحسين عليه السلام وهو مطروح على وجه الأرض تسفوا عليه الرياح وهو مكبوب مسلوب، وقعت من أعلى البعير إلى الأرض وحضنت أخاها الحسين وهي تقول ببكاء وعويل: يا رسول الله انظر إلى جسد ولدك ملقى على الأرض بغير غسل، كفنه الرمل السافي عليه، وغسله الدم الجاري من وريده، وهؤلاء أهل بيته يُساقون أسارى في سبي الذلّ ما لهم مُحام يمانع عنهم، ورؤوس أولاده مع رأسه الشريف على الرماح كالأقمار. فلما أحسوا بها عَنفوها وأركبوها وصاروا بها باكية لا ترقى لها دمعة ولا تبطل لها حسرة.

ستسأل تيم عنهم وعديها ... وبيعتهم من أفجر الفجرات
هم منعوا الآباء عن أخذ حقهم ... وهم تركوا الأبناء رهن شتات
وهم عدلوها عن وصي محمد ... فبيعتهم جاءت على الفلتات

روي: أن فاطمة عليها السلام لا زالت بعد رسول الله ﷺ معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة الركن من المصيبة بموت النبي ﷺ وهي مغمومة مهمومة محزونة مكروبة كئيبة باكية العين محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وحين تذكره وتذكر الساعات التي كان يدخل فيها عليها فيعظم حزنها مرة بعد مرة، وتنظر مرة إلى الحسن ومرة إلى الحسين وهما بين يديها فتقول: أين أبوكما! النبي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة؟ أين أبوكما، النبي كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على وجه الأرض؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون فقد والله جدكما وحبيب قلبي ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً ولم يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما. ثم إنها مرضت مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها الذي توفيت فيه، فلما نُعيت إليها نفسها دعت أم أيمن وأسماء بنت عميس ووجهت خلف علي وأحضرته وقالت: يا ابن العم أنه قد نُعيت إليَّ نفسي وأنني لأرى ما بي لا شك، ألا إنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي. قال لها علي عليه السلام: أوصيني بما أحببت يا ابنة رسول الله ﷺ. فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ثم قالت: ابن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائبة ولا خالفتك منذ عاشرتني. فقال عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله أن أوبخك بمخالفتي، فقد عزَّ عليَّ مفارقتك وفقدك إلا أنه أمر لا بد منه، والله جددت عليَّ مصيبة رسول الله ﷺ وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء لها ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعة واحدة على رأسها وضمها إلى صدره، ثم قال: أوصيني بما شئت تجديني وفياً أمضي كل ما أمرتني به وأختار أمرك على أمري. ثم قالت: جزاك الله عني خير الجزاء. يا ابن العم، أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لا بد لهم من النساء. ثم أوصيك يا ابن العم أن تتخذ لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال لها: صفيه لي، فوصفته فاتخذه لها، فأول نعش عُمِلَ على وجه الأرض ذلك وما رأى أحد قبله. ثم قالت: أوصيك أن لا يشاهد أحداً جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقي فإنهم عدوي وعدو رسول الله، ولا تترك أن يصلي عليَّ أحد منهم ومن أتباعهم، وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار. ثم توفيت صلوات الله عليها.

وعن ابن عباس أنه قال: لما جاء فاطمة الأجل لم تحل ولم تصدع، ولكن أخذت بين الحسن والحسين، فذهبت بهما إلى قبر النبي ﷺ فأجلستهما عنده ثم وقفت بين المنبر والقبر فصلّت ركعتين ثم ضمَّت الحسن والحسين إلى صدرها والتزمتهما وقالت: يا أولادي أجلسا عند أبيكما ساعة ـ وعلي عليه السلام يفتي في المسجد ـ، ثم رجعت من عندهما نحو المنزل فحملت ما فضل من حنوط النبي ﷺ فاغتسلت به ولبست فضل كفنه وقالت: يا أسماء ـ وهي امرأة جعفر الطيار ـ فقالت: لبيك يا بنت رسول الله، قالت: تعاهديني فإني أدخل هذا البيت فأضع جنبي ساعة فإذا مضت ساعة ولم أخرج فناديني ثلاثاً فإن أجبتك وإلا فاعلمي أني لحقت برسول الله ﷺ. ثم قامت مقام رسول الله ﷺ في بيتها فصلّت ركعتين، ثم جللت وجهها بطرف ردائها وقضت نحبها.

وفي نقل آخر: أنها ماتت في سجودها.

فلما مضت ساعة، أقبلت أسماء فنادت: يا فاطمة الزهراء، يا أم الحسن والحسين، يا بنت رسول الله، يا سيدة نساء العالمين. فلم تجب، فإذا هي ميتة.

قيل لابن عباس: كيف علمت وقت وفاتها؟ قال: أعلمها أبوها.

ثم إن أسماء شقّت جيبها وقالت: كيف أجتري أن أخبر ابنيّ رسول الله ﷺ بوفاتك؟ ثم خرجت فتلقاها الحسن والحسين فقالا: أين أمنا؟ فسكتت، فدخلا البيت فإذا هي ممتدة فحركها الحسين فإذا هي ميتة فقال: يا أسماء آجرك الله في الوالدة. وخرجا يناديان: يا محمداه، يا أحمداه، اليوم جدد لنا موتك إذا ماتت أمنا.

ثم أخبرا علياً وهو في المسجد فغشي عليه حتى رش عليه الماء، فلما أفاق حملهما حتى أدخلهما إلى بيت فاطمة وعند رأسها أسماء تبكي وتقول: وا إبنا محمداه كنا نتعزى

بفاطمة بعد موت جدكما فبمن نتعزى بعدها؟ فكشف علي عن وجهها فإذا برقعة عند رأسها، فنظر إليها فإذا فيها: (بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله، وهي تشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور. يا علي، أنا فاطمة بنت محمد زوَّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيرك، حنطني وغسلني وكفني وصلِّ عليَّ وادفني بالليل ولا تُعلم أحداً. وأستودعك الله واقرأ ولديّ السلام إلى يوم القيامة).

فلما جن الليل غسلها علي ووضعها على السرير وقال للحسين: ادع لي أبا ذر. فدعاه فحملاها إلى المصلى، فصلى عليها ثم صلى ركعتين ورفع يده إلى السماء فنادى: هذه بنت نبيك فاطمة أخرجها من الظلمات إلى النور. فأضاءت الأرض ميلاً في ميل، فلما أرادوا أن يدفنوها نادوا من بقعة من البقيع: إليَّ إليَّ، فقد رفع تربتها مني. فنظروا فإذا بقبر محفور، فحملوا السرير إليه فدفنوها، فلما أنزلها علي والحسن والحسين عليهم السلام جلس علي على شفير القبر فقال: يا أرض استودعتك وديعتي، هذه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. فنودي منها: يا علي أنا أرفق بها منك فارجع ولا تهتم. فرجع وانسدّ القبر واستوت الأرض فلم يُعلم أين كان إلى يوم القيامة.

وفي نقل آخر: أنها لما توفيت عليها السلام صاح أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهن وهن يقلن: يا سيدتاه، يا بنت رسول الله. وأقبل الناس إلى علي وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبكيان والناس يبكون لبكائهما، وخرجت أم كلثوم عليها برقعها وهي تجر ذيلها متجللة برداء عليها تسحبه وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله الآن فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً. واجتمع الناس فجلسوا وهم يرجون أن تخرج الجنازة ليصلُّوا عليها، فخرج أبو ذر فقال: انصرفوا فإن بنت محمد قد أُخِّر إخراجها في هذه العشية. فانصرف الناس، فلما أن هدأت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها علي والحسنان وعمار والمقداد وعقيل وأبو ذر وسلمان ونفر من بني هاشم ودفنوها في جوف الليل وسوَّى علي عليه السلام حولها قبوراً مزورة حتى لا يعرف قبرها. وقال عند دفنها: السلام عليك يا رسول الله عني ومن ابنتك النازلة في جوارك السريعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورقّ عنها تجلدي، ألا أن لي في التأسي بعظم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري

نفسك فإنا لله وإنا إليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم وستنبئك فأحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد، والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم، فإن أنصرف لا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين.

قال الأصبغ بن نباتة: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن علة دفن فاطمة ليلاً، فقال عليه السلام: أنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من لا أتولاهم أن يصلي على أحد من ولدها.

قال عبد الرحمٰن الهمداني: لما دفن علي فاطمة قام على شفير القبر وأنشأ يقول:

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل
سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل

فتفكروا يا إخوان الدين على هؤلاء الكفرة الملاعين كيف انتهزوا في أهل بيت الرسول الفرص وجرعوهم كاسات الغصص، ضيعوا من الرسول وصيته وابتزوا نحلته وشحوا ببلغة ذريته وغدروا ببيته وعترته شردوهم عن الأوطان وتتبعوهم في كل مكان، فوا حسرتان عليهم، ووا لهفتاه لديهم.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم فلينذب النادبون، وعليهم فلتذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[1]:

أيحسن من بعد الفراق سرور ... وكيف وعيشي بعد ذاك مرير
تنكرت الأيام من بعد بُعدهم ... فعيني عبرى والفؤاد كسير
على لذة العيش الحشاء وهل ترى ... يلذذ مكروب الفؤاد أسير
يقول عذولي أين صبرك إننا ... عهدناك لا تخشى وأنت صبور
تروح عليك النائبات وتغتدي ... وما أنت مما يعتريك ضجور
إذا ما عرى الخطب المهول وأصبحت ... له نوب أمواجهن تمور
لبست له الصبر الجميل ذريعة ... فقلبك مرتاح وأنت قرير
فأي مصاب هدّ ركنك وقعه ... فقلبك فيه حرقة وزفير

(1) القصيدة للشيخ علي بن عبد الحميد رحمه الله تعالى.

لحى الله عذالي أما علموا الذي ... عراني ومما الدمع ظلّ يفور
أعاذل خلِّ اللوم عني فإنه ... أصابك إثم لو علمت كبير
أتنسى مصاب السبط نفسي له الفدا ... مصاب له قتل النفوس حقير
أبى الذل لما حاولوا منه بيعة ... وإن حسيناً بالإباء جدير
وراح إلى البيت الحرام يؤمه ... بعزم شديد ليس فيه قصور
فجاءته كتب الغادرين بعهده ... فاقدم إلينا فالنصير كثير
فقدم من قبل القدوم بمسلم ... فأسلمه العادون وهو كسير
فألقوه من فوق الجدار معفراً ... له طيب جنات الخلود مصير
ووافاهم حتى أناخ بكربلا ... على أنهم عون له ونصير
فلما أتاه الحر بالخيل ضمراً ... جياد على أصواتهن شرور
فقال: علينا أم لنا، قال بل إلى ... قتالك يا ابن الأكرمين نسير
فقال: أما كاتبتموني وقلتم ... إلينا فها كل إليك يشير
فقالوا: كذبنا كي يحط بك الردى ... ونشفي بأخذ الثأر منك صدور
وجاء ابن سعد بالجيوش كأنها ... غمام تغاديها صبا ودبور
فقال لهم: يا عصبة الكفر إنني ... لعمري على مر الزمان صبور
أما فاطم أمي، أما حيدر أبي ... وجعفر عمي في الجنان يطير
أما جدي الهادي، أما أنا سبطه ... أما بذوي القربى إليَّ يشير
بأي اجترام أم بأي جناية ... أبحتم قتلي أن ذا لغور
فقالوا: أطع حكم الأمير فإننا ... إلى أمره فيما يقول نصير
وإلا فدع عنك الجدال وقم إلى ... القتال فإن القول منك كثير
فلما رأى أن لا مناص من الردى ... وإن مراد القوم منه كبير
فقال لأهليه وباقي صحبه: ... ألا إن لبثي فيكم ليسير
عليكم بهذا الليل فاستتروا به ... وقوموا وَجِدُّوا في الظلام وسيروا
ويأخذ كل منكم يد واحد ... من الآن واخفوا في البلاد وغوروا
فما بغية الأرجاس غيري وخالقي ... على كل شيء يبتغيه قدير
فقالوا: معاذ الله نسلمك للعدى ... وتضفي علينا للحياة ستور

فأي حياة بعد فقدك نرتجي وأي فؤاد يعتريه سرور
ولكن نقي عنك الردى بسيوفنا لنحظى بدار النعيم وحور
فقال: جُزيتم كل خير فأنتم لكل الورى يوم القيامة نور
فأصبح يدعو: هل مغيث يغيثنا فقلّ مجيبوه وعزّ نصير
ولم تبق إلا عصبة علوية لهم عزمات ما بهن قصور
ولما شبّت نار الحروب وأضرمت وقت نفسه هام لهم ونحور
ولم أنسه يوم الهياج كأنه هزبر له وقع السيوف زئير
يكرّ عليهم والحسام بكفه فلم ير إلا صارخ وعفير
وراح إلى نحر الخيام مودعاً يهمهم بالقرآن حيث يسير
فقمن إليه الفاطميات حسراً يفدينه والمعولات كثير
فقال: استعينوا بالإلٰه فإنه عليم بما يخفي العباد بصير
ألا لا تشققن الجيوب ولا يُرى لكن عويل إن ذاك غرور
ألم تعلمي يا أخت أن جميع مَن على الأرض كل للممات يصير
عليك بزين العابدين فإنه إمامك بل للمؤمنين أمير
أطيعي له إن قال مولى فإنه المُطاع بأحكام الكتاب خبير
عليَّ بطفلي كي أودعه إنني عليه لعمري مشفق وحذير
فلما أقل الطفل يطلب لثمه ومن حوله خيل العداة تدور
رموه بسهم ظلّ منه معفراً وظل دم الأوداج منه يفور
فقال: إلٰهي أنت أعلم بالذي لقيت وهذا في رضاك يسير
وشد عليهم شدة علوية تكاد لها الصم الصلاد تمور
فقاتلهم فرداً وحيداً وإذا هم ثلاثون ألفاً دارع وحسير
يفرون كالمعزى إذا شدّ نحوهم أبو أشبل عبل الذراع مبير
إذا ما سطا شاهدت هاماً مفلقاً وأيد من الضرب الدراك تطير
بخط يخط القنا في ظهورهم خطوطاً لها وقع السيوف سطور
إذا جردت أطباق الطباق وقد غدا له فوق أملاك السماء سرير
له زجل كالرعد والبرق سيفه فيمطرهم حتفاً لهم فيبير

ذوابله شهب الشياطين كلما دنا منه شيطان رمته شرور
فلما رأوا أن لا وصول إلى الذي يريدون والأمر المراد خطير
تنادوا ألا بالنبل نيل مرادكم وإلا فخلوا عن لقاه وسيروا
فظلت بنو الزرقاء ترشق وجهه بنبل له نحو الحسين درورا
رموه بسهم طاح في وسط لبّه وآخر في نحر الحسين يفور
فخرّ صريعاً لليدين مرمل الترائب لا يلوي عليه نصير
وجاء سنان فارتقى فوق صدره وظل لأوداج الحسين يبير
وعلا كريم السبط من فوق ذابل كبدر مطل في البلاد يسير
فيا ذلّة الإسلام من بعد عزّه ويا لك رزء في الأنام خطير
وأي حياة بعد ذي الرزء يرتجى وأي فؤاد يعتريه سرور
فيا عبرتي سحي ويا حرقتي ازدري ويا نفس ذوبي فالمصاب كبير
على طيب عيش لو صفا بعدك العفا وظلمة حزني لا أضاء لك نور
ومر جواد السبط يبدي صهيله إلى نعي مولاي الحسين يُشير
فقمن إليه الفاطميات حسراً يقلن: ألا ويل لكم وثبور
قتلتم حسيناً ليت لا در فوقكم سحاب هطول صوبهن درور
وراحوا إلى سلب الفواطم جهرة وظل علي في القيود أسير
ولم أنس بنت المرتضى زينباً وقد رأته صريعاً والدماء تفور
فنادت بأعلى صوتها مستجيرة ألا هل لنا مما نراه مجير
أيا جد لو عاينت سبطك بالعرا قتيلاً بأرض الطف وهو عفير
أيا جد لو عاينتنا ورأيتنا أسارى إلى نحو الشئام نسير
أخي يا أخي ما كان أسرع فرقتي ألا أن دهري بالكرام عثور
حيارى على الأقتاب تبدي وجوهها وكان لعمري دونهن ستور
بناتك يا جداه تبدوا جسومها ونسوة حرب دونهن قصور
ألسنا ذوي القربى، أما حقنا على الأنام به نص الكتاب يُشير
أما قلت يا جد: احفظوهم فإنهم لكم عصم فيها الحياة ونور
فلو لم تقل هذا ترى كأن أمرنا إلى بعض ما قد صيّروه يصير

فأبكت جميع الناس طراً بنوحها لعمري كبير منهم وصغير
لقد هدموا الدين الحنيف بقتله وظل عمود الدين وهو كسير
وأنى ليعرفوني إذا ما ذكرتهم غرام تكاد النفس منه تطير
أفكر في هذا المصاب فأغتدي كأني رغاء في الرغاء أغور
وقال أناس جلّ أنير هالكاً ولكن لعيش راح وهو نظير
وليس كما قالوا ولكن إلٰهنا ابتلاه لكي يلقاه وهو صبور
فيجزيه بالفضل العميم وجنة النعيم ويجزي قاتليه سعير
أيا آل طٰه والحواميم والنسا ومَن بهم يرجو النجاة أسير
وعودكم دار الرضا ووعيدكم سعير لها في الظالمين سعير
علي فتى عبد الحميد بمدحكم طروب بكم يوم الحساب قرير
بحبكم يعلو على قمم العلا وأنتم له يوم القيامة نور
ومن أنتم عون له في وجودكم فمتن بأن يلقى الرسا وجدير
منحتكم مدحي رجاء شفاعة لدى الحشر والراجي لذاك كثير
خذوها قصيداً يخجل الشمس نورها ويعجز عنها جرول وجرير
إذا نثرت بين الملا بمديحكم تضوَّع منها مندل وعبير
محررة قد زانها بث مدحكم وما شأنها عما يُراد قصور
عليكم سلام الله ما لاح بارق وما غردت فوق الغصون طيور

الباب الثالث

يا إخواني، سارعوا إلى الخيرات، وارتقوا إلى أعالي الدرجات، واجتهدوا في شكر من بفضله أولاكم؛ ودلكم على موالات وليّكم ومولاكم، فتابعوه إن كنتم تحبوه فما أمكنكم من الأقوال والأعمال فإنه لا خير في قول تكذبه الفعال، وأعدوا ذلك من أتم النعم الواصلة إليكم والتي أفاضها الله وأسبغها عليكم، فيا لها نعمة فاز بها المؤمنون فأغنت عنهم يوم لا ينفع مال ولا بنون.

فيا إخواني، إن نظرتم ببصر بصيرتكم عرفتم مَن تقصدونه بعزيتكم، إنكم والله تعزُّون البتول والنبي المصطفى الرسول، والوصي المرتضى والزكي المجتبى وأئمة الهدى وذوي النهى وحجج الله في الورى، فبالله عليكم أيها المحبون لأولاد فاطمة الزهراء نوحوا

واندبوا على المنبوذين بالعراء، المسلوبين لأولاد الأدعياء، المحمولين على أقتاب الجِمال بلا مهاد ولا وطاء:

أصيبت ذراري المصطفى بمصيبة تُجدِّد حزني كل يوم مُجدَّد
أذاب فؤادي رزؤهم فبكيتهم لأنهم فخري وذخري وسؤدد
فكيف يلذّ لي عيش أو أعرف الكرى وقلبي على جمر الغضا يتوقد

روي عن بعض الثقاة الأخيار: أن الحسن والحسين عليهما السلام دخلا يوم عيد على حجرة جدهما رسول الله ﷺ فقالا: يا جداه اليوم يوم العيد وقد تزيَّن أولاد العرب بألوان اللباس ولبسوا جديد الثياب وليس لنا ثوب جديد وقد توجهنا لجنابك لنأخذ عيديتنا منك ولا نريد سوى ثياب نلبسها. فتأمل النبي ﷺ إلى حالهما وبكى ولم يكن عنده في البيت ثياب تليق بهما ولا رأى أن يمنعهما فيكسر خاطرهما، فتوجه إلى الأحدية وعرض الحال على الحضرة الصمدية وقال: إلٰهي اجبر قلبهما وقلب أمهما. فنزل جبرائيل من السماء تلك الحال ومعه حلتان بيضاوتان من حلل الجنة، فسُرَّ النبي ﷺ وقال لهما: يا سيديّ شباب أهل الجنة هاكما أثوابكما خاطهما خياط القدرة على طولكما أتتكما مخيطة من عالم الغيب. فلما رأيا الخلع بيضاً قالا: يا جداه كيف هذا وجميع الصبيان العرب لابسون ألوان الثياب؟ فأطرق النبي ﷺ ساعة متفكراً في أمرهما، فقال جبرائيل: يا محمد طب نفساً وقر عيناً إن صابغ صبغة الله عزَّ وجلَّ يقضي لهما هذا الأمر ويفرح قلوبهما بأي لون شاءا، فأمر يا محمد بإحضار الطشت والإبريق. فحضرا، فقال جبرائيل: يا رسول الله أنا أصب الماء على هذه الخلع وأنت تفركهما بيدك فتصبغ بأي لون شاءا. فوضع النبي ﷺ حلة الحسن في الطشت فأخذ جبرائيل يصب الماء، ثم أقبل النبي ﷺ على الحسن وقال: يا قرة عيني بأي لون تريد حلتك؟ فقال: أريدها خضراء. ففركها النبي ﷺ بيده في ذلك الماء فأخذت بقدرة الله لوناً أخضر فائقاً كالزبرجد الأخضر، فأخرجها النبي ﷺ وأعطاها للحسن، فلبسها ثم وضع حلة الحسين عليه السلام في الطشت وأخذ جبرائيل يصب الماء، فالتفت النبي ﷺ إلى نحو الحسين وكان له من العمر خمس سنين وقال له: يا قرة عيني أي لون تريد حلتك؟ فقال الحسين عليه السلام: يا جداه أريدها حمراء. ففركها النبي ﷺ بيده في ذلك الماء فصارت حمراء كالياقوت الأحمر فلبسها الحسين فسُر النبي ﷺ بذلك وتوجه الحسن والحسين إلى أمهما فرحين مسرورين، فبكى جبرائيل لما شاهد تلك الحال، فقال النبي ﷺ: يا أخي في مثل هذا اليوم الذي فرح فيه ولداي تبكي وتحزن فبالله عليك إلا ما أخبرتني؟ فقال جبرائيل: اعلم يا رسول الله أن اختيار ابنيك على اختلاف

اللون فلا بد للحسن أن يسقوه السم ويخضر لون جسده من عظم السم، ولا بد للحسين أن يقتلوه ويذبحوه ويخضب بدنه من دمه. فبكى النبي ﷺ وزاد حزنه لذلك.

وروى هشام بن عروة عن أم سلمة أنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ يلبس ولده الحسين عليه السلام حلة ليست من ثياب أهل الدنيا وهو يدخل أزرار الحسين بعضها ببعض، فقلت له: يا رسول الله ما هذه الحلة؟ فقال: هذه هدية أهداها إليَّ ربي لأجل الحسين وإن لحمتها من زغب جناح جبرائيل وها أنا ألبسه إياها وأزينه بها فإن اليوم يوم الزينة وأنا أحبه.

وروى أبو عبد الله المفيد النيسابوري في «أماليه» أنه قال: قال الرضا عليه السلام: عرى الحسن والحسين عليهما السلام وقد أدركهما العيد، فقالا لأمهما فاطمة: يا أماه قد تزين صبيان المدينة إلا نحن فما بالك لا تزيننا بشيء من الثياب، فها نحن عرايا كما ترين؟ فقالت لهما: يا قرتيّ العينين إن ثيابكما عند الخياط فإذا خاطها وأتى بها زينتكما بها يوم العيد ـ تطيِّب خواطرهما ـ. قال: فلما كانت ليلة العيد أعادا القول على أمهما وقالا: يا أماه الليلة ليلة العيد، فبكت فاطمة رحمة لهما وقالت لهما: يا قرتي العينين طيبا نفساً إذا أتاني الخياط بها زينتكما إن شاء الله تعالى. قال: فلما مضى وهن من الليل وكانت ليلة العيد إذ قرع الباب قارع فقالت فاطمة: من هذا؟ فنادى: يا بنت رسول الله افتحي الباب أنا الخياط قد جئت بثياب الحسن والحسين. قالت فاطمة: ففتحت الباب فإذا هو رجل لم أر أهيب منه شيبة ولا أطيب منه رائحة فناولني منديلاً مشدوداً ثم انصرف لشأنه. فدخلت فاطمة وفتحت المنديل فإذا فيه قمصان ودراعتان وسروالان ورداءان وعمامتان وخفان، فسُرَت فاطمة بذلك سروراً عظيماً. فلما استيقظ الحسنان ألبستهما وزينتهما بأحسن زينة، فدخل النبي ﷺ إليهما يوم العيد وهما مزينان فقبلهما وهنأهما بالعيد وحملهما على كتفيه ومشى بهما إلى أمهما ثم قال: يا فاطمة رأيت الخياط الذي أعطاك الثياب هل تعرفيه؟ قالت: لا والله لست أعرفه ولست أعلم أن لي ثياباً عند الخياط فالله ورسوله أعلم بذلك. فقال: يا فاطمة ليس هو خياط وإنما هو رضوان خازن الجنان، والثياب من حلل الجنة، أخبرني بذلك جبرائيل عن رب العالمين.

فضائلهم جَلَتْ، مناقبهم عَلَتْ ... مدائحهم شهد، منائحهم ند
علوا في الورى جداً وأماً ووالداً ... وطابوا وطاب الأم والأب والجد
بأسمائهم يستجاب البر والرضا ... بذكرهم يستدفع الضر والجهد

روى بعض الأخيار: أن أعرابياً أتى الرسول ﷺ فقال له: يا رسول الله لقد صدت

خشفة غزالة وأتيت بها إليك هدية لولديك الحسن والحسين، فقبلهما النبي ﷺ ودعا له بالخير، فإذا الحسن واقف عند جده فرغب إليها وأعطاها إياه فما مضى ساعة إلا والحسين قد أقبل فرأى الخشفة عند أخيه يلعب بها فقال: يا أخي من أين لك هذه الخشفة؟ فقال الحسين: أعطانيها جدي رسول الله ﷺ. فسار الحسين مسرعاً إلى جده فقال: يا جداه أعطيت أخي خشفة يلعب بها ولم تعطني مثلها، وجعل يكرر القول على جده وهو ساكت لكنه يسلي خاطره ويلاطفه بشيء من الكلام حتى أفضى من أمر الحسين إلى أن همَّ يبكي، فبينما هو كذلك إذ نحن بصياح قد ارتفع عند باب المسجد فنظرنا فإذا ظبية ومعها خشفها ومن خلفها ذئبة تسوقها إلى رسول الله ﷺ وتضربها بأحد أطرافها حتى أتت بها إلى النبي ﷺ ثم نطقت الغزالة بلسان فصيح وقالت: يا رسول الله قد كانت لي خشفتان إحداهما صادها الصياد وأتى بها إليك وبقيت لي هذه الأخرى وأنا بها مسرورة وإني كنت الآن أرضعها فسمعت قائلاً يقول: أسرعي أسرعي يا غزالة بخشفك إلى النبي ﷺ وأوصليه سريعاً لأن الحسين واقف بين يدي جده وقد همَّ أن يبكي والملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العبادة، ولو بكى الحسين لبكت الملائكة المقربون لبكائه، وسمعت أيضاً قائلاً يقول: أسرعي يا غزالة قبل جريان الدموع على خد الحسين فإن لم تفعلي سلطت عليك هذه الذئبة تأكلك مع خشفك، فأتيت بخشفي إليك يا رسول الله وقطعت مسافة بعيدة لكن طويت الأرض حتى أتيتك سريعة وأنا أحمد الله ربي كيف جئتك قبل جريان دموع الحسين على خده. فارتفع التكبير والتهليل من الأصحاب ودعا النبي ﷺ للغزالة بالخير والبركة، وأخذ الحسين الخشفة وأتى به إلى أمه الزهراء عليها السلام، فسرت بذلك سروراً عظيماً.

فيا أيها السامعون تأملوا وبصروا وتدبروا وتفكروا، إذا كان النبي ﷺ يحزنه حزنهما ويسره سرورهما وكذلك الزهراء أمهما، وكذلك الأنزع البطين أبوهما، فكيف لو نظروه مطروحاً على الرمضاء يتلظى من الظمأ بين الأعداء، وذراريه وأولاده يحملون على الأقتاب بغير غطاء ولا وطاء!، حزناً والله لا ينفذ، وحسرة في طول الزمان تتجدد.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فقال فيهم[1]:

لم أبك من وقفة على الدمن ولا لخل نأى ولا سكن

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله تعالى.

ولم تهجني الديار موحشة ... ولا شجتني بواكر الظعن
لكن شجاني بكاء فاطمة ... على أبيها بمدمع هتن
وبيت أحزانها ووحدتها ... فيه حمى مقلتي عن الوسن
ومنعها من حقوقها بأباطيل ... أحاديثهم يروعني
وقولهم ليس للنبي مواريث ... خلاف الفروض والسنن
ومشيها في ملاءة مثل مشي ... المصطفى راعني وأرقني
مع نسوة من قريش تحجبها ... وهي تشكو من لوعة الحزن
وا حر قلبي لها وأنتها ... قد أجهشتهم والدمع كالمزن
ثم تنادي الأنصار يا بيضة الإسلام ... هل ناصر فينصرني
أنا ابنة المصطفى النبي ومَن ... أطفأ نار الضلال والفتن
إن لم تكونوا أنصار آل رسول ... الله فيما ينوبهم فمن
خذوا بحقي من المكذب بالدين ... فقد دعّني ودافعني
بأي شرع يزوى تراث أبي ... عني ويجتاحني ويظلمني
هل دُنت ربي بغير ملّته ... أو لم أطعه فلا يورثني
أم خص هذا دوني وعلمه ... ما لم يكن والدي يعلمني
حتى احتوى نحلتي وبلغة أطفالي ... عناداً منه وأعوزني
فليرتحلها مخطومة ذللاً ... تكون في قبره مع الكفن
ويوم حشر العباد ألقاه والحاكم ... رب الأنام ذو المنن
ويلاه من كل شارق بهج ... ويلاه من كل غارب وجن
مات اعتمادي وفتّ في عضدي ... ونيل مني وقد وهى ركني
وجار في حكم ظالمي سفهاً ... فحسبي الله فهو ينصفني
وحسب خصمي والدي وبما ... أودعني قبل أن يودعني
يا سادتي يا بني النبي ومَن ... مديحهم في المعاد ينقذني
حبكم في الورى يشرفني ... وبغض أعدائكم يخلصني
ديني هو الله والنبي ومولاي ... إمام الهدى أبو حسن
عرفتهم بالدليل والنظر ... المبصر لا كالمقلد اللكن

والقول عندي بالعدل معتقدي ... من غير شك فيه يخامرني
لست أرى أن خالقي أبداً ... يفعل بي ما به يعاقبني
ولا على طاعة ومعصية ... يحيرني كارهاً ويلزمني
وكيف يعزى إلى القبيح من الفعل ... وحاشاه وهو عنه غني
لكن أفعال تناط بنا ... ما كان من سيىء ومن حسن
وبالدليل القطعي أوجب للمعصوم ... حكم الحضور والزمن
ولا أَوْلَى حكم الكتاب إلى ... من لا على سوره بمؤتمن
وكل من يدعي الإمامة بالباطل ... عندي كعابد الوثن
يا محنة الله في العباد ومن ... رميت فيه بسائر المحن
يا نافذ الأمر في السماء وفي الأرض ... ويا من إليه مرتكن
تكليمك الجنان والجنيين وإحياؤك ... للميت ليس يقنعني
وردك الشمس بعدما غربت ... تدهش غيري وليس تدهشني
والماء لما طغى الفرات وما ... حدّث سلمان لا يغيرني
أوردت قلبي ماء الحياة ولم ... تزل بكأس اليقين تنهلني
فمشربي منك لم يزل أبداً ... يورد عني وعنك يوردني
ونشوتي من شراب معرفتي ... تطرب مني طوراً وتطربني
دعاك سري بحيث تسمع نجواي ... وتدعو سري فتسمعني
وكلما ازددت فيك معرفة ... ينكرني حاسدي ويجحدني
ولست آسى بالقرب منك على ... مقصر في هواك يبعدني
تمنعت أعين المعارف أن تدرك ... إلا للباحث اللسن
والعلم يأبى أن يُنال بغير الجد ... فلينتبه ذووا الفطن
فاسمع لها درة مهذبة ... تعرف عن صدر عارف لقن
تكرم في نائلها وغرابتها ... والمندل الرطب هين العطن
بك الخليعي يستجير فكن ... عوناً له من طوارق الفتن

* * *

المجلس السابع

في الليلة الرابعة من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها الأمناء الصالحون، والأتقياء الصادقون، اعلموا إن الله تعالى جعل أعمار العباد مضمار السباق إلى دار السلام، فيا خيبة من أفنى عمره فيما ليس له بل عليه، ويا حسرته إذا جاء الأجل ووافى إليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[1]، لا سيما إذا كان الخصم في يوم المعاد رسول الله ﷺ الشاهد على العباد، فيا ليت علمي ماذا هناك لظالم عترة الرسول، جهدوا في إطفاء نور خاتم النبيين ومحوا ذريته من بين العالمين، ومنعوهم من الأخماس التي جعلها الله تعالى لهم عوضاً عن أوساخ الناس، وانتزعوا ما انتحلهم الرسول ﷺ ولم يرقبوا ربهم ولم يلتفتوا إليه حتى أذاقوهم حر السيوف ومرارات الحتوف فهم ما بين قتيل مرمل بدمائه ومشرد عن أوطانه وأحبائه، أو طريح ملقى بالعراء يود أنه يكون تحت طباق الثرى حتى لا يُرى، أهكذا أمرهم الرحمٰن؟ أم على هذا دلهم الرسول والديان:

الفيء منقسم لغيرهم ... وأكفهم من فيئهم صفر
المال حل للعصاة ويحرمه ... الكرام السادة الغرر
والناس في أمن وليس لهم ... عن طارق يغشاهم حذر
ويكاد من خوف ومن فزع ... بهم يضيق البر والبحر
حال تسود ذوي النهى وبها ... يستبشر المتجاهل العمر

روي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: لما ولّيّ أبو بكر ابن أبي قحافة قال له عمر: أن الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها فامنع عن علي وأهل بيته الخمس والفيء، وقد كان، فإن شيعته إذا علموا ذلك تركوا علياً وأقبلوا إليك رغبة في

(1)سورة المؤمنون: الآيتان 99 - 100.

الدنيا وإيثاراً لها ومحاباة عليها. ففعل أبو بكر ذلك وأضرب عنهم جميع ذلك، فلما أقام مناديه: من كان له عند رسول الله دين أو عدة فليأتني حتى أقضيه. قال علي لفاطمة عليه السلام: سيري إلى أبي بكر وذكريه. فسارت فاطمة إليه وذكرت له فدكاً مع الخمس والفيء، فقال لها: هاتي بينة يا بنت رسول الله! فقالت: أما فدك فإن الله أنزل على نبيه قرآناً يأمره بأن يعطيني وولدي حتى قال الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾[1] فكنت أنا وولدي أقرب الخلائق إلى رسول الله فنحلني وولدي خاصة فدكاً، فلما تلا جبرائيل: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2] قال رسول الله: أين حق المسكين وابن السبيل، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[3] فقسم الله الخمس ستة أقسام فقال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾[4]، فما لله فهو لرسول الله وما لرسول الله فهو لذي القربى، وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[5].

فنظر أبو بكر إلى عمر وقال له: ما تقول؟ فقال عمر: فأرى الخمس والفيء كله لكم ولمواليكم وأشياعكم، فقالت فاطمة عليها السلام: أما فدك فقد أوجبه الله لي ولولدي من دون موالينا وشيعتنا، وأما الخمس فقسمه الله لنا ولموالينا وشيعتنا كما تقرأ في كتاب الله تعالى. قال عمر: فما لسائر المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان؟ فقالت فاطمة: إن كانوا من موالينا وأشياعنا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا، وإن لم يكونوا من أشياعنا فلهم الصدقات التي أوجبها الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾[6] الآية. فقال عمر: فدك خاصة والخمس والفيء لكم ولأوليائكم ما أحسب أصحاب محمد يرضون بهذا. فقالت فاطمة عليها السلام: إن الله تعالى رضي بذلك ورسوله رضي له وقسمه على الموالاة والمتابعة لا على المعاداة والمخادعة، ومن عادانا فقد عادا الله ومن خالفنا فقد خالف الله، ومن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة. فقال عمر: هاتي بيِّنة على ما تدَّعين! فقالت فاطمة: قد صدقتم جابر بن عبد الله وجريراً بن عبد الله ولم تسألوهما البينة وبينتي في كتاب الله، فقال عمر: أن جابراً وجرير ذكرا أمراً هيناً وأنت

---

(1) سورة الإسراء: الآية 26.
(2) سورة الإسراء: الآية 26.
(3) سورة الأنفال: الآية 41.
(4) سورة الحشر: الآية 7.
(5) سورة الشورى: الآية 23.
(6) سورة التوبة: الآية 60.

تدعين أمراً عظيماً تقع به الردة من المهاجرين والأنصار؛ فقالت عليها السلام: إن المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه، والأنصار بالإيمان بالله وبرسوله وبذي القربى أحسنوا، فلا هجرة إلا إلينا ولا نصرة إلا لنا ولا اتباع بإحسان إلا لنا ومن ارتد عنا فإلى الجاهلية. فقال لها عمر: دعينا من أباطيلك وأحضرينا من شهد لك بما تقولين.

فبعثت إلى علي والحسن والحسين وأم أيمن وأسماء بنت عميس، وكانت يومئذ تحت أبي بكر وكانت من قبل زوجة جعفر بن أبي طالب، فشهدوا لها بجميع ما قالت، فرد عمر شهادة الجميع وقال: كل هؤلاء يجرون النفع إلى أنفسهم! فقال له علي: أما فاطمة فبضعة رسول الله ﷺ ومن آذاها فقد آذى رسول الله ومن كذبها فقد كذب رسول الله ﷺ، وأما الحسن والحسين فابنا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنة من كذبهما فقد كذب رسول الله ﷺ إذا كان أهل الجنة صادقين، وأما أنا فقد قال رسول الله ﷺ: أنت مني وأنا منك وأنت أخي في الدنيا والآخرة والراد عليك كالراد عليّ، من أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني. وأما أم أيمن فقد شهد لها النبي ﷺ بالجنة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها. فقال عمر: أنتم كما وصفتم به أنفسكم ولكن شهادة الجار إلى نفسه لا تُقبل، فقال علي عليه السلام: إذا كنا بحيث تعرفون ولا تنكرون شهادتنا لأنفسنا لا تقبل وشهادة رسول الله ﷺ لا تقبل فإنا لله وإنا إليه راجعون إذا دعينا لأنفسنا سألنا البيِّنة، أفما من معين يعين؟ وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيِّنة ولا حجة ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]. ثم قال لفاطمة: انصرفي حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

قال المفضل بن عمر: قال مولاي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: كل ظلامة حدثت في الإسلام أو تحدث، وكل دم مسفوك حرام أو منكر مشهور وأمر غير محمود، فوزره في أعناقهما وأعناق من شايعهما وتابعهما وأعانهما ورضي ولايتهما إلى يوم تقوم الساعة.

وعن الحارث البصري قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فجلست عنده، فإذا نجبة قد استأذن عليه فأذن له فدخل فجثى على ركبتيه ثم قال: جعلت فداك إني أريد أن أسألك عن مسألة ما أريد بها إلا فكاك رقبتي من النار، فكأنه رق له فاستوى جالساً فقال: جعلت فداك ما تقول في فلان وفلان؟ فقال: يا نجبة لنا الخمس في كتاب الله، ولنا

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

الأنفال، ولنا صفو المال، هما والله أول من ظلمنا حقنا في كتاب الله وأول من حمل الناس على رقابنا ودماؤنا في أعناقهما إلى يوم القيامة بظلمنا أهل البيت. فقال نجبة: إنا لله وإنا إليه راجعون (ثلاث مرات) هلكنا ورب الكعبة. فرفع فخذه عن الوسادة واستقبل القبلة ودعا بدعاء فلم أفهم منه شيئاً إلا أنَّا سمعناه في آخر دعائه وهو يقول: اللهم إنَّا أحللنا ذلك لشيعتنا. قال: ثم أقبل إلينا بوجهه وقال: يا نجبة ما على فطرة إبراهيم غيرنا وغير شيعتنا.

فيا إخواني، هل يجب الاقتداء في الدين بالذين اتخذوا دينهم لهواً وغرتهم الدنيا وقنعوا بعاجلها ورضوا برياستها وبما نالوه من حطامها وجلسوا غير مجلسهم ووردوا غير مشاربهم ونازعوا الأمر مستحقيه، وولّوا في دين الله بالرأي، وحكموا بغير ما أنزل الله فاتبعهم السواد الأغلب وأهل الفاقة والاحتياج ورعاع المدن، كبني أمية، وبني العباس، ومن تابعهم في المآكل والمشارب والمناكح، ومن أبدع في الفجور وشرب الخمور، وعبث بالمردان بخلاف ما أمر الرحمٰن، والتواريخ والكتب تنطق بأعمالهم، فهل هؤلاء أئمة الدين أم علي وأولاده المعصومون المأمونون على سر الله المحتجون بغيبته، المستسرون بدينه، المعلنون به، الواصفون لعظمته، المتنزهون عن معاصيه، الداعون إلى سبيله، السابقون في علمه، المجاهدون في طاعته، تلامذة الرسول في المنقول والمعقول، أهل العلوم والأذكار، نقلة الأسرار، حملة الكتاب، أولوا الألباب الذين حفظوا جوارحهم من العبث ونفوسهم من الوعث، الزهاد العباد الأتقياء الأمجاد.

فيا إخواني، أي الفريقين على الحق وأولى بالأمر وأحق، ولكن الشمس تطمس أعين الخفاش والحق مضر باستماع الأوباش ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

والله در من قال من الرجال[2]:

ألا من يدَّعي الإيمان فابذل ... حنيناً باحتراق واكتئاب
وعزي المرتضى في السبط واذرف ... من الأجفان دمعاً ذا انسكاب
وقل لو أن عينك عاينته ... طعيناً في ثرى الرمضاء كابي
ولو عاينت بنتك تستجير ... الطغاة وتختفي بين الشعاب
صفيت القلب من أرجاس قوم ... ومكنت الحسام من الرقاب
فيا رب السماء إليك نشكوا ... من الفجار نسل بني كلاب

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

(2) الشعر للخليعي رحمه الله تعالى.

روي أن النبي ﷺ لما مرض مرض الموت، اتفق يوماً كان رأسه في حجر أم الفضل امرأة العباس، فاستعبرت أم الفضل وبكت وقطرت دموعها على خد رسول الله ﷺ: إنك نعيت لنا نفسك فقلت: قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1] فإن كان هذا الأمر فينا فبيِّنه لنا وإن كان في غيرنا فأوصي بنا. فقال ﷺ: ابعثي إلى ابنيَّ الحسن والحسين. ففعلت فلما أقبلا استدناهما إلى صدره ووضع خد أحدهما على خده الأيمن وخد الآخر على خده الآخر ثم استعبر فبكى وبكى من كان حاضراً، وصاحت فاطمة وقالت شعراً:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال رسول الله ﷺ: يا فاطمة هذا قول عمك، ولكن قولي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾[2]، أنتم المقهورون بعدي المستضعفون، فمن صبر منكم واحتسب في دار البوار كان له الدائم الباقي في دار القرار ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[3]. قالت أم الفضل: يا رسول الله إلى من نفزع بعدك؟ قال: إلى أخي ووصيي وخليفتي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. فلما اشتد الأمر برسول الله ﷺ خلا بعلي عليه السلام يوم الاثنين وقال لعائشة وسائر نسائه وأصحابه وأهل بيته: هذا يوم لا يجتمع فيه عندي غير عترتي أهل بيتي علي وفاطمة والحسن والحسين، فإنهم شركائي في ديني ودقيق أموري وجليلها. فكان علي عليه السلام عند رأسه ويده اليمنى على ذقنه، وفاطمة عليها السلام من الجانب الآخر، والحسن والحسين عليهما السلام إلى جانبهما. ثم أن علياً غمض رسول الله ﷺ. فلما مات النبي ﷺ سمع هاتف من ناحية البيت يتلو: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ﴾[4].

في الله خلف من كل هالك، ودرك من كل فائت، وعز من كل مصيبة، ألا أن المحروم من حرم ثوابه، والمغبون من غيَّر دينه، والمُصاب من ذهب يقينه.

فيا إخواني، إذا رجعنا إلى أنفسنا وتركنا عبادة الهوى ومتابعة من ضل وغوى، أترى تكون فاطمة عليها السلام راضية حين عصرها خالد بن الوليد فأسقطت محسناً، وضربها قنفذ مولى أبي بكر فأثر فيها الضرب، أفتراها تكون راضية حين سُحب زوجها وابن عمها

(1) سورة الزمر: الآية 30.
(2) سورة آل عمران: الآية 144.
(3) سورة الأعلى: الآية 17.
(4) سورة آل عمران: الآيتان 185 - 186.

وأبو السبطين؟ أفترى منع إرثها وتكذيب شهودها على دعواها ترضاها، أتراها لو شاهدت عساكر بني أمية وقد استداروا على ولدها الحسين عليه السلام يريدون قتله ويكيدونه بالعطش ويمنعونه شرب الماء المباح ويرشقونه بالنبال حتى خرقوا جلدته ويضربونه بالسيوف حتى رويت الأرض من دمه، ويطعنونه بالرماح حتى خرَّ إلى الأرض مجدلاً وأحزوا السكاكين على أوداجه ورقبته حتى فصلوا رأسه عن بدنه وسلخوا جلد وجهه وألقوا عظامه وجسده أشلاء للطير والوحش، وقتلوا أهله ورجاله، ونهبوا حرمه.

تتبعوا شيعته قتلاً وتمثيلاً، فهل تكون راضية بذلك أم غضبانة؟ وإذا كانت غضبانة، أفيكون الله عزَّ وجلَّ غضباناً أم يكون هذا كله في رضا الأول والثاني والثالث ومعاوية ويزيد بن معاوية هيناً عند الله؟ كلا ولكن راجعون على الأعقاب القهقرى ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[2]:

أعد لك يا هذا الزمان محرم ... أم الجور مفروض عليك محتم
أم أنت ملوم والجدود لئيمة ... فلم ترع إلا للذي هو ألأم
فشأنك تعظم الأراذل دائماً ... وعرنين أرباب الفصاحة ترغم
إذا زاد فضل المرء زاد امتحانه ... وترعى لمن لا فضل فيه وترحم
إذا اجتمع المعروف والدين والتقى ... لشخص رماه الدهر وهو مصمم
وكم جامع أسباب كل رذيلة ... وليس لما قد قال أو قيل هم
فأضحى وقد ألقى الزمان جراءه ... لديه فيقضي ما يشاء ويحكم
وذاك لأن الدين والعلم والندى ... له معدن أهلوه يؤخذ عنهم
فمعدنه آل النبي محمد ... وخيرهم صنو النبي الأعظم
فأقبلت الدنيا عليه بزينة ... وألقت إليهم نفسها وهي تبسم
فأعرض عنها كارهاً لنعيمها ... وقابلها منه الطلاق المحرَّم

---

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

(2) القصيدة للشيخ مفلح الصيمري رحمه الله تعالى.

فمالت إلى أهل الرذائل والخنا ... وأومت إليهم أيها القوم أقدموا
فجاءوا إليها يهرعون فأقبلت ... عليهم وقالت فاسمعوا ثم افهموا
صداقي عليكم ظلم آل محمد ... وشيعتهم أهل الفضائل منهم
فقالوا رضينا بالصداق وأسرجوا ... على حربهم خيل الضلال وألجموا
وشنوا بها الغارات من كل جانب ... وخصوا بها آل النبي وصمموا
أزالوهم بالقهر عن إرث جدهم ... عناداً وما شاؤوا أحلوا وحرّموا
وقادوا علياً في حمائل سيفه ... وعمار دقوا ضلعه وتهجموا
على بيت بنت المصطفى وإمامهم ... ينادي ألا في بيتها النار أضرموا
وتغصب ميراث النبي محمد ... وتوجع ضرباً بالسياط وتلطم
وأعظم من كل الرزايا رزية ... مصارع يوم الطف أدهى وأعظم
فما أحدث الأيام من يوم أنشئت ... ولا حادث فيها إلى يوم تعدم
بأعظم منها في الزمان رزية ... يقام لها حتى القيامة مأتم
ولم أنس سبط المصطفى وهو ظامي ... يُذاد عن الماء المباح ويُحرم
وقد صرعت أنصاره وهو مفرد ... ينادي ألا هل راحم يترحم
ألسنا أولى القربى الذي أجبت لنا ... مودتنا آي الكتاب عليكم
ألسنا آل النبي محمد ... يصلّى عليهم دائماً ويسلّم
تموت عطاشى آل بيت محمد ... ويشرب هذا الماء تُرك وديلم
أهذا الذي أوصى النبي بآله ... ألم تسمعوا أم ليس في القوم مسلم
فقالوا له إن شئت ترجع سالماً ... وتُسقى من الماء الزلال وتُطعم
فبايع طوعاً للأمير مسالماً ... وإلا فحدّ السيف فيك مُحكم
فقال لهم لا تزعمون بأنني ... أبايع رهباً خيفة الموت فاعلموا
وما هي إلا ساعة ثم التقي ... بجدي وأحظى بالجنان وأنعم
ويجمعنا يوم القيامة معشر ... وأقبل فيه شاكياً أتظلم
فخصمكم فيه النبي وحيدر ... وفاطمة والسجن فيها جهنم
أَهَلْ تخصمون المصطفى وابن عمه ... وفاطمة لِمَ ذلك اليوم تخصموا
فما زادهم ما قال إلا تجبراً ... وصاح ابن سعد عجلوا وتهجموا

فمالوا عليه بالسيوف وبالقنا فبارزهم وهو الهزبر الغشمشم
وحكم فيهم سمهرياً مقوماً وأبيض لا ينبو ولا يتثلم
وصال عليهم صولة علوية فكانوا كضأن صال فيهم ضيغم
فصاروا عريناً كلما فر فوقه ومال إلى الأخرى ففي الحال تهزم
فنادى ابن سعد بالرماة ألا اقصدوا إليه جميعاً بالسهام ويمّموا
ففوق كل سهمه وهو مغرق من النزع نحو السبط وهو مصمم
فصادته في النحر سهم مصرد له شعب قعب المنية تعلم
فخرّ طريحاً في التراب معفراً يعالج نزع السهم والسهم محكم
ويأخذ من دم الوريد بكفه ويرمي به نحو السماء يتظلم
فنادى ابن سعد من يجيء برأسه فسار إليه الشمر لا يتبرم
وأضجعه فوق التراب معفراً ينادي أيا جداه هل أنت تعلم
بأني صريع في التراب مجدلاً أو يُنحر نحري والضلوع تُحطَّم
فقال له: من أنت يا ذا ألا انتمي فإنك أقسى كل قلب وأجرم
فقال هو: أنا الشمر الضبابي راجياً بقتلك أن أحبى عظيماً وأُكرم
فقال له: إن الحبي عند والدي وجدي وأمي في القيامة أعظم
فما زاد قلب الرجس إلا قساوة وميز عنه الرأس لا يترحم
تكاد السماوات الشداد لقتله تفطرن والأرضون تخسف فيهم
وكوّر أنوار النجوم جميعها وأمطرت الدم السماء عليهم
وبادر ينعاه الحصان مسارعاً إلى خيم النسوان وهو يحمحم
فلما رأين المهر والسرج خالياً خرجن وكل حاسر وهي تلطم
ونادين هذا اليوم مات محمد ومات علي والزكي وفاطم
فهذا الذي أبقى لنا الدهر بعدهم نصان به من كل سوء ونعصم
وهذا الذي كنا نعيش بظله يلوذ به طفل رضيع وأيم
وهذا هو الحصن الذي كان محصناً لنا من صروف الدهر فهو مهدم
فهذا حسين في التراب مجدلاً ونحن سبايا نُستباح ونغنم
فشنَّ عليهم ابن سعد بغارة ونادى مباح ما حواه المخيم

وصرن بأيدي المجرمين غنيمة ... وتسلب كل ما عليها وتلطم
فيا لك من يوم به الكفر ناطق ... ودين الهدى أعمى أصم وأبكم
فوالله ما أدري الحسين ورهطه ... وصيّرهم فيئاً يُحاز ويُقسم
سوى حبتر ثم الدلام ونعثل ... لأنهم في كل ظل تقدموا
وتلك التي جاءت تقود عساكراً ... على جمل يحدوا بها المترنم
وخالفت القرآن ثم تبرجت ... تبرج أهل الجهل بل هي أعظم
لتفرّق شمل الدين بعد اجتماعه ... وتنقض ما قد أبرموه وأحكموا
أبوها يولّي الدبر في كل موقف ... وابنته عند اللقاء تتقدم
ألا لعن الله المهيمن حبتراً ... وابنته تعداد ما الله يعلم
وبعدهما فالعن دلاماً ونعثلاً ... وهنداً ونغليها ومن مال معهم
والعن مروناً وآل أمية ... كذلك دعي العاص فهو المزنم
ولا تنسى أبا موسى وضاعف لعنه ... ومَن قد رضى في أنه يتحكم
برئت إلى الرحمٰن ثم محمد ... وحيدرة وابنيه والأم منهم
ومن دان في أقوالهم وأفعالهم ... ومن كل شيعي ففي اللعن عنهم
فلعنهم للدين أصل مؤصل ... ودين بلا أصل فذاك مهدم
أيا سادتي يا آل بيت محمد ... بكم مفلح مستعصم متلزم
فأنتم له حصن منيع وجنة ... وعروته الوثقى بداريه أنتم
ألا فاقبلوا من عبدكم ما استطاعه ... فعبدكم عبد مقل ومعدم
فأنتم مما قلت أو قال قائل ... من الناس طراً يا موالي أعظم

الباب الثاني

اعلموا أيها المؤمنون، أن فضل ساداتكم لا يحصى ولو اجتمع له العالمون، وماذا جهد المادحين في مدح من ورد في مدحهم القرآن المبين، ولعمري أن في فضيلة من فضائلهم عبرة للمعتبرين وتبصرة للمتبصرين، إلا من أغواه الشيطان فأصم سمعه وعميت منه العينان، فتباً لمن أعمتهم أطماعهم الدنية، وأهواؤهم المردية الردية، فجعلوا يركضون على مطايا الأطماع ويتحملون من الأثقال ما لا يُستطاع، فتعساً لهم ما حملهم على غصب البتول وقتل ذرية الرسول، أليس هي إلا أيام قلائل؟ حتى يردوا على الهول الهائل ﴿نَارًا

وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾[1].

فيا إخواني، كيف لا تتمايل أعطافي وتظهر نشوتي؟ وقد شربت بالكأس المترع من رحيق محبتي لمواليي وسادتي:

حديث فإن ربى العقيق ويثمد يحلى بطيب حديثها قلبي الصد
إيه بعيشك كيف خلفت الحمى قد طال عهدي بالديار فجدد
بالله قصَّ عليّ من أنبائهم فإذا ثملت بها ومِلت فردد

فيا إخواني، إذا ذكرت ما أصابهم من الآلام في تلك الأوقات والأيام اعتراني الهمّ والحزن حتى أكاد أن تسلب روحي من البدن فأشتهي مَن أبث حزني إليه ليساعدني في ما أنا عليه.

روي أنه لما قدم آل الله وآل رسوله على يزيد في الشام أفرد لهم داراً وكانوا مشغولين بإقامة العزاء. وأنه كان لمولانا الحسين عليه السلام بنتاً عمرها ثلاث سنوات، ومن يوم استشهد الحسين ما بقيت تراه فعظم ذلك عليها واستوحشت لأبيها، وكانت كلما طلبت يقولون لها: غداً يأتي ومعه ما تطلبين. إلى أن كانت ليلة من الليالي رأت أباها بنومها، فلما انتبهت صاحت وبكت وانزعجت فهجعوها وقالوا: لما هذا البكاء والعويل؟ فقالت: آتوني بوالدي وقرة عيني. وكلما هجعوها ازدادت حزناً وبكاءً فعظم ذلك على أهل البيت، فضجوا بالبكاء وجدَّدوا الأحزان ولطموا الخدود وحثوا على رؤوسهم التراب ونشروا الشعور وقام الصياح، فسمع يزيد صيحتهم وبكاءهم فقال: ما الخبر؟ قالوا: أن بنت الحسين الصغيرة رأت أباها بنومها فانتبهت وهي تطلبه وتبكي وتصيح، فلما سمع يزيد ذلك قال: ارفعوا رأس أبيها وحطوه بين يديها لتنظر إليه وتتسلى به.

فجاؤوا بالرأس الشريف إليها مغطى بمنديل ديبقي فوضع بين يديها وكشف الغطاء عنه، فقالت: ما هذا الرأس؟ قالوا لها: رأس أبيك، فرفعته من الطشت حاضنة له وهي تقول: يا أباه من ذا الذي خضبك بدمائك؟ يا أبتاه من ذا الذي قطع وريدك؟ يا أبتاه من ذا الذي أيتمني على صغر سني؟ يا أبتاه من بقي بعدك نرجوه؟ يا أبتاه من لليتيمة حتى تكبر؟ يا أبتاه من للنساء الحاسرات؟ يا أبتاه من للأرامل المسبيات؟ يا أبتاه من للعيون الباكيات؟ يا أبتاه من للضائعات الغريبات؟ يا أبتاه من للشعور المنشرات؟ يا أبتاه من بعدك وا خيبتنا؟ يا أبتاه من بعدك وا غربتنا؟ يا أبتاه ليتني كنت الفدى، يا أبتاه ليتني كنت قبل هذا اليوم

(1) سورة التحريم: الآية 6.

عمياً، يا أبتاه ليتني وُسدت الثرى ولا أرى شيبك مخضباً بالدماء.

ثم أنها وضعت فمها على فمه الشريف وبكت بكاءاً شديداً حتى غشي عليها، فلما حركوها فإذا بها قد فارقت روحها الدنيا. فلما رأوا أهل البيت ما جرى عليها أعلنوا بالبكاء واستجدوا العزاء وكل من حضر من أهل دمشق؛ فلم ير في ذلك اليوم إلا باك وباكية، فقامت زينب بنت أمير المؤمنين وقالت: أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض فأصبحنا نُساق كأنَّا أسراء الزنج والحبش، أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة، وأن ذلك لعظم خطرك عند الله، شمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا بك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلاً مهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[1]، أمن العدل يا ابن الطلقا تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا هُتكت ستورهن وأبديت وجوههن يحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف، وليس معهن من رجالهن ولّي ولا من حماتهن حمي، كيف تستبطي ظلمنا أهل البيت ثم تقول غير مستأنف ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله الحسين ريحانة رسول الله ﷺ سيد شباب أهل الجنة تنكثها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك أو قد نكأت القرحة وانصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ نجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك، زعمت تناديهم لتردن وشيكاً موردهم ولتودن أنك شُللت قبل فعلتك هذه وبكمت ولم تكن قلت ما قلت. ثم قالت: اللهم خذ بحقنا وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماء ذريته وانتهاك حرمته في عترته حيث يجمع شملهم ويلم شعثهم ويؤخذ بحقهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2]، وحسبك الله حاكماً ومحمد خصيماً وجبرائيل ظهيراً.

فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنقط من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناهبها العوائل وتعفرها أمهات الفواعل، وأإن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا م

(1) سورة آل عمران: الآية 178.

(2) سورة آل عمران: الآية 169.

قدمت يداك ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾[1]، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تمت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا تدحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

قال: فنظر رجل من الشام إلى يزيد، لعنه الله، وقال: يا أمير هب لي هذه الجارية، فقالت فاطمة لعمتها زينب: يا عمتاه قُتلت رجالنا، ليت الموت أعدمني الحياة ولا كنت أسبى بين الأعداء. فقالت زينب: لا حباً ولا كرامة لهذا الفاسق، فقال الشامي: من هذه الجارية؟ قال يزيد لعنه الله: هذه فاطمة الصغرى بنت الحسين وتلك زينب بنت أمير المؤمنين، فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك وتسبي ذريته؟ فقال يزيد: لألحقك بهم.

فيا إخواني، رحم الله قوماً باعوا أنفسهم بالآخرة وتركوا العيش الأهنى، والنعيم الأسنى، فنالوا السعادة الأبدية والدولة السرمدية فقطعوا القلوب واشتروا النعيم الدائم بقليل من المحن والكروب.

وفاطمة الصغرى تقول لأختها ... سكينة خوف السبي وهو مكيد
وزينب ما بين السماء وقلبها ... قريح بالأحزان فهو كميد
تقول وللأحزان في القلب مبدع ... ومبدي لأسرار الهموم مقيد
أخي يا ابن أمي يا شقيقي وسيدي ... ومن لي دون الأنام عميد
عليك جفوني الذاريات ذوارف ... وأما دموعي المرسلات تجود
أخي ثل عرش الدين وانهدَّ ركنه ... وعطِّل منه إذ أصبت حدود

ياويلهم، كأنهم لم يسمعوا ما أنزل في حقهم ولم يعتبروا ما قاله النبي ﷺ في نعتهم، بل والله قد عرفوا وأنكروهم وأساؤوا إليهم بعدما أخبروهم.

روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[3]: أنه إذا قبض الله إليه نبياً من الأنبياء بكت عليه السماء والأرض أربعين سنة، وإذا مات إمام من أئمة الأوصياء تبكي عليه السماء والأرض أربعين شهراً، وإذا مات العالِم العامل بعلمه بكيا عليه أربعين يوماً، وأما الحسين عليه السلام فتبكي عليه السماء

(1) سورة آل عمران: الآية 181.
(2) سورة هود: الآية 18.
(3) سورة الدخان: الآية 29.

طول الدهر.

وتصديق ذلك: أن يوم قتله قطرت السماء دماً، وأن هذه الحُمرة التي تُرى في السماء ظهرت يوم قُتل الحسين ولم تُر قبله أبداً، وأن يوم قتله لم يُرفع حجر في الدنيا إلا وُجِد تحته دم.

حكي في بعض الأخبار: أن الحسين عليه السلام لما سقط عن سرجه يوم الطف عفيراً بدمه رامقاً بطرفه يستغيث فلا يُغاث ويستجير فلا يُجار، بكت ملائكة السماء وقالوا: إلٰهنا وسيدنا يُفعل هذا كله بابن نبيك وأنت بالمرصاد تنظر وترى، وأنت شديد الانتقام. فأوحى الله إليهم يقول: يا ملائكتي انظروا عن يمين العرش، فينظرون فيمثل الله لهم شخص القائم المهدي فيرونه يصلّي عن يمين العرش راكعاً وساجداً فيقول: يا ملائكتي سأنتقم لهذا بهذا. ثم يقول: يا ملائكتي إني قتلت بثار يحيى بن زكريا سبعين ألفاً من بني إسرائيل، وسأقتل بثار الحسين بن فاطمة الزهراء سبعين ألفاً وسبعين ألفاً من بني أمية على يد القائم المهدي ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

إلى أي عدل أم إلى أي رأفة ... سواهم يؤم الظاعن المتحمل
لأهل العمى فيهم جلاء من العمى ... مع النصح لو أن النصيحة تُقبل

روى صاحب «زهرة الكمال» قال: لما أخرج آدم عليه السلام من الجنة، انحدر ببلدة من بلاد الهند تسمى سرانديب وبقي يبكي على مصيبته مدة طويلة حتى نقل أنه ظهرت لمحاكيه ولم يبق لها لحم بفيه، فمنَّ عليه الملك الجليل بإرسال جبرائيل فكشف له عن بصره حتى أراه ساق العرش، فرأى أنواراً ساطعة كالنجوم اللامعة فتلاها وإذا هي: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة من ولده عليهم السلام حصناً من دخله كان آمناً، فقال: يا أخي جبرائيل هل خلق الله خلقاً أكرم مني؟ قال: نعم، قال: متى خلقوا؟ قال: قبل خلق السماوات والأرضين وقبلك بألفي عام ولولاهم ما خلقك الله تعالى، وهم من ولدك. فقال: اللهم يا من شرفت هذا الوالد على الولد اغفر لي خطيئتي، فغفر له.

وروى صاحب «در الثمين» في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾[1]: أنه رأى ساق العرش والأسماء عليه فلقنه جبرائيل وقال له: قل يا حميد بحق محمد، يا عالي بحق علي، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسن بحق الحسن، يا قديم الإحسان بحق الحسين، فلما ذكرت الحسين عليه السلام سالت دموعه وانخشع قلبه

(1) سورة البقرة: الآية 37.

وقال: يا أخي جبرائيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ قال جبرائيل: ولدك هذا يُصاب بمصيبة وتقصر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم ينادي: وا عطشاه، وا قلة ناصراه، حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فلم يجبه أحد إلا بالسيوف وشرب الحتوف، فيُذبح ذبح الشاة من قفاه ويكسب رحله أعداء وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان سبق في علم الواحد المنان. فبكى آدم مع جبرائيل بكاء الثكلى. ولله در من قال من الرجال:

يا قتيلاً بكاه آدم حقاً ونعاه من السما جبرائيل
وبكى الجنان والملائك جمعاً أي عين دموعها لا تسيل
وغدا الطير في السماء ينادي آه وا سيداه أين المثيل

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[1]:

إلى كم مصابيح الدجى ليس تطلع وحتام غيم الجو لا يتقشع
لقد طبق الآفاق شرقها وغربها فلا ينجلي آناً ولا يتقطع
وأمطر في كل البلاد صواعقاً وهبت له ريح من الشر زعزع
فلم ينج منهم غير من باع دينه وقال بما يرضي الضلوع ويقنع
ولا عزّ إلا من أتى بنميمة ولا ذلّ إلا مؤن مُتورِّع
منازل أهل الجور في كل بلدة عمار وأهل العدل في تلك بلقع
يقولون في أرض العراق مشعشع وهل بقعة إلا وفيها مشعشع
فلا فرق إلا عجزهم واقتداره وظلمهم فيما يطيقون أشنع
لقد ضاقت الآفاق وأرتق الفضا فليس لأهل الدين في الأرض موضع
فهل عامر في الأرض بل أو مفازة وليس لها في الظلم جمع مجمع
وما سنَّ فيها الظلم إلا عصابة تقول على آل النبي تجمع
فأولهم نسل القحافي حبتر لئيم له في اللؤم أصل وموضع
أبوه دَعِيٍ لابن جذعان خادم وحبترة أدنى محل وأوضع

(1) القصيدة للشيخ مفلح بن الصيمري رحمه الله تعالى.

وتابعه ابن الصهاكي أدلم ... عتل زنيم فاجر متبدع
إذا كان منسوباً لسبع... فهل عجب فيما يقول ويصنع
وتابعه في الظلم آل أمية ... تواطؤوا على ظلم الوصي وأجمعوا
فلم يتركوا للدين أصلاً يقله ... ولم يتركوا فرعاً له يتفرّع
وقادوا علياً في حمائل سيفه ... وكسر أسيافاً لقوم وأضلع
كسيف زبير ثم ضلع ابن ياسر ... وضلع ابن مسعود وللصحف قطّع
إذا فعلوا هذا بأصحاب أحمد ... وقالوا لنا إن الصحابة أجمعوا
على حبتر ثم ارتضوه أميرهم ... فهل عاقل يرضى بهذا ويقنع
وفاطمة الزهراء حازوا تراثها ... عناداً فجاءت حبتراً تتشفّع
فقال: أبوك المصطفى قال معلناً ... بأن أولى القربى من الإرث يُمْنَعُوا
فقالت: فهاتوا نحلتي وعطيتي ... فقالوا لها: هل شاهد لك يسمع
فقالت: شهودي أُذهب الرجس عنهم ... لهم آية التطهير ما فيه مدفع
هم حيدر وابناه مع أم أيمن ... فهل لك في رد الشهادة مطمع
فقال لها ظلماً وكفراً وقسوة: ... لسنا بقول البعل والابن نقنع
فلما رأت تصميمه في ضلاله ... وليس عن العصيان أو الظلم يقلع
فقامت وأنّت عند ذلك أنّة ... يكاد لها صم الصفا يتصدع
وتابعت الزفرات والنوح والبكا ... إلى أن قضت لم يرق للطهر مدمع
فيا عجباً من رده لشهودها ... وقول أناس ليس في الكفر تطمع
ألم يفقهوا أقواله وفِعاله ... ألم ينظروا، يا ويلهم، ثم يسمعوا
فهل رد إلاّ من نُفي الرجس عنهم ... ورد الذي قد جاء بالوحي يصدع
يزكي إلٰه العالمين وأحمد ... أناساً ويأتي نغل تيم ويمنع
فتباً لها من أمة ضلّ سعيها ... توالي كفراً بالإلٰه وتتبع
وأعظم من كل الرزايا رزية ... مصارع يوم الطف أدهى وأشنع
بها لبس الدين الحنيفي خلعة ... من الذلّ لا تُبلى ولا تتقطع
فما أنسى لا أنسى الحسين ورهطه ... وعترته بالطف ظلماً تُصرع
ولم أنسه والشمر من فوق رأسه ... يهشم صدراً وهو للعلم مجمع

ولم أنس مظلوماً ذبيحاً من القنا وقد كان نور الله في الأرض يلمع
يقبّله الهادي النبيّ بنحره وموضع تقبيل النبي يُقطع
إذا حزّ عضو منه نادى بجده وشمر على تصميمه ليس يرجع
وميّز عنه الرأس ظلماً وقسوة ولا عينه تندو ولا القلب يخشع
تزلزلت الأفلاك من كل جانب تكاد السماء تنقض والأرض تقلع
وعرج جبرائيل ينوح بحرقة ويشجي أملاك السماء ويفجع
وضجّت أملاك السماء وتناوحت طيور الفلا والوحش والجن أجمع
وجئن كريمات الرسول حواسراً ولم يبق جيب لا يُشق ويرقع
تُقبِّل جثمان الحسين سكينة وشمر لها بالسوط ضرباً يقنع
فيؤلمها ضرب السياط فتلتجي لعمتها من حيث بالضرب توجع
تقول له: يا شمر ويحك خلها إذا كان بالتقبيل ترضى وتقنع
وترفع صوتاً أم كلثوم بالبكاء وتشكوا إلى الله العلي وتضرع
وتندب من عظم الرزية جدها فلو جدنا ينظر إلينا ويسمع
أيا جدنا نشكوا إليك أمية فقد بالغوا في ظلمنا وتبدعوا
أيا جدنا لو أنْ رأيت مصابنا لكنت ترى أمراً له الصخر يصدع
أيا جدنا هذا الحسين معفراً على الترب محزوز الوريدين مقطّع
فجثمانه تحت الخيول ورأسه عناداً بأطراف الأسنة برقع
أيا جدنا لم يتركوا من رجالنا كبيراً ولا طفلاً على الثدي يرضع
أيا جدنا لم يتركوا لنسائنا خماراً ولا ثوباً ولم يبق برقع
أيا جدنا سِرنا عرايا حواسراً كأنّا سبايا الروم بل نحن أوضع
أيا جدنا لو أن ترانا أذلة أُسارى إلى أعدائنا نتضرّع
أيا جدنا نسترحم القوم لم نجد شفيعاً ولا من ذي الإساءة يدفع
أيا جدنا شمر يبزُّ قناعنا ويضربنا ضرب الإماء ويوجع
أيا جدنا زين العباد مكبَّل عليل سقيم مدنف متوجع
إذا ما رآنا حاسرات بلا غطاء تكاد الحشا تنفتُ والروح تُنزع
فيصرف عنا الوجه من غير بغضة ويرنوا إلى رأس الحسين فيجزع

فما فعلت عادٍ كفعل أمية ... ولكنهم آثار قوم تتبع
فما قتل السبط الشهيد ورهطه ... سوى عصبة يوم السقيفة أجمعوا
وما ذاك إلا ساموري وعجله ... أهم أصلُّوا للظلم والقوم فرَّعوا
ألا لعن الله الذين توازروا ... على ظلم آل المصطفى وتجمَّعوا
أيا سادتي يا آل بيت محمد ... بكم مفلح مستعصم متمنع
وأنتم ملاذي عند كل كريهة ... وأنتم له حصن منيع ومفزع
إذا كنتم درعي ورمحي ومنصلي ... فلا أختشي بأساً ولا أتروع
بكم أتقي هول المهمات في الدنا ... وأهوال روعات القيامة أدفع
فدونكموها من محب ومبغض ... له كبد حري وقلب مفجع
ولا طاقتي إلا المدائح والهجاء ... وليس بهذا علّة القلب تنفع
ألا ساعة فيها أجرِّد صارماً ... وأضرب هامَّ القوم حتى يصرع
فحينئذ يشفى الفؤاد وحزنه ... مقيم ولو لم يبق للقوم موضع
فكيف ولو بالحر قسنا جميعهم ... لزاد عليهم للرياحي أصبع

أيا سادتي يا آل بيت محمد ... ويا من بهم يعطي الإلٰه ويَمنع
ألا فاقبلوا من عبدكم ومحبكم ... قليلاً فإن الحر يرضى ويقنع
فإن كان تقصير بما قد أتيته ... فساحة غدري يا موالي مهيع
فلست بقوَّال ولست بشاعر ... ولكن من فرط الأسى أتولع

الباب الثالث

أيها الإخوان، كيف تُخفى زفرات الأحزان؟ أم كيف تُطفىء لهبات الأشجان؟ أتراكم ما تعلمون ما جرى على سادات الزمان في تلك الأماكن والأوطان؟ قسماً بالبيت العتيق لو فكر المؤمن فيما أصابهم من المحن لفدى روحه أن تخرج من البدن، كيف لا وهم أنوار الله في أرضه وسمائه، وأصفياء الله وأبناء أصفيائه، اجترأوا عليهم فقطعوا منهم الأوصال وجدلوهم على الرمال، وجرَّعوهم كؤوس الحتوف بأرض الطفوف، وأخذوا نساءهم سبايا على أقتاب المطايا عرايا حفايا على أيدي أهل العناد وأشرِّ العباد أمر ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾[1]:

(1) سورة مريم: الآية 90.

والله ما عاد بأعظم جرأة منهم ولا فعلت ثمود وتبع
وناداهم لما به حفوا معاً زمراً ولم يك من لقاهم يجزع
يا شر خلق الله ما مِن مسلم منكم له دين يكفُّ ويردع
حَرَم النبي تموت من حرّ الظمأ والوحش في ماء الشريعة يترع
ألكم طلائب عندنا تبغونها؟ أم ما عرفتم ويلكم ما يصنع

فيا لهف نفسي على الكهول والشبان، ويا تأسفي على تلك الأجسام والأبدان، فيا ليتني كنت تراباً لأقدامهم وخادماً من جملة خدّامهم.

روي عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال: نعم، إن خديجة لما تزوج بها رسول الله ﷺ هجرتها نساء مكة وكن لا يدخلن إليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل إليها، فاستوحشت خديجة لذلك. فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدثها في بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك عن رسول الله ﷺ. فدخل يوماً فسمع خديجة تحدِّث فاطمة فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين في بطني يحدثني ويؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرائيل يبشرني أنها ابنتي وأنها النسلة الطاهرة الميمونة، وأن الله سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك حتى حضرت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين مني ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: عصيتينا ولم تقبلي قولنا وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجيء ولا نلي من أمرك شيئاً. فاغتمت خديجة عليها السلام لذلك، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم، ففزعت منهن لما رأتهن، فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة إنَّا رسل ربك ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم، وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثم أخت موسى بن عمران بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء. فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها. فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة ولم يبق في شرق الأرض ولا في غربها مكان إلا أشرق فيه ذلك النور. ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طشت من الجنة وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من ماء الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاوين أشد بياضاً من اللبن،

وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة وقنّعتها بالثانية ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين فقالت: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأن أبي محمد رسول الله سيد الأنبياء، وأن بعلي سيد الأوصياء، وولديّ سادة الأسباط. ثم سلمت عليهن واحدة واحدة وسمت كل واحدة باسمها، وأقبلن يضحكن إليها وتباشرت الحور العين وبشّر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك.

ثم قالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدرّ عليها. وكانت فاطمة تنمو في اليوم كما ينمو الصبي في الشهر، وفي الشهر كما ينمو الصبي في السنة.

وعن رسول الله ﷺ قال: فاطمة سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين، وأنها لتقوم في محرابها فيسلِّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة، إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، ثم يلتفت إلى علي عليه السلام فيقول له: يا علي فاطمة بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي، يسوءني ما ساءها، ويُسرّني ما سرها، وأنها أول من يلحقني من أهل بيتي فأحسن إليها بعدي:

يا نفس إن تتلقي صبراً فقد ظلمت ... بنت النبي رسول الله وابناها
تلك التي أحمد المختار والدها ... وجبرائيل أمين الله ربّاها
الله طهّرها من كل فاحشة ... مِن كل ريب وزكّاها وصفّاها

فهذا يا إخوان الدين ما وصل إلينا في ولادة بنت سيد المرسلين.

وأما ولادة الحسين بن علي عليهما السلام، فقد روي فيها عن ابن عباس قال: لما أراد الله أن يهب لفاطمة الزهراء، وكان في رجب في اثني عشر ليلة خلت منه، فلما وقعت في طلقها أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى (لعيا) ـ وهي حوراء من الجنة ـ وأهل الجنان إذا أرادوا أن ينظروا إلى شيء حسن نظروا إلى لعيا، قال: ولها سبعون ألف وصيفة وسبعون ألف قصر وسبعون ألف مقصورة وسبعون ألف غرفة مكلَّلة بأنواع الجواهر والمرجان، وقصر لعيا أعلا من تلك القصور ومن كل القصور في الجنة إذا أشرفت على الجنة نظرت جميع ما فيها وأضاءت الجنة من ضوء خدها وجبينها، فأوحى الله إليها: أن اهبطي إلى دار الدنيا إلى بنت حبيبي محمد فآنسي لها. فأوحى الله إلى رضوان خازن الجنان أن زخرف الجنة وزيِّنها كرامة لمولود يولد في دار الدنيا. وأوحى الله إلى الملائكة أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتقديس والثناء على الله تعالى. وأوحى إلى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أن اهبطوا إلى

الأرض في قنديل من الملائكة ـ قال ابن عباس: والقنديل ألف ألف ملك ـ، فهبطوا من سماء إلى سماء، وإذا في السماء الرابعة ملك يقال له صلصائيل، له سبعون ألف جناح قد نشرها من المشرق إلى المغرب وهو شاخص نحو العرش لأنه ذكر في نفسه فقال: ترى الله يعلم ما في قرار هذا البحر وما يسير في ظلمة الليل وضوء النهار؟ فعلم الله تعالى ما في نفسه فأوحى الله إليه أن أقم مكانك لا تركع ولا تسجد عقوبة لك لما فكرت. قال: فهبطت لعيا على فاطمة وقالت لها: مرحباً بك يا بنت محمد، كيف حالك؟ قالت لها: بخير، ولَحِقَ فاطمة الحياء من لعيا، لم تدري ما تفرش لها، فبينما هي متفكرة إذ هبطت حوراء من الجنة ومعها درنوك من درانيك الجنة، فبسطته في منزل فاطمة فجلست عليه لعيا. ثم أن فاطمة عليها السلام ولدت الحسين عليه السلام في وقت الفجر فقبّلته لعيا وقطعت سرته ونشفته بمنديل من مناديل الجنة وقبّلت عينيه وتفلت في فِيهِ وقالت له: بارك الله فيك من مولود، وبارك في والديك، وهنت الملائكة جبرائيل وهنأ جبرائيل محمداً سبعة أيام بلياليها. فلما كان اليوم السابع قال جبرائيل: يا محمد آتنا بابنك هذا حتى نراه.

قال: فدخل النبي ﷺ على فاطمة فأخذ الحسين وهو ملفوف بقطعة صوف صفراء، فأتى به إلى جبرائيل فحله وقبّل بين عينيه وتفل في فِيهِ وقال: بارك الله فيك من مولود، وبارك في والديك يا صريع كربلاء، ونظر إلى الحسين وبكى وبكى النبي ﷺ وبكت الملائكة، وقال جبرائيل: أقرأ فاطمة ابنتك السلام وقل لها تسميه الحسين، فقد سماه الله جل اسمه ـ وإنما سمي الحسين لأنه لم يكن في زمانه أحسن منه وجهاً ـ. فقال رسول الله: يا جبرائيل تهنيني وتبكي؟ قال: نعم يا محمد آجرك الله في مولودك هذا، فقال: يا حبيبي جبرائيل ومن يقتله؟ قال: شراذمة من أمتك يرجون شفاعتك لا أنالهم الله ذلك. فقال النبي ﷺ: خابت أمة قتلت ابن بنت نبيها، قال جبرائيل: خابت ثم خابت من رحمة الله وخاضت في عذاب الله.

ودخل النبي ﷺ على فاطمة فأقرأها من الله السلام وقال لها: يا بنية سميه الحسين فقد سماه الله الحسين؛ فقالت: من مولاي السلام وإليه يعود السلام، والسلام على جبرائيل. وهنأها النبي ﷺ وبكى، فقالت: يا أباه تهنيني وتبكي؟ قال: نعم يا بنية آجرك الله في مولودك هذا. فشقهت شهقة وأخذت في البكاء وساعدتها لعيا ووصفائها، وقالت: يا أبتاه من يقتل ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي؟ قال: شراذمة من أمتي يرجون شفاعتي لا أنالهم الله ذلك. قالت فاطمة: خابت أمة قتلت ابن بنت نبيها. قالت لعيا: خابت ثم خابت من رحمة الله وخابت في عذابه؛ يا أباه أقرأ جبرائيل عني السلام وقل له: في أي موضع يُقتل؟ قال: في موضع يقال له كربلا، فإذا نادى الحسين لم يجبه أحد منهم، فعلى القاعد من نصرته لعنة

الله والملائكة والناس أجمعين، ألا أنه لن يُقتل حتى يخرج من صلبه تسعة من الأئمة ـ ثم سماهم بأسمائهم إلى آخرهم ـ وهو الذي يخرج آخر الزمان مع عيسى ابن مريم، فهؤلاء مصابيح الرحمٰن وعروة الإسلام محبهم يدخل الجنة ومبغضهم يدخل النار.

قال: وعرج جبرائيل وعرج الملائكة وعرجت لعيا، فبقي الملك صلصائيل فقال: يا حبيبي أقامت القيامة على أهل الأرض؟ قال: لا ولكن هبطنا إلى الأرض فهنينا محمداً بولده الحسين، قال: حبيبي جبرائيل فاهبط إلى الأرض فقل له: يا محمد اشفع إلى ربك في الرضا عني فإنك صاحب الشفاعة. قال: فقام النبي ﷺ ودعا بالحسين عليه السلام فرفعه بكلتا يديه إلى السماء وقال: اللهم بحق مولودي هذا عليك إلا رضيت على الملك، فإذا النداء من قبل العرش: يا محمد قد فعلت وقدرك كبير عظيم.

قال ابن عباس: والذي بعث محمداً بالحق نبياً أن صلصائيل يفخر على الملائكة أنه عتيق الحسين؛ ولعيا تفخر على الحور العين بأنها قابلة الحسين.

فيا إخواني، يحق لمن فارقته ساداته الذين بهم سعاداته ولم يتمكن من الوصول إليهم ولبذل نفسه في الجهاد بين يديهم أن تسيل دموعه الهاطلة وتزيد حرقته المواصلة، ويواصل النوح بالعويل، لا سيما لو كان بذاك رضا الجليل، فنوحوا يا إخواني على ساداتكم الكِرام وتمثلوا ما أصابهم من الكفرة اللئام، قتلوا رجالهم، وذبحوا أطفالهم، ونهبوا أموالهم.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان فنظم وقال فيهم[1]:

ألا نوحوا وضجُّوا بالبكاء ... على السبط الشهيد بكربلاء
ألا نوحوا بسكب الدمع حزناً ... عليه وامزجوه بالدماء
ألا نوحوا على مَن قد بكاه ... رسول الله خير الأنبياء
ألا نوحوا على مَن قد بكاه ... علي الطهر خير الأوصياء
ألا نوحوا على مَن قد بكته ... حبيبة أحمد ست النساء
ألا نوحوا على مَن قد بكاه ... لعظم الشجو أملاك السماء

(1) القصيدة لابن المتوّج رحمه الله تعالى.

ألا نوحوا على قمر منير عراه الخسف من بعد الضياء
ألا نوحوا على غصن رطيب ذوى بعد النضارة والبهاء
ألا نوحوا لخامس آل طٰه وياسين وأصحاب العباء
ألا نوحوا على شرف القوافي ومفخرة المراثي والثناء
ألا نوحوا عليه وقد أحاطت به خيل البغاء الأشقياء
إذ أقبل واعظاً فيهم خطيباً وبالغ في النصيحة والدعاء
ألا يا قوم أنشدكم فردوا جوابي هل يحلُّ لكم دمائي
وجدي أحمد وأبي علي وأمي فاطم ست النساء
فقالوا: لقد نطقت بقول صدق وقد أخبرت بالحق السواء
ولكن قد أُمرنا لا نخلي سبيلك أو تبايع بالوفاء
وإلا بالقواضب والعوالي تجرعكم بها غصص الظماء
فقال: أبالقتال تخوفوني وهل تخشى الأسود من الظباء
فنادوا للقتال معاً ونادى أخيل الله هبي للقاء
فكافحهم على غصص إلى أن أبادوا ناصريه ذوي الوفاء
وصادفهم بمهجته إلى أن أتاه سهم أشقى الأشقياء
فخرَّ وبادر الملعون شمر وحزَّ وريده بعد ارتقاء
وعلا رأسه في رأس رمح وخلى الجسم شلواً بالعراء
ومالوا في الخيام فحرقوها وعاثوا في الذراري والنساء
وساقوا الطاهرات مهتكات على قتب الجِمال بلا وطاء
ألا يا آل ياسين فؤادي لذكرى مصابكم حلف الضناء
فأنتم عدتي لي في يوم معادي إذا حشر الخلائق للجزاء
وما أرجو لآخرتي سواكم وحاشا أن يخيب بكم رجائي
أنا ابن متوَّج توجتموني بتاج الفخر طرّاً والبهاء
صلاة الخلق والخلاق تترى عليكم بالصباح وبالمساء
ولعنته على قوم أباحوا دماءكم بظلم وافتراء

* * *

المجلس الثامن

في اليوم الرابع من عشر المحرم

وفيه أبواب:

الباب الأول

تفكروا أيها الإخوان في أهل الظلم والعدوان، كيف حملتهم الأحقاد والغلّ الكامن في الفؤاد على انتهاك حرمة الرسول وذرية الزهراء البتول، فصرعوهم على الرمال ولم يراقبوا الكبير المتعال، ولا بما قيل وقال، بل رفعوا رؤوس آل النبي ﷺ على الرماح وتركوا أجسادهم شاحبة تسفي عليها الرياح، فهم ما بين قتيل يجري منه الصديد، وأسير مكبَّل بالحديد، وامرأة تحنُّ، ومريض يئنُّ، وسبايا كسبي العبيد، يُقادون بالعنف إلى يزيد، كأنهم أسارى بني الأصفر وليسوا من ذرية النبي المطهر.

قليل لهذا الرزء تكوير شمسها ... وأن تفطر السبع الشداد له قطرا
مُصاب بكت منه السماء وأهلها ... وأشقت به الشم الرعان على المسرى
وخطب جليل قليل حين حلوله ... لدمع رسول الله من عينه أجرى
ليبكي بنو الإسلام طراً عليهم ... كما بكت الآيات والملّة الغراء

حملتهم الدنيا الدنية على قتل العترة النبوية، وقد ورد في الخبر عن سادات البشر، حبها من أعظم الأخطار الموجبة للسخط ودخول النار.

وفي الحديث القدسي: «لو صلّى عبدي صلاة أهل السماوات وأهل الأرضين، وصام صيام أهل السماوات وأهل الأرضين، وحج حجيج أهل السماوات وأهل الأرضين، وطوى عن أكل الطعام مثل الملائكة المقربين، ثم أري في قلبه من حب الدنيا ذرة أو من سمعتها أو من رياستها أو من محمدتها أو من حليتها أو من زينتها أدنى من ذرة فإنه لا يجاورني في دار كرامتي، ولأنزعن من قلبه محبتي، ولأظلمن قلبه حتى ينسى ذكري حتى لا أذيقه رحمتي يوم القيامة».

وفي الخبر عن الصادق عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة يمر رسول الله ﷺ بشفير جهنم ومعه علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام، فيراهم المختار

وهو يومئذ في النار، فينادي بصوت عال: يا شفيع المذنبين أنقذني من النار، فلم يجبه. فينادي: يا علي أغثني من النار، فلم يجبه. فينادي: يا حسن يا سيد شباب أهل الجنة أدركني فلم يجبه. فينادي: يا حسين يا سيد الشهداء أنا الذي قتلت أعداءك وأخذت لك بالثأر أنقذني من النار، فيقول النبي ﷺ: يا حسين إن المختار قد احتج عليك بأخذ الثأر من أعدائك فانقذه من النار، قال: فينتفض الحسين عليه السلام سريعاً كالبرق الخاطف ويخرجه من النار ويغمسه في نهر الحيوان ويدخله الجنة مع الأخيار ببركة النبي المختار.

فسئل الصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله فلم أدخل المختار النار وهو من الأخيار والشيعة الأبرار وأفضل الأنصار لأهل بيت النبي المختار؟ فقال عليه السلام: إن المختار كان يحب السلطنة وكان يحب الدنيا وزينتها وزخرفها وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة لأن رسول الله ﷺ قال: «والذي بعثني بالحق نبياً لو أن جبرائيل أو ميكائيل كان في قلبهما ذرة من حب الدنيا لأكبهما الله على وجوههما في نار جهنم».

فنزّهوا أيها الإخوان أنفسكم عن الراكعون إلى الدنيا، وإياكم وطلب الرياسة والعلياء، فإنها دار لا يدوم فيها نعيم ولم يبق أحد من شرها سليم، وكيف يرضى الغافل بالدنيا دار بعد آل الرسول وسلالة الطاهرة البتول، هذه والله دار غدرت بمواليها فلا خير والله فيها إلا من اتخذ فيها الزاد ليوم المعاد، ولعمري لا عمل فيها أفضل من موالاة الآل الدافعة لتلك الأهوال يوم الحشر والمآل:

هم السادة الأطهار آل محمد ... هم الدين والدنيا لمن يتعقل
هم الطور والأعراف والنور والضحى ... وياسين والأحقاف والمزمل
مهابط وحي الله في حجراتهم ... وتبيان برهان الكتاب المنزل
فما مثلهم في الكون إن عدّ مفخر ... أعِدْ نظراً يا صاح إن كنت تعقل
خلت منهم أرض العقيق وعطلت ... منازل آيات بها الوحي ينزل
منازل تنزيل بها الحزن قد ثوى ... ومجلس أنس قد خلا منه نزل
حدا بهم حادي المنايا معجلاً ... وسارت بهم عنفاً على الابن نزل
أصابتهم أيدي المصائب فاغتدوا ... أماثيل في الدنيا لمن يتمثل
فما منهم إلا قتيل وهالك ... بسم ومذبوح وذاك مكبل
على مثلهم فليبكي بالمدى المدى ... ويذرف دمعاً كالمسيل مسيل

روي عن علي بن عاصم الكوفي الأعمى قال: دخلت على سيدي ومولاي الحسن

العسكري عليه السلام، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام وقال: مرحباً بك يا ابن عاصم أجلس مكانك، هنيئاً لك يا ابن عاصم أتدري ما تحت قدميك؟ فقلت: يا مولاي إني أرى تحت قدمي هذا البساط كرَّم الله وجه صاحبه، فقال: يا ابن عاصم اعلم أنك على بساط جلس عليه كثير من النبيين والمرسلين، فقلت: يا سيدي ليتني لا أفارقك ما دمت في دار الدنيا. ثم قلت في قلبي: ليتني أرى هذا البساط، فعلم الإمام ما في ضميري فقال: ادن مني، فدنوت منه، فمسح يده على وجهي فصرت بصيراً بإذن الله. ثم قال لي: هذا قدم أبينا آدم، وهذا أثر هابيل، وهذا أثر شيث، وهذا أثر إدريس، وهذا أثر هود، وهذا أثر صالح، وهذا أثر لقمان، وهذا أثر إبراهيم، وهذا أثر لوط، وهذا أثر شعيب، وهذا أثر موسى، وهذا أثر داود، وهذا أثر سليمان، وهذا أثر الخضر، وهذا أثر دانيال، وهذا أثر ذي القرنين الإسكندر، وهذا أثر عدنان، وهذا أثر عبد المطلب، وهذا أثر عبد الله، وهذا أثر عبد مناف، وهذا أثر جدي رسول الله، وهذا أثر جدي علي بن أبي طالب. قال علي ابن عاصم: فأهويت على الأقدام كلها وقبَّلتها وقبَّلت يد الإمام العسكري عليه السلام وقلت له: يا سيدي إني عاجزاً عن نصرتكم بيدي وليس أملك غير موالاتكم والبراءة من أعدائكم واللعن لهم في خلواتي، فكيف حالي يا سيدي؟ فقال: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت ولعن في خلواته أعداءنا بلغ الله صوته إلى جميع الملائكة فكلما لعن أحدكم أعداءنا ساعدته الملائكة ولعنوا من لا يلعنهم، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة استغفروا له وأثنوا عليه وقالوا: اللهمَّ صلِّ على روح عبدك هذا الذي بذل في نصرة أوليائه جهده ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل. فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: يا ملائكتي إني قد أجبت دعاءكم في عبدي هذا وسمعت نداءكم وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار وجعلته من المصطفين الأخيار.

وكذلك قال علي بن أبي طالب عليه السلام لأصحابه الذين كانوا معه لما غُصبت الخلافة منه، حيث قال: يا أصحابي إلزموا بيوتكم واصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم وأهواء ألسنتكم ولا تستعجلوا بما يعجله الله لكم، فأنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة من حق ربه وحق نبيه وآل نبيه كان كمن مات شهيداً أو أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام صلاته وجهاده بسيفه ويده، وإن لكل شيء أجلاً وانتهاء.

فيا إخوتي، لله در الشيعة المخلصين والأتباع المتقين، وأهل الولاية أجمعين الذين بذلوا قلوبهم في المحبة واستعملوها في المودة والمسبة.

روي في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه كان يقول للحسن والحسين: أنتما زينة عرش الرحمٰن، أنتما اللؤلؤة والمرجان. فقيل له: يا رسول الله وكيف ذلك وكيف يكونان تزيين عرش الرحمٰن؟ فقال النبي ﷺ: إذا كان يوم القيامة يزيَّن عرش رب العالمين بكل زينة ثم يؤتى بمنبرين من نور كل منبر طوله مائة ميل، فيوضع أحدهما عن يمين العرش والآخر عن يسار العرش، ثم يؤتى بالحسن والحسين عليهما السلام فيقف الحسن على أحدهما والحسين على الآخر، يزيِّن الربّ تبارك وتعالى بهما عرشه كما تزيِّن المرأة قرطاها.

ثم قال ﷺ: ويوضع يوم القيامة منابر تحت العرش لشيعتي ولشيعة أهل بيتي المخلصين في ولايتنا، فيقول الله عزَّ وجلَّ: هلموا يا عبادي إليَّ لأنشر عليكم كرامتي فقد أوذيتم في دار الدنيا.

وقال أيضاً ﷺ: أنا الشجرة وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، وشيعتنا أهل البيت أوراقها، قد أفلح من تمسك بهذه الشجرة.

وفي الخبر أيضاً عنه ﷺ أنه قال: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بلا حساب عليهم ولا عذاب يصل إليهم. ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: شيعتك هم وأنت إمامهم.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا بلغت نفس المؤمن الحنجرة وأهوى ملك الموت بيده إليها، يرى قرة عين يقال له: انظر عن يمينك، فيرى رسول الله وعلياً وفاطمة والحسن والحسين، فيقولون له: إلينا إلى الجنة والله لو بلغت روح عدونا إلى صدره وأهوى ملك الموت بيده إليها لا بد أن يقال: أنظر عن يسارك، فيرى منكراً ونكيراً يهددانه بالعذاب، نعوذ بالله منه:

مناقبهم بين الورى مستنيرة ... لها غرر مجلوَّة وحجول
مناقب جلت أن يُحاط بحصرها ... نمَّتها فروع قد زكت وأصول
مناقب وحي الله أثبتها لهم ... بما قام منه شاهد ودليل
مناقب من خلق النبي وخلقه ... ظهرت فما يغتالهن أفول
أمولاي آمالي تؤمل نصركم ... وقلبي إليكم بالولاء يميل
وقد طال عمر الصبر في أخذ ثاركم ... كما آن للظلم المقيم رحيل
متى يشتفي حر الغليل ويشتفي ... فؤاد بآلام المصاب عليل
ويجبر هذا الكسر في ظلّ دولة ... لها النصر جند والأمان دليل

هنالك يضحى دين آل محمد عزيزاً ويمسي الكفر وهو دليل
ويطوى بساط الحزن بعد كآبة وتنشر نشراً للهناء ذيول
فيا آل طٰه الطاهرين رجوتكم ليوم به فصل الخطاب طويل
أقيلوا عثاري يوم فقري وطاقتي فظهري بأعباء الذنوب ثقيل

فيا إخواني، دعوا التشاغل عنكم بالأهل والأوطان والأتراب والأخدان، تفكروا فيما أصاب سادات الزمان الذين تمَّ لكم بهم الإيمان واستحققتم بموالاتهم دخول الجنان ورضاء الرحمٰن.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان فنظم وقال فيهم[1]:

يا عين لا لخلو الربع والدمن باكي الرزايا سوى الباكي على السكن
وآسي بني الهدى فيما أُصيبت به وساعدي البضعة الزهراء على الحزن
وقابليها بأرض الطف صارخة على القتيل الغريب النازح عن الوطن
تشكو إلى الله والأملاك محدقة بالعرض تستصرخ المولى أبا حسن
من حولها مريم العذراء وآسية تكرِّر النوح بالتذكار والحزن
والنوح من نادبات الجن مرتفع وقلبها موجع بالثكل والمحن
لهفي على قول مولاتي وقد نظرت شلو الحسين بلا غسل ولا كفن
ملقى على الأرض عاري الجسم منعفر الخدين مختضب الأوداج والذقن
لهفي على زينب حرى مجرَّدة مسلوبة تستر الأكتاف بالردن
تقول: يا واحدي من لي إذا نزلت بي الحوادث يحميني ويكفيني
لهفي على فاطم الصغرى مقرحة بالدمع أجفانها مسلوبة الوسن
تدعو إلى زينب: يا عمتا سلب العلج القناع ليسبيني ويهتكني
فرُمْتُ أستر وجهي عند رؤيته فظلّ يشتمني عمداً ويضربني
أين الحماة وأين الناصرون لنا وا خيبتي جار دهري واعتدى زمني
لهفي على السيد السجَّاد معتقلاً في أسرهم مستذلاً ناحل البدن

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله تعالى.

إذا شكا أسمعوه قبح شتمهم ... وإن ونى قنّعوه فاضل الرسن
وا حسرتاه لكريم السبط مشتهراً ... كالبدر يشرق فوق الدل واللدن
فيا لها محنة عمّت مصيبتها ... ويا لها حسرة في قلب ذي شجن
يهنى يزيد برأس طالما رشف ... المختار من ثغره تقبيل مفتتن
وتستحثُّ بنات المصطفى ذلّلاً ... على المطايا إلى الأطراف والمدن
قد قابلونا بنو حرب بما صنعوا ... ولا شفوا غلل الأحقاد والضغن
بفعلهم كفروا فينا واعتقدوا ... أن لا جزاء على قبح ولا حسن
مضوا على سنن الماضين وارتكبوا ... نهج الضلال ومالوا عن هُدى السنن
كأنني بالبتول الطهر واقفة ... في الحشر تشكو إلى الرحمٰن ذي المنن
تأتي وقد ضمخت ثوب الحسين دماً ... من نحره وهي تبدي الحزن في حزن
تدعوا ألا ابن مسمومي ويا أسفي ... على قتيلي ويا كربي ويا حزني
يا رب من نوزعت ميراث والدها ... مثلي ومَن طولبت بالحقد والإحن
ومن ترى جُرِّعت في ولدها غصص ... كما ابن مرجانة الملعون جرَّعني
ومن ترى كُذِّبَت قبلي وقد علموا ... أن الإلٰه من الأرجاس طهرني
وهل لبنت نبي أضرمت شعل ... كما أُطيف به بيتي ليحرقني
خرجت أطلب للأطفال بلغتهم ... فدعني ظالمي عنها ودافعني
رب انتصف لي ممن خان عهدك ... في ولدي وممن زوى إرثي فأفقرني
وتستغيث إمام العرش ساجدة ... والمصطفى واقف والدمع كالمزن
فيبرز الأمر أني قد سمعت وقد ... نقمت ممن عصى أمري وخالفني
أعظم بها ومنادي الحشر يسمع بالصوت ... الرفيع لديها كل ذي إذن
غضُّوا العيون فخاتون القيامة قد ... جاءت لتشفع فيمن بالولاء كني
من كل محترق من عظم فجعتها ... بكى وساعدها بالمدمع والهتن
يا سادتي الهادي النبي ومن ... أخلصت ودي لهم في السر والعلن
عرفتكم بدليل العقل والنظر المهدي ... فلم أخش كيد الجاهل اللكني
ظفرت بالكنز في علم اليقين فلم ... أخش اعتراضاً لدى شك ينازعني
فلست آسى على من ظلّ يبعدني ... بالقرب منكم ومن بالغت ترحمني

وإنني أرتجي أن سوف يلطف بي ... ربي فيصفح عن جرمي ويرحمني
وأن فاطمة الزهراء تشفع لي ... والمرتضى لجِنان الخُلد يقسمني
فاز الخليعي كل الفوز واتضحت ... بكم له سُبل الإرشاد والسنن

الباب الثاني

أيها المؤمنون الأخيار، لا تبخلوا بالدموع الغزار على عترة النبي المختار، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويجزل لديه ثوابكم؟ أليس هم شفعاؤكم يوم المعاد إذا وفقتم بين يدي رب العباد؟ أليس هم العدة لكم بكل شدة؟ أليس بهم تحط الأوزار؟ أليس هم الجنان الواقية من النار؟ فمن بخل منكم عليه بإثارة الأحزان والأشجان، فعلى نفسه بخل ولقدر مواليه وساداته حقر وجهل.

أيبكي الباكون منكم على الأهل والأولاد والأباء والأجداد! فيا عجباً لمن أساء إليهم وظلمهم وقصر في حقهم! وما أكرمهم! وما ارتكب منهم ما يوجب السخط العظيم والعدل عن النهج القويم والصراط المستقيم، أمر ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾[1].

إن كنت في شكٍّ فسَلْ عن حالِهم ... سُنن الرسول ومُحكم التنزيل
فهناك أعدل شاهد لذوي النهى ... وبيان فضلهم على التفصيل
ووصية سبقت لأحمد فيهم ... جاءت إليه على يدي جبرائيل

روي عن أم سلمة: أن الحسن والحسين دخلا على رسول الله ﷺ وكان عنده جبرائيل عليه السلام، فجعلا يدوران حوله يشبهانه بدحية الكلبي، فجعل جبرائيل يومي بيده نحو السماء كالمتناول شيئاً، فإذا بيد جبرائيل تفاحة وسفرجلة ورمانة فناولهما الجميع فتهلّلت وجوههما فرحاً وسعيا إلى جدهما فقبّلهما وقال لهما: اذهبا إلى منزلكما وابدؤوا بأبيكما. ففعلا كما أمرهما جدهما ولم يأكلوا منها شيئاً حتى جاء النبي ﷺ إليهم، فجلسوا جميعاً وأكلوا حتى شبعوا ولم يزالوا يأكلون من ذلك السفرجل والتفاح والرمان وهو يرجع كما كان أولاً، حتى قُبِضَ النبي ﷺ ولم يلحقه التغيير والنقصان في مدة حياة فاطمة عليها السلام.

قال الحسين عليه السلام: فلما توفيت أمي فاطمة فقدنا الرمان وبقي التفاح والسفرجل أيام حياة أبي، فلما استشهد أبي علي بن أبي طالب عليه السلام فقدنا السفرجل

(1) سورة مريم: الآية 90.

وبقي التفاح على حاله إلى وقت منعت فيه شرب الماء فكنت أشمها إذا عطشت فيسكن لهيب عطشي، فلما دنا أجلي رأيتها قد تغيّرت فأيقنت بالفناء.

قال علي بن الحسين عليهما السلام: سمعت أبي يقول ذلك قبل مقتله بساعة، فلما قضى نحبه وجد ريح التفاح في مصرعه، فالتمست التفاحة فلم أجد لها أثراً، فبقي ريحها بعد مقتله عليه السلام.

ولقد زرت قبره فشممت منه رائحة التفاح تفوح من قبره صلوات الله عليه، فمن أراد ذلك من شيعتنا الصالحين الزائرين قبر الحسين عليه السلام فيلتمس ذلك في أوقات السحر فإنه يجد رائحة التفاح عند قبر الحسين عليه السلام إن كان مخلصاً موالياً صادقاً.

وعن الصادق عليه السلام: أن جبرائيل نزل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويبشرك بمولود من ابنتك فاطمة الزهراء عليها السلام وتقتله أمتك من بعدك. فقال: يا جبرائيل قل لربي لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة وتقتله أمتي من بعدي. قال: فعرج جبرائيل عليه السلام إلى السماء في أسرع من طرفة عين ثم هبط وقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويبشرك أنه جاعل في ذريته الأمانة والولاية والوصية، فقال النبي ﷺ: رضيت بذلك. ثم أرسل النبي ﷺ إلى ابنته فاطمة عليها السلام يقول: إن الله يبشرك بمولود يولد منك وتقتله أمتي من بعدي. فجزعت فاطمة عليها السلام وأرسلت إليه تقول: لا حاجة لي في مولود يولد مني وتقتله أمتك من بعدنا، فأرسل إليها يقول: إن الله جاعل من ذريته الإمامة والولاية والوصية. فأرسلت إليه تقول: إني قد رضيت ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾[1] فكانت ذريته كلهم أئمة. فهذه الآية نزلت في شأن الحسين عليه السلام.

وروي أن الحسين عليه السلام لم يرضع من ثدي فاطمة شيئاً ولا رضع من أنثى لبناً، ولكنه كان يؤتى به إلى جده رسول الله ﷺ فيضع أبهامه في فِيهِ فيمص منها لبناً يكفيه ويغذيه يومين أو ثلاثة أيام، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله ﷺ ودمه من دمه، وعظمه من عظمه، ومخه من مخه، وشعره من شعره، ولم يولد مولود لستة أشهر إلا عيسى ابن مريم والحسين ابن فاطمة عليهما السلام.

وفي خبر آخر: أن فاطمة عليها السلام لما اغتسلت بعدما ولدت الحسين جفَّ

(1) سورة الأحقاف: الآية 15.

لبنها، فطلب رسول الله ﷺ مرضعة، فلم يجد له مرضعة، فكان يأتيه الحسين مع أم سلمة فيلقمه إبهامه فيمصه ويجعل الله له من إبهام النبي ﷺ رزقاً يغذى به بقدرة الله تعالى.

وفي خبر آخر: بل كان رسول الله ﷺ يدخل لسانه في فم الحسين فيغره كما يغر الطير فرخه فيجعل الله له في ذلك رزقاً بقدرة الله تعالى، ففعل ذلك به أربعين يوماً وليلة، فنبت لحمه من لحم رسول الله ﷺ.

أيُقتل ظمآناً حسين بكربلاء ... وفي كل عضو من أناملـه بحر
ووالده الساقي على الحوض في غدٍ ... وفاطمة ماء الفرات لها مهر
فوا لهف نفسي للحسين وما جنى ... عليه غداة الطف في حربه شمر
سنان (سنان) خارق منه في الحشا ... وصارم شمر في الوريد له شمر
تجر عليه العاصفات ذيولها ... ومن نسج أيدي الصافنات له طمر
فيا لك مقتولاً بكته السماء دماً ... فمغبر وجه الأرض بالدم محمر
مصابكم يا آل طٰه مصيبة ... ورزء على الإسلام أحدثه الكفر

حكى عبد الله بن العباس قال: جاءني رجل من بني أمية فقال: أريد أن أسألك عن سؤال، فقلت له: سل عما تريد، فقال لي: يا عبد الله ما تقول في دم البعوضة هل ينقض الوضوء أم لا؟ وهل هو طاهر أم نجس؟ فقلت له: ثكلتك أمك يا عديم الرأي تسأل عن دم البعوضة فلم لا سألت عن دم الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ سفكتم دمه وقطعتم لحمه وكسرتم عظمه وقتلتم أولاده وأطفاله وأنصاره وسبيتم حريمه، ومنعتموه من شرب الماء؟ ألا لعنة الله على الظالمين. ثم التفت عبد الله إلى جلسائه وقال: انظروا إلى هذا اللعين كيف يسألني عن دم البعوضة ولا يخاف أن يسأله الله عن دم الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ. ثم قال لأصحابه: والله إني سمعت بهاتي أذني من رسول الله ﷺ يقول مراراً كثيرة: الحسن والحسين ريحانتاي في الدنيا وهما مني وأنا منهما، أحب الله من أحبهما، وأبغض الله من الله أبغضهما، وآذى الله من آذاهما، ووصل الله من وصلهما، وقطع الله من قطعهما، فإنهما ابناي وسبطاي وقرتا عيني وسيدي شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين. فقلت: يا رسول الله أي أهل بيتك أحب إليك؟ فقال: الحسن والحسين أحب الناس إلي. وكان يقول ﷺ: يا فاطمة ادعي لي ابنيّ، فيأتيان إليه فيضمهما إليه ويشمهما ويقبلهما ويقول: أحب الله من أحب الحسن والحسين ومن أحب ذريتهما، فمن أحبهم لم تمس جسده نار جهنم ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج إلا أن يكون له ذنب يخرجه عن الإيمان.

وعن الأوزاعي، عن عبد الله بن شداد، عن أم الفضل بنت الحرث: إنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله رأيت البارحة حلماً منكراً شديداً، قال: وما هو يا أم الفضل؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قُطِّعت ووُضِعت في حجري، فقال رسول الله ﷺ: يا أم الفضل ستلد ابنتي فاطمة غلاماً فتكون تربيته في حجرك. قالت: فولدت فاطمة الحسين وكان كما قال رسول الله ﷺ. فربيته في حجري، فدخلت به يوماً على النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تهرقان بالدموع، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لك تبكي؟ فقال: أتاني جبرائيل أخي وأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا وأتاني بقبضة من تربة حمراء، فأرانيها.

ومن طرقهم: أن عيسى ابن مريم عليهما السلام مرّ بكربلاء فرأى عدة من الظباء هناك مجتمعة فأقبلت إليه وهي تبكي، وأنه جلس وجلس الحواريون فبكى وأبكى الحواريين وهم لا يدرون لم جلس ولم يبكي؟ فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟ قالوا: لا، قال: هذه أرض يُقتل فيها فرخ لرسول الله أحمد، وفرخ الخيرة الطاهرة البتول شبيهة أمي، ويلحد فيها، وهي أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء عليهم السلام. وهذه الظباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض. ثم ضرب بيده إلى ثغر تلك الظباء فشمها وقال: اللهم ابقها حتى يشمها أبوه فتكون له عزاء. فبقيت إلى أيام أمير المؤمنين عليه السلام فشمها وبكى وأخبر بقصتها.

وعن سلمان الفارسي أنه قال: كان سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام يحدثنا كثيراً بالأشياء والمغيبات التي تحدث على مرور السنين والأوقات، وأنه يوم الجمعة يخطب على منبره في جامع الكوفة فقال في خطبته: «يا أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وسايقها إلى يوم القيامة». قال: فقام إليه رجل فاجر فاسق وقال له: يا علي أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟ فقال له عليه السلام: والله لقد أخبرني بسؤالك هذا ابن عمي رسول الله ﷺ ونبأني بما سألت عنه، وأن على كل طاقة من شعر رأسك ولحيتك شيطاناً يغويك ويستفزك وأن على كل شعرة من بدنك شيطاناً يلعنك ويلعن ولدك ونسلك، وأن لك ولداً رجساً ملعوناً يقتل ولدي الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ، وأنت وولدك بريئان من الإيمان، ولولا أن الذي سألتني عنه يعسر برهانه لأخبرتك به ولكن حسبك فيما نبأتك به من لعنتك ورجسك

وولدك الملعون الذي يقتل ولدي ومهجة قلبي الحسين.

قال: وكان له ولد صغير في ذلك الوقت فلما نشأ وكبر وكان من أمر الحسين ما كان نمى الصبي وتجبَّر وتولى قتل الحسين عليه السلام، وقيل إن ذلك الصبي كان اسمه خولى بن يزيد الأصحبي، وهو الذي طعن الحسين برمحه فخرج السنان من ظهره فسقط الحسين على وجهه يخور في دمه ويشكو إلى ربه ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

فيا ويلهم ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله ﷺ، كأنهم ما سمعوا ما ورد في حقهم أم سمعوا وهم غافلون: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

فعلى الأطائب من آل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[3]:

أرى الصبر يفنى والهموم تزيد ... وجسمي يبلى والسقام جديد
إذا ما تعمدت السلو في خاطري ... أباه فؤادي للهموم عنيد
وذكَّرني بالحزن والنوح والبكا ... غريب بأكناف الطفوف فريد
يودِّع أهليه وداع مفارق ... لهم أبد الأيام ليس يعود
كأني بمولاي الحسين وصحبه ... كأنهم تحت الوطيس أسود
عطاشى على شاطىء الفرات فما لهم ... سبيل إلى قرب المياه ورود
فيا ليتني يوم الطفوف شهدتهم ... وكنت كما جادوا هناك أجود
لقد صبروا لا ضيَّع الله صبرهم ... إلى أن قُتلوا من حوله وأُبيدوا
وقد خرَّ مولاي الحسين مجدلاً ... قتيلاً عفيراً في التراب وحيد
وأقبل شمر الرجس واحتزَّ رأسه ... بقلب مشؤوم فارقته سعود
وساقوا السبايا من بنات محمد ... يسوقهم قاسي الفؤاد عتيد
وفاطمة الصغرى تقول لأختها ... وقد كدها جهد هناك جهيد
يا أخت قد ذابت من السير مهجتي ... سلي سائق الأضعان أين يريد
تنادي وقد أبدت من الثكل صبرها ... بصوت تكاد الأرض منه تميد
بكى رحمة لي حاسدي ومعاندي ... فيا سوء حالٍ إذ بكاه حسود

---

(1) سورة هود: الآية 18.
(2) سورة الشعراء: الآية 227.
(3) القصيدة للشيخ ابن حماد رحمه الله تعالى.

فنى جلدي يا ابن الوصي وليس فؤادي على ما لقيت جليد
فيا غائباً لا يرتجى منه أوبة مزارك من قرب الديار بعيد
ظننت بأن تبقى فآيسني الرجاء ويأسي المرجي يا ابن أمي شديد
تبيد الليالي والدهور ومهجتي وحزني على مولاي ليس يبيد
سيعلم أعداء الحسين ورهطه إذا ما هم يوم المعاد أعيدوا
وأقبلت الزهراء فاطم حولها من أملاك رب العالمين جنود
تنادي: إلٰهي خذ بحق ظالمي فإنك عدل للخصوم عنيد
فهذا يزيد قاتل ابني ورهطه على ظمأ حتى فنوا وأبيدوا
وساقوا بناتي حاسرات أذلّة كما سيل من نسل العبيد عنيد
فتبكي لها الأملاك جمعاً وعندها ينادي منادي الحق: أين يزيد
فيؤتى به سحباً ويؤتى برهطه وجوههم بين الخلائق سود
فيأمر مولاي الجليل بقتلهم إذا قتلوا من بعد ذاك أعيدوا
وتقتلهم أولاد فاطم كلهم وشيعتهم والعالمون شهود
ويحشرهم ربي إلى ناره التي يكون بها للضالين خلود
إذا نضجت فيها هناك جلودهم أعيد لهم من بعد ذاك جلود
فما فعلت عاد كقبح فِعالهم ولا استحسنت ما استحسنته ثمود
شهدت بمن حج الملبُّون بيته وربي على ما قد شهدت شهيد
بأن رسول الله أكرم من مشى ومَن حَمَلَته في المهامة قود
وعترته أزكى وأطهر عترة ومَن جاد حتى لا يكون يجود
ولولاهم لم يخلق الله خلقه ولم يك وعد فيهم ووعيد
وما خُلقوا إلا ليمتحن الورى فيشقى شقي فيهم ويسعد سعيد
عليهم سلام الله ما درَّ شارقٍ وما اخضَّر يوماً في الأرائك عود
وإني ابن حمَّاد بمدح أئمتي أعيش وعيشي في الزمان حميد
أخبر في آل النبي مدائحي وأُحسن ما خبَّرته وأجيد

الباب الثالث

يا إخواني، تفكروا في أنوار الله في أرضه وسمائه وأصفياء الله وحججه وخلفائه

كيف تقطَّع منهم الأوصال، ويجدلون على الرمال، ويتجرعون الحتوف بأراضي الطفوف؟ ولعمري هذا دأب الصالحين وأولياء الله المقربين، فإن الله يذود أولياءه عن لذات الدنيا كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مراتع الهلكة.

وتأكيد ذلك ما روي: أن موسى عليه السلام لما توجه إلى مناجاة ربه اعترضه رجل من عباده الصالحين، فقال له: يا موسى أبلغ ربك إني أحبه وأنا مطيع له. فلما فرغ موسى من المناجاة نودي: يا موسى ألا تبلغني رسالة عبدي؟ فقال: يا إلٰهي أنت العالم بما قال عبدك، فقال ذو الجلال: يا موسى أنا أيضاً أحبه. فازداد ذلك الرجل في يقين موسى أنه عبد صالح. فلما رجع موسى من مناجاة ربه جعل يتفقد ذلك الرجل في مكانه فإذا هو بالأسد قد افترسه فتعجب موسى عليه السلام وحزن عليه وقال: يا إلٰهي رجل صالح تحبه ويحبك تسلِّط عليه كلباً من كلابك يفترسه!، فأتاه النداء: نعم يا موسى، وهكذا أفعل بأحبابي وأوليائي أبتليهم في دار الهوان وأسكنهم عندي في غرفات الجنان.

وروي أيضاً: أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فوقف بين يديه، فقال: يا رسول الله إني أحب الله عزَّ وجلَّ، فقال: استعد للبلاء. فقال: يا رسول الله وإني أحبك، فقال له: استعد للفقر، فقال: وإني أحب علي بن أبي طالب، فقال: استعد لكثرة الأعداء.

ولما كان الإمام الحسين حبيب الملك الديان وولّي الواحد المنان، وحجة الله على العباد، لا جرم ابتلاه الله بأهل العناد والفساد. وهل أصابته تلك السهام والمِحن العظام إلاّ من القوس الذي وتر على أبيه وأمه وأخيه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2]. فتعساً لمن أردى تلك العصابة الكرام، وسحقاً لمن نكس أعلام أولئك الأعلام، أما خافوا من أهوال يوم القيامة! أما راقبوا جدهم صاحب الغمامة؟ أما راجعوا عقولهم فعلموا في المحشر كيف يكون؟ وبماذا يتعلَّلون إذا بكت الزهراء على ما حلَّ بولدها الذي هو قطعة من كبدها؟ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3].

روي أن النبي ﷺ خرج من المدينة غازياً وأخذ معه علياً وبقي الحسن والحسين عليهما السلام عند أمهما لأنهما صغيران، فخرج الحسين عليه السلام ذات يوم من دار أمه يمشي في شوارع المدينة، وكان عمره يومئذ ثلاث سنين، فوقع بين نخيل وبساتين حول المدينة فجعل يسير في جوانبها ويتفرج في مضاربها، فمر عليه يهودي يقال له صالح بن

(1) سورة إبراهيم: الآية 42.
(2) سورة الشعراء: الآية 227.
(3) سورة يونس: الآية 30.

رقعة اليهودي، فأخذه إلى بيته وأخفاه عن أمه حتى بلغ النهار إلى وقت العصر والحسين لم يتبين له أثر. فقاد قلب فاطمة عليها السلام بالهمّ والحزن على ولدها الحسين عليه السلام فصارت تخرج من دارها إلى باب مسجد النبي ﷺ سبعين مرة فلم تر أحداً تبعثه في طلب الحسين عليه السلام. ثم أقبلت إلى ولدها الحسن عليه السلام وقالت له: يا مهجة قلبي وقرة عيني قم فاطلب أخاك الحسين فإن قلبي يحترق من فراقه. فقام الحسن وخرج من المدينة وأتى إلى دور حولها نخل كثير وجعل ينادي: يا حسين بن علي، يا قرة عين النبي، أين أنت يا أخي؟ قال: فبينما الحسن ينادي إذ بدا له غزالة في تلك الساعة فألهمَ الله الحسن أن يسأل الغزالة، فقال: يا ظبية هل رأيت أخي حسيناً؟ فأنطق الله الغزالة ببركات رسول الله ﷺ وقالت: يا حسن يا نور عين المصطفى وسرور قلب المرتضى ويا مهجة فؤاد الزهراء، اعلم أن أخاك أخذه صالح اليهودي وأخفاه في بيته. فسار الحسن عليه السلام حتى أتى دار اليهودي فناداه، فخرج صالح، فقال له الحسن: إليَّ الحسين من دارك وسلمه إليَّ وإلا أقول لأمي تدعو عليك في أوقات السحر وتسأل ربها حتى لا يبقى على وجه الأرض يهودي ثم أقول لأبي يضرب بحسامه لجمعكم حتى يلحقكم بدار البوار، وأقول لجدي يسأل الله سبحانه أن لا يدع يهودياً إلا وقد فارق روحه. فتحير صالح اليهودي من كلام الحسن وقال له: يا صبي من أمك؟ فقال: أمي الزهراء بنت محمد المصطفى قلادة الصفوة ودرّة صدف العصمة وعزّة جمال العالم والحكمة، وهي نقطة دائرة المناقب والمفاخر، ولمعة من أنوار المحامد والمآثر، وخمرة طينة وجودها من تفاحة من تفاح الجنة، وكتب الله في صحيفتها عتق عصاة الأمة، وهي أم السادة النجباء، وسيدة النساء البتول العذراء فاطمة الزهراء عليها السلام.

فقال اليهودي: أما أمك فعرفتها، فمن أبوك؟ فقال الحسن عليه السلام: إن أبي أسد الله الغالب علي بن أبي طالب، الضارب بالسيفين، والطاعن بالرمحين، والمصلّي مع النبيّ في القبلتين، والمفدي نفسه لسيد الثقلين أبو الحسن والحسين.

فقال صالح: يا صبي قد عرفت أباك، فمن جدك؟ فقال: جدي من صف الجليل، وثمرة من شجرة إبراهيم الخليل، الكوكب الدريّ والنور المضيء من مصباح التبجيل، المعلقة في عرش الجليل، سيد الكونين، ورسول الثقلين، ونظام الدارين، وفخر العالمين، ومقتدى الحرمين، وإمام المشرقين والمغربين، وجد السبطين أنا الحسن وأخي الحسين.

قال: فلما فرغ الحسن من تعداد مناقبه انجلى صداء الكفر عن قلب صالح وهملت

عيناه بالدموع وجعل ينظر كالمتحير متعجباً من حسن منطقه وصغر سنه وجودة فهمه. ثم قال: يا ثمرة فؤاد المصطفى، ويا نور عين المرتضى، ويا سرور صدر الزهراء، يا حسن أخبرني من قبل أن أسلم إليك أخاك عن أحكام دين الإسلام حتى أذعن لك وأنقاد إلى الإسلام. ثم أن الحسن عرض عليه أحكام الإسلام وعرَّفه الحلال والحرام، فأسلم صالح أحسن الإسلام على يد الإمام، وسلَّم أخاه الحسين، ثم نثر على رأسيهما طبقاً من الذهب والفضة وتصدّق به على الفقراء والمساكين ببركة الحسن والحسين عليهما السلام. ثم أن الحسن أخذ بيد أخيه الحسين وأتيا إلى أمهما، فلما رأتهما اطمأن قلبها وزاد سرورها بولديها.

قال: فلما كان اليوم الثاني أقبل صالح ومعه سبعون رجلاً من رهطه وأقاربه وقد دخلوا جميعهم في الإسلام على يد الإمام ابن الإمام أخي الإمام عليهم أفضل الصلاة والسلام. ثم تقدم صالح إلى الباب، باب الزهراء عليها السلام، رافعاً صوته بالثناء للسادة الأمناء وجعل يمرغ وجهه وشيبته على عتبة دار فاطمة وهو يقول: يا بنت محمد المصطفى عملت سوءاً بابنك وآذيت ولدك وأنا على فعل فعلي نادم فاصفحي عن ذنبي، فأرسلت إليه فاطمة تقول: يا صالح أما أنا فقد غفرت عنك من حقي ونصيبي وصفحت عن ما سوءتني به، لكنهما ابناي وابنا علي المرتضى فاعتذر إليه مما آذيت ابنه. ثم أن صالحاً انتظر علياً حتى أتى من سفره وعرض عليه حاله واعترف عنده بما جرى له وبكى بين يديه واعتذر مما أساء إليه، فقال له: يا صالح أما أنا فقد رضيت عنك وصفحت عن ذنبك لكن هؤلاء ابنا وريحانتا رسول الله ﷺ، فامض إليه واعتذر مما أسأت بولده. قال: فأتى صالح إلى رسول الله ﷺ باكياً حزيناً وقال: يا سيد المرسلين أنت قد أُرسلت رحمة للعالمين وإني قد أسأت وأخطأت، وإني قد سرقت ولدك الحسين وأدخلته داري وأخفيته عن أخيه وأمه وقد سوءتهما في ذلك، وأنا الآن قد فارقت الكفر ودخلت في دين الإسلام. فقال له النبي ﷺ: أما أنا فقد رضيت عنك وصفحت عن جرمك لكن يجب عليك أن تعتذر إلى الله وتستغفره مما أسأت به قرة عين الرسول ومهجة فؤاد البتول حتى يعفو الله عنك سبحانه. قال: فلم يزل صالح يستغفر ربه ويتوسل إليه ويتضرع بين يديه في أسحار الليل وأوقات الصلوات حتى نزل جبرائيل إلى النبي ﷺ بأحسن التبجيل وهو يقول: يا محمد قد صفح الله عن جرم صالح حيث دخل في دين الإسلام على يد الإمام ابن الإمام، عليهم أفضل الصلوات والسلام.

فقل لحساده موتوا بغيظكم فإنه بعطاء الله ممنوح

وحرّقوا ما استطعتم من إمامته فشأنه بلسان الحق ممدوح
بيوتكم بفنون اللهو مفعمة وبيته فيه تقديس وتسبيح
فإنكم جسد ميت بكثرتكم وفضله بين أبدان الورى روح

عن أبي ذر الغفاري قال: كان سيدي علي بن أبي طالب يحدثنا في بعض الأوقات بالمغيبات، فبينما نحن جلوس معه في جامع الكوفة إذ دخل إليه رجل وسلم عليه وقال له: يا أمير المؤمنين إني مررت بوادي القرى فرأيت خالد بن عرفطة مقتولاً مطروحاً في البر. فقال له علي عليه السلام: كذبت أن خالداً لم يمت حتى يقود جيش الضلال ابن زياد ويكون حامل لوائه حبيب بن جماز لعنه الله تعالى. فقام حبيب بن جماز من بينهم وقال: يا أمير المؤمنين أراك تقول هكذا وإني لك شيعة وأنا موالٍ لك وإني لك محب؟ فقال له: من أنت؟ فقال: أنا حبيب بن جماز، فقال له: إياك إياك أن تحملها يا شقي ولكن لا بد أن تحملها وتدخل بها من هذا الباب ـ وأومىء بيده إلى باب الفيل بمسجد الكوفة ـ وتقاتل ولدي الحسين بعد وفاتي.

فلما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان وحان من حينه ما حان، بعث ابن زياد بعمر بن سعد إلى حرب الحسين عليه السلام وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته بأربعة آلاف فارس، وحبيب بن جماز حامل رايته، فسار بها حتى دخل مسجد الكوفة من باب الفيل كما أخبر أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن أخباره بالمغيبات: أنه عليه السلام التفت إلى البراء بن عازب وقال له: يا ابن عازب يقتل ولدي الحسين وأنت حي حاضر ولم تنصره وتزعم أنك محب لنا؟. فلما قُتل الحسين كان البراء بن عازب يظهر الحسرة والندم ويقول: حدثني سيدي علي بن أبي طالب أنه يقتل ولده الحسين ولم أنصره. وظلّ يكثر الحسرة والندم مدة عمره.

فانظروا يا إخواني إلى ما خص الله به هذا الشخص الرباني من الفضائل العظيمة والعطايا الجسيمة.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

نحول جسمي لا ينفك عني وقد صار البكاء شغلي وفني

(1) القصيدة للشيخ الدرمكي رحمه الله تعالى.

وقلبي فيه نيران ووَجْد ... وهمّي صار ممزوجاً بحزني
يطيب لي البكاء في كل وقت ... وأسعف في الرزايا من سعفني
كفاني موت خير الخلق طراً ... بأن النفس في السلوان أشني
أخذتم نحلتي ظلماً وإرثي ... وحلتم دون ما ربي رزقني
وسبَّ البضعة الزهراء لما ... أتت زفراً وقالت ما نصفني
أما في هل أتى وفيت نذري ... فيا ويل لملعون غصبني
سلوا لحْم وطْه إن شككتم ... سلوا ياسين ما ربي رزقني
فقال الرجس: ما نرضى بهذا ... ولا ذا القول في ذا اليوم يُغني
فماتت وهي في حرق وكرب ... تواصل حر زفرتها بغبن
وقتل الطهر في المحراب لما ... أتته كتب ملعون ولكني
بأنا طائعون بكل أمر ... وأنت محكم في كل فن
فعجل بالمسير يظن خيراً ... يحسب البيد سرعاً لا يوني
إلى أن صار في نقع المنايا ... وحادي العيس مسرور يغني
فمانعه الجواد السير عنها ... فقال لصحبته: يا من حضرني
فما اسم الأرض يا قوم أنبؤني ... ففي أكنافها قد طاش ذهني
فقالوا: ذي منازل كر بلايا ... فقال: الكرب فيها قد شملني
ألا حطوا الرحال فلا مسير ... ففي هذي الفلاة يكون دفني
وفيها يقتل العباس ظلماً ... ويقتل كل صديق نصرني
وفيها تُقتل أولادي وصحبي ... وتسبى نسوتي بالرغم مني
وفي هذي الفلاة نُزار حقاً ... وقد حاز السعادة من نصرني
وأُقتل ظامياً والماء طام ... ويشربه هنيئاً من منعني
إذا شرب المحب الماء بعدي ... فطاب له التنغص إذ ذكرني
وما لي مهرب عن أمر ربي ... فقد لاحت دلائل ما وعدني
فلما كان وقت الظهر بانت ... لهم خيل لأشقى الخلق تدني
فقال: أتتكم أرجاس حرب ... بأعلام تخالف ما وردني
فما للقوم قصدكم سبيلاً ... وكلٌ بالمنايا قد قصدني

فضجُّوا بالبكاء حزناً عليه وقالوا: بعدكم لا عيش يهني
فلا والله لا نرضى بذلّ ولا نستقبل الأعداء يجني
ولكن نبذل الأرواح منا ونرضي خير مسؤول ومُغني
ونفحم عند نيران الأعادي ونوصل فيهم ضرباً بطعن
فيا لله كم قطَّعوا رؤوساً وكم قد ألحقوا قرناً بقرن
إلى أن جدلوا بالترب جمعاً عليهم جاريات الريح تبني
وظلّ الطهر يفترس الأعادي كليث ثار في إبل وضان
إلى أن خرّ مطعوناً طريحاً دنيفاً بانكسار الطرف يرني
ينادي بعد عزّ وامتناع أما أحد على أهلي يجرني
أليس البضعة الزهراء أمي وجدي أحمد يا من جهلني
فقال الشمر: أقصر يا حسين وما تعد يدك المعروف يغني
وحزّ الرأس كرهاً من قفاه وبراه وعلاه بلدن
وخلا الجسم منعفراً طريحاً غسيلاً بالدماء من غير دفن
تلوذ به الأرامل واليتامى حيارى القلب في ذل وحزن
يناديه علي بانكسار: تهدَّم يا أباه منيع ركني
يعزّ عليك يا أبتاه مالي بلا وطأ وقيد قد جرحني
أبي مَن للليتيمة إن سبتها علوج أمية واستصرختني
وفاطمة الصغيرة في بكاها تقول: إليك يا أبتاه خذني
وأسكن روعتي مما جرى لي لأن مصيبة عظمى دهتني
فلو بنت النبي ترى مكاني لماتت غصة لما رأتني
وليت الموت قدمني بأخذ وإلا عند مصرعكم صرعني
أبي أصبحت منفرداً غريباً فوا حزناه مما قد دهمني
أبي ساروا بنا فوق المطايا بأعنف حادي يحدي ببدن
فلما أن أتين إلى يزيد فقال لساقي الصهباء زدني
وقرب رأس مولانا إليه ليقرع منه سناً بعد سن
فلعنة ذي الجلال على يزيد بعد الخلق أنسي وجني

وتغشى أدلماً وأبا فلان ... وقرماناً فافهم ما أكني
إليكم يا بني طٰه عروساً ... تربت بين أتراب وخدن
زهت إذ ألبست حلل المعاني ... وتوجَّها مديحكم بحسن
منظمها مديح درمكي ... بها يرجو جواركم بعدن
فمن فضل الإلٰه أبي محب ... وأمي من محبتكم سقتني
إذا ما نلت من ربي ولاكم ... فلا أسفي على شيء منعني
لأنكم أجّل الخلق أصلاً ... وأعلمهم وأفضلهم بلسن
وأعبدهم وأهداهم وأتقى ... وأخوفهم لمن يغني ويفني
صلاة الله دائمة عليكم ... تضاعف ما شدت ورقاً تغني

* * *

المجلس التاسع

في الليلة الخامسة من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

يا إخواني في الدين، هل يحسن إصاخة سمعي إلى لوم اللائمين؟ أو يميل طبعي إلى عذل العاذلين في ترك أحزاني وشجوني وبث أشجاني وأنيني؟ وقد فتكت أيدي الكفرة الفجرة المارقين بمولاي الحسين بن أمير المؤمنين؟ بل أموت وأحزانه في فؤادي وبها ألاقي الله في معادي. فأطيلوا رحمكم الله النوح والأحزان على سادات الزمان وأمناء الملك الديان، وليكن نوحكم على شفعائكم يوم النشور أكثر من نوح الحمام والطيور، وكيف لا ينهد ركني لمصابهم ولم أتجرع بعض ما تجرعوه من غصصهم وأوصابهم؟ أأطمع أن أشاركهم في الفضل والأنعام ولا أشاركهم في تلك الأهوال العظام؟.

أذلّ لمن أهوى لأحظى بعزّة ... وكم عزّة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن ... ذليلاً له فأقر السلام على الوصل

ولعمري كم من باك على ربع خراب، وكم من هائم على سكن التراب وهو غافل عن تمثل هذا الرزء العظيم والمصاب الجسيم، فلا خير والله في قلوب لا تميل إليهم، ودموع لا تسح عليهم. وما لي لا أبكيهم حتى تنقطع أوصالي؟ كيف وهم مرجعي وبهم اتصالي.

آل الرسول الآلي لا زال حبهم ... للقلب من كل داء للمحب شفا
ومن خذلهم فلا تشفى بشافية ... قلوبهم ولهم فوق الجحيم شفا
ضاعت حقوقهم حتى طريقتهم ... قد ضلّ عنها عقول سيرهم عنفا

روي عن الإمام العسكري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1] الآية. قال: قال

(1) سورة البقرة: الآيتان 84 - 85.

لي أبي عن آبائه عن رسول الله ﷺ: لما نزلت هذه الآية في ذم اليهود الذين نقضوا عهود الله وحادوا عن أمر الله وكذبوا رسول الله وقتلوا أنبياء الله، فقال النبي ﷺ: يا أصحابي ألا أنبئكم بما يضاهيهم من يهود أمتي؟ فقالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليك وعلى آلك، فقال: قوم من بني أمية يزعمون أنهم من أمتي ويظنون أنهم من أهل ملتي يقتلون أفاضل ذريتي وأطائب أرومتي وذرية ابنتي ويبدِّلون شريعتي ويتركون سنتي ويقتلون ولدي الحسن والحسين كما قتل أسلاف هؤلاء اليهود زكريا ويحيى عليهما السلام، ألا وأن الله يلعنهم كما لعنهم من قبل ويبعث الله على بقايا دراريهم يوم القيامة إماماً هادياً مهدياً من ولد الحسين فيقتلهم عن آخرهم ويأخذ بثأر جده الحسين ولهم يوم القيامة أشد العذاب وبئس المصير. ألا لعن الله قتلة الحسين ومحبيهم وناصريهم والشاكين في لعنهم من غير تقية، ألا وصلى الله على الباكين على الحسين والمقيمين عزاءه، ألا وصلى الله على مَن بكى على الحسين رحمة وشفقة ورقة له، ألا وصلى الله على اللاعنين لأعدائهم والممتلئين عليهم غيظاً وحنقاً، ألا وإن الراضين بقتل الحسين هم شركاء قتلته، ألا وإن قتلته وأعوانهم وأشياعهم المتقدمين والمتأخرين براءة من دين الله وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ألا وإن الله يأمر ملائكته المقربين أن يتلقوا دموع الباكين على مصاب الحسين عليه السلام فيجمعون دموعهم وينقلونها إلى خزنة الجنان فيمزجونها بماء الحيوان فيزيد في عذبها وطيبها وطعمها ألف ضعفها، وإن الملائكة المقربين ليتلقون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين ومصاب الحسين فيلقونها في الهاوية فيمزجونها بحميم جهنم وصديدها وغساقها وغسيلها فتزيد في شدة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها يشدد الله على المنقولين إليها من أعداء آل محمد في عذابهم يوم القيامة.

قال: فقام ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقال: بأبي وأمي يا رسول الله أخبرني متى قيام الساعة؟ فقال رسول الله ﷺ: ماذا أعددت لها؟ فقال ثوبان: ما أعددت لها كثير عمل إلا أني أحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله، فقال رسول الله ﷺ: وإلى ماذا بلغ حبك لرسول الله وأهل بيته؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً أن في قلبي محبتكم ما لو أني قُطِّعت بالسيوف ونُشرت بالمناشير وقُرضت بالمقارض وأُحرقت بالنيران وطُحنت برحى الحجارة كان أحب إليَّ وأسهل عليَّ من أن أجد لك في قلبي منك غشاً أو دغلاً أو بغضاً ولا لأحد من أهل بيتك ومن عترتك فهم أحب الخلق إليَّ من بعدك وإن أبغض الناس إليّ من لا يحبك ولا يحب أهل بيتك وعترتك، يا رسول الله، فهذا ما عندي من حبك وحب من يحبك وبغض من يبغضك أو يبغض أحداً من أهل بيتك، فإن قُبل مني فقد سعدت وإن

ترد مني عملاً غيره فما أعلم أن لي عملاً غير هذا أعتمد عليه وأعتد به يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ: اعلم يا ثوبان لو أن عليك من الذنوب ملأ ما بين الثرى إلى عنان السماء لانحسرت وزالت عنك بهذه الموالاة أسرع من انحسار الظل عن الصخرة الملساء المستوية إذا طلعت عليها الشمس ومن انحسار الشمس إذا غابت عنها. ولعمري لا عمل فيها أفضل من موالات الآل لدفع تلك الأهوال والأمور العضال:

يا آل طٰه أنتم القصد والمنى ... وفي يدكم يوم اللقاء النفع والضر
رجوتكم ذخري وفخري وعدتي ... وما خاب من أنتم له الفخر والذخر
إذا كل من عاداكموا بجهنم ... وشيعتكم والمؤمنون بكم سروا
وأدخلتموهم للجنان فهم بها ... وجوههم بيض ملابسهم خضر
عليكم سلام الله ما ناح صادح ... على عذبات الدوح وابتسم الدهر

روي أن الرشيد لما أراد أن يقتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عرض قتله على سائر جنده وفرسانه فلم يقتله أحد منهم، فأرسل إلى عماله في بلاد الإفرنج يقول لهم: التمسوا إليّ قوماً لا يعرفون الله ولا يعرفون رسول الله فإني أريد أستعين بهم على مهم. قال: فأرسلوا إليه قوماً لا يعرفون من شرائط الإسلام كلمة واحدة ولا يعرفون من لغة العربية كلمة واحدة أبداً، وكانوا خمسين رجلاً، فلما دخلوا إليه أكرمهم وأعزهم وأنزلهم في دار الكرامة وحمل لهم الهدايا والتحف والخلع السنية. ثم استدعاهم وسألهم: من ربكم؟ ومن نبيكم؟ فقالوا: لا نعرف لنا رباً ولا نبياً أبداً، فقال لهم: هذا مرادي وهذا قصدي. فقال لوزيره: قل لهم إن الملك له عدو في هذا البيت جالس ـ يعني موسى بن جعفر عليه السلام ـ فادخلوا إليه واقتلوه ولكم الجائزة العظمى. فقالوا: سمعاً وطاعة وهذا أمر هين علينا فإن أردتم قطعناه قطعاً وأكلنا لحمه، قال: فقاموا جميعاً بأسلحتهم كأنهم السباع الضارية ودخلوا على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام والرشيد ينظر إليهم من طاقة حجرته ويبصر ما يفعلون. قال: فلما رأوه رموا أسلحتهم وارتعدت فرائصهم وخروا سجداً يبكون رحمة له، قال: فجعل الإمام عليه السلام يمر يده الشريفة على رؤوسهم وهم يبكون ومع ذلك يخاطبهم بلحنهم ولغتهم. قال: فلما رأى الرشيد ذلك منهم خشي من الفضيحة وصاح بالوزير: أخرجهم عنه، فخرجوا وهم يمشون القهقرى إجلالاً للإمام عليه السلام. ثم أنهم ركبوا خيولهم وأخذوا الهدايا والتحف التي وصلتهم منه ومضوا لشأنهم من غير إذن الرشيد.

فانظروا يا إخواني إلى هذه العداوة العظيمة والشقاوة والمعضلة الجسيمة ﴿يُرِيدُونَ

أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

قوم علا بنيانهم من هاشم ... فرع أشم وسؤدد ما ينقل
قوم بهم نصر الإلٰه رسوله ... وعليهم نزل الكتاب المنزَّل
وبهديهم رضي الإلٰه لخلقه ... وبجدِّهم نصر النبي المُرسل

روي أن رجلاً من الخوارج قال لمحمد بن الحنفية: لم غرر بك أبوك في الحروب ولم يغرر الحسن والحسين؟ فقال له: يا ويلك أما علمت أنهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع بيمينه عن عينيه.

وعن ابن عباس قال: لما كنا في حرب صفين إذ دعا علي ابنه محمد بن الحنفية وقال له: يا بني شد على عسكر معاوية، ففعل ما أمره أبوه وحمل على ميمنة عسكر معاوية فكشفهم ثم رجع إلى أبيه وقد جرح، فقال له: يا أبي العطش العطش، فسقاه جرعة من الماء ثم صب الباقي بين درعه وجلده، فوالله لقد رأيت علق الدم يخرج من الدرع ثم أمهله ساعة ثم قال له: يا بني شد على الميسرة، فحمل على الميسرة عسكر معاوية فكشفهم ثم رجع وبه جراحات وهو يقول: الماء الماء يا أباه. فسقاه جرعة من الماء وصب باقي الماء بين درعه وجلده ثم قال له: يا بني شد على القلب، فحمل عليهم فكشفهم وقتل منهم فرساناً ثم رجع إلى أبيه وهو يبكي وقد أثقلته الجروح، فقام إليه أبوه وقبَّل ما بين عينيه وقال له: فداك أبوك فقد سررتني والله يا بني بجهادك هذا بين يدي، فما يبكيك أفرح أم جزع؟ فقال: يا أبتي كيف لا أبكي وقد عرَّضتني للموت ثلاث مرات فسلَّمني الله وها أنا مجرح كما ترى وكلما رجعت إليك لتمهلني عن الحرب ساعة فما تمهلني وهذان أخواي الحسن والحسين ما تأمرهما بشيء من الحرب!، فقام إليه أمير المؤمنين وقبَّل وجهه وقال له: يا بني أنت ابني وهذان ابنا رسول الله ﷺ أفلا أصونهما من القتل؟ فقال: بلى يا أبتاه جعلني الله فداك وفداهما من كل سوء.

فليت شعري هل توازي مصيبة ... مصيبتكم يا آل بيت محمد
رزيتم رزايا لا يطيق بحملها ... سماء ولا أرض ولا كل جلمد

روي أن الحسن الزكي لما دنت وفاته ونفذت أيامه وجرى السم في بدنه وأعضائه، وتغير لون وجهه، ومال بدنه إلى الزرقة والخضرة، فقال له أخوه الحسين عليه السلام: ما لي أرى لون وجهك مائلاً إلى الخضرة؟ فبكى الحسن عليه السلام وقال له: يا أخي لقد

(1) سورة التوبة: الآية 32.

صح حديث جدي فيَّ وفيك. ثم مد يده إلى أخيه الحسين واعتنقه طويلاً وبكيا كثيراً، فقال الحسين عليه السلام: يا أخي ما حدثك جدك وماذا سمعت منه؟ فقال: أخبرني جدي رسول الله ﷺ: لما مررت ليلة المعراج بروضات الجنان ومنازل أهل الإيمان فرأيت قصرين عاليين متجاورين على صفة واحدة لكن أحدهما من الزبرجد الأخضر والآخر من الياقوت الأحمر، فاستحسنتهما وشاقني حسنهما، فقلت: يا أخي جبرائيل لمن هذين القصرين؟ فقال: أحدهما لولدك الحسن والآخر لولدك الحسين، فقلت: يا جبرائيل فلم لا يكونا على لون واحد؟ فسكت ولم يرد عليَّ جواباً، فقلت: يا أخي لم لا تتكلم؟ فقال: حياء منك يا محمد، فقلت له: تالله عليك إلا ما أخبرتني، فقال: أما خضرة قصر الحسن فإنه يُسمُّ ويخضَّر لونه عند موته، وأما حمرة قصر الحسين فإنه يُقتل ويذبح ويخضب وجهه وشيبته وبدنه من دمائه. فعند ذلك بكيا وضج الناس بالبكاء والنحيب على فقد حبيبيّ الحبيب.

وحكي عن السدي، قال: ضافني رجل في ليلة كنت أحب الجليس، فرحبت به وقربته وأكرمته وجلسنا نتسامر، وإذا به ينطلق بالكلام كالسيل إذا قصد الحضيض، فطرقت له فانتهى في سمره طف كربلاء، وكان قريب العهد من قتل الحسين عليه السلام، فتأوهت الصعداء وتزفرت كمدا، فقال: ما بالك؟ قلت: ذكرت مصابا يهون عنده كل مصاب، قال: أما كنت حاضراً يوم الطف؟ قلت: لا والحمد لله، قال: أراك تحمد على أي شيء؟ قلت: على الخلاص من دم الحسين لأن جده ﷺ قال: «من طولب بدم ولدي الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان»، قال: قال هكذا جده؟ قلت: نعم، وقال ﷺ: «ولدي الحسين يُقتل ظلماً وعدواناً، ألا ومن قتله يدخل في تابوت من نار ويعذب نصف أهل النار وقد غُلت يداه ورجلاه وله رائحة يتعوّذ أهل النار منها، هو ومن شايع وبايع أو رضي بذلك، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1]». فالويل لهم من عذاب جهنم، قال: لا تصدق هذا الكلام يا أخي، فقلت: كيف هذا؟ وقد قال ﷺ: «لا كذبت ولا كُذبت»، قال: ترى قالوا: قال رسول الله ﷺ: «قاتل ولدي الحسين لا يطول عمره، ها أنا وحقك قد تجاوزت التسعين مع أنك ما تعرفني، قلت: لا والله، قال: أنا الأخنس بن زيد، قلت: وما صنعت يوم الطف؟ قال: أنا الذي أمرت على الخيل الذين أمرهم عمر بن سعد بوطء جسم الحسين بسنابك الخيل وهشمت أضلاعه وجررت نطفاً من تحت علي بن الحسين وهو عليل حتى كببته

(1) سورة البقرة: الآية 56.

على وجهه، وخرمت أذني صفية بنت الحسين لقرطين كانا في أذنيها.

قال السدي: فبكى قلبي هجوعاً وعيناي دموعاً وخرجت أعالج على إهلاكه، وإذا بالسراج قد ضعفت فقمت أظهرها، فقال: اجلس، وهو يحكي لي متعجباً من نفسه وسلامته، ومد أصبعه ليظهرها فاشتعلت به ففركها في التراب فلم تنطف فصاح بي: أدركني يا أخي، فكببت الشربة عليها وأنا غير محب لذلك، فلما شمت النار رائحة الماء ازدادت قوة وصاح بي: ما هذه النار وما يطفيها؟ قلت: ألقي نفسك في النهر، فرمى بنفسه فكلما ركس جسمه في الماء اشتعلت في جميع بدنه كالخشبة البالية في الريح البارح، هذا وأنا أنظره، فوالله الذي لا إله إلا هو لم تطفأ حتى صار فحماً وسار على وجه الماء، ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[3]:

عجباً لقلب فيكم لايفجع ... ولأنفس في رزئكم لا تجزع
لله درّ مِراركم بمصابكم ... لم تنصدع ونواظر لا تدمع
ما هلَّ عاشوراء إلاَّ وهاج لي ... حزن فصرت كبومة أستبشع
لم أنس مولاي الحسين بمكة ... عن بيعة الباغي غدا يتمنع
تباً لقوم خالفوه وخالفوا ... أمر الرسول وللوصية ضيّعوا
كتبوا إليه من العراق وأجمعوا ... أن ينصروه فمذ أتى لم يزمعوا
وتقاعدوا عن نصره وتعاقدوا ... في خذله وعلى الأذية أجمعوا
فأراد لما أن تبين غدرهم ... جزماً إلى حرم المدينة يرجع
بعثوا إليه الحر عند قدومه ... فبقي يساير تارة ويجعجع
ساروا فوافوا في العشية كربلا ... أرض الطفوف من البراري سلقع
قال: انزلوا فهنا مناخ ركابنا ... وهنا محط رحالنا والمصرع
وأتى ابن سعد مقبلاً في عصبة ... نحو الأطائب والعساكر تتبع
وتأهبوا للحرب بعد تظاهر ... والعلج في إضرامها يتشجع

---

(1) سورة هود: الآية 18. (2) سورة الشعراء: الآية 227.

(3) القصيدة للشيخ الفاضل محمد بن نقيح رحمه الله تعالى.

فاستمهل السبط الطغاة لعله ... يدعو إلى الله العلي ويضرع
فأقام ليلته يناجي ربه ... طوراً ويسجد في الظلام ويركع
ويقول: إن القوم لا بغيا لهم ... غيري وإني عارف من يرجع
فأقام بين يديه كل موفق ... وغدا يقهقر كل من يتطمع
وأتى الحسين يناشد القوم الذي ... لم يبق فيهم من ينيب ويخشع
وغدا ابن سعد راشقاً بسهامه ... قوم الإمام وفي الأذية يسرع
وأتت سهام القوم بعد كأنها ... مطر تدفعه الرياح الزعزع
ذادوه عن ماء الفرات بجحفل ... فيه الصوارم والسلاح يقعقع
فتيقن السبط اللقاء لربه ... فأتى الخيام بدرعه يتلفع
يوصي سكينة بالسكينة بعده ... بالصبر عند مصابه ويودع
وبقي رجال السبط يقتل واحد ... منهم وآخر بعده يتوقع
حتى بقي فرداً وحيداً ظامياً ... لا مانع عنه ولا من يدفع
حملوا عليه بالطعان فصدّهم ... بالسيف وهو اللوذعي الأشجع
مذ أثخنوه بالجراح وأضعفوا ... منه الجوارح وهو لا يتروع
وشكى النساء إلى الحسين من الظمأ ... وآتينه بالطفل مضى يرضع
فمضى به نحو الطغاة كأنه ... بدر بدا من برجه يتطلع
ودعا له ماء يبلّ غليله ... ويقول: هل قلب يرقُّ ويخشع
وأتاه سهم مارق من مارق ... بغروره وبكفره يتمتَّع
قطع الوريد من الوليد وأقبلت ... منه الدماء واحمَّر منه البرقع
أخذ الدماء بكفه فرمى به ... نحو السماء والعين منه تدمع
ومضى يجدل كل صل صائل ... ويقدُّ هاماً منهم ويدرع
حتى دنى أجل الكتاب ولم يكن ... من بعدما حتم المقدر ينفع
أردوه عن ظهر الجواد كأنه ... جبل لخشية ربّه يتصدَّع
لهفي له يبغي هنالك شربة ... فيُجاب بالشتم الشنيع ويُمنع
لهفي لمصرعه الشريف على الثرى ... بين اللئام وعزّ ذاك المصرع
لهفي لجثته الشريفة في الثرى ... مطروحة يسفي عليها الزوبع

لهفي له إذ يستغيث فلم يُغث ... أفلم يكن عند النداء من يسمع
ذبحوه ظمآناً وكوثر جده ... بالماء في يوم القيامة مُترع
حملوا الكريم على القناة مضمخاً ... والنور من أعضائه يتشعشع
قطع اللعين سِنان منه وريده ... هل كان يدري أي عضو يقطع
تبت يداه لقد أساء بفعله ... وله جهنم في القيامة تسفع
وأتى الجواد إلى الخيام منها ... بصهيله والسرج منه بلقع
وأتت سكينة وهي تندب حاسراً ... بأبي الشجاع الأريحي الأروع
وا سيداه عدمت بعدك صحتي ... فإلى الإلٰه المشتكى والمفزع
فالدين أضحى بعد فقدك ثاكلاً ... والدهر أمسى وهو بعدك أجدع
أين الحماة وابن جدي المصطفى ... بل أين حيدرة البطين الأنزع
اليوم مات محمد واستوسرت ... أولاده من بعده وتضعضعوا
كم حرمة ظهرت محاسن وجهها ... وكريمة قد مال عنها البرقع
فالطيبات الطاهرات حواسر ... وتُماط عنهن الثياب وتُنزع
والسيد السجاد في أيدي العدى ... مضنى على حمل الشدائد يرفع
هذا وما سكنت به أضغانهم ... وبما جرى في حقه لم يقنع
سلبوه من أثوابه ودروعه ... ولنزع خاتمه بين الأصبع
رضوا جناجن صدره بخيولهم ... بغياً وعن أحقادهم لا يقلع
ويزيد ينكث ثغره بقضيبه ... متمثلاً بالشعر لا يتتعتع
فليأتين غداً بقبح صنيعه ... سن الندامة في القيامة يقرع
تالله لا عاد ولا فرعونها ... كلا ولا فعلت ثمود وتبع
كفِعال هذا النكس ابن أمية ... ومقامه في غيه يتسكع
أين الصحابة أين حزب محمد ... لا منكر منهم ولا متوجع
خص الكرام بكل خطب فادح ... فيه العقول مع القلوب تروع
صبروا على البلوى بكل كريهة ... والسر فيهم لا محالة مودع
طوبى لأرض حل في أكنافها ... جسد الحسين وطاب ذاك الموضع
قد قدست أرض الطفوف وبوركت ... لما اغتدى لك في ثراها مضجع

لك تربة فيها الشفاء وقبة فيها الدعاء إلى المهيمن يرفع
هم سادات الدنيا ويوم معادنا في الحشر منهم شافع ومشفع
ولسوف يدرك ثأرهم مهديهم وأنا ليوم ظهوره أتوقع
إن لم أكن أدركت نصرة جده فبنصره فيما بقي أتطمع
يا ابن الإمام العسكري ومن له صيد الملوك إذا تمثل تخضع
يا سيدي ظهر الفساد وأظلمت سبل الرشاد فهل لنورك مطمع
وجرت علينا في الزمان ملاحم لم ندر في تدبيرها ما نصنع
لم يبق إلا عالم متصنع أو جاهل متنسك أو مبدع
جعل العلوم على الفساد ذريعة أكلوا بها الدنيا ولم يتورعوا
يبغون في الأرض العلو وقصدهم قبل العوام إليهم كي يخدعوا
كل يريد رياسة بوقاحة وإذا رأى أهل النهى لا يتبع
يتنافسون على المناصب والعلى والله يخفض ما يشاء ويرفع
والله يصلح شأنهم ويصدهم عن غيهم وعن المعاصي يرجع
وبقي رجال أخلصوا في ودّهم خصوا ببلوى للجبال تصدع
أما طريد أو شريد ضائع بين البرية أو فقير مدقع
فالله يجبر كسرهم بظهوره يا مَن بهم جل المكاره تدفع
ويعين منا الصالحين بعصمة من كل فعل موثق يستبشع
وبه نؤمل أن ينجى كل من يبغي الهدى ولسلبه يتبع
ونعوذ من خطب يهول وفتنة فيها المعارف والحقوق تضيع
يا عترة الهادي النبي ومن هم عزي وكنزي والرجا والمفزع
واليتكم وبرئت من أعدائكم وأنا بغير ولاكم لا أقنع
ونظّمت في علياكم من مقولي درّاً لها وشى القريض يرصع
علماً بأن مديحكم لي نافع ومديح قوم غيركم لا ينفع
وأنا بكم متنسك وبحبكم متمسك وبجدكم مستشفع
لم أهو ديناً أصله من غيركم حسبي افتخاري أنني أتشيع
وإلى نفيع نسبتي ومحمد اسمي فكم لي منكر ومضيّع

لم أستعن في نظمها بسواكم كلا ولست لمن تقدم أتبع
بل هذه بكر أتت من فكرتي وقريحتي للبكر دوماً تقرع
وقبولها يا ساداتي مهر لها إن صح فزت بنعمة لا تقطع
صلى الإلٰه عليكم ما أحييت فكر وأوقظت العيون الهجع
أبغي الشفاعة في معادي يوم لا مال هناك ولا بنون ينفع
بكم أؤمل نجح سعيي دائماً وإلى الإلٰه بحبكم أتدرع

الباب الثاني

أيها المؤمنون الناصحون، اقطعوا رقاد العيون، وواصلوا سهاد الجفون، وامسكوا أنفسكم عن اللذات، وابذلوا الدموع الجاريات، فقد أعز دينه وأحرزه من أحمل دمعه وأبرزه، فإن إظهار الدموع البادية دليل على ما بطن من الأحزان الخافية، أما علمتم أن هذه الدموع الهتان نفثة مصدور، ورد شرائع الأحزان، وعجز عن الصدور.

وإني كلما تزايدت عليَّ الأفكار يتوقد في قلبي لهيب النار، فلا أجد ملجأ ألتجىء إليه ولا معولاً أصير إليه سوى ماء الشؤون المتحادرة من مقرحات الجفون:

إن الحزين إذا ما الحزن خالطه كان البكاء له ملجأ من الفكر
لا تعذلوني عذولي أنني رجل لما تزايد حزني قلّ مصطبري

وكيف لا تحزن على سادات العباد وأنوار الله في البلاد؟ فليتني شاهدتهم يوم الطفوف وفديتهم بروحي من الحتوف، ولكن ليس إلا ما أراد الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

روي أن بعض الصالحين من المؤمنين رأى في منامه فاطمة الزهراء عليها السلام في أرض كربلاء بعد قتل الحسين عليه السلام مع جملة من نساء أهل الجنة وهم يندبون الحسين عليه السلام وفاطمة تقول: يا أبي يا رسول الله أما تنظر إلى أمتك ما فعلوا بولدي الحسين؟ قتلوه ظلماً وعدواناً، قتلوه ومن شرب الماء منعوه وللمنايا والغصص جرعوه، وبالسيوف قطعوه وعلى وجهه قلبوه، ومن القفا ذبحوه، فيا بئس ما فعلوه، يا أبتاه أترى فعل بولد أحد من الأنبياء كما فعل بولدي؟ فوا حر قلباه كأن ربنا ما خلقنا إلا للبلاء والابتلاء، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون. يا أبتاه قتلوا بعلي أمير المؤمنين وأدير الحطب على بيتي وأضرمت النار فيه، وفتحت باب داري عليَّ كرهاً، وقتل ولدي المحسن سقطاً كأني لم أكن بضعة منك يا رسول الله ولا أنا التي قلت فيَّ: فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها

ويزريني ما يزريها، يا أبتي أتعلم ما صُنع بي؟ كسر اللعين ضلعي حتى مت بأسفي مقروحة عليك وعلى المحسن وعلى ولدي الحسن والحسين إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ثم قالت: يا أبة يا رسول الله وأعظم من هذا أنهم منعوني من البكاء عليك في المدينة وقالوا: آذيتينا بكثرة بكائك حتى عدت إذا ذكرتك واشتقت إلى الندب عليك صرت أخرج إلى وراء قبور الشهداء فأقضي شأني من البكاء حتى ألحقني الله بك في المدة القليلة، فعند ذلك رفع رسول الله ﷺ رداءه وقال: وا كرباه لكربك يا فاطمة الزهراء، وا ابنتاه وا ثمرة فؤاداه، وا حمزتاه، وا علياه، وا حسناه، وا حسيناه، وا عباساه، وا أبا طالباه، قتل ولدي الحسين بالغاضريات ولم تحضره ليوث الغزوات ولا علي كاشف الكربات، فكم من دم مسفوك وستر عن حرمة الإسلام مهتوك، وكم من شيبة بالدماء مخضوبة، وكريمة من النساء مسلوبة، وابنتي فاطمة الزهراء بين الأعداء مروعة، وعترتي بالأشجان ملوعة، وقد قتلوا صغيرهم وكبيرهم وذبحوا رضيعهم وفطيمهم، واستباحوا نساءهم وحريمهم، فيا سحقاً لأولئك الأشقياء، ويا بعداً لأولاد الأدعياء، كيف أنظر إليهم يوم القيامة وسيوفهم تقطر من دماء أهل بيتي؟ أم كيف ترونهم إذا نودي بهم في يوم القيامة: يا أهل هذا الموقف غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت المختار فتأتي وثيابها بدم الحسين مصبوغة ومعها قميص آخر ملطخ بالسم فتنادي: يا أمة محمد أين مسمومي، وأين مذبوحي، وما فعلتم بشبابي وشيوخي، وما فعلتم ببناتي وأطفالي، وما فعلتم بأهل بيتي وعيالي؟ تصرخ صرخة عالية وتقول: يا عدل يا حكيم احكم بيني وبين قاتل ولدي، فيقال لها: يا فاطمة الزهراء ادخلي الجنة، فتقول: لا أدخل الجنة حتى أعلم ما صنع بولدي الحسين من بعدي، فيقال لها: انظري أهل القيامة، فتنظر يميناً وشمالاً فترى الحسين عليه السلام وهو واقف بلا رأس فتصرخ صرخة عالية وتصرخ الملائكة معها وتقول: وا ولداه، وا ثمرة فؤاداه، وا حر قلباه على تلك الأجسام العارية والجسوم المرملة، وا لهفاه على تلك الأعضاء المتقطعة تهب عليها الصبا والدبور وتفنهم العقبان والنسور.

قال: فلم يبق في ذلك الموقف أحد إلا وبكى لبكائها، قال: فعند ذلك يمثل الله الحسين في أحسن صورة فيخاصم ظالميه ثم يأمره الله تعالى بقتل أعدائه جميعاً وكذلك علي والحسن وكذلك ذرية الحسين، ثم يأمر الله تعالى ناراً اسمها هبهب قد أوقدوا عليها ألف عام حتى اسودت وأظلمت فتلتقطهم عن آخرهم ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1].

فيا إخواني، كيف تُطفأ لهبات الأشجان، أم كيف تخفى زفرات الأحزان وكريم

(1) سورة هود: الآية 18.

الحسين عليه السلام يعلى على السنان، وأيدي ذريته تغلّ بالحديد إلى الأذقان؟ رزء والله بكت له السماء دماً وتفطرت له الصم الصلاد عظماً:

إن رزء الحسين أضرم ناراً ... لابثاً في القلوب ذات الوقود
إن رزء الحسين نجل علي ... هدّ ركناً ما كان بالمهدود
يا لها نكبة أباحت جسمي ... السقم وأجرت مدامعاً بالخدود
قتلوه مع علمهم أنه خير البرايا ... من سيد ومسود
أسخطوا الله في رضى ابن زياد ... وأعطوه قضاء حق يزيد

روي أن الحسين لما رأى وحدته وفَقَدَ عترته وأنصاره، تقدم على فرسه نحو القوم حتى واجههم وقال: أيها الناس انسبوني وانظروا من أنا ثم راجعوا أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحل لكم سفك دمي وانتهاك حرمي؟ ألست أنا ابن نبيكم محمد؟ أما كان موصياً فيكم لي ولأخي؟ أما أنا سيد شباب أهل الجنة؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي وانتهاك حرمتي؟ فقالوا: ما نعرف شيئاً مما تقول. فقال: إن فيكم من لو سألتموه عني لأخبركم أنه سمع ذلك من جدي رسول الله فيَّ وفي أخي الحسن، سلوا زيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، فإنهم يخبرونكم أنهم سمعوا من جدي رسول الله فيَّ وفي أخي، فإن كنتم تشكُّون أني لست ابن بنت نبيكم فوالله ما تعمدت الكذب وقد عرفت أن الله تعالى يمقت على الكذب أهله ويعذب من استعمله، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري. ثم أنا ابن إمامكم خاصة دون غيري، خبروني هل تطلبوني بقتل قتلته منكم أو بقصاص من جراحة أو بمال استملكته منكم أم على سنَّة غيَّرتها أم على شريعة فرض بذاتها؟ قال: فسكتوا ولم يقبلوا هذا القول منه.

وإنه عليه السلام كان عالماً بما يؤول أمره إليه، عارفاً بما هو قادم عليه، عرف ذلك من أبيه وجده عليهما السلام واطلع على حقيقة ما خصه الله به من بين الأنام. وإنما كان ذلك القول وتكراره عليهم لإقامة الحجة عليهم وتنبيهاً لمن يقول: لا أعلم، واشتبه عليَّ الأمر فلم أهتد لوجه الصواب. ففي هذه الاحتمالات بإنذاره، فتباً لآرائهم الفاسدة وعقولهم الجامدة، ولقد أعماهم القضاء إذ عليهم نزل وحتم عليهم العذاب رب لم يزل فما منهم إلا من حاد عن الصواب وعدل، فما أنصف ولا عدل، بل مالت نفوسهم إلى حب الدنيا الدنية فخيبَّبهم الأمل، ألا تتفكرون فيما صدر من كبيرهم المدعو بأميرهم يزيد لعنه الله مما تمثل به بين جلسائه؟ حيث يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... وقعة الخزرج من وقع الأسل

لأهلُّوا واستهلُّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تُشل
لعبت هاشم في المُلك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فعلى هذا كانت عقيدتهم، وعلى ذلك كان دينهم وطريقتهم، فلهذا ارتكبوا مركباً وعراً وفعلوا نكراً، قالوا قولاً هجراً واستحلُّوا مذاقاً مرّاً وبلغوا الغاية في العصيان، ووصلوا النهاية في رضا الشيطان. وكم ذكَّرهم الحسين عليه السلام عذاب الله فما ذكروا، وزجرهم على تقحُّم نار الجحيم فما انزجروا، وأصروا واستكبروا استكباراً على خطيئاتهم فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً.

ثم قال عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾[1] فاستجاب الله دعاءه عليه السلام ووقع الفناء ببني أمية اللئام ودارت عليهم دوائر الانتقام فقتلوا في كل أرض بكل لدن وحسام، وانتقلوا إلى نار الجحيم والإضرام فصارت ألوفهم آحاداً وجموعهم أفراداً، ولبسوا العار آباءاً وأجداداً وأبناءً وأولاداً.

فوا حسرتاه لما حلَّ بآل الرسول في تلك المنازل والتلول، أتحمل ذرية حبيب الملك الوهاب حسراً على الأقتاب، ونسوة آل حرب يضرب عليهن الحجاب ويرفلن في الفاخر من الثياب!؟ أمر ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾[2].

لقد منعوا الحسين الماء ظلماً وذاك الماء ورد للكلاب
ولولا زينب قتلوا علياً صغيراً قَتلُ بق أو ذباب
بنات محمد في الشمس عطشى وآل يزيد في ظل القباب
لآل يزيد من أدم خيام وأصحاب الكساء بلا ثياب

حكي أن فاطمة الصغرى قالت: كنت واقفة بباب الخيمة وأنا أنظر أبي وأصحابه مجرَّدين كالأضاحي على الرمال والخيول على أجسادهم تجول، وأنا أفكر ما يصدر علينا بعد أبي من بني أمية؟ أيقتلوننا أو يأسروننا؟ وإذا برجل على ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه وهن يلذن بعضهن في بعض وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة وهن يصحن: وا جداه، وا أبتاه، وا علياه، وا قلة ناصراه، وا حسناه أما من مجير يجيرنا، أما من ذائد يذود عنا؟ قالت: فطار فؤادي وارتعدت فرائصي وجعلت أجيل طرفي يميناً

(1) سورة نوح: الآيتان 26 - 27.
(2) سورة مريم: الآية 90.

وشمالاً على عمتي أم كلثوم خشية منه أن يأتيني، فبينا أنا على هذه الحالة وإذا به قد قصدني فقلت: ما لي إلا إلى البر، ففرت منهزمة وأنا أظن أني أسلم منه، وإذا به قد تبعني فذهلت خشية منه وإذا بكعب الرمح بين كتفي فسقطت لوجهي فخرم أذني وأخذ قرطي وأخذ مقنعتي من رأسي وترك الدماء تسيل على خدي ورأسي تصهره الشمس وولّى راجعاً إلى الخيم وأنا مغشى عليّ. وإذا بعمتي عندي تبكي وهي تقول: قومي نمضي ما أعلم ما صدر على البنات وأخيك العليل. فقمت وقلت: يا عمتاه هل خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظارة؟ فقالت: يا بنتاه وعمتك مثلك، وإذا برأسها مكشوف ومتنها قد اسودّ من الضرب، فما رجعنا إلى الخيمة إلا وهي قد نهبت وما فيها، وأخي علي بن الحسين مكبوب على وجهه لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والسقام، فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا.

وإني ليسجيني ادكاري عصابة ... بأكناف أرض الغاضريات قتّل
ومن بينهم سبط النبي محمد ... طريح ومن فوق الصعيد مجدل
وقد طحنت منه جناجن صدره ... ورضَّ ومنه الرأس في الرمح يُحمل
ورِحَل بني الهادي النبي موزَّع ... تَقاسَمه قوم أضاعوا وبدَّلوا
رجالهم صرعى بكل تنوفة ... ونسوتهم في السبي حسرى وثُكل
وأطفالهم غرثى يمضهم الطوى ... وليس لهم بر هنالك يكفل

فيا حرقتي تزايدي، ويا عيوني تساعدي، فإنه رزء عظيم ومصاب جسيم.

لمثل هؤلاء الكرام فليبكي الباكون، وإياهم فليندب
النادبون وعليهم لتذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

لست ممن يبكي رسولاً محمولاً ... وديـاراً أعفى البلا وطولا
لا ولم تلهني ملاعب أترابي ... ولم أبكي مربعاً مأهولا
ما شجاني النوى فاستوقف الحادي ... ولا أحبس الركاب قليلا
بل شجاني ناعي الحسين فأجريت ... دموعاً لما شجاني همولا
كيف لا أندب الغريب الوحيد ... المستظام المشرَّد المقتولا

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله تعالى.

كيف لا أساعد البتول على الحزن وقد بات قلبها مبتولا
يوم ذاقت مرّ المذاق وكان السبط في حجره محمولا
والنبي الهادي به قرح يحنو عليه ويُكثر التقبيلا
فأتاه الأمين جبرائيل ينعاه به فاغتدى يطيل العويلا
فأتت فاطم إليه وقالت: قد تبيَّنت منك أمراً مهولا
سيدي ما الذي دهاك ولم تعرض ما دمت بي رحيماً وصولا
قال: إني أأبى لقلبك أن يصبح يوماً للنائبات همولا
إن هذا الحسين يضحى بأرض الطف من بعدنا طريحاً مقتولا
بعد أن يطلب النصير فلا ينظر إلا محارباً وخذولا
والعزيزات من بناتك يشهرن حزوناً بين الورى وسهولا
فدعت عند قوله: وا غريباه ووا عظم ذاك خطباً جليلا
من ترى يلحد الغريب، ومن ذا يتولى التكفين والتغسيلا
من ترى يعمل العزاء، ومن يبكي عليه، ومن يراعي الرسولا
فبكى المصطفى فأوحى إليه الله قل للبتول قولاً جميلا
سوى أنشىء قوماً كِراماً يقيمون عزاء الحسين جيلاً فجيلا
وأجازيهم على الود للقربى وأعطيهم العطاء الجزيلا
فتولّت تثني على الشيعة الغر وتدعو دعاءها المقبولا
فإذا كان قلبها من كلام قبل لاقى أسى وداء دخيلا
كيف لو أبصرته ملقى على الترب تجيل العدى عليه الخيولا
والسبايا من حوله يتصارخن وقد نالت الجيوب الذيولا
واليتامى كل تخفي من الخوف وتدمي باللطم خداً أسيلا
وبدور السما صرعى على الأرض تلاقي عند التمام أفولا
وقدود الغصون من بعد ذاك اللين فوق الثرى تعاني الذبولا
والإمام السجاد في الأسر موثوقاً بنفسي أفدي الأسير العليلا
إذ رأت زينب تمرّغ خديها عليه وتستغيث الجليلا
وتنادي: وا فجعتي وا شقائي يا لها حسرة وحزناً طويلا

ليتني كنت فديته لك من كرب ... المنايا وكان ذاك قليلا
يا أخي ما ترى سكينة خوف ... السبي تومىء إليك طرفاً كليلا
يا أخي هل لفاطم من كفيل ... حيث قد أعوز الزمان الكفيلا
يا أخي ما ترى علياً يذلّ ... وبرغم يضحى العزيز ذليلا
لو رأت صفوة النساء كريمات ... حسين على المسير عجولا
متعبات يعثرن في بهرج السير ... وحادي السرى يَجدُّ الرحيلا
أو رأت رأسه على الرمح مشهوراً ... إلى أرذل الورى محمولا
لرأت ما يسؤها من جوى الثكل ... وأمسى لها العزاء نزيلا
وروى الحميري وهو صدوق ... قال: عاينت في المنام البتولا
مع لفيف من الملائكة قد زارت ... ضريح الحسين عبرى ثكولا
ثم قالت ووابل الدمع لا يطفي ... لهيباً ولا يبل غليلا
لم تقلبه يوم أردى كف ... غير كفيّ نجيه جبريلا
يا بني أحمد ذكرتم فرعاً ... عطرات الحنا وطبتم أصولا
وشرعتم محجة الرشد للناس ... ولولاكم لضلُّوا السبيلا
شهد الله جاهداً في يميني ... وكفى الله شاهداً ووكيلا
ما أراقت أرجاس حرب دم ... السبط وأغرت به الطغاة النغولا
واستطالوا إلا بمن جحد النص ... وفي حكمه غدا مستقيلا
وبيوم التناد فهو المنادي ... ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا
فإليكم جواهر من ولّى ... عارف يتبع المقال الدليلا
لازم ما أمرتموه من التقوى ... مقيم على الولاء لن يحولا
تعس القائلون أن الخليعي ... بغى بالهداة يوماً بديلا
حاش لله ليس يدعى لبيباً ... من يساوي بالفاضل المفضولا

الباب الثالث

قابلوا، رحمكم الله، نعمة الموالاة بالشكر والحمد، وابذلوا في ذلك أوسع الطاقة والجهد، وأحسنوا إلى الذرية النبويَّة، وأطيعوا الله فيما أمركم بحقهم من الوصية، وتمسكوا بحبلهم المتين، واجعلوهم جنناً واقية من العذاب المهين، ولا شيء لعمري

أدعى إلى حصول الثواب العظيم وإزالة العقاب الأليم وأقرب إليهم، صلوات الله عليهم، من إظهار شعائر الأحزان وإجراء الدمع الهتان على ما أصابهم في ذلك الزمان، فكم لهم رأس على سنان، وبدن بلا رأس بين الأبدان، فيا لها من رزية ما أجلّ خطبها بين الأنام، ومن مصيبة ما أعظمها في الإسلام.

روي عن بعض الثقاة: أن يزيد، لعنه الله تعالى، دعا برأس الحسين عليه السلام وكان بيده قضيب خيزران فجعل ينكث ثناياه ويفرق بين شفتيه وجلساؤه ينظرون إليه، فقال زيد بن أرقم رضي الله عنه: يا يزيد ارفع قضيبك عن شفتي حبيب حبيب الله، فوالله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقبّلهما مراراً كثيراً ويقول له ولأخيه الحسن: اللهم إن هذين وديعتي عند المسلمين، وأنت يا يزيد مثل هذا تفعل بودائع رسول الله ﷺ؟. ثم إن يزيد جعل يبكي وينوح، وفي هذا المعنى قال الشاعر:

كان النبي يحب يلثم ثغره ... قعد اللعين يدق أكرم ملثم
وغدا يعفر خده فوق الثرى ... ظلماً وضرَّج عارضيه بالدم
قتل الحسين فيا سماء تفطري ... حزناً ويا دار السرور تهدمي
يا أعين السحب اقتدي بي في البكاء ... يا ورق من نَوْحِي عليه تعلَّمي

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: عطش المسلمون في مدينة الرسول ﷺ في بعض السنين عطشاً شديداً حتى أنهم عادوا لا يجدون الماء في المدينة، فجاءت فاطمة الزهراء بولديها الحسن والحسين عليهم السلام إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا أبتي إن ابنيّ الحسن والحسين صغيران لا يتحملان العطش، فدعا النبي ﷺ بالحسن فأعطاه لسانه حتى روي، ثم دعا بالحسين فأعطاه أيضاً لسانه فمصه حتى روى، فلما رويا وضعهما على ركبتيه وجعل يقبّل هذا مرة وهذا أخرى ثم يلثم هذا لثمة وهذا لثمة ثم يضع لسانه الشريف في أفواههما وهو معهما في غبطة ونعمة، فبينما هم كذلك إذ هبط الأمين جبرائيل بالتحية من الربّ الجليل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول: إن هذا ولدك الحسن يموت مسموماً مظلوماً، وهذا ولدك الحسين يموت عطشاناً مذبوحاً، فقال: يا أخي جبرائيل من يفعل ذلك بهما؟ قال: قوم من بني أمية يزعمون أنهم من أمتك يقتلون أبناء صفوتك ويشرِّدون ذريتك، فقال: يا جبرائيل هل تفلح أمة تفعل هذا بذريتي؟ قال: لا والله بل يبليهم الله في الدنيا بمن يقتل أولادهم ويسفك دماءهم ويستحيي نساؤهم ولهم في الآخرة عذاب أليم، طعامهم الزقوم وشرابهم الصديد ولهم في درك الجحيم عذاب مكيد، ويقال لجهنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد. ثم قال جبرائيل عليه السلام: يا محمد إن

الله عزَّ وجلَّ حمد نفسه عند هلاك الظالمين حيث قال: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1]. فجعل النبي ﷺ تارة ينظر إلى الحسن وتارة ينظر إلى الحسين وعيناه تهملان من الدموع ويقول: لعن الله قاتلكما ولعن الله من غصبكما حقكما من الأولين والآخرين.

فيا لها من مرتبة ما نالها إلا الفائزون، ويا لها من درجة لم يحظ بها إلا الفائزون. فيا طول حزني عليهم واشتياقي إليهم:

لو فهم الورق حنيني نحوهم ... ناحت معي وقطعت أطواقها
ولو يذوق عاذلي صبابتي ... صبا معي لكنه ما ذاقها

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: كان الحسين عليه السلام يوماً في حجر جده رسول الله ﷺ وهو يلاعبه ويلاطفه ويقبّله ويضاحكه، فقالت له عائشة: ما أشد حبك لهذا الصبي وما أشغفك به وما أشد إعجابك به؟ فقال لها: ويلك وكيف لا أحبه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني ومهجة قلبي، ولكن اعلمي يا عائشة أن قوماً من شرار أمتي يقتله من بعدي ويكون قاتله مخلداً في النار وعليه غضب من الله تعالى، ومن زاره بعد وفاته كتب الله له الثواب حجة من حجتي. فقالت عائشة: يا رسول الله حجة من حججك يكتبها الله لزائر الحسين؟ قال: نعم وحجتين، قالت عائشة: وحجتين من حججك!؟ قال: نعم، بل ثلاث حجج. قال: ولم تزل عائشة تزيده بالقول وهو ﷺ يضاعف لها الحجج حتى بلغ سبعين حجة من حجج رسول الله ﷺ. ثم قال ﷺ: يا عائشة، من أراد الله به الخير قذف في قلبه محبة الحسين عليه السلام وحب زيارته، ومن زار الحسين عارفاً بحقه كتبه الله من أعلا عليين مع الملائكة المقربين.

وعن سليمان الأعمش أنه قال: كنت نازلاً بالكوفة وكان لي جار، وكنت أأتي إليه وأجلس عنده، فأتيت ليلة الجمعة إليه، فقلت له: يا هذا ما تقول في زيارة الحسين عليه السلام؟ قال لي: هي بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ذي ضلالة في النار. قال سليمان: فقمت من عنده وأنا ممتلىء عليه غيظاً فقلت في نفسي: إذا كان وقت السحر آتيه وأحدّثه شيئاً من فضائل الحسين عليه السلام فإن أصر على العناد قتلته.

قال سليمان: فلما كان وقت السحر أتيته وقرعت عليه الباب ودعوته باسمه، فإذا بزوجته تقول: إنه قصد إلى زيارة الحسين من أول الليل. قال سليمان: فسرت في أثره إلى زيارة الحسين عليه السلام، فلما دخلت إلى القبر فإذا أنا بالشيخ ساجد لله عزَّ وجلَّ

(1) سورة الأنعام: الآية 45.

وهو يدعو ويبكي في سجوده ويسأله التوبة والمغفرة؛ ثم رفع رأسه بعد زمان طويل فرآني قريباً منه، فقلت: يا شيخ بالأمس كنت تقول زيارة الحسين بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة بالنار واليوم أتيت تزوره؟ فقال: يا سليمان لا تلمني فإني ما كنت أثبت لأهل البيت إمامة حتى كانت ليلتي تلك فرأيت رؤيا هالتني وروعتني، فقلت له: ما رأيت أيها الشيخ؟ قال: رأيت رجلاً جليل القدر لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير اللاصق لا أقدر أصفه من عظم جلاله وجماله وبهائه وكماله، وهو مع أقوام يحفون به حفيفاً ويزفونه زفيفاً وبين يديه فارس وعلى رأسه تاج وللتاج أربعة أركان وفي كل ركن جوهرة تضيء من مسيرة ثلاثة أيام، فقلت لبعض خدامه: من هذا؟ فقال: هذا محمد المصطفى، قلت: ومن هذا الآخر؟ فقال: علي المرتضى وصي رسول الله ﷺ، ثم مددت نظري فإذا أنا بناقة من نور عليها هودج من نور وفيه امرأتان والناقة تطير بين السماء والأرض فقلت: لمن هذه الناقة؟ فقال: لخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء، فقلت: ومن هذا الغلام؟ فقال: هذا الحسن بن علي، فقلت: وإلى أين يريدون بأجمعهم؟ فقال: لزيارة المقتول ظلماً شهيد كربلاء الحسين بن علي المرتضى. ثم أني قصدت نحو الهودج الذي فيه فاطمة الزهراء وإذا أنا برقاع مكتوبة تتساقط من السماء، فسألت ما هذه الرقاع؟ فقال: فيها أمان من النار لزوار الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة. فطلبت منه رقعة، فقال لي: إنك تقول زيارته بدعة فإنك لا تنلها حتى تزور الحسين وتعتقد فضله وشرفه. فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً وقصدت من وقتي وساعتي إلى زيارة سيدي الحسين عليه السلام وأنا تائب إلى الله تعالى. فوالله يا سليمان لا أفارق قبر الحسين عليه السلام حتى تفارق روحي جسدي.

وعن داود بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن فاطمة بنت محمد ﷺ تحضر زوار قبر الحسين فتستغفر لهم.

فيا نكبة هدّت قوى دين أحمد ... وعظم مصاب في القلوب له سعر
أيرتفع الرأس الكريم على القنا ... ويهدى إلى الرجس قد اغتاله الكفر
ويُمنع شرب الماء عمداً وكفه ... به من عطايا جود أنعامه بحر
ويُقتل ظمآناً كئيباً وجدّه ... نبي له الإقبال والعزّ والنصر
حبيب أجّل المرسلين مقامه ... رسول به تُرجى الشفاعة والبِشر
ووالده الهادي الوصي خليفة ... النبي أبو الأطهار والصنو والصهر
إمام له السر العظيم وشأنه ... القديم وفي أوصافه نزل الذكر
له الشرف العالي، له النور والبهاء ... له الرتبة العليا له المجد والفخر

إذا ما انتضى يوم الكريهة عزمه فمن ذا ترى زيداً ومن ذا ترى عمرو

حكي عن رجل كوفي حداد قال: لما خرج العسكر من الكوفة لحرب الحسين بن علي عليه السلام جمعت حديداً عندي وأخذت آلتي وسرت معهم. فلما وصلوا وطنبوا خيمهم بنيت خيمة وصرت أعمل أوتاداً للخيم وسككاً ومرابط للخيل وأسنة للرماح وما اعوَّج من سنان أو خنجر أو سيف كنت بكل ذلك بصيراً، فصار رزقي كثيراً وشاع ذكري بينهم حتى أتى الحسين مع عسكره، فارتحلنا إلى كربلاء وخيَّمنا على شاطىء العلقمي وقام القتال فيما بينهم وحموا الماء عليه وقتلوه وأنصاره وبنيه وكان مدة إقامتنا وارتحالنا تسعة عشر يوماً، فرجعت غنياً إلى منزلي والسبايا معنا، فعرضت على عبيد الله فأمر أن يشهروهم إلى يزيد إلى الشام. فلبثت في منزلي أياماً قلائل وإذا أنا ذات ليلة راقد على فراشي فرأيت طيفاً كأن القيامة قامت والناس يموجون على الأرض كالجراد إذا فقدت دليلها وكلهم دالع لسانه على صدره من شدة الظمأ وأنا أعتقد أن فيهم أعظم مني عطشاً لأنه كلَّ سمعي وبصري من شدته، هذا غير حرارة الشمس تغلي منها دماغي والأرض تغلي كأنها القير إذا أشعل تحته نار، فخلت أن رجلي قد تقلعت قدماها، فوالله العظيم لو أني خيرت بين عطشي وتقطيع لحمي حتى يسيل دمي لأشربه لرأيت شربه خيراً من عطشي. فبينما أنا في العذاب الأليم والبلاء العميم إذا أنا برجل قد عمَّ الموقف نوره وابتهج الكون بسروره، راكب على فرس وهو ذو شيبة قد حفت به ألوف من كل نبي ووصي وصدِّيق وشهيد وصالح، فمر كأنه ريح أو سيران فلك، فمرت ساعة وإذا أنا بفارس على جواد أغر له وجه كتمام القمر تحت ركابه ألوف إن أمر ائتمروا وإن زجر انزجروا، فاقشعرت الأجسام من لفتاته وارتعدت الفرائص من خطواته، فتأسفت عن الأول ما سألت عنه خيفة من هذا وإذا به قد قام في ركابه وأشار إلى أصحابه وسمعت قوله: خذوه، وإذا بأحدهم قابض بعضدي كلبة حديد خارجة من النار، فمضى بي إليه، فخلت كتفي اليمنى قد انقلعت، فسألته الخفة فزادني ثقلاً فقلت له: سألتك بمن أمرك عليَّ من تكون؟ قال: ملك من ملائكة الجبار، قلت: ومن هذا؟ قال: علي الكرار، قلت: والذي قبله؟ قال: محمد المختار، قلت: والذين حوله؟ قال: النبيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالحون والمؤمنون، قلت: أنا ما فعلت حتى أمَّرك عليَّ؟ قال: إليه يرجع الأمر وحالك حال هؤلاء. فحققت النظر وإذا بعمر بن سعد أمير العسكر وقوم لم أعرفهم وإذا بعنقه سلسلة من حديد النار خارجة من عينيه وأذنيه فأيقنت بالهلاك وباقي القوم منهم مغلَّل ومنهم مقيَّد ومنهم مقهور بعضده مثلي. فبينما نحن نسير وإذا برسول الله ﷺ الذي وصفه

الملك جالس على كرسي عال يزهو، أظنه من اللؤلؤ، ورجلين ذي شيبتين بهيتين عن يمينه، فسألت الملك عن الشابين، فقال: نوح وإبراهيم. وإذا برسول الله ﷺ يقول: ما صنعت يا علي؟ قال: ما تركت أحداً من قاتلي الحسين إلا وأتيت به. فحمدت الله تعالى بأني لم أكن منهم ورد إليَّ عقلي، وإذا برسول الله ﷺ يقول: قدموهم! فقدموهم إليه وجعل يسألهم ويبكي ويبكي كل مَن في الموقف لبكائه لأنه يقول للرجل: ما صنعت بطف كربلا بولدي الحسين؟ فيجيب: يا رسول الله أنا حميت الماء عليه، وهذا يقول: أنا قتلته، وهذا يقول أنا سلبته، وهذا يقول أنا وطأت صدره بفرسي، ومنهم يقول أنا ضربت ولده العليل. فصاح رسول الله ﷺ وقال: وا ولداه، وا قلة ناصراه، وا حسيناه، وا علياه، هكذا صدر عليكم بعدي أهل بيتي، انظر يا أبي يا آدم، انظر يا أخي يا نوح كيف أخلفوني في ذريتي؟ فبكوا حتى ارتجَّ المحشر فأمر بهم زبانية جهنم يجرونهم أولاً فأولاً إلى النار، وإذا بهم قد أتوا برجل فسأله قال: ما صنعت شيئاً، قال: أما أنت نجار؟ قال: صدقت يا سيدي لكني ما عملت شيئاً إلا عموداً لخيمة الحصين بن نمير لأنه انكسر من ريح عاصف فوصلته، فبكى ﷺ وقال: كثرت السواد على ولدي، خذوه للنار. وصاحوا: لا حكم إلا لله ولرسوله ووصيه. قال الحداد: فأيقنت بالهلاك، فأمر بي فقدموني فاستخبرني فأخبرته فأمر بي إلى النار، فما سحبوني إلا وانتبهت وحكيت لكل من لقيته. وقد يبس لسانه ومات نصفه وتبرأ منه كل من يحبه ومات فقيراً لا رحمه الله تعالى ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحهيم حيث عرته الأحزان والأشجان وقال فيهم[2]:

زر ضريحاً (بجورقان) ونائي ... الحسين بن فاطمة الزهراء
لغريب بكربلا يا صريع ... طال كربي لذكره وبلائي
ووحيد بين الأعادي غريب ... جرَّعته العدى كؤوس الرداء
فإذا زرته فقل يا قتيلاً ... حزنه قاتلي بسيف شجائي
يا غريباً لأجله صرت أبكي ... أسفاً بعده على الغرباء
يا خضيب المشيب خضبت خدي ... بدموع ممزوجة بدماء

(1) سورة الشعراء: الآية 227.
(2) القصيدة للشيخ ابن حماد رحمه الله تعالى.

ليتني بالطفوف كنت فداء لك يا سيدي وقلَّ فدائي
بأبي جسمك الذي وطأته الخيل من بعد لين الوطاء
بأبي رأسك المسير في الرمح كبدر يلوح في الظلماء
بأبي أختك التي هُتكت بعدك من بعد سرها والخِباء
تستر الوجه وهي تعثر في فاضل أذيالها لفرط الحياء
ثم تدعوك يا أخي كم أناديك تشجو فلا تجيب ندائي
يا أخي لو رأيتنا لرأت عيناك فينا شماتة الأعداء
كنت أرجوك للشدائد كهفاً فأبى الدهر أن يحق رجائي
ليتني مت قبل هذا فقد كان مماتي أحق من بقائي
لأنوحن ما حييت على من ناح حزناً طير السماء
وكذا الأرض والسماء بكته وقليل له كثير البكاء
وبكى جبرائيل في الملأ العلوي أيضاً وكل من في السماء
وبه عزى النبي وعزى فيه مولاي سيد الأوصياء
وغدت فاطم البتول تبكيه بثكل قريحة الأحشاء
لعن الله عصبة قتلته ولحاها بكرة وعشاء
ليس تهني الحياة بعد قتيل الطف إلا امرؤ قليل الحياء
وسيبكي له ابن حماد في كل صباح من عمره ومساء

* * *

المجلس العاشر

في اليوم الخامس من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

لو علم الناس فضل هذا المقام لأجلوه عن الوطء بالأقدام، ولجعلوا هذا الرغام شفاءاً وافياً من الأسقام، وكيف لا؟ وفيه تُقام مآتم الآل وما جرى عليهم من الأسر والقتال من الكفرة الفجرة الأنذال.

فيا إخواني، أكثروا من التلهف والأسف على أهل الفضائل والشرف، وكيف الصبر لمن يمثل مولاه الحسين عليه السلام واقفاً ينادي في ميدان القتال: ألا هل من نصير ينصر الآل؟ ألا هل من معين يعين عترة المختار ويذب عن الذرية الأطهار؟ أين من حقنا عليه السلام؟ أين من الوصية فينا من الرسول ﷺ حيث يقول: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، فالعجب كل العجب من غفلة أهل الزمان عن إقامة العزاء وإثارة الأحزان على الشهيد العطشان المدفون بلا غسل ولا أكفان، كيف لا تبكي لمن بكته الزهراء؟ وكيف لا تنوح على المنبوذين بالعراء؟ لعلنا نفوز بثواب المصاب ونحوز بدخول الجنة يوم المرجع والمآب:

يحق لي أن أدم ما عشت في حزن ... أذري الدموع على الخدين والذقن
يا آل أحمد ماذا كان فعلكم ... كأن خيركم في الناس لم يكن
رجالكم قُتلوا من غير ذي سبب ... وأهلكم هتكوا جهراً على البِدَن

روي أن عمرو بن العاص قال لمعاوية بن أبي سفيان: يا معاوية لم لا تأمر الحسين ابن علي أن يصعد المنبر فيخطب يوم الجمعة فلعله يحصل له خجل وحصر، فيكون ذلك نقصاً لقدره عند الناس.

قال: فلما غص المسجد بالناس أمر معاوية الحسن أن يصعد المنبر، قال: فقام الحسن عليه السلام وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، من عرفني

---

(1) سورة الشورى: الآية 23.

فقد عرفني، ومن لم يعرفني فسأبين له نفسي، أنا الحسن بن علي، بن أبي طالب، أنا ابن أول القوم إسلاماً، وأولهم إيماناً، أنا ابن علي المرتضى، وابن فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من بُعث رحمة للعالمين وسوط عذاب على الكافرين، أيها الناس، لو طلبتم ابناً لنبيكم لم تجدوا غيري وغير أخي الحسين. قال: فناداه معاوية وقال: يا حسن حدثنا بنعت الرطب كيف يكون؟ أراد بذلك أن يخجله ويقطع عليه كلام، فقال الحسن: نعم يا معاوية، إن الرطب أولاً تلقحه الشمال وتخرجه الجنوب، وتنقحه الشمس ويصبغه القمر، وتنفحه الريح والحر ينضجه، والليل يبرده، والبرودة تحليه وتطيبه.

ثم استمر في كلامه وقال: أيها الناس، أنا ابن المروة والصفا، أنا ابن النبي المصطفى، أنا ابن من على الجبال الرواسي علا، أنا ابن من كسى محاسن وجهه الحيا، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن عديمات العيوب؛ أنا ابن نجيات الجيوب، أنا ابن أزكى الورى وأعظمهم أمراً وكفاني بهذا فخراً.

قال: ثم أن معاوية أمر المؤذن أن يؤذن ليقطع كلامه، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، قال الحسن: يا معاوية محمد أبي أم أبوك؟ فإن قلت إنه ليس بأبي فقد كفرت، وإن قلت نعم فقد أقررت بحقي وأنت تغصبنا ما هو لنا ولا ترد إلينا حقنا. فقال معاوية: يا حسن أنا خير منك! فقال الحسن: وكيف ذلك يا ابن هند يا ابن آكلة الأكباد؟ فقال معاوية: لأن الناس أجمعوا عليَّ ولم يجمعوا عليك! فقال الحسن عليه السلام: هيهات هيهات، إن هذا شر علوت به يا ابن هند، ألم تعلم أن المجمعين عليك رجلان مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور عند الله وحاشا لله أن أقول أنا خير منك لأنك لا خير فيك، وأن الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل يا معاوية.

قال: فقام يزيد بن معاوية وقال: يا حسن إني منذ صرت أبغضك، فقال الحسن: يا يزيد اعلم أن إبليس شارك أباك في نكاحه حين علقت فيك أمك فاختلط الماءان فولدت على ذلك وصرت من تلك النقطتين فلأجل ذلك تبغضني وتحملت أنت وأبوك عداوتي وكذلك الشيطان شارك جدك حرباً عند نكاحه فولد جدك صخر، فلذلك جدك يبغض جدي رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1]. واعلم يا يزيد لا يبغضنا إلا من خبث أصله وكان من إبليس نسله. فقال معاوية: يا عمرو بن العاص هذه مشورتك لنا؟ فقال عمرو: والله ما ظننت أن مثله هذا على صغر سنه يقدر يتكلم فوق

(1) سورة الإسراء: الآية 64.

المنبر بكلمة واحدة، ولكنه لا شك من معدن الفصاحة ومن بيت الكرم والسماحة.

قال معاوية: وأنا أيضاً أفتخر وأقول: أنا ابن بطحاء مكة وأغزرها جوداً وأكرمها جدوداً، أنا ابن من ساد على قريش ناشئاً وكهلاً، فقال الحسن: يا معاوية أعليٌّ تفتخر وأنا ابن مأوى التقى، وأنا ابن من جاء بالهدى، وأنا ابن من ساد على أهل الدين بالفضل السابق والحسب الفائق، وأنا ابن من طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، فهل لك أب كأبي تباهيني به؟ أو لك قدم كقدمي تساميني به؟ هل تقول نعم يا معاوية أو تقول لا؟ فقال: بل أقول لا وهي لك تصديق. فتعجب الحاضرون من كلام الحسن عليه السلام وأجوبته وحسن براعته.

فانظروا يا إخوتي إلى هذا النور الجسماني، والشخص الرباني، كيف تفوح آثار النبوَّة منه والإمامة، ومن غيره آثار المكر والخدع واللئامة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

والله لولا نكث عهد المصطفى ... يوم الغدير وظلم حيدر فاسمعوا
ما استضهدت آل النبي أمية ... كلا ولا لخلافة يوماً دعوا

روي أن رسول الله ﷺ كان يوماً مع جماعة من أصحابه ماراً في بعض الطرق وإذا هم بصبيان يلعبون في ذلك الطريق، فجلس النبي ﷺ عند صبي منهم وجعل يقبِّل ما بين عينيه ويلاطفه ثم أقعده في حجره وهو مع ذلك يكثر تقبيله، فقال له بعض الأصحاب: يا رسول الله ما نعرف هذا الصبي الذي قد شرّفته بتقبيلك وجلوسك عنده وأجلسته في حجرك، ولا نعلم ابن من هو؟ فقال النبي ﷺ: يا أصحابي لا تلوموني فإني رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين ورأيته يرفع التراب من تحت أقدامه ويمسح به وجهه وعينيه مع صغر سنه، فأنا من ذلك اليوم بقيت أحب هذا الصبي حيث أنه يحب ولدي الحسين فأحببته لحب الحسين، وفي يوم القيامة أكون شفيعاً له ولأبيه ولأمه كرامة له. ولقد أخبرني جبرائيل أنه يكون هذا الصبي من أهل الخير والصلاح ويكون من أنصار الحسين في وقعة كربلا، فلأجل هذا أحببته وأكرمته كرامة للحسين عليه السلام.

على مثلهم فليبك بالمدى المدى ... ويذرف دمعاً منه كالسيل مسبل
فما منهم إلا قتيل وهالك ... بسم ومذبوح وذاك مكبل
أصابتهم أيدي المصائب فاغتدوا ... أماثيل في الدنيا لمن يتمثل

روي عن الحسين عليه السلام أنه قال: أتيت يوماً جدي رسول الله ﷺ فرأيت أُبي

(1) سورة الحج: الآية 46.

ابن كعب جالساً عنده، فقال لي جدي: مرحباً بك يا زين السماوات والأرض، فقال أُبي: يا رسول الله وهل أحد سواك يكون زين السماوات والأرض؟ فقال النبي ﷺ: يا أُبي بن كعب والذي بعثني بالحق نبياً أن الحسين بن علي في السماوات أعظم مما هو في الأرض، واسمه مكتوب عن يمين العرش، إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة.

قال: ثم أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسين عليه السلام وقال: أيها الناس، هذا الحسين ابن علي، ألا فاعرفوه وفضّلوه كما فضّله الله عزَّ وجلَّ فوالله لجده على الله أكرم من جد يوسف بن يعقوب، هذا الحسين جده في الجنة، وأمه في الجنة، وأبوه في الجنة، وأخوه في الجنة، وعمه في الجنة، وعمته في الجنة، وخاله في الجنة، وخالته في الجنة، ومحبوهم في الجنة، ومحبو محبيهم في الجنة.

وروي في بعض الأخبار: أن الحسين عليه السلام مر على عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى هذا المختار، وإني ما كلمته قط منذ وقعة صفين، فقال له الحسين: يا عبد الله إذا كنت تعلم أني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلم تقاتلني وتقاتل أبي وأخي يوم صفين؟ فوالله إن أبي خير مني عند الله ورسوله. قال: فاستعذر إليه عبد الله وقال: يا حسين أن جدك رسول الله ﷺ أمر الناس بإطاعة الآباء وأني قد أطعت أبي في حرب صفين، فقال الحسين عليه السلام: أما سمعت قول الله تعالى في كتابه المبين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[1]، فكيف خالفت الله تعالى وأطعت أباك وحاربت أبي وقد قال رسول الله ﷺ: إنما الطاعة للآباء بالمعروف لا بالمنكر، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق!؟. فسكت عبد الله بن عمرو ولم يرد جواباً لعلمه أنه خسر الدنيا والآخرة و﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

وعن الطبري، عن طاووس اليماني: أن الحسين بن علي كان إذا جلس في المكان المظلم يهتدي إليه الناس ببياض جبينه ونحره، وإن رسول الله ﷺ كان كثيراً ما يقبّل الحسين عليه السلام بنحره وجبهته، وإن جبرائيل عليه السلام نزل يوماً إلى الأرض فوجد الزهراء نائمة والحسين في مهده يبكي على جاري عادة الأطفال مع أمهاتهم، فجلس جبرائيل عند الحسين وجعل يناغيه ويسكته عن البكاء ويسليه ولم يزل كذلك حتى استيقظت فاطمة عليها السلام من منامها، فسمعت إنساناً يناغي الحسين، فالتفتت إليه ولم تر أحداً، فأعلمها أبوها رسول الله ﷺ أن جبرائيل عليه السلام كان يناغي الحسين

---

(1) سورة لقمان: الآية 15. (2) سورة الحج: الآية 11.

وعن أنس بن مالك قال: رأيت الحسين عليه السلام مع جنازة لبعض أصحابه، فصلّينا عليها معه، فلما فرغنا من الصلاة رأيت أبا هريرة ينفض التراب عن أقدام الحسين ويمسح بها وجهه، فقال له الحسين عليه السلام: لم تفعل هذا يا أبا هريرة؟ فقال: دعني يا ابن رسول الله، فوالله لو تعلم الناس مثل ما أعلمه من فضلك لحملوك على أحداقهم فضلاً عن أعناقهم، يا ابن رسول الله، في عاتي أذني سمعت من جدك رسول الله ﷺ يقول على منبره: إن هذا ولدي الحسين سيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين، وإنه سيموت مذبوحاً ظمآناً مظلوماً، لعن الله من قتله.

فيا إخواني، كيف لا نبكي لأحب أهل الأرض والسماء؟ وكيف لا نحزن على قتيل الظماء والماء حوله؟ قد بادروه بالسيوف والرماح وصادموه في ميدان الكفاح، وقالوا له: لا سعة ولا، فصاح. فيا ويحهم ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله ﷺ.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

سَلْ جيرة القاطنين ما فعلوا ... وهل أقاموا بالحي أم رحلوا
وقِفْ معي وقفة الحزين عسى ... أنشد ربعاً ضلّت به السُبل
ولا تلمني على البكاء فالدموع ... ري تطفى به الغلل
بانوا فلي مقلة مقرَّحة ... ومهجة بالزفير تشتعل
جسمي لشوك القتاد مفترس ... وناظري بالسهاد مكتحل
قد كان قلبي والدار جامعة ... والعيش غض والشمل مشتمل
مروعاً خائفاً فكيف به ... غدا التنائي والركب مرتحل
فوا ضلالي تبكي لوحشتهم ... عين وبين الضلوع قد نزلوا
وأسأل النطق من صدى طلل ... بال وأنى يجيبني الطلل
فما لقلبي والنائبات وكم ... يرمي بسهم النوى وينتبل
يا نفس صبراً فكل نائبة ... سوى مصاب الحسين تحتمل
ويا جفوني سحّي عليه فلي ... عن كل رزء برزئه شغل
لم أنسه يُنشد الطغاة وقد ... حفّت به السمهرية الذبل

(1) القصيدة للخليعي رحمه الله تعالى.

ألا ارجعوا عن قتالنا وذروا ... سفك دماء النبي واعتزلوا
أنا ابن خير الأنام قاطبة ... وخير خلق يحفي وينتعل
بذا أُمرتم أن تقطعوا رحم ... المختار من بَعده ولا تَصِلُوا
لهفي له يشتكي الأوام وللبيض ... المواضي من نحره بَلَل
لهفي لذلك الجبين منعفراً ... كالشمس أنى بدا لها الخجل
لهفي لنسوانه وقد كشفت ... عن صدرهنَّ السجوف والكلل
مسلوبة قد تقنَّعت فاضل الردن ... وعبرى قد شفها الثكل
هذي تنادي أخي، وتلك أبي ... والدمع فوق الخدود منهمل
وزينب مستجيرة ولها ... على أخيها ندب ومرتحل
تصيح من حسرة ومن أسف ... والقلب منها مروع وجِل
أين علي بن الحسين ألا ... أين المحامي والفارس البطل
تبكي وتستصرخ البتول وللشعث ... اليتامى من حولها زجل
يا أم قومي وسارعي فمفداك ... طريح في التراب منجدل
قومي فقد نالنا لِفَقْدِ أخي ... خطب مهول وحادث جلل
حتى إذا ثوروا لرحلتهم ... وحثّ بالركب سائق عجل
وعلق الرأس يستنير به الأفق ... وسارت تطوي الفلا الإبل
ظلت تنادي: وا ذلّنا يا رسول الله ... وَصَيتهم وما قبلوا
ما حفظوا ما أمرت من ود ذي ... القربى ولا عن ضلالهم عدلوا
وفاطم تستغيث عمتها ... صارخة دمع عينها خضل
يا عمتي ما لهؤلاء وللحريم ... لا يعطفون إن سألوا
وما لهذا السائق العنيف من ... الإدلاج ولا ضجرة ولا ملل
لهفي لزين العباد يرفل في القيد ... كئيباً تذيبه العلل
يجول نحو الحريم محتسباً ... يدعو إلى ربّه ويبتهل
حتى إذا أقبلت ركائبهم ... على يزيد يقودها السفل
صاح غراب فقال قل ما تشأ ... أو لا تقل فالسرور مكتمل
قتلت أسماهم فخاراً وأزكاهم ... تجاراً وحق الأمل

قابلت يوماً بيوم بدر وعاجلت انتصاري لمعشر خذلوا
وظل بالعود قارعاً ثغر مولانا سروراً لامه الهبل
فما ترى عذر آل حرب إذا جاؤوا وقد أيقنوا لمن قتلوا
وإن جنى المصطفى النبي لهم بأي شيء تُعارض الرُّسل
وما يقولون في الجواب وقتلاهم بنوه وما له فعلوا
يا سادتي يا بني النبي ومن عليهم في المعاد أتكل
ما راعني فَقْدُ من ألفت به ولم يهجني التشبيب والغزل
ولا شجاني إلا مصابكم فما بدمي عليكم تحل
ما أنا والله عن محبتكم ولعن أهل العناد منتقل
والله لي شاهد ولست إذا اتقيت قوماً أرضى إذا جهلوا
والعادل المستدل لا يدخل الشك عليه قول ولا عمل
ما للخليعي عبد أنعمكم إلا ولأكم إذا انقضى الأجل
يكفيه عند الأعراف علمكم يوماً بسيماه يُعرف الرجل
ما عنكم لابن حرة عوض وليس منكم لعارف بدل
وأين عنكم بالولاء لكم تمحى الخطايا ويُغفر الزلل

الباب الثاني

يا إخواني: لو فكَّر المحب الولهان فيما جرى على سادات الزمان وما أصابهم من البلاء والمحن لقال لروحه أن تخرج من البدن، تُقطَّع منهم الأوصال، ويُجدلون على الرمال، ويتجرعون الحتوف بأرض الطفوف، على أيدي أهل الفساد وأشر العباد، فكم وكم من نفس معصومة أزهقوها، وكم من دماء محرَّمة أراقوها، وكم من رؤوس شريفة فوق الأسنة رفعوها وأخذوها بالأسنة الحداد كما يُفعل بأهل الإلحاد، هذا مع علمهم بأنهم الذريَّة النبويَّة والعترة الهاشمية، فيا لها من مصيبة ما أعظمها في الإسلام وأعظم رزيتها بين سائر الأنام، فإنَّا لله، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله.

شعر[1]:

تأوب همي والفؤاد كئيب وأرقَّ نومي فالرقاد غريب

(1) الشعر للشافعي محمد بن إدريس.

ومما نعى جسمي وشيب لمّتي تصاريف أيام لهن خطوب
فرى كبدي من حزن آل محمد ومن زفرات ما لهن طبيب
فمن مبلّغ عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفُس وقلوب
قتيل بلا جرم كأن قميصه صبيغ بماء الأرجوان خضيب
فللسيف إعوال وللرمح رنّة وللخيل من بعد الصهيل نحيب
تزلزلت الدنيا لآل محمد فكادت لها صمّ الجبال تذوب
وغابت نجوم واقشعرت كواكب وهُتك أستار وشُقّ جيوب
يصلّى على المهدي من آل هاشم ويُغزى بنوه إن ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حب آل محمد فذلك ذنب لست عنه أتوب

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما حضرت الحسن بن علي الوفاة، أوصى إلى أخيه الحسين فقال: يا أخي إذا أنا مت فاحملني على سريري وادفني في البقيع، وستعلم يا ابن أم أن القوم إذا علموا أنكم تريدون دفني عند جدي يجدّون في منعكم، فبالله عليك لا تهرق في أمري محجمة دم.

قال: فلما غسّله وكفنه وحمله على سريره وتوجه به إلى قبر جده ليجدد به عهداً عند جده، أتى مروان بن الحكم ومعه جمع من بني أمية وقالوا: يدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع جده، لا يكون ذلك أبداً؟! ثم أقبلت عائشة راكبة على بغل وهي تقول: أتريدون أن تدفنوا ببيتي من لا أحب؟! فقال لها ابن عباس: ارجعي إلى منزلك واستعلي الحيا، فنحن ندفنه في البقيع كما أوصى عليه السلام، وإنما جئنا لنجدد به العهد عند جده. فقالت: إني لا أنصرف حتى تخرجوا به إلى البقيع! فقال لها ابن عباس: وا سوأتاه لك يا عائشة يوماً تجملت ويوماً تبغلت وإن عشت تفيلت. وفي هذا المعنى قال بعض محبيهم فيهم:

يعظّمون له أعواد منبره وتحت أرجلهم أولاده وضعوا
بأي وجه بنوه يتبعونكم وفخركم أنكم صُحب له تُبع
وكيف ضاقت عن الأهلين تربته وللأجانب عن جنبيه متسع
وكيف صيّرتم الإجماع حجتكم والقوم ما اتفقوا فيه ولا اجتمعوا
أمر عليٌّ بعيد من مشورته مسكوه فيه والعباس يمتنع
وتدّعيه قريش بالقرابة لا رفعوا فيه ولا وضعوا

فأي خلف كخلف كان بينكم لولا تلفق أخبار وتصطنع
هذي وصايا رسول الله مهملة غدراً وشمل رسول الله منصدع

فيا حر قلبي لما جرى للآل أهل الجود والمجد والأفضال من الكفرة الفجرة الأنذال، حسدوهم على معاليهم حيث عجزوا عن إدراك الفضل الذي أودعه الله فيهم، فحملتهم تلك الأحقاد على الكفر والارتداد ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

روي أن الحسين عليه السلام كان جالساً بمسجد جده رسول الله ﷺ، وذلك بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام، وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى، فجاء أعرابي على ناقة حمراء فعلقها بباب المسجد ودخل فوقف على عتبة بن أبي سفيان وسلم عليه فرد عليه السلام، فقال له الأعرابي: اعلم أني قتلت ابن عم لي عمداً وطولبنا بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فرفع رأسه إلى غلامه وقال: ادفع إليه مائة درهم. فقال الأعرابي مغضباً وانتهره وقال: ما أريد إلا الدية تماماً. ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير وقال له: إني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فقال لغلامه: ادفع إليه مائتي درهم. فقام الأعرابي مغضباً وقال: ما أريد إلا الدية تماماً. ثم تركه وأتى إلى الحسين فسلم عليه وقال له: يا ابن رسول الله إني قتلت ابن عم لي وقد طولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فقال له: يا أعرابي نحن قوم لا نعطي المعروف إلا قدر المعرفة، فقال له: سل ما تريد يا ابن رسول الله. فقال له الحسين عليه السلام: ما النجاة من الهلكة؟ قال: التوكل على الله عزَّ وجلَّ، فقال له: ما أروح الهمة؟ قال: الثقة بالله، فقال له: وما يتحصن به العبد؟ قال: محبتكم أهل البيت، فقال: ما أزين ما يتزين به الرجل؟ قال: علم وعمل يزينه حلم، فقال له: فإن أخطأ ذلك كله؟ قال: فعقل يزينه تقاء، فقال له: فإن أخطأ ذلك كله؟ قال: سخاء يزينه حسن خلق، فقال له: فإن أخطأ ذلك؟ قال: شجاعة يزينها ترك عجب، قال: فإن أخطأ ذلك؟ قال: والله يا ابن رسول الله إن أخطأ هذه الخصال فالموت له خير من الحياة. فأمر الحسين عليه السلام له بعشرة آلاف درهم وقال له: هذه لقضاء دينك، وعشرة آلاف درهم أخرى تلمُّ بها شعثك وتُحسن بها حالك وتنفق بها على عيالك؛ فأنشأ الأعرابي يقول:

طربت وما هاج لي مغبق ولا بي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسول فلذّ لي الشعر والمنطق

(1) سورة الحج: الآية 46.

هم الأكرمون هم الأنجبون نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام إلى المكرمات وأنت الجواد فلا تُلحق
أبوك الذي ساد بالمكرمات فقصر عن سبقه السبق
بكم فتح الله باب الرشاد وباب العِثار بكم تُغلق

فيا إخواني: كيف لا يحق لمن فارقته ساداته الذين بهم سعاداته، أن يجري عليهم الدموع الهاطلة ويزيد في الحرق المتوصلة، ويكثر النوح والعويل على هذا الرزء الجليل. سارعوا بالإساءة إليهم بعدما اختبروهم، وعجلوا بالدموع فيهم بعدما عرفوهم، كأنهم أنكروهم ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1].

روى الشيخ الصدوق عن الهيثم بن عدي بن أرطأة قال: قال معاوية لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله أينا أدهى؟ فقال عمرو: أنا للبديهة وأنت للروية، فقال له معاوية: قد قضيت لي على نفسك فأنا أدهى منك للبديهة أيضاً، فقال له عمر: وأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف على الرماح؟ فقال: بها غلبتني، أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه؟ فقال: والله إن الكذب لقبيح فسل عما بدا لك فإني أصدقك، فقال له: أغششتني منذ نصحتني؟ قال: لا، قال: بلى والله قد غششتني، أما أني لا أقول في كل المواطن ولكن في موطن واحد، قال: وأي موطن هذا؟ قال: يوم دعاني علي بن أبي طالب للمبارزة إلى الحرب فاستشرتك فقلت: لك ما ترى يا عمرو؟ فقلت: كفوٌ كريم، فأشرت عليَّ بمبارزته وأنت تعلم من هو، فعلمت أنك غششتني. فقال عمرو: يا معاوية دعاك للمبارزة رجل عظيم الشأن جليل القدر فكنت من مبارزته على إحدى الحسنين، أما أن تقتله فتكون قد قتلت قاتل الفرسان وقاهر الشجعان وتزداد شرفاً إلى شرفك في طول الزمان وتخلو بملكك وتقهر عدوك، وإما أن تعجل إلى مرافقة الشهداء في دار الجنان وحسن أولئك رفيقاً. فقال معاوية: هذه الكلمة أشر من الأولى والله إني أعلم أني لو قتلته دخلت النار وإن قتلني دخلت النار. فقال له عمرو: يا معاوية إذا كنت تعلم هذا فما الذي حملك على قتاله؟ فقال: ويلك إن المُلك عقيم ولن يسمعها مني أحد بعدك فلا تخبر الناس بما سمعت مني.

فانظروا يا إخواني إلى صنيع الكفرة الفجرة مع العترة الكِرام البررة، أترونهم ماذا يقولون حين يعرضون على الله؟ وبكى الرسول لمصاب عترته في ذلك الزمان وبكى لبكائه آدم ونوح وعيسى وموسى وإبراهيم خليل الرحمٰن ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

(1) سورة البقرة: الآية 161. (2) سورة يونس: الآية 30.

رأس ابن بنت محمد ووصيه ... للمسلمين على قناة يُرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع ... لا جازع منهم ولا متوجع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى ... وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عماية ... وأصم رزءك كل أذن تسمع
ما روضة إلا تمنت أنها ... لك مضجع ولخط قبرك موضع

حكي أن امرأة ذات فحش كانت معهودة بالمدينة، ولها جار كان مواظباً على مأتم الحسين عليه السلام. وكان عندها ذات يوم رجال ينشدون ويبكون على الحسين عليه السلام وأمر لهم باصطناع طعام، فدخلت المرأة الفاحشة تريد ناراً، وإذا بالنار قد انطفت من غفلتهم عنها فعالجتها تلك الفاحشة بالنفخ ساعة طويلة حتى اتسخت يداها وذرفت عيناها، فلما اتقدت أخذت منها ومضت لقضاء مآربها. فلما صار الظهر، وكان الوقت صيفاً، فرقدت وكان لها عادة بالقيلولة ساعة، وإذا هي ترى طيفاً كأن القيامة قامت، وإذا بزبانية جهنم يسحبونها بسلاسل من نار وهم يقولون: يا زانية غضب الله عليك وأمرنا نلقيك في قعر جهنم، وهي تستغيث وتستجير فلا تُجار، قالت: والله لقد صرت على شفير جهنم وإذا برجل أقبل يصيح بهم: خلوها؛ قالوا: يا ابن رسول الله وما سببه؟ قال: نعم، دخلت على قوم يعملون عزائي وقد أوقدت لهم ناراً يعملون بها طعاماً. فقالوا: كرامة لك يا ابن الشافع والساقي. قالت: فقلت من أنت الذي منَّ الله عليَّ بك؟ قال: أنا الحسين بن علي، فانتبهت وأنا مذهولة ومضيت إلى المجلس قبل أن يتفرقوا، فحكيت لهم فتعجبوا وقام البكاء والعويل وتبت على أيديهم من فعل القبيح.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

هجرت مقلتي لذيذ كراها ... لمصاب الشهيد من آل طٰه
واستعدت في شهر عاشور أجفاني ... لطول البكاء على مولاها
وقيل لمصرع السبط مجراها ... ولو أن دمعها من دماها
لقتيل ساءت رزيته الأملاك ... واستعبرت عليه سماها
لقتيل أضحت له البضعة الزهرا ... ثكل والوجد حشو حشاها

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله تعالى.

كاتبته العصابة الغدر والتبديل تشكوا أمية وأذاها
وتوالت عهودها والمواثيق وآلت أن تحل عراها
وأتاها للحكم بالعدل فارتدت وجدت بالغدر لما أتاها
بأبي ركبة المجد تجوب البيد وخدا وهادها وربـاها
بأبي الفتية الميامين تسري حوله والردى إمام سراها
بأبي حين حلَّ في كربلا يسأل عنها مستشقاً لثراها
قائلاً: ها هنا تُراق دماها وتنال الطغاة فينا مُناها
ها هنا تُهتك الكرائم منَّا وتُذل الأبطال من آل طٰه
لهف قلبي له وقد خطب القوم وكأن البليغ من خطباها
ثم قال: ارجعوا سلمتم أكباد الأعادي مرضى وقتلى وشفاها
فأجابوا: لا سلَّم الله نفساً في غد من قلاك يوم لقاها
حاش لله بل نموت كِراماً ونروي من السيوف ظماها
فجزاهم خيراً ومرَّ ينادي أخته زينباً بكسر خباها
أخت يا زينب احفظي القول عني زادك الله يقظة وانتباها
إن نعاني إليك ناع فبالصبر يُنال المصاب أجراً وجاها
لا تشقّي جيباً ولا تلطمي خداً ولا تندبي بحلم سفاها
ومضى مسرعاً يقيم قنادة الدين من بعد ميلها والتواها
مستعداً للحرب حتى إذا كسر خطبها وقلّ ظباها
فرمته أيدي الطغاة بسهم البغي عن قوس غدرها وجفاها
ومضى المهر ناعياً فاستغاثت زينب وغدت تطيل بكاها
وأتت وهو في السباق تناديه بشجو ولا يجيب نداها
حر قلبي لها تضج وتدعو من جوى الثكل أمها وأباها
أم يا أم عجلي وانظري فاطم في السبي تستجير عِداها
أم قد خمَّرت سكينة منها الرأس بالردن بعد سلب رداها
أين جدي أين البتول ألا أين علي، وا ذلّها وا سباها
لهف قلبي لأم كلثوم خوف السبي تبكي وتستغيث أخاها

يا أخي كيف حال من سلب ... الناصر منها وخاف فيه رجاها
ثم تشكو إلى النبي وقد كان ... لدى الطف سامعاً شكواها
جد هل أمة هداة نبي ... أشرت بعد العمى بهداها
فأقام النبي فيها فشقّت ... حين غاب العصي على مولاها
وسبّت بعده الذراري وأضحى ... المال نهباً والآل من قتلاها
وسرت تقطع البلاد سروراً ... وبنوه الأدنون من أسراها
لا رعى الله أمة نقضت عهدك ... فينا ومن بنا أغراها
كيف صبر امرىء يود ذوي القربى ... ورأس الحسين فوق قناها
ويزيد اللعين يقرع بالعود ... ثنايا ذاق النبي لماها
قتلته عصابة الكفر عطشاناً ... فلا بلّ ذو الجلال ثراها
ليست الناقة التي دمدم الله ... على معشر أبو سقياها
كحسين وسوف ينتقم الله ... له عند بعثه أشقاها
قبحت أنفس أطاعت هواها ... وعصت مَن بلطفه سوّاها
ألهمت رشده وعلمها الله ... فجور النفوس من تقواها
وعداها نهج السبيل وقد ... أفلح من بالولاء قد زكاها
مؤمناً عارفاً وجوه البر أمن ... كل باغ وخاب من دساها
يا ابن بنت النبي يومك أذكى ... في الحشا جمرة تشب لظاها
ليت أني لك الفدا يا ابن مولاي ... قليل لو صح منك رضاها
كم لمملوك الخليعي فيكم ... مدحاً يهتدي بها رواها
فتجلى بها عقول ذوي اللب ... وتجلو عن القلوب صداها
ومراث قد أكمن الطيب فيها ... كلما أنشدت بطيب شذاها
راجياً منكم الأمان إذا عدّ ... ذنوباً يخاف من عقباها

الباب الثالث

أيها المؤمنون: لو علمتم أي أجر تؤجرون وأي ثواب تحرزون لتمنيتم دوام هذا الحال إلى يوم يبعثون، فأنشدكم يا إخواني أتدرون لمن تعزون؟ ولأي شيء أنتم مجتمعون؟ والله بعين ديان الدين أنتم، والله في عزبة محمد خاتم النبيين وعلي أمير

المؤمنين، وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وجميع الأئمة المعصومين، وعيونهم ناظرة إليكم، وهم الشهداء عليَّ وعليكم، وتصديق ذلك ما روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حيث قال: أيها الناس، اعلموا وتيقنوا أن لنا مع كل ولّي لنا أعيناً ناظرة لا تشبه أعين الناس وفيها نور من نور الله، وحكمة من حكم الله تعالى، ليس للشيطان فيها نصيب، وكل بعيد منها قريب، وإن لنا مع ولّي لنا أعيناً ناظرة وألسناً ناطقة وقلوباً وافية، وليس يخفى علينا شيء من أعمالكم وأقوالكم وأفعالكم بدليل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾[1]، ولو لم يكن كذلك ما كان لنا على الناس فضل.

ومما يدل على ذلك أيضاً: ما روي عن أبي سدير الصيرفي قال: كنت نائماً ليلة الجمعة، فرأيت رسول الله ﷺ في منامي وبين يديه طبقاً مغطى، فدنوت منه وسلمت عليه فرد عليَّ السلام فكشف لي عن الطبق وإذا فيه رطب جني، فقلت: يا رسول الله ناولني من هذا الطبق رطبة، فناولني رطبة فأكلتها، ثم طلبت منه أخرى فناولني أخرى فأكلتها، ولم يزل يناولني رطبة بعد رطبة حتى أكلت ثمان رطبات. ثم طلبت منه أخرى فقال: حسبك. فانتبهت وأنا مسرور بنومي، فلما أصبحت على الإمام جعفر بن محمد عليه السلام لأقص عليه رؤياي وإذا بين يديه طبق مغطى كأنه الطبق الذي رأيته قدام النبي ﷺ في منامي وهو مغطى، فلما استقر بي المجلس عنده التفت إليّ وكشف عن الطبق وإذا فيه رطب، فقلت: يا مولاي ناولني رطبة فناولنيها فأكلتها ثم سألته أخرى فأعطانيها حتى ناولني ثمان رطبات فأكلتها، ثم سألته أخرى فقال لي: حسبك يا أحمد فلو زادك جدي لزدتك. فقلت: يا سبحان الله من أخبرك برؤياي يا سيدي؟ فقال عليه السلام: والله لا يخفى علينا شيء من أفعالكم وأعمالكم، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾.

ومن ذلك أيضاً: ما رواه الثقاة عن أبي محمد الكوفي، عن دعبل بن محمد الخزاعي رحمه الله قال: لما انصرفت عن أبي الحسن الرضا عليه السلام بقصيدتي التائية نزلت في الري، وأني في ليلة من الليالي وأنا أصيغ قصيدة وقد ذهب من الليل شطره، فإذا طارق يطرق الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أخ لك. فبدرت إلى الباب ففتحته فدخل شخص اقشعر منه بدني وذهلت منه نفسي، فجلس ناحية وقال لي: لا ترع أنا أخوك من الجن ولدت في الليلة التي ولدت فيها ونشأت معك، وأني جئت أحدثك بما يسرك ويقوّي نفسك وبصيرتك، قال: فرجعت نفسي وسكن قلبي، فقال: يا دعبل، إني كنت من أشد

(1) سورة التوبة: الآية 105.

خلق الله بغضاً وعداوة لعلي بن أبي طالب فخرجت من الجن المردة العتادة، فمررنا بنفر يريدون زيارة قبر الحسين عليه السلام قد جنَّهم الليل، فهممنا بهم، وإذا ملائكة تزجرنا من السماء وملائكة من الأرض تزجر عنهم هوامها، فكأني كنت نائماً فانتبهت أو غافلاً فتيقظت وعلمت أن ذلك لعناية بهم من الله تعالى لمكان من قصدوا له وتشرفوا بزيارته، فأحدثت توبة وجددت نية وزرت مع القوم ووقفت بوقوفهم ودعوت بدعائهم وحججت بحجهم تلك السنة وزرت قبر النبي ﷺ، ومررت برجل حوله جماعة فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا ابن رسول الله الصادق. قال: فدنوت منه وسلمت عليه فقال لي: مرحباً بك يا أهل العراق، أتذكر ليلتك ببطن كربلاء وما رأيت من كرامة الله تعالى لأوليائنا؟ إن الله قد قبل توبتك وغفر خطيئتك، فقلت: الحمد لله الذي منَّ عليَّ بكم ونوَّر قلبي بنور هدايتكم وجعلني من المعتصمين بحبل ولايتكم، فحدِّثني يا ابن رسول الله بحديث أنصرف به إلى أهلي وقومي، فقال: نعم، حدثني أبي محمد بن علي بن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا علي الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا، وعلى الأوصياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتي حتى يقروا بولايتك ويدينوا بإمامتك. يا علي والذي بعثني بالحق لا يدخل الجنة أحد إلاَّ من أخذ منك بنسب أو سبب». ثم قال: خذها يا دعبل فلن تسمع بمثلها من مثلي أبداً، ثم ابتلعته الأرض فلم أره.

ولله درّ الشاعر البرسي حيث قال:

هم القوم آثار النبوَّة فيهم ... تلوح وأنوار الإمامة تلمع
مهابط وحي الله خزَّان علمه ... وعندهم سرّ المهيمن مودع
إن جلسوا للحكم فالكل أبكم ... وإن نطقوا فالدهر أُذن ومسمع
وإن ذُكروا فالكون ند ومندل ... له أرج من طيبهم يتضوَّع
وإن بارزوا فالدهر يخفق قلبه ... لسطوتهم والأُسد بالغاب تجزع
وإن ذُكر المعروف والجود في الورى ... فبحر نداهم زاهر يتدفع
أبوهم سماء المجد والأم شمسه ... نجوم لها برج الجلالة مطلع
فيا نسباً كالشمس أبيض مشرق ... ويا شرفاً من هامة المجد أرفع
فمن مثلهم إن عدّ في الناس مفخر ... أعد نظراً يا صاح إن كنت تسمع
ميامين قوامين عن نظيرهم ... هداة ولاة للرسالة منبع

فلا فضل إلا حين يُذكر فضلهم ولا علم إلاَّ علمهم حين يرفع
ولا عمل ينجي غداً غير حبهم إذا قام يوم البعث للخلق مجمع
ولو أن عبداً جاء في الله عابداً بغير ولاء آل العبا ليس ينفع
فيا عترة المختار، يا راية الهدى إليكم غداً في موقفي أتطلع
خذوا بيدي يا آل بيت محمد فمَن غيركم يوم القيامة يشفع

روي في بعض الأخبار عن حذيفة اليماني قال: مر ابن عباس على قوم من بني أمية فسمعهم يسبُّون علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان ابن عباس مكفوف البصر كبير السن، فقال لقائده: ما يقولون هؤلاء الأنذال؟ فقال: إنهم يسبُّون علياً، فقال له: يا غلام قرِّبني إليهم. فلما صار بالقرب منهم قال: أيكم الساب الله عزَّ وجلَّ؟ فقالوا: معاذ الله فمن يسب الله فقد كفر وخلد في سقر، فقال: أيكم الساب رسول الله؟ فقالوا: معاذ الله أن نسب رسول الله ﷺ فمن سبه فقد افترى إثماً كبيراً، فقال: أيكم الساب علي بن أبي طالب؟ فنكسوا رؤوسهم حياء منه وقالوا: قد كان ذلك منا! فقال لهم: يا أشر الأمم، ويا أهل جهنم، وحق رب الكعبة إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبَّ الله، ومن سبَّ الله تعالى أكبه الله على منخريه في نار جهنم مخلداً فيها»، فأبشروا بالعذاب الأليم في أسفل درك الجحيم. فلم يردوا له جواباً، فتركهم وانصرف لشأنه. فقال: يا غلام كيف رأيت وجوههم حين أوردت الحديث؟ فقال: اسمع يا مولاي مني الشعر:

نظروا إليك بأعين مزورة نظر التيوس إلى شِفار الجازر

فقال له: يا غلام زدني بارك الله فيك، فقال:

خزر الحواجب ناكسوا أذقانهم نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال: زدني فداك أبوك يا غلام، فقال:

أحياؤهم خزي على أمواتهم والميِّتون فضيحة للغابر

فقال: زدني بارك الله فيك، فقال:

يوم القيامة يسكنون جهنماً بِئس المصير لكل عبد فاجر

فقال له: زدني بارك الله فيك، فقال:

وكذا النبي خصيمهم مع حيدر نِعم الخصيم غداً وخير الناصر

فقال له: بارك الله فيك يا غلام، وأنت حر لوجه الله تعالى.

فانظروا يا إخواني إلى أهل الضلال كيف يبالغون في سب الآل وسب على محك أولاد الحلال ولا يخشون من الله ذي الجلال، ولا يحذرون من المرجع والمآل. ولله در ما قال بعض من الرجال:

إذا ما التبرُّ حكّ على محك ... تبيَّن غشّه من غير شك
وفينا الدرّ والذهب المصفّى ... وحيدر بيننا شبه المحك

روي عن ابن عباس أنه قال: والله لقد رأيت جابر الأنصاري رضي الله عنه وهو يمشي في سكك المدينة ويقف عند بيوت المهاجرين والأنصار وهو يقول: معاشر الناس، أدّبوا أولادكم على حب علي بن أبي طالب، فمن أبى فانظروا في شأن أمه.

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام قال: من وجد برد حبنا أهل البيت في قلبه فليكثر الدعاء لأمه حيث أنها لم تخن أباه فيه. ولله در صاحب «الكشكول»:

إليك جميع الكائنات تشير ... بأنك هادٍ منذر وبشير
وإنك من نور الإلٰه مكوَّن ... على كل نور من جلالك نور
وروحك روح القدس فيها منزل ... وقلبك في قلب الوجود ضمير
وشخصك قطب الكائنات فسر بها ... على سرّه في العالمين تدور
نزلت من الله العظيم بمنزل ... يسير إليه الطرف وهو حسير

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1].

قال الثعلبي: وروى ابن عباس أنها نزلت في علي لما خرج النبي ﷺ من مكة خائفاً من المشركين إلى الغار خلّفه لقضاء ديونه ورد ودائعه، فبات علي على فراشه وأحاط المشركون بالدار، فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل منهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره الحياة!، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فنزلا فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، فقال: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة! هذا في تفسير هذه الآية.

وأما آية المباهلة فأجمع المفسرون منهم على أن أبناءنا إشارة إلى الحسن والحسين، ونساءنا إشارة إلى فاطمة، وأنفسنا إشارة إلى علي، فجعل الله نفس محمد، المراد

(1) سورة البقرة: الآية 207.

المساواة ومساوي الأكمل والأولى بالتصرف أكمل وأولى بالتصرف، بهذه الآية أدل دليل على علو مرتبته عليه السلام لأنه تعالى حكم بمساواته لنفس الرسول ﷺ وأنه تعالى عينه في استعانة النبي ﷺ به في الدعاء، وأي فضيلة أعظم من أن يأمر الله نبيه ﷺ بأن يستعين به على الدعاء إليه والتوسل به مع ما ورد فيه ما يزيد على هذا، مثل قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[1].

روى الجمهور عن ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «انتهت الدعوى إليَّ وإلى علي، لم يسجد أحدنا لصنم قط، فاتخذني نبيّاً واتخذ علياً وصياً».

ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾[2]، نقل الجمهور عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر وعلي الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون».

ومثل قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤﴾[3]، روى الجمهور عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال عن ولاية علي بن أبي طالب: «مثل قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[4]».

روى الجمهور عن أبي سعيد الخدري قال: ببغضهم علياً عليه السلام، ومثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾[5].

روى الجمهور عن ابن عباس قال: سابق هذه الأمة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروي من طريقهم في قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا﴾[6]، قال: إن النبي ﷺ ليلة أسري به جمع الله بينه وبين الأنبياء ثم قال: سلهم يا محمد على ماذا بُعثتم؟ فقالوا: بُعثنا على شهادة أن لا إلٰه إلاَّ الله، وعلى الإقرار بنبوَّتك، والولاية لعلي بن أبي طالب.

ومن طرقهم أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧﴾[7]، روى الجمهور عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «هم أنت وشيعتك يا علي، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين».

---

(1) سورة البقرة: الآية 124.
(2) سورة الرعد: الآية 7.
(3) سورة الصافات: الآية 24.
(4) سورة محمد: الآية 30.
(5) سورة الواقعة: الآيتان 10 – 11.
(6) سورة الزخرف: الآية 54.
(7) سورة البينة: الآية 7.

وعن الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ﴾[1] الآية، فقال: المشكاة: فاطمة، والمصباح: الحسن والحسين، والزجاجة ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[2]، قال: كانت فاطمة كوكباً دريّاً بين نساء العالمين ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[3] قال: الشجرة المباركة: إبراهيم، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[4]: لا يهودية ولا نصرانية. ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾[5]، قال: يكاد العلم أن ينطق منها. ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[6]، قال: فيها إمام بعد إمام. ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[7]، قال: يهدي الله لولايتنا من يشاء. فهنيئاً للمحبين والشيعة الموالين أولئك الذين أنعم الله عليهم.

ولنذكر في آخر هذا الجزء طرفاً من أنساب ما يجري على الحسين عليه السلام وذراريه وأصحابه ومواليه، ليعلم الناظر أنه لا يفعل بهم ذلك كما جاء في الخبر عن سيد البشر، إلاّ من خبث مولده وكان مطعوناً عليه في أصله ونسبه.

أما يزيد عليه اللعنة، فإنه كان جباراً عنيداً خبيث الولادة ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[8]، وقد مر قول الحسن عليه السلام فيه وفي أبيه أنهما شركاء الشيطان. وأما عبيد الله بن زياد أمه مرجانة، وأبوه زياد دعي لأبي سفيان، وكان يسمى بين الناس: زياد بن أبيه، لأنه لا يعرف له أب، وكانت أمه سوداء نتنة الرائحة يقال لها: سمية، وكانت عاهرة ذات علم تعرف به، وقد وطأها أبو سفيان وهو سكران فعلقت منه بزياد على فراش بعلها، فادعاها أبو سفيان سراً، فلما آل الأمر إلى معاوية قرّبه إليه وأدناه ورفع منزلته وعلاه واستخلفه في بلاد الأهواز وأمره على ثلاثمائة ألف فارس وأمره بحرب الحسن عليه السلام. ولم يزل يحاربه زماناً طويلاً حتى دسّ إليه سماً فقتله فمات مسموماً رحمة الله عليه.

ولما آلى الأمر إلى يزيد بن معاوية، لعنة الله عليه، جعل عبيد الله بن زياد أميراً على الكوفة وأمره بقتل الحسين عليه السلام، فجهز العساكر والجنود وحالوا بينه وبين ماء الفرات، حتى أنهم قتلوه عطشاناً مظلوماً وذبحوا أطفاله وسبوا عياله، ففعل ابن زياد، لعنه الله، أضعاف ما فعل يزيد عليه اللعنة ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾.

وأما هند بنت عتبة، وعتبة عليه اللعنة قتله حمزة عم رسول الله ﷺ، وكان عتبة أميراً

---

(1) سورة النور: الآية 35.
(2) سورة النور: الآية 35.
(3) سورة النور: الآية 35.
(4) سورة النور: الآية 35.
(5) سورة النور: الآية 35.
(6) سورة النور: الآية 35.
(7) سورة النور: الآية 35.
(8) سورة الأعراف: الآية 58.

في زمن الجاهلية وهو الذي حارب النبي ﷺ في وقعة أُحد حرباً عظيماً حتى أنه انكسر عسكر النبي ﷺ وشاع الخبر إلى المدينة بقتل النبي ﷺ ورفع الصراخ بالمدينة أنه قُتل النبي ﷺ، فانخشعت القلوب وبكت العيون وحزن الأقرباء وبكت السماء وفرح الأعداء، وكانت هند جدة يزيد واقفة تضرب بالدف من شدة فرحها بقتل النبي ﷺ ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

وكان عتبة، لعنه الله تعالى، هو الذي رمى النبي ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشق شفتيه وشج رأسه الشريف، فوثب حمزة عم النبي ﷺ فقتل عتبة، فجاءت هند بنت عتبة لوحشي هبة على أن يقتل لها رسول الله ﷺ أو أن يقتل علياً أو حمزة، فقال لها وحشي: أما رسول الله فلا سبيل لي عليه لأن أصحابه حافين من حوله، وأما علي بن أبي طالب فإنه إذا حارب فهو أحذر من الذئب وأروغ من الثعلب ولا طاقة لي به، وأما حمزة فإني أقدر عليه لأنه إذا حارب وهاج في الحرب لم يعد يبصر ما بين يديه وما خلفه. قال: فلما هاج حمزة في الحرب كَمِن وحشي وضربه على أم رأسه فقتله فخرّ صريعاً إلى الأرض، فجاءت هند بنت عتبة، عليها اللعنة، ووقفت على جسد حمزة وجذعت أُذنيه وأنفه وشقت بطنه وقطعت أصابعه ونظمتها بخيط وجعلتها قلادة في عنقها، ثم أخرجت كبد حمزة وأخذت منه قطعة بأسنانها ومضغتها حنقاً منها عليه، وأرادت بلعها فلم تقدر على بلعها فقذفتها لأن الله تعالى صان كبد حمزة أن يحل في معدة تُحرق بالنار. فهل سمعتم أو رأيتم امرأة أكلت كبد إنسان غير هند لعنها الله تعالى، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[2].

وأما عمر بن سعد فهو الذي ولاَّه ابن زياد على حرب الحسين عليه السلام وأمره على سبعين ألف فارس وأمره بقتل الحسين وأصحابه وأطفاله وأهل بيته وسبي نسائه، ففعل ما أمره، فجرى كل واحد من هؤلاء الملاعين على عرقه الخبيث، ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾.

ولقد اختبروا قتلة الحسين عليه السلام فوجدوهم كلهم أولاد زنا لصحة قول النبي ﷺ فيهم.

فيا إخواني: انظروا إلى هؤلاء الكفرة الفجرة كيف بالغوا في ظلم الآل ونهب الأموال، وذبح الأطفال، وقتل الرجال وأي رجال ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[3].

---

(1) سورة التوبة: الآية 32.

(2) سورة الأعراف: الآية 58.

(3) سورة البقرة: الآية 161.

فعلى الأطايب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أولا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

هلموا نبكي أصحاب العباء ونرثي سبط خير الأنبياء
هلموا نبكي مقتولاً بكته ملائكة الإلٰه من السماء
هلموا نبكي مقتولاً عليه بكى وحش المهامة في الفلاء
ألا فابكوا قتيلاً قد بكته البتولة فاطم ست النساء
ألا فابكوا لثاوي الطف حزناً ألا فابكوا لمذبوح القفا
ألا فابكوا لمن أضحت عليه تنوح الجن حزناً بالبكاء
ألا فابكوا المعفَّر ذبيح على الرمضاء شلو بالثراء
ألا فابكوا قتيلاً مستباحاً ألا فابكوا المرمل بالدماء
بنفسي جسم منطرح جريح على حرِّ الصعيد بلا وطاء
بنفسي من تجول الخيل ركضاً عليه وهو مسلوب الرداء
بنفسي هاشميات سبايا يقدن وهن في ذل السباء
بنفسي نسوة جاءت إليه وهن مولولات بالشجاء
أخي ودِّع يتامى قد أُهينوا وقد أضحوا بأسر الأدعياء
أخي هل بعد بعدك لي محام لقد أخذ الزمان بكم حماء
أخي أصبحت رهن الطف شلواً عليك الدهر مشقوق الرداء
أخي أضحى كريمك فوق رمح يُشال كبدر تمَّ في السماء
يعزّ على أبينا أن يرانا بأرض الطف نسبى كالإماء
يعزّ على البتول بأن ترانا ونحن نضجُّ حولك بالبكاء
وزين العابدين تراه يكبو بقيد وهو في ضرّ البلاء
أخي هذي سكينة من حناها تجرر بامتحان وابتلاء
وتسلب قرطها ظلماً وتدعو أبي وا ذل حالي يا بلائي
أبي هذي أمية ذات صون ونحن نُساق جهراً بالفلاء

(1) القصيدة للشيخ داود البحراني.

تُصان أمية ولها خدور ونبرز من خبانا للسباء
كأنّا من بنات الزنج نُسبى ونُضرب بالسياط بلا خطاء
أيا حصني أيا ذخري وفخري فقدتك يا سنادي يا رجائي
ألا وابذل وجهي بعد صون وضعفي وانتهاكي في الوراء
أخي يا ابن الرسول أذاب جسمي حلولك في الثراء بلا وطاء
تدوس الخيل منك قفاك حتى رضضنَّ الصدر ظلماً وافتراء
ألا يا سيدي أمسيت أبكي ويساعدني الحمام على بكائي
ألا يا آل أحمد يا حُماتي وعوني في الشدائد والرخاء
مصابكموا يوقد نار قلبي ويغريني على كثر البكاء
وهدّ قواي رزؤكموا وأضحى نحولي لا يزول ولا عزائي
لقد أمسيت بعدكم حزيناً قريح الجفن مشغول بداء
إليكم من عبيدكم نظاماً به أرجو من الباري جزائي
بها يرجوا الفتى داود فوزاً بمحو الذنب يا أهل العباء
وسامعها ومنشدها بشجو ومن يبكي بحزن لا مراء
وصلّى الله والأملاك طرّاً على الهادين من أهل الهداء

ذكر أهل التاريخ: أن سبط ابن الجوزي كان يعظ على الكرسي بجامع دمشق، فطلب منه أهل المجلس أن يذكر شيئاً في مصرع الحسين بن علي عليه السلام، فعند ذلك أنشد يقول:

ويلٌ لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بد أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ

ثم أنه وضع المنديل على رأسه واستعبر طويلاً ونزل عن الكرسي، وبذلك ختم.

قال بعضهم:

ألا عج يوم الطف لا زلت وارياً وللقلب لم تبرح على الصعب لاويا
كم انصدعت أمعاء مهجة أنفس فليس لها من جرحك الدهر آسيا
وما زال زند الغيظ للوجد مضرماً وضلعي على جمر الغضا منه حانيا
بك انطمست آثار دين محمد وأصبح فيك الكون بالحزن داجيا

وهدَّ من المجد الأثيل قوامه فقوَّض للعليا قباباً رواسيا
وفاضت عيون المكرمات كآبة وجفن العلا ما انفك بالدمع جاريا
وقامت لحشر الأنبياء قيامة نرى الكل فيها للجريمة جاثيا
بها صور صعق الخلق حرك للفنا فأصبح فيها حجة الله ثاويا
ألا أيها اليوم المشؤوم على الورى تركت جفون المكرَّمات دواميا
ضربت بسيف الجور كيوان عزّها فغودر فيه العدل أجدر ضاحيا
سرت منك في جنح الظلام قوائم فكورن من ضوء النهار الداريا
وسعرنَّ نيران الحروب فزعزعت قوى العرش حتى قد برحن الثوانيا
قضت فيك جوراً آل حرب ذحولها وساءت بآل الأكرمين التقاضيا
وشقَّت على آل النبي ستورها وثجت لها بحراً من الدم ساجيا
لقد أثكل الدنيا لواعجك التي صببنَّ على كل الأنام الدواهيا
وقدَّ لها طود الهداية قلبه وأصبح من ثكل لرزئك واهيا
غداة قضى سبط النبي محمد على سغب طاوي الحشاشة ظاميا
حمى حوزة المجد المؤثل وانثنى يجلي عن الدين الحنيف الغواشيا

قد تمَّ الجزء الأول من كتاب «المنتخب»
يتلوه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى

الجزء الثاني

من

كتاب المنتخب

للطريحي

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس الأول

من الجزء الثاني، في الليلة السادسة عشرة من المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

اعلموا أيها الإخوان، أنه لا خير والله في دمع يُصان عن سادات الزمان، وأولياء الملك الديان، فوا حر قلباه على تلك الأجساد المطرحات بغير وطاء ولا وساد وا أسفاه على تلك الجسوم المرملات بغير فراش ولا مهاد، جسوم والله طال ما أتعبوها في عبادة الرحمٰن وقراءة القرآن، فوا عجباه كيف شمخت عليهم أنوف الظالمين حتى فعلوا ما أغضبوا رب العالمين، وأبكوا به عين الرسول، وأحرقوا به فؤاد البتول، فليت فاطمة الزهراء تنظر إلى الفاطميات وهن بين الأعداء مروعات، ما بين نادبة تأنُّ، وثاكلة تحنُّ، فيا خيبة من عرف حال الآل، وسارع إليهم بالمحاربة والقتال، ولكنها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[1].

لقد أورثتنا قتلة الطف قرحة ... وحزناً على طول الزمان مطوَّل

فلا حزنه يسلي ولا الوجد نازح ... ولا مدمعي يرقى ونوحي يكمل

روي أن هند أم معاوية جاءت إلى دار الرسول ﷺ عند وقت الصبح، فدخلت وجلست إلى جنب عائشة وقالت لها: يا ابنة أبي بكر رأيت رؤيا عجيبة وأريد أن أقصها عليك لتقصيها على رسول الله ـ وذلك قبل إسلام ولدها معاوية ـ، فقالت لها عائشة: خبريني بها حتى أخبر بها رسول الله ﷺ، فقالت: إني رأيت في نومي شمساً مشرقة على الدنيا كلها، فولد من تلك الشمس قمر فأشرق نوره على الدنيا كلها ثم ولد ذلك القمر

---

(1) سورة الحج: الآية 46.

نجمان زاهران قد أزهر من نورهما المشرق والمغرب، فبينما أنا كذلك إذ بدت سحابة سوداء مظلمة كأنها الليل المظلم، فولد من تلك السحابة السوداء حية رقطاء فدبّت الحية إلى النجمين فابتلعتهما، فجعلوا الناس يبكون ويتأسفون على ذينك النجمين.

قال: فجاءت عائشة إلى النبي ﷺ وقصت الرؤيا عليه، فلما سمع النبي ﷺ كلامها تغير لونه واستعبر وبكى وقال: يا عائشة أما الشمس المشرقة فأنا، وأما القمر فهي فاطمة ابنتي، وأما النجمان فهما الحسن والحسين عليهما السلام، وأما السحابة السوداء فهي معاوية، وأما الحية الرقطاء فهي يزيد بن معاوية.

وكان الأمر كما قال ﷺ، فإنه لما توفي الرسول ﷺ نهض معاوية إلى حرب علي عليه السلام ولازم حربه ثمانين شهراً حتى هلك من الفريقين خلق كثير، ثم أن معاوية استمر مع قومه على سبّ علي ثمانين شهراً، ثم لم يكفه حتى توصل إلى سم الحسن عليه السلام، ولما هلك معاوية تولى الأمر ولده يزيد لعنه الله تعالى، فنهض إلى حرب الحسين عليه السلام وبالغ في قتاله وقتال رجاله وذبح أطفاله وسبي عياله ونهب أمواله، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]:

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي ... وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء المزن أم غير مائه ... ويدخل في الأحشاء منك لهيب
بكائي طويل والدموع غزيرة ... وأنت بعيد والمزار قريب
أروح بغم، ثم أغدو بمثله ... كئيباً ودمع المقلتين سكوب
فللعين مني عبرة بعد عبرة ... وللقلب مني عبرة ونحيب

روي أن الإمام زين العابدين عليه السلام مع كثرة علمه وحلمه، كان كثير البكاء لتلك البلوى وعظيم البث والشكوى، وأنه بكى على مصاب أبيه أربعين سنة وهو مع ذلك صائم نهاره، قائم ليله، وكان إذا حضر الطعام لإفطاره يبكي بكاءاً شديداً فيقال له: كل يا مولاي، فيقول: كيف آكل وقد قتل ابن رسول الله ﷺ جائعاً عطشاناً مظلوماً؟. ولم يزل يكرر هذا القول وهو مع ذلك يبكي حتى يبلّ طعامه بدموعه ويمزج بشرابه. ولم يزل كذلك مدة حياته حتى لحق بربه.

وحدَّث مولى له أنه عليه السلام برز يوماً إلى الصحراء، قال: فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة فوقفت من ورائه وأنا أسمع شهيقه وبكائه زماناً طويلاً، فأحصيت عليه حتى قال ألف مرة: «لا إله إلاّ الله تعبُّداً ورقّاً، لا إله إلاّ الله إيماناً وصدقاً»، ثم رفع

(1) سورة هود: الآية 18.

رأسه من سجوده وإذا لحيته ووجهه قد غمرا بالدموع والتراب، فقلت له: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلّ؟ فقال لي: يا هذا ألا تعلم أن يعقوب بن إسحاق كان نبياً ابن نبي وكان له اثنى عشر ابناً فغيَّب الله عنه ولداً واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن وذهب بصره من البكاء، هذا وابنه حي في دار الدنيا، وأنا قد رأيت إخوتي وأبي وسبعة عشر صالحاً من أهل بيتي مقتولين مطرحين حولي صرعى في الفلا مجدلين قد غيّرت الشمس محاسنهم وأتلفت الأرض جسومهم والرمال تسفي عليهم.

فاعملوا يا إخواني صوائب الفكر، وأطيلوا النظر في حال هذا الإمام وما فعل به القوم اللئام، فإنه مصاب تحيّر فيه الأفكار، وتذهل في معانيه القلوب والأبصار، ولكن المرجع إلى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله:

بنفسي مجروح الجوارح آيساً ... من النصر خلواً ظهره من ظهيرها
بنفسي محزوز الوريد معفّراً ... على ظمأ من فوق حر صخورها
يتوق إلى ماء الفرات ودونه ... حدود شفار أحدقت بشفيرها
قضى ظامياً والماء يلمع طامياً ... وغودر مقتولاً روين غديرها
هلال دجى أمسى بحد غروبها ... غروباً على قيعانها ووعورها
فيا لك مقتولاً علت مهجة العلا ... به ظلمة من بعد ضوء سفورها
فيا لك عيناً لا تجف عيونها ... وناراً يذيب القلب حر زفيرها
على مثل هذا الحزن يستحسن البكا ... وتقلع منا أنفس من سرورها
أيُقتل خير الخلق أماً ووالداً ... وأكرم خلق الله وابن نذيرها
ويُمنع من ماء الفرات وتغتذي ... وحوش الفلا ريانة من نميرها
يدير على رأس السنان برأسه ... سنان ألا شُلّت يمين مديرها
ويؤتى بزين العابدين مكبَّلاً ... أسيراً ألا روحي الفدا لأسيرها
يُقاد ذليلاً في القيود ممثلاً ... لأكثر خلق الله وابن كفورها
ويمشي يزيد رافلاً في حريره ... ويمسي حسيناً عارياً في حرورها
ودار بني صخر ابن حرب أنيسة ... بنشد أغانيها وسكب خمورها
ودار علي والبتول وأحمد ... وشبرها مولى الورى وشبيرها
معالمها تبكي على علمائها ... وزائرها يبكي لفقد مزورها
متى يظهر المهدي من آل هاشم ... على سيرة لم يبق إلا يسيرها

هنالك تعلو همَّة طال همها لإدراك ثأر سالف من مثيرها

روي عن ابن محبوب رضي الله عنه قال: خرجت من الكوفة قاصداً زيارة الحسين عليه السلام في زمان ولاية آل مروان، لعنهم الله تعالى، وكانوا قد أقاموا أناساً من بني أمية على جميع الطرق يقتلون من يظفروا به من زوار الحسين عليه السلام، فأخفيت نفسي إلى الليل ثم دخلت الحاير الشريف في الليل. فلما أردت الدخول للزيارة إذ خرج إليَّ رجل وقال لي: يا هذا ارجع من حيث جئت فقد قبل الله زيارتك، عافاك الله فإنك لا تقدر على الزيارة في هذه الساعة. فرجعت إلى مكاني فصرت حتى مضى أكثر من نصف الليل، ثم أقبلت للزيارة فخرج إليَّ ذلك الرجل وقال لي: يا هذا ألم أقل لك أنك لا تقدر على زيارة الحسين عليه السلام في هذه الليلة؟ فقلت له: ولم تمنعني من ذلك وأنا قد أقبلت من الكوفة على خوف ووجل من بني أمية أن يقتلوني؟ فقال: يا ابن محبوب اعلم أن إبراهيم خليل الرحمٰن وموسى كليم الله، وعيسى روح الله، ومحمد حبيب الله، قد استأذنوا الله عزَّ وجلَّ في هذه الليلة أن يزوروا الحسين عليه السلام فأذن لهم بزيارته فهم عنده من أول الليل إلى آخره في جمع من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين لا يحصي عددهم إلا الله تعالى فهم يسبِّحون الله ويقدِّسونه لا يفترون إلى الصباح، فإذا أصبحت فاقبل إلى زيارته إنشاء الله تعالى. فقلت له: وأنت من تكون عافاك الله؟ فقال: أنا من الملائكة الموكلين بقبر الحسين عليه السلام. فطار قلبي ورجعت إلى مكاني أحمد ربي وأشكره حيث لم يردني لقبح عملي، وصبرت إلى أن أصبحت فأتيت لزيارة مولاي الحسين عليه السلام ولم يردني أحد وبقيت نهاري كله في زيارته إلى أن هجم الليل وانصرفت على خوف من بني أمية، فنجاني الله منهم.

فانظروا يا ذوي الأسماع والأبصار وتفكروا في هؤلاء الكفرة الفجار، ما كفاهم قتل العترة الأطهار وذرية النبي المختار حتى دعتهم أنفسهم اللعينة إلى أن يمنعوا الزوار ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

فيا ذلّة الإسلام من بعد عزِّه ويا لك من رزءٍ في الأنام خطير
فيا عبرتي سحِّي ويا حرقتي ازدادي ويا نفس ذوبي فالمصاب كبير

روى محمد بن إسماعيل عن موسى بن القاسم الحضرمي قال: ورد أبو عبد الله الصادق من المدينة إلى الكوفة في أول ولاية أبي جعفر العباسي، فقال عليه السلام: يا

(1) سورة التوبة: الآية 32.

موسى إمضي إلى الطريق الأعظم فقف هنيئة فإنه سيأتيك رجل من ناحية القادسية، فإذا دنا منك فقل له: هنا رجل من ولد رسول الله ﷺ يدعوك، فإنه يسر بذلك وسيجيء معك. قال موسى: فمضيت ووقفت على الطريق وكان الحر شديداً، فمددت بصري في الفلاة فنظرت شيئاً مقبلاً من بعيد، فتأملته وإذا هو رجل على بعير فلما دنا مني قلت له: يا هذا إن هنا رجل من ولد رسول الله ﷺ يدعوك وقد وصف لي جميع صفاتك، فزاد إعجابه وسرّ بذلك وقال: اذهب بنا إليه. قال: فجاء الرجل حتى أناخ بعيره على باب خيمة الصادق عليه السلام ودخل إليه وسلم عليه وقبّل يديه ورجليه، فقال الصادق عليه السلام: من أين أقبلت؟ فقال: من أقصى بلاد اليمن، فقال له: أنت من وضع كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: فيم جئت؟ قال: جئت لزيارة الحسين عليه السلام، فقال له الصادق عليه السلام: جئت من غير حاجة ليس إلا للزيارة؟ قال: نعم، إلا أن أصلّي عند قبره ركعتين وأزوره وأسلم عليه وأرجع إلى أهلي، فقال له الصادق عليه السلام: وما ترون من زيارته؟ قال: إنَّا نرى من زيارته البركة والشفاء والعافية في أنفسنا وأهالينا وأولادنا ومعايشنا وأموالنا وقضاء حوائجنا، فقال له الصادق عليه السلام: أفلا تحب أن أزيدك من فضل زيارته يا أخا اليمن؟ فقال: أي والله زدني يا ابن رسول الله، فقال: اعلم أن زيارة الحسين عليه السلام تعدل حجة مبرورة مقبولة زاكية مع رسول الله ﷺ. فتعجب الرجل من ذلك، فقال الصادق عليه السلام: لا تعجب يا أخا اليمن بل تعدل حجتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله ﷺ. فتعجب الرجل من ذلك، قال: فلم يزل الصادق عليه السلام يزيده من فضل زيارته حتى قال له: تعدل ثلاثين حجة مبرورة مقبولة زاكية مع رسول الله ﷺ، فقال الرجل: إذا كان هذا فضل زيارة الحسين عليه السلام فوالله لا أفارقه حتى أموت، قال: ولم يزل الرجل لائذاً بقبر الحسين عليه السلام حتى أتاه الموت.

فتفكروا يا إخواني في هذا الشخص الرباني كيف تجرأ عليه أهل الضلال وبارزوه بالحرب والقتال، وسارعوا إليه بالسيوف والرماح، وصادموه في ميدان الكفاح، فقالوا: لا براح ولا سعة ولا فساح، كأنهم قد نسوا المعاد إلى ربّ العباد.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم فيهم وقال[1]:

خلي الحزين بهمّه وبلاءه وبوجده وحنينه وبكائه

(1) القصيدة للشيخ الكامل الدرمكي.

لا تعذل المحزون تجرح قلبه ... فالبين أورى النار في أحشائه
إن الشقاء على الحزين مسلّط ... لا يستطيع الصبر في إخفائه
يكفيك عن عذل الحزين سقامه ... قد ملّت العُوَّاد من إيتائه
وتجمَّعت كل الأطباء حوله ... وتفرَّقوا لم يظفروا بشفائه
وتعاهدوا كتباً لهم مخزونة ... عجزوا وما قدروا على استشفائه
فهو المحن لما تضمَّن صدره ... يخفى لعل العذل في إخفائه
يخفي من الأعداء ما في نفسه ... ويذيعه سرّاً إلى أمنائه
فاستخبروه ذوا البصائر والتقى ... عما يحنُّ ليعلموا بأذائه
قالوا له: يا صاح بالله أنبأنا ... وبجملة النعماء من آلائه
ما الذي تشكوه من ألم وما ... تخفي لعل البرّ في إبدائه
قالوا: اسمعوا الله أكرم عادل ... لا ينكر المقدور من إمضائه
لو نال رضوى بعض ما قد نلته ... هدّ البلاء لصخره وصفائه
والله ما أجرى الدما من مقلتي ... إلا الحسين مغسلاً بدمائه
أبكي له أم لليتامى حوله ... أم للجواد أنوح أم لنسائه
أم أسكب الدمع المصون لفتية ... عافوا الحياة وطيبها لفدائه
فكأنه طَود هوى وكأنهم ... أعجاز نخل جثم بفنائه
يا عين سحي للغريب واسكبي ... وتعوَّدي سهر الدجى لنعائه
وابكي لزينب إذ رأته مجدلاً ... فوق الصعيد معفراً بدمائه
عريان مبتول الجبين مجرّحاً ... وا حسرتاه لذلّه وعرائه
لهفي له والشمر يقطع رأسه ... وخيولهم تجري على أعضائه
والمهر يندبه ويلثم نَحره ... ويقول عاري السرج في بيدائه
قُتل الحسين وهُتكت نسوانه ... وغدا يُباح المحتمى بحمائه
فلأبكينك يا ابن بنت محمد ... حتى يذوب القلب عن إفضائه
ويزيدني حزناً ويُسهر مقلتي ... خبر روى الصدوق من روّائه
إسناده عن ابن عباس التقي ... أكرم به وبزهده وتقائه
قال: اجتمعنا والنبي جليسنا ... وشعاعه يعلوّ على جُلسائه

قد طيّبت كل البقاع بطيبه ... وتلامعت حيطانها بضيائه
في غبطة بالقرب منه فبينما ... بعض يهني بعضنا بولائه
فإذا بسبطيه الكرام وكف ذا ... في كف ذا يسراه في يمنائه
وهما يجران الذيول غوافلاً ... كل يصول بجده وآبائه
فرآهما الهادي النبي بنعمة ... فتنفَّس الصعداء من صعدائه
فتظاهرت زفراته وتحادرت ... عبراته سحاً لعظم بلائه
حزناً وقال بحرقة وكآبة ... ودموعه كالسيل في إجرائه
يعزز عليَّ ومَن توالى ملّتي ... مِن كل برّ ماحض بولائه
ما يلقيان من الإهانة والأذى ... بعدي وقلبي والهٌ بشجائه
فدعاهما فتساقطا في حجره ... فرحاً به ولذاذة بلقائه
فترشّف الحسن الزكي وضمَّه ... مترشِّف الشفتين لثمٌ لمائه
وأتى إلى نحر الحسين وشمَّه ... والدمع يسقيه بساكب مائه
فبكى الحسين وسَرّها في نفسه ... وغدا يُهرول مسرعاً بخطائه
نحو البتول فساء ما قد ساءه ... فاستعبرت وتحسرت لبكائه
فأتت تقبّله وتمسح دمعه ... ودموعها كالغيث في إهمائه
وتقول والعبرات تسبق نطقها: ... يا مَن حياتي أردفت ببقائه
ماذا الذي يبكيك يا مَن حبّه ... في القلب مشتمل على إفضائه
قال الحسين: كأن جدي ملني ... ما كنت قبل معوّداً لجفائه
جئنا أنا وأخي إليه نزوره ... فدعا الزكي وشمَّه في فائه
وأتى إلى نحري وأعرض عن فمي ... إعراض من أبدى عظيم جفائه
وأنا أظن بأن ما فيّ من ... شيء يخاف الجد من لقيائه
فتخمَّرت ستّ النساء ويمَّمت ... نحو النبيّ شجية لشجائه
في الذيل عاثرة ومعها ابنها ... فرآهما المختار وسط خِبائه
يبكون قال لهم: فما هذا البكا ... يا صفوة الرحمٰن من خُلصائه
قالت: حبيبي كيف تكسر خاطري ... لِمَ لا تقبّل شبراً كأخائه
قال النبي لها بقلب موجع: ... سرٌّ أخاف عليكِ من إبدائه

قالت: بحقك يا أبتاه أبِنْهُ لي ... وبحق من أُنشيت في نعمائه
فبكى وأطرق ساعة مسترجعاً ... والدمع يسقيه بساكب مائه
فتعاهدته فقال: ربي عالم ... والكل في تدبيره وقضائه
أما ترشُّف شبر في فِيه قد ... ظلماً يذوق السم من أعدائه
وترشفي نحر الحسين فإنه ... بالسيف ينحرنا زخاً بظمائه
فجعلت ألثم ذا بموضع سمه ... وأشم ذا في نحره لإذائه
فتحسرت ستّ النساء بحرقة ... أسفاً عليه ولوعة لعزائه
فأتت تقبّله وتلثم نحره ... والجيب قد مزقته عن إقصائه
حزناً تلطم خدها وتقول: ذا ... لهفي عليه وخيبتي لربائه
يا قرّة العينين يا ثمرة الحشا ... هل في زماني أم زمان آبائه
إن كان في زمني أقمت عزائه ... وصبغت ثوبي من نجيع دمائه
ونشرت شعري فوق كتفي شاملاً ... وندبته يا أب في يُتمائه
قال النبي: إذا مضينا كلنا ... دار المنون عليه قطب رحائه
بئس الزمان ومن تولّى أمره ... فالغوث كل الغوث ومن ولآئه
قالت: بأي الأرض يُقطع رأسه ... وبأي شهر كان كون فنائه
قال النبي: يكون ذا بمحرم ... في يوم عاشورا شنيع نعائه
ويكون مصرعه المهول بكربلا ... ومصارع الأنصار في صحرائه
قالت: غريباً؟ قال: أعظم غربة ... قالت: وحيداً؟ قال: من نُصرائه
فبكت وقالت: وا شماتة حاسدي ... وا صفوة الجبَّار من خُلصائه
من ذا يُغسله ويحمل نعشه ... من ذا يواري جسمه بثرائه
من يكفل الأيتام بعد وفاته ... من ذا يقيم مأتماً لعزائه
فبكى الحسين وقال: رزئي فادح ... فتصارخوا أهل العبا لبكائه
فأتى الأمين إلى الأمين يقول: قد ... أوحى إلٰه العرش في أنحائه
أن قل لسيدة النساء بأنني ... أُنشي كِراماً شيعة لعزائه
الناهضين إلى منازل كربلا ... الخائضين غبارها لهوائه
الساكبين دموعهم لمصابه ... المظهرين الحزن عن إقصائه

يتوالدون فينسلون أطائباً حتى يصير الحق في ولائه
ويقوم قائم آل محمد ويطير طير النصر فوق لوائه
قال الحسين: فما يكون جزاءهم عند الإلٰه غداة يوم جزاءه
قال النبي: أنا أكون شفيعهم وأجيب كلاً منهم بندائه
قال الوصي: أنا الذي أسقيهم يوماً يفرُّ المرء من أبنائه
قالت حبيبة أحمد: فوحق مَن رُبيت منذ أُنشيت في نعمائه
فلأوقفنّ وشعر رأسي ناشر والجيب ممزوق إلى أقصائه
حتى يشفِّعني إلٰهي فيهم ويمدُّ كلاً منهم برضائه
قال الحسين: وحق من خلق الورى طرّاً وسقف أرضه بسمائه
لا أدخل الجنات حتى يدخلوا والله يهدي من يشا بهدائه
يا أيها الزوار مشهد كربلا كلٌّ يقصر منكم لخطائه
فلكل عبد حجة مبرورة في كل ما يخطوه من مسعائه
ولكم بما أنفقتم من درهم في جنة حرصاً على إيتائه
في جنة الفردوس ألف مدينة في قصرها الإعلاء من إعلائه
ولمن بكاه تفجعاً لمصابه وتأسفاً بالحزن عن إقصائه
في الحشر قصر لا يُقاس علوّه درّ ومرجان بحسن جزائه
وجميع أملاك السما يستغفروا لكم ومن ظل لكم بسمائه
يا رب مدّ الدرمكي بسؤله عاجلاً وبلِّغه جميل رجائه
صلّى الإلٰه على النبي محمد وعلى الكِرام الغرّ من أبنائه
الطيبين الطاهرين من الخنا سفن النجاة لمن حظي بولائه

الباب الثاني

أيها المؤمنون الأخيار، والأتقياء الكرام الأبرار، تفكَّروا فيمن تعدى على العترة الأطهار، وذرية النبي المختار، كيف أذاقوهم الحتوف بأرض الطفوف، فكم من جسد مرمل بالدماء، وكم من كبد محترق من الظماء والماء من حوله قد طمى، وكم من رأس شريف على السنان، وكم من كريم يسام الخسف والهوان، وكم من معولة حاسرة، وكم نابذة بشعرها ناشرة، وكم من ربة خدر بارزة كالهلال مبذولة الوجه أسيرة على أقتاب

الجِمال، وكم من قلب يحنُّ ويأنُّ، وكم من طفل مذبوح، وكم من دم لرسول الله مسفوح. فيا حر قلبي لما جرى للآل من الكَفَرة الفجرة الأنذال، حسدوهم على معاليهم حيث عجزوا عن الوصول إلى ما أودعه الله فيهم، فحملتهم تلك الأحقاد على المعصية والعناد والزيغ عن طريق الرشاد والسداد.

يغيضهم كغيضي بنقصهم وليس لأهل الفضل ضد سوى الجهل

فما لي لا أندب تلك الأوطان وأسكب دموعي على سادات الزمان، الممدوحين في محكم القرآن على لسان النبي الكريم الصادق العليم.

روي عن رسول الله ﷺ أنه خرج في سفر له، فلما كان في بعض الطريق إذ وقف جواده فقال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، ثم دمعت عيناه وبكى بكاء شديداً، فسئل عن ذلك فقال: هذا جبريل يخبرني عن هذه الأرض يقال لها كربلاء يُقتل فيها ولدي الحسين عليه السلام، وكأني أنظر إليه وإلى مصرعه ومدفنه، وكأني أنظر إلى السبايا على أقتاب المطايا وقد أهدي رأس ولدي الحسين إلى يزيد لعنه الله، فوالله ما ينظر أحد إلى رأس الحسين عليه السلام ويفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه وعذبه عذاباً أليماً.

ثم رجع النبي ﷺ من سفره مغموماً كئيباً حزيناً، فصعد المنبر وأصعد معه الحسن والحسين وخطب ووعظ الناس. فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين عليهما السلام، وقال: اللهم إن محمداً عبدك ورسولك وهذان أطائب عترتي وأرومتي وأفضل ذريتي ومن أخلفهما في أمتي، وقد أخبرني جبرائيل أن ولدي هذا مقتول بالسم والآخر شهيد مضرَّج بالدم، اللهم فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله واصله حر نارك واحشره في أسفل درك الجحيم. قال: فضجَّ الناس بالبكاء والعويل، فقال لهم النبي ﷺ: أيها الناس، أتبكونه ولا تنصرونه! اللهم فكن أنت له وليّاً وناصراً. ثم قال: يا قوم، إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأرومتي ومزاج مائي وثمرة فؤادي ومهجتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض، ألا وإني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم عن المودة في القربى، واحذروا أن تلقوني غداً على الحوض وقد آذيتم عترتي وقتلتم أهل بيتي وظلمتموهم، ألا أنه سترد عليَّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة، الأولى: راية سوداء مظلمة قد فزعت منها الملائكة فتقف عليَّ فأقول لهم: من أنتم، فينسون ذكري ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب، فأقول لهم: أنا أحمد نبي العرب والعجم، فيقولون: نحن من أمتك، فأقول: كيف أخلفتموني من بعدي في أهل بيتي وعترتي وكتاب ربي؟ فيقولون: أما الكتاب

فضيّعناه، وأما عترتك فحرصنا أن نبيدهم عن جديد الأرض. فلما أسمع ذلك منهم أعرض عنهم وجهي فيصدرون عطاشاً مسودة وجوههم. ثم ترد عليَّ راية أخرى أشد سواداً من الأولى، فأقول لهم: كيف أخلفتموني من بعدي في الثقلين كتاب الله وعترتي؟ فيقولون: أما الأكبر فخالفناه، وأما الأصغر فخذلناه ومزقناه كل ممزق، فأقول: إليكم عني، فيصدرون عطاشاً مسودة وجوههم. ثم ترد عليَّ راية يلمع وجوههم نوراً، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى من أمة محمد المصطفى ونحن بقية أهل الحق، حملنا كتاب الله ربنا وحلَّلنا حلاله وحرَّمنا حرامه، وأحببنا ذرية نبينا ﷺ ونصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا. فأقول لهم: أبشروا فأنا نبيكم محمد ولقد كنتم في الدنيا كما قلتم. ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويين مستبشرين، ثم يدخلون الجنة خالدين فيها أبد الآبدين.

وعن علي بن الحسين عليه السلام أنه كان يقول وهو في أسر بني أمية: أيها الناس، إن كل صمت ليس فيه فكر فهو غي، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو هباء، ألا وأن الله تعالى أكرم أقواماً بآبائهم فحفظ الأبناء بالآباء لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[1] فأكرمهما، ونحن والله عترة الرسول ﷺ فأكرمونا لأجل رسول الله لأن جدي رسول الله ﷺ كان يقول فوق منبره: «احفظوني في عترتي وأهل بيتي فمن حفظني حفظه الله ومن آذاني فعليه لعنة الله، ونحن والله أهل بيت أذهب الله عنا الرجس والفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونحن والله أهل بيت اختار الله لنا الآخرة وزوى عنا الدنيا ولذاتها ولم يمتعنا بلذاتها».

فيا إخواني، كيف ترضون بالدنيا داراً بعد آل الرسول، أم كيف تتخذون فيها لأنفسكم قراراً بعد أولاد البتول مع ما فيها من الهموم والغموم والابتلاء والالتواء، وقد ورد ذمّها في الخبر عن سيد البشر.

روى سلمان الفارسي قال: كنت يوماً عند رسول الله ﷺ فبدأ يذمُّ الدنيا، فقال: يا سلمان قال الله تعالى: ما خلقت خلقاً أبغض عليَّ من الدنيا. ثم قال: لو كانت الدنيا وما فيها تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء أبداً. ثم قال لي: يا سلمان ألا أريك الدنيا وما فيها؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بيدي وأتى إلى مزبلة من مزابل المدينة وإذا فيها خرق كثيرة وخزف وعظام وعذرات وقذرات كثيرة، فقال لي: يا سلمان هذه الدنيا وما فيها وعلى هذا يحرص الناس وهذه العذرات ألوان أطعمتهم التي اكتسبوها من الحلال والحرام ثم قذفوها من بطونهم، وهذه الخرق البالية كانت زينتهم ولبسهم

(1) سورة الكهف: الآية 82.

فأصبحت الرياح تصفقها يميناً وشمالاً، وهذه العظام عظام دوابهم وأنعامهم وأغنامهم التي كانوا يتشاجرون عليها، وهذه الخزف كانت أوانيهم التي كانوا يأكلون ويشربون فيها، فهذه الدنيا وهذا منتهاها، فمن ركن إليها ندم ومن تجنَّب عنها غنِم وسلم.

هوِّن الدنيا وما فيها عليك ... واجعل الهمّ لما بين يديك
إن هذا الدهر يُدنيك إلى ... ملك الموت ويدنيه إليك
فاجعل العدَّة ما عشت له ... إنه يأتيك إحدى ليلتيك

فيا إخواني، لا يفتنكم إقبال الدنيا على أعداء رسول الله بعدما علمتم حالها إلى هذا يؤول، وعليكم بتقوى الله ولا قوة إلا بالله، وتفكروا فيما ابتلى الله به هذا القبيل، ليس على سبيل الهوان بل على سبيل التفضيل، فلو بكيتم عليهم بدل الدموع دماً، وجعلتم العمر كله مأتماً لكان أقل القليل لهذا الخطب الجليل.

ومن العجائب بعد قتل المُجتبى ... بُدع وأحداث لنسل الأطهر
نسل النبي المصطفى وحريمه ... تُسبى كما تُسبى بنات الأصفر
ويُشهرون ويُلبسون مدارعاً ... ومقانعاً من بعد سلب المعجر
ويسيرون على المطايا كالإما ... بين الملا وبكل وادٍ مقفر

روي أن الحسين عليه السلام لما رأى اشتداد الأمر عليه وكثرة العساكر عاكفة عليه، كل منهم يريد قتله، أرسل إلى عمر بن سعد يستعطفه ويقول: أريد أن ألقاك فأخلو معك ساعة. فخرج عمر بن سعد من الخيمة وجلس مع الحسين عليه السلام ناحية عن الناس فتناجيا طويلاً، فقال له الحسين عليه السلام: ويحك يا ابن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك! أراك تقاتلني وتريد قتلي وأنا ابن من قد علمت، ذر هؤلاء القوم واتركهم وكن معي فإنه أقرب لك إلى الله تعالى. فقال له: يا حسين إني أخاف أن تهدم داري بالكوفة وتنهب أموالي. قال له الحسين عليه السلام: أنا أبني لك خيراً من دارك، فقال: أخشى أن تؤخذ ضياعي بالسواد، فقال له الحسين عليه السلام: أنا أعطيك من مالي البغية ـ وهي عين عظيمة بالحجاز وكان معاوية أعطاه في ثمنها ألف ألف دينار من الذهب فلم يبعه إياها ـ، فلم يقبل عمر بن سعد شيئاً من ذلك فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو غضبان عليه وهو يقول: ذبحك الله يا ابن سعد على فراشك عاجلاً ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلا قليلاً، فقال عمر بن سعد مستهزئاً: يا حسين إن في الشعير عوضاً عن البر. ثم رجع إلى عسكره. فجاء برير بن خضير الهمداني الزاهد العابد وقال: يا ابن رسول الله أتأذن لي أن أدخل إلى خيمة هذا

الفاسق عمر بن سعد فأعظه فلعله يرجع عن غيه؟ فقال الحسين عليه السلام: افعل ما أحببت. فأقبل برير حتى دخل على عمر بن سعد فجلس معه ولم يسلم عليه، فغضب ابن سعد وقال له: يا أخا همذان ما الذي منعك من السلام عليَّ؟ ألست مسلماً أعرف الله ورسوله؟ فقال له برير: لو كنت مسلماً تعرف الله ورسوله ما خرجت إلى عترة نبيك محمد ﷺ تريد قتلهم وسبيهم وبعد هذا ماء الفرات يلوح بصفائه يتلألأ تشربه الكلاب والخنازير وهذا الحسين عليه السلام ابن فاطمة الزهراء ونسائه وعياله وأطفاله يموتون عطشاً قد حِلْتَ بينهم وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وتزعم أنك تعرف الله ورسوله!. قال: فأطرق ابن سعد رأسه إلى الأرض ساعة ثم قال: والله يا برير إني لأعلم علماً يقيناً أن كل من قاتلهم وغصب حقهم مخلّد في النار لا محالة، ولكن يا برير أتشير عليَّ أن أترك ولاية الري فتصير لغيري؟ والله ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً. قال: فرجع برير إلى الحسين عليه السلام وقال له: إن عمر بن سعد قد رضي بقتلك بولاية الري، فقال الحسين عليه السلام: لا يأكل من برها إلا قليلاً ويُذبح على فراشه. وكان الأمر كما قال الحسين عليه السلام ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبك الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[2]:

جواهر الفكر تزري لؤلؤ الصدف ... وكل ذي دنف يرزي به دنف
هلا حييت يواسيني ويسعدني ... على مصابي لأهل المجد والشرف
لأن حزني لهم لا ينقضي أبداً ... لو مات جسمي أودعته خلف
يا لائمي في مصابي كفَّ لومك قد ... أتعبت نفسك يا مغرور في عنف
فالغيث والسبعة الأبحار قد خُلقوا ... من دمع عيني سجع الطير من شغف
والوحش من وحشتي والموت من سقمي ... والريح من زفرتي والموت من أسف
يحق لي سكب دمع العين إذ نظرت ... هلال عاشور موفياً وغير وفي
أمثل السبط في أرض الطفوف وقد ... دارت عليه رحى الأعداء بالتلف
من بعدما قتلت أصحابه ومضوا ... معطشين وحرُّ الصيف لم يصف
يا ليتني ذقت طعم الموت دونهم ... لما أخصهم الرحمٰن من زلف

(1) سورة الشعراء: الآية 227.
(2) القصيدة للشيخ الدرمكي.

لهفي لسبط رسول الله بعدهم ... يجود بالنفس بين البيض والحجف
يخوض بحر المنايا وهو مختطف ... الأبطال بالسيف يردى كل مختطف
فعندها أحرقوا من حوله زمراً ... وصار كالصارم المصقول في الغلف
كلٌّ يهزُّ القنا ويطعنه ... ما بين متفق فيه ومختلف
حتى رموه بسهم في مقاتله ... فخرَّ من سرجه هاوٍ على الأنف
يا فجعة فجعت آل الرسول ومَن ... والاهم صار منها في شفا جرف
كأنهم كسبوا إثماً فحاق بهم ... أو خالفوا ما وحاه الله في الصحف
وزادني ما روت أهل البصائر عن ... زيد بن أرقم في قول بلا خلف
إذ قال: كنت مقيماً بالشآم إذا ... بالناس في رجفٍ يعلو على رجف
والجو مستحكم الآفاق منطبق ... والبدر محترق والشمس في كسف
فقال: ما هذه الأعلام، قيل: أما ... ترى الرؤوس على الخطية الألف
فحين عاينت رأس السبط يتبعه ... رؤوس أنصاره والسبي في طرف
لطمت وجهي وبان الصبر من جلدي ... وقلت: يا ابن رسول الله وا أسف
يعزُّز على المصطفى المختار حالكم ... يا سادتي وعلى المدفون بالنجف
وأقبلوا بالسبايا والرؤوس إلى ... نحو اللعين يزيد الكافر الجنف
ومدَّ طرفاً إلى سبي الكرام رأى ... بنت الحسين تغطي الوجه بالكف
فقال: من هذه الحسنى التي ملكت ... وجهاً كبدر علا كما الألف
قالوا: سكينة بنت الخارجي من ... جميع ملكك منه يا أمير عفى
فقال: كيف رأيت السبي؟ قالت: صه ... أليس قلبك منّا يا لعين شفى
اسمع مني ما رأت عيناي إذ نظرت ... في ليلتي هذه، قال اللعين: صفي
فالنطق أعوزها والدمع عاجلها ... فقال: قصّي لنا الرؤيا ولا تَخْفِي
قالت: نعم، بينما صلّيت إذ هجعت ... عيني إذ بأبي قد جاء مرتشف
وأسبل الدمع من عينيه غرَّقني ... وقال: ها حالكم من بعد منصرف
فالرأس والقلب والأحشاء عندكم ... والجسم شلو بأكناف الطفوف نفى
ما حال ابني من عظيم السقام لعلى ... الجسم عنه من السقم الشديد شفى
وكل حزن حواه الخلق مقترف ... وحزن قلبي عليكم غير مقترف

فمن تباكى وأبكى أو بكى لكم أولى ضمنت له في الخلد بالزلف
فقلت: يا أبتا حال يشيب له رأس الرضيع ويرمي الطفل بالجرف
وراح عني وخلى النار في كبدي وعاينت مقلتي أيضاً كأني في
قصر شرايفه الياقوت ملتمع بالنور يرصف يزري كل مرتصف
وفي ذراه وصيف قلت: أخبرني يا ذا الوصيف لمن ذا القصر ذو الشرف
فقال: هذا لمولاك الحسين معاً سيري أخبرك ما في القصر من طرف
فسرت أسعى وأصغي ما يقول به إذ نخبة أشياخ بلا لحف
وجوههم تتلألأ كالبدور وفي أوساطهم ثاكل ذو مدمع ذرف
يبكي وكفاه طوراً فوق لمته وتارة يمسك الأحشا من الضعف
إذا بكى بكت الأشياخ وانتحبوا لما به من أذى الأحزان والنجف
فقلت: بالله يا هذا الوصيف فمن هذي المشايخ مع ذا الشيخ ذو الدنف
فقال: ذا آدم أب العباد وذا نوح وذاك خليل الله خير وفي
ذلك موسى بن عمران الكليم وذا عيسى المسيح بلا شك ولا خلف
وذا الذي بلظى الأحزان محترق محمد المصطفى عيسية بصفي
يبكي لما نالكم حزناً، فقلت: ألا يا جد أخبرك نور للإلٰه طفى
يا جد لو عاينت عيناك ما صنعت بنا أمية بعد العزّ والشرف
ولو رأيت أبي في التراب منجدلاً والشمر يذبحه قهراً بلا رئف
ولو ترانا نخوّفه الإلٰه على قتل الحسين فلا يخشى ولم يخف
ولو ترانا على الأجمال في عنف بلا وطاء ولا ستر ولا عطف
مكشفات النواصي لا نصير لنا كأننا سلف من أسقط السلف
ولو ترى ضربنا بالسوط إن عثرت بنا المطي وما نلقى من العنف
فعندها صار جدي ذاهلاً صعقاً وقال: وا حر قلبي وا شقا خلف
هذا يكون جزائي إذ نصحت لهم لا قدَّس الله أهل الظلم والسرف
فبينما هو يدنيني ويلثمني إذا بخمس نساء داخل الغرف
عليهنّ حلل الأحزان قد برزوا وبين تلك النسا ذو مدمع ذرف
أثوابها بسواد الحزن قد صُبغت تنوح والشعر منشور على الكتف

قد عطرت بتراب الأرض مفرقها ... والجيب ممتزق والقلب في وجف
فقلت: بالله يا هذا الوصيف فمن ... هذي النساء أبِنْ لي والضمير نفي
فقال: هاتيك حوا يا سكينة والأخرى ... خديجة في التقوى فلا تصف
ومريم بنت عمران وسارة الأخرى ... آسية ذو الفضل والعفف
وهذا الكبد الحري التي جمعت ... كل المصايب لا تهدأ ولم تقف
تنوح طوراً وتبكي تارة وإذا ... هاج المصاب تعضُّ الكف بالأسف
بنت الرسول أمين الله فاطمة ... تبكي أباك قتيل الكافر الجلف
فمذ تحققتها قلت: السلام على مَن ... نور مقلتها تحت الظلام خفي
قالت سكينة، قلت الحزن سكنني ... في حرقة ما وراءها قط من حرف
قالت: وما حالكم بعد القتيل ومَن ... أحنى عليكم بكف الجود واللطف
فقلت: لا تسألي عن حالنا وسلي ... عن الذبيح الذي بأرض الطفوف نفي
زوَّاره الوحش والأملاك تندبه ... وجسمه بسوافي السافيات سفي
قالت: أحرقتي قلبي يا سكينة من ... حزّ الوريدين لن يخشى ولم يخف
فقلت: شمر، فقالت: آه وا والدي ... راح العزيز وخلى الحزن مؤتلف
لم لا فديتنه طراً بأنفسكم ... أنتم أحق وأولى منه بالتلف
فقلت: لو قبل الأعدا له بدلاً ... كنا فداء له كلاً على خلف
قالت: ألا وا حبيبي أضنى جسدي ... لا قدَّس الله أهل البغي والسرف
ربيته وهجرت الغمض فيه ولا ... أدري بأن زماني فيه ليس يفي
من كان غامضه، من كان غاسله ... من كان دارجه في القطن واللفف
ومن تقدَّم في وقت الصلاة ومن ... سعى إلى قبره النائي عن النجف
لأبكينك طول العمر يا ولدي ... وأقطع الدهر بالتذكار والأسف
من كان دافنك تحت التراب، هل رفقت ... كفاه بالجسد المحطوم بالجفف
دفنت جسماً بلا رأس ولا كفن ... ولا حنوط ولا غسل بمغترف
ومن تُرى كفل أيتام النبي ومن ... بأمره قام مثل الوالد العطف
يا آل طٰه ويا سفن النجاة ويا ... خير البرية من بادٍ ومُعتكف
هواكم في قلوب المؤمنين له ... وقع لامكم من أطهر النطف

أنا العبد الضعيف الدرمكي ومَن بمدحكم يا بني خير الورى كُلف
لا تسلموني إذا ما قمت من جدثي والعين ذو مدمع والقلب في وجف
وأنقذوني من النيران يا عددي يوم التغابن والزلزال والمخف
يوم يقول إلٰهي للجحيم: هل امتلأت يا نار من أعدانا انتصف
تقول: هل من مزيد يا إلٰه ولو لأحب حيدر كان الكل في كنف
لكن أمري إلى زوج البتول فمن يشار قال خذي أو شاء قال عفي
هو القسيم وقسام النعيم فلا يجوز في حكمه كلا ولم يحف
صلى الإلٰه على الهادي وعترته أهل الحمية والإحسان والأنف
ما لاح نجم وما سارت بمهجته أو صاح طير على الأغصان والعطف

الباب الثالث

أيها المؤمنون المتقون، اسكبوا ماء العيون من مقرحات الجفون، وتساعدوا على الندب والعويل، ونوحوا لفقد من اهتز له عرش الجليل، واسكبوا العبرات على الغريب القتيل، فليتني كنت أذود عنهم خطوب الحِمام وأدفع عنهم تلك الكروب العظام، ومواقع تلك الألام، حتى أقضي حق جدهم المرسل وأحول بينهم وبين القدر المنزل، فنُح أيها المحب لآل الرسول على مصاب أبناء الرسول وابكي عليهم بالدموع السجام لأنهم الرؤوساء الأعلام لعلك تواسيهم في المصاب بإظهار الجزع والاكتئاب والحنين والانتحاب. فوا عجباه كيف يرفق بهم رسول الخلائق ويقع بهم أهل الكفر والنفاق، ما هو إلا شيء ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾[1].

كيف صبر المُحب وهو يرى الأحباب بعد عزّة وجلال
وحبيب الحبيب بين قتيل وجريح وموثق بالحبال
ووجوهاً لا تنظر الشمس إلا حذراً أن يفوت وقت الزوال
مسفرات من بعد ستر حجاب مبديات من سجف بعد حجال

حكي عن سلمان الفارسي قال: خطب فينا رسول الله ﷺ يوم الجمعة خطبة بليغة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني راحل عن قريب ومنطلق للمغيب وإني أوصيكم في عترتي خيراً فلا تخالفوهم ولا تخاصموهم ولا تنابذوهم، وإياكم والبدع فإن

(1) سورة مريم: الآية 90.

كل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها بالنار. معاشر الناس، من افتقد منكم الشمس فليتمسك بالقمر، ومن افتقد القمر فليتمسك بالفرقدين، وإن افتقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين. ثم نزل عن منبره وسار إلى منزله.

قال سلمان: فتبعته حتى دخل حجرته وأنا معه، فقلت: يا رسول الله سمعتك تقول: إذا فقدتم الشمس فتمسكوا بالقمر، وإذا فقدتم القمر فتمسكوا بالفرقدين، وإذا فقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة، فما الشمس، وما القمر، وما الفرقدان، وما النجوم الزاهرة؟ فقال النبي ﷺ: أنا الشمس، وعلي القمر فإذا فقدتموني فتمسكوا به، وأما الفرقدان فهما الحسن والحسين، فإذا افتقدتم القمر فتمسكوا بهما. وأما النجوم الزواهر فهم الأئمة التسعة من نسل الحسين تاسعهم قائمهم. ثم قال ﷺ: إنهم هم الأولياء والأوصياء والخلفاء من بعدي أئمة أبرار وأوصياء أطهار بعدد أسباط يعقوب عليه السلام وعدد حواري عيسى وعدد نقباء بني إسرائيل. فقلت: سمهم لي يا رسول الله، فقال: أولهم وسيدهم علي بن أبي طالب وسبطاه بعده، وبعدهما علي بن الحسين زين العابدين، وبعده محمد الباقر للعلم، وبعده الصادق جعفر، وبعده الكاظم موسى سمي النبي موسى ابن عمران الذي يُقتل مسموماً بأرض الغربة على دينه وإيمانه وابنه علي بن موسى الرضا وابنه محمد الجواد، والصادقان علي والحسن، ثم الحجة القائم بالأمر المنتظر، فإنهم عترتي ولحمي ودمي ومخي وعظمي وعروقي، علمهم علمي، وحكمهم حكمي، فمن آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي يوم القيامة.

فلله أمر فادح شَمَلَ الورى ... ورزء على الإسلام منه خمول
وخطب جليل جلّ في الأرض وقعه ... عظيم على أهل السماء ثقيل
بنو الوحي في أرض الطفوف حواسر ... وأبناء حرب في الديار نزول
ويُسرى بزين العابدين مقيّداً ... على النزل مأسور اللثام عليل
ويُصبح في تخت الخلافة جالساً ... يزيد وفي الطف الحسين قتيل
ويُقتل ظلماً ظامياً سبط أحمد ... إمام لخير الأنبياء سليل
حبيب النبي المجتبى خامس العبا ... وقرّة عين للنبي الرسول
أمولاي آمالي تؤمل نصركم ... وقلبي إليكم بالولاء يميل
وقد طال عمر الصبر في أخذ ثاركم ... أما آن للظلم المقيم رحيل
متى ينطوي حر الغليل ويشتفي ... فؤادي بآلام المصاب عليل

ويُجبر هذا الكسر في ظلّ دولة لها النصر جند والأمان دليل
وينشر للمهدي عدل وينطوي به الظلم حتماً والعناد يزول
هناك يضحى دين آل محمد عزيزاً ويمسي الكفر وهو ذليل
فيا آل طٰه الطاهرين رجوتكم ليوم به فصل الخطاب طويل
عليكم سلام كل ما ذكر اسمكم وذاك مدى الأيام ليس يزول

روي عن أم أيمن رضي الله عنها قالت: مضيت ذات يوم إلى منزل ستي ومولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام لأزورها في منزلها، وكان يوماً حاراً من أيام الصيف، فأتيت إلى باب دارها وإذا أنا بالباب مغلق فنظرت من سقوف الباب وإذا بفاطمة الزهراء عليها السلام نائمة عند الرحى ورأيت الرحى تطحن البر وهي تدور من غير يد تديرها والمهد أيضاً إلى جانبها والحسين عليه السلام نائم فيه، والمهد يهتز ولم أر من يهزه، ورأيت كفاً يسبِّح الله تعالى قريباً من كف فاطمة الزهراء.

قالت أم أيمن: فتعجبت من ذلك، فتركتها ومضيت إلى سيدي رسول الله ﷺ وسلمت عليه وقلت له: يا رسول الله إني رأيت عجباً ما رأيت مثله أبداً، فقال لي: ما رأيت يا أم أيمن؟ فقلت: إني قصدت منزل ستي فاطمة الزهراء فلقيت الباب مغلقاً وإذا بالرحى تطحن البر وهي تدور من غير يد تُديرها ورأيت مهد الحسين عليه السلام يهتز من غير يد تهزه ورأيت كفاً يسبِّح لله تعالى قريباً من كف فاطمة ولم أر شخصه فتعجبت من ذلك يا سيدي. فقال: يا أم أيمن اعلمي أن فاطمة الزهراء صائمة وهي متعبة جائعة والزمان قيظ، فألقى الله عليها النعاس فنامت فسبحان من لا ينام، فوكَّل الله ملكاً يطحن عنها قوت عيالها وأرسل الله ملكاً آخر يهز مهد ولدها الحسين لئلا يزعجها من نومها ووكَّل الله ملكاً آخر يسبِّح لله عزَّ وجلَّ قريباً من كف فاطمة يكون ثواب تسبيحه لها لأن فاطمة لم تفتر عن ذكر الله عزَّ وجلَّ، فإذا نامت جعل الله ثواب تسبيح ذلك الملك لفاطمة. فقلت: يا رسول الله أخبرني من يكون الطحان، ومن الذي يهز مهد الحسين ويناغيه، ومن يسبِّح؟ فتبسم النبي ﷺ ضاحكاً وقال: أما الطحان فجبرائيل، وأما الذي يهزّ مهد الحسين فهو ميكائيل، وأما الملك المسبِّح فهو إسرافيل.

أأسبل دمع العين بالعبرات وبت تقاسي شدة الزفرات
وتبكي لآثار آل محمد فقد ضاق منك الصدر بالحسرات
ألا فابكهم حقاً وبلّ عليهم عيوناً لريب الدهر منسكبات
ولا تنسى في يوم الطفوف مصابهم وداهية من أعظم النكبات

سقى الله أجداثاً على أرض كربلا مرابيع أمطار من المزنات
وصلّى على روح الحسين حبيبه قيلاً لدى النهرين بالفلوات
قتيلاً بلا جُرم فُجعنا بِفَقْدِهِ فريداً ينادي أين أين حماتي
أنا الظامي العطشان في أرض غربة قتيل ومظلوم بغير ترات
وقد رفعوا رأس الحسين على القنا وساقوا نساء ولها حسرات
فقل لابن سعد عذَّب الله روحه ستلقى عذاب النار باللعنات
سأقنت طول الدهر ما هبت الصبا وأقنت بالإيصال والغدوات
على معشر ضلّوا جميعاً وضيّعوا مقال رسول الله بالشُّبهات

روي أن المتوكل من خلفاء بني العباس كان تحت ملكه بسر من رأى، فاستدعى الإمام علي الهادي إلى مجلسه وأعرض عليه جميع عساكره وحجابه ونوابه وأرباب دولته ليرهبه بهم وأمر كل فارس من جنده أن يملأ مخلاة فرسه تراباً ويطرحه في مكان واحد فصار كالجبل العظيم وسماه (تل المخالي) ـ وهو إلى الآن موجود بسر من رأى ـ. قال: ثم أن المتوكل أخذ بيد الإمام علي الهادي عليه السلام وصعد معه إلى الجبل وقال له: ما أصعدتك معي إلى هنا إلا لترى خيولي وعسكري وقومي وجندي. وكان قد ألبس عسكره الدروع المجلية وعتلوا بالرماح الخطية وتقلدوا بالسيوف الهندية، وأمرهم أن يعرضوا على الإمام الهادي بأحسن زينة وأتم عدة وأعظم هيبة، وهو مع ذلك جالس مع الإمام عليه السلام.

فقال له الإمام عليه السلام: يا خليفة الزمان أتحب أن أعرض عليك عسكري كما عرضت عليَّ عسكرك؟ فقال المتوكل: ومن أين لك عسكر مثل عسكري فإن كان لك عسكر فأرينه؟ فقال له: أنظر يميناً، فنظر فرأى الأرض مملوءة من الملائكة وبأيديهم أعمدة من نار، فطار عقله وطاش ثم قال له: أنظر نحو الشمال، فنظر فرأى الملائكة بعدد الرمل والنمل وهم محيطون بالدنيا بصور مختلفة وبأيديهم حِراب من نار لا يحصي عددهم إلا الله تعالى. فغشى على الخليفة من شدة رعب دخله منهم، فلما أفاق من غشيته قال له الإمام: يا خليفة الزمان إنَّا نحن لا نشاجركم على زينة الدنيا وزخرفها وإنَّا نحن مشغولون عنكم بأمور الآخرة وكذلك الحسين عليه السلام لما أحاط به الكفرة اللئام بنو أمية أتته أفواج كثيرة من الملائكة وفي أيديهم أعمدة من نار وحراب من نار وهم راكبون على نجب من نجب الجنة وقالوا له: يا حسين أنت حجة الله على الخلق بعد جدك وأبيك وأن الله عزَّ وجلَّ قد أمد جدك وأباك بنا في سائر الحروب، وإن الله تعالى قد أمدك بنا لننصرك على

عدوك فمرنا بأمرك نقتل عدوك، فقال: أما قرأتم قوله تعالى: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[1] وأن الله تعالى كتب عليَّ القتل فإذا قتلتم أعدائي فبما يبتلي الله هذا الخلق المتعوس، ومن ذا يكون ساكناً بحفرتي في أرض كربلاء، وقد اختارها الله يوم دحو الأرض وقد جعلها معقلاً لشيعتي وزواري وتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة، لن تحضرون عندي يوم العاشر من شهر عاشوراء، ففي آخره أقتل ولا يبقى بعدي مطلوب من أهل بيتي، ويُسار برأسي إلى يزيد لعنه الله تعالى، فقالت له الملائكة: يا ابن رسول الله لولا أن أمرك طاعة وأنه لا يجوز لنا مخالفتك لقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك بسوء أبداً حتى لا يبقى على وجه الأرض منهم أحداً، فقال لهم: جزيتم خيراً ولكن نحن والله أقدر منكم عليهم والله على كل شيء قدير.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[2]:

آمري بالصبر أسرفت في أمري ... أيؤمر مثلي لا أبا لك بالصبر
أفي يوم عاشورا أُلام على البكا ... ولو أن عيني دمعها من دمي يجر
إذا لم أقم في عاشوراء مأتماً ... ولم أندب الأطهار فيه فما عذر
أأنسى حسيناً حين أصبح مفرداً ... غريباً بأرض الطف في مهمه قفر
وشمر عليه لعنة الله راكب ... على صدره أكرم بذلك من صدر
يقطع أوداج الحسين بسيفه ... على حنق منه يهبر بالنحر
برزن نساء السبط يمشين حسراً ... على عجل حتى تعلقن بالشمر
وقلن له: يا شمر فرَّقت بيننا ... وألبستنا ثوب الأسى أبد الدهر
أتقتل أولاد النبي محمد ... وترجو بأن تحظى الشفاعة في الشر
وقد فرّ ينعاه إلى الأهل مهره ... سليباً فلما أن نظرنَّ إلى المهر
هتكنَّ حجاب الخدر عنهن جهرة ... يعز عليهن الخروج من الخدر
وبادرن حتى إذ رأين مكانه ... وشيبته مخضوبة من النحر
فلما رأين الرأس في رأس ذابل ... كبدر الدجى إذ لاح في رابع العشر

---

(1) سورة آل عمران: الآية 154.

(2) القصيدة للشيخ ابن حماد رحمه الله تعالى.

سقطن على حر الوجوه بدهشة ... وأيقن بالتهتيك والسبي والكسر
وقد قبضت أحشائها بيمينها ... وقد قبضت إحدى يديها على العشر
تضم علياً تارة نحو صدرها ... وفاطمة الصغرى مدامعها تجر
وتدعو حسيناً يا ابن أم تركتني ... وفي كبدي ثكل أحر من الجمر
أخي لو ترانا في السبايا ولو ترى ... بناتك حولي بالمذلّة والأسر
سأبكيك دهراً يا ابن بنت محمد ... وأُسعد من يبكيك ما مدّ في عمر
متى ينجز الوعد الذي قد وعدته ... وتأتي به الأجناد في غابر الدهر
حقيق على الرحمٰن إنجاز وعده ... وتبلغه حتى نرى راية النصر
قيام إمام لا محالة قائم ... يقيم عماد الدين بالبيض والسمر
لعل ابن حماد يجرّد سيفه ... ويقتصُّ من أعدائه باقي الدهر
فإن قصرت كفاي عن قتلهم غداً ... سأقتلهم باللعن في محكم الشعر
أيا شيعة الأطهار صبراً على الأذى ... فإن منال النجح عاقبة الصبر
عليكم سلام الله يا آل أحمد ... سلام محب دائم مدة العمر

* * *

المجلس الثاني

من الجزء الثاني، في اليوم السادس عشر من المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

لو صفت أفكار المتفكرين لأشرقت عليها أنوار اليقين، ولو طلب طريق الحق بالتحقيق لأدرك الطالب سؤله وخرج عن المضيق، ولكن كثرة الشوائب يصدر عنها الرأي العازب، كيف وقد شهد بفضلهم التوراة والإنجيل وبمدحهم العظيم الجليل في محكم التنزيل. يا إخواني أي شرف أعظم من شرف من يخدم بالملائكة المقرَّبين إلى رب العالمين، أخلاقهم طاهرة، ومعجزاتهم ظاهرة، ودولتهم مستمرة دائمة قاهرة حتى الآخرة، أبوهم عين الله في العباد وحجة الله على أهل البلاد، والهادي إلى الرشاد، إمام الصادقين البررة، قاتل الجاحدين الكفرة، نور الله في العالمين، مدمر الناكثين والقاسطين والمارقين، أصل الفخار، غرة شمس النهار، شجرة أصلها النبي المختار، وفرعها بنوه المعصومون الأطهار، في مدحه نزل القرآن، وفي التمسك به يكمل الإيمان.

كم بين من شك في عقيدته ... وبين من قيل أنه الله

روي عن كعب بن محمد القرطي قال: افتخر طلحة بن عبد الله والعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: معي مفتاح الكعبة ولو أشاء أبت بها. وقال العباس: أنا صاحب السقاية القائم عليها ولو أشاء أبت في المسجد. فقال علي عليه السلام: ما أدري ما تقولان لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد الأكبر، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾[1].

يقولون لي قل في علي مدائحاً ... فإن أنا لم أفعل يقولوا معاند

وما صنت عنه الشعر عن ضعف هاجر ... ولا أنني عن مذهب الحق حائد

ولكن عن الأشعار والله صنت مَن ... عليه بُني قرآننا والمساجد

---

(1) سورة التوبة: الآية 19.

فلو أن ماء الأبحر السبعة التي ... خلقن مداداً والسماوات كاغد
وأشجار خلق الله أقلام كاتب ... إذا الخط أفناهن عادت عوائد
وكان جميع الجن والأنس كتبا ... إذا كلٌّ منهم واحد قام واحد
وخطوا جميعاً منقب بعد منقب ... لما خط من تلك المناقب واحد

فوا عجباً ممن أنكر الوصية بالأمر إليه، وخالف في النص بالخلافة عليه مع اعترافهم بعصبة الرسول ﷺ التي دل عليهم المعقول والمنقول. ووا عجباً كيف ينكرون نصه عليه يوم غدير خُم في حجة الوداع وقد ملأ بذلك الأسماع، أما قال له عمر: بخ بخ لك أصبحت مولى كل مؤمن، كأنهم زعموا أن ذلك كان في النوم فغفلوا عن ذلك اليوم، كلا ولكنهم رجعوا على الأعقاب كما وعدهم به في الكتاب الله العزيز الوهاب، يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

تركوا أخ الرسول وعكفوا على الأول كقوم موسى حيث تركوا أخاه وعكفوا على العجل تصديقاً لكلام الرسول حيث يقول: «تحذوا أمتي حذو بني إسرائيل، النعل بالنعل، والقذة بالقذة».

ومن طريقهم ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك، قال: قلت لسلمان: سل النبي من وصيه؟ وقال سلمان: من وصيك؟ فقال: يا سلمان من كان وصي موسى عليه السلام؟ فقال: يوشع بن نون، قال: فقال وصيي ووارثي يقضي ديني وينجز وعدي علي ابن أبي طالب. فقد هبلت الهبول شانيء آل الرسول.

إذا كان كل الناس سبعين فرقة ... ونيفاً كما جاء في واضح النقل
ولم يك منهم ناجياً غير فرقة ... فماذا ترى يا ذا البصيرة والعقل
أفي الفرقة الناجين آل محمد ... أم الفرقة الهلاك أيهما قل لي
رضيت علياً لي إماماً وسيداً ... وأنت من الباقين في سائر الحل

فابشروا أيها الإخوان بموالات مولاكم الذي هو سبب هديكم وبه تحصلون الفوز في آخرتكم، واعلموا أنه لا بد لكم من معاينته في سياق الموت وكربته، كما أشار إليه في قوله سلام الله عليه، يقول:

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قبلا

(1) سورة آل عمران: الآية 144.

يعرفني شخصه وأعرفه بعينه واسمه وما فعلا
وأنت يا حار إن نمت ترني فلا تخف عثرة ولا زللا
أسقيك من بادر على ظمأ تخاله في الحلاوة العسل
أقول للنار حين تعرض للحشر ذريه لا تقربي الرجلا
ذريه لا تقربيه إن له حبلاً بحبل الوصي متصلا

روي من طريقهم عن أبي مريم، عن علي عليه السلام، قال: انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى انتهينا إلى الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: اجلس، فصعد على منكبي وذهبت أنهض به فرأى مني ضعفاً فجلس لي نبي الله ﷺ وقال: اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه قال: فنهض فيّ فخيل لي أني لو شئت لنلت أفق السماء حتى سقطت على البيت وعليه تمثال صفراً ونحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى استمسكت منه فقال لي رسول الله ﷺ: نستيق اقذف به، فقذفت به فتكسر كالقوارير ثم نزلت وانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى تواترينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس.

وروي من طرقهم أيضاً عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن الرياض أقلام والبحر مداد والجن حساب والأنس كتاب ما أحصوا فضائل علي عليه السلام».

وإذا الدرّ زان حسن نحور كان للدر حسن بحرك زيّنا
وتزيّن طيب الطيب طيباً عند ذكراك أين مثلك أينا

فضائله لا تحصى، ومناقبه لا تستقصى، ولو لم يكن إلا مبارزته لعمرو بن ود الذي قال فيها النبي ﷺ: «برز الإسلام كله إلى الشرك كله»، فلما قتله قال: «ضربة علي لعمرو توازي عمل أمتي إلى يوم القيامة». ولقد أحصيت برزاته عليه السلام بين يدي النبي ﷺ فكانت ألفاً وسبعين، فإذا كان جزء واحد من نيف وسبعين من قوته العملية بمقدار عمل جميع أهل الإسلام إلى يوم القيامة فما ظنك بباقي أعماله صلوات الله عليه في سائر أحواله؟. فتباً لقوم غرتهم الدنيا فاختاروها على الأخرى وهو الآفة الكبرى، كان منتهاهم إلى الذل والهوان وفي الآخرة عذاب النيران.

روي أن عمرو بن العاص قال لمعاوية بن أبي سفيان: يا معاوية ما أشد حبك للمال!، فقال: ولم لا أحبه وأنا أستعبد به مثلك وأبتاع به دينك ومرؤتك. فلعمري ما ربحوا بل خسروا، وما جبروا بل كسروا، وسيندمون ويعلمون أي منقلب ينقلبون.

روي أن معاوية بن أبي سفيان لما مَرِض مَرَض الموت، رقى المنبر وخطب الناس،

وكانت آخر خطبة خطبها للناس في جامع بني أمية، وأنه قال: أيها الناس إني من زرع قد استحصد، وإني ولّيتكم ولم يتولّكم أحد من بعدي إلا من هو شر مني كما كان من قبلي هو خير مني، يا ليتني كنت رجلاً من قريش ولم أتولّ من أمور الناس شيئاً. ثم قال: ما أغنى مالية، هلك عني سلطانية، فوالله لو علمت العمر هكذا قصيراً ما فعلت. ثم بكى وقال: وا بُعد سفراه، وا قلة زاداه. ثم نزل عن المنبر ودخل داره وثقل حاله وازدادت علّته فعادوه إخوانه وجلسوا حوله وقالوا له: يا معاوية أوصي إلينا بما تريد، فقال: يا إخواني، أحذركم مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه. ثم قال: أجلسوني وسندوني، فأجلسوه وسندوه فقال: إلٰهي أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت. ثم قال: الآن تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط فلم لا كان هذا وغصن الشباب نظر ريان، فقيل له: يا معاوية كأنك تحب الحياة؟ فقال: لا، ولكن القدوم على الله شديد.

قال: ودخل عليه قوم آخرون فقالوا له: كيف أصبحت يا معاوية؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقٍ. ثم انصرف الناس عنه، قالت زوجته: فسمعته يقول عند موته: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]، ثم سكت فجعلت لا أسمع له كلاماً أبداً فقلت لوصيف كان عنده: انظر أنائم هو أم يقظان؟ فنظر إليه فوجده قد مات.

وأما مروان بن الحكم لما مرض مرضه الذي مات فيه مر على غسال يغسل ثياباً بجانب نهر في دمشق، فنظر إليه وهو يلوي ثوباً بيده ثم يضرب به في المسلة، فقال مروان: ليتني كنت غسالاً آكل من كسب يدي يوماً بيوم ولم أكن والّياً على المسلمين. قال: فبلغ كلامه إلى أبي حازم الغسال، فقال: الحمد لله الذي جعل الملوك إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه من الغسل.

قال: فدخلوا عليه إخوانه يعودونه في مرضه، فقالوا له: كيف نجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: تجدوني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾[2] ثم بكى فقيل له: وما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ما أبكي جزعاً على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أنه قال: يكون بلغة أحدكم من الدنيا كزاد راكب. ثم قال: وا بعد سفراه، وا قلة زاداه، ثم أغمى عليه فمات لا رحمه الله.

وأما عمرو بن العاص، فأنه لما دنت الوفاة وقد نظر إلى خزائنه وصناديق ماله، قال: مَن يأخذها بما فيها وليتني كنت أعيش أبداً. فبكت امرأته فقال لها: إن كنت باكية

(1) سورة القصص: الآية 83.
(2) سورة الأنعام: الآية 94.

فابكي على نفسك. ثم أغمى عليه فمات لا رحمه الله تعالى.

وأما المأمون، لما دنت منه الوفاة وأيس من الحياة فرش رماداً واضطجع عليه وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه، فقيل له: لا بأس عليك، فقال: ليس إلا هذا لقد ذهبت مني الدنيا والآخرة. ثم أغمى عليه فمات لا رحمه الله.

وأما الحجاج بن عبيدة الثقفي فإنه كان يقول عند موته: اللهم اغفر لي فإن الخلق مجتمعون على أنك لا تغفر لي. ثم أغمى عليه فمات لا رحمه الله تعالى.

وأما الشمر اللعين فإنه كان عاقبته أن قتله المختار أشر قتلة وأحرق داره بمن فيها من أهله وعشيرته ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ستعلم أمة قتلت حسيناً ... بأن عذاب قاتله وبيل
إذا عرضوا على الرحمٰن صفاً ... وجاءت ثَم فاطمة البتول
وفي يدها قميص السبط تشكو ... ظلامتها فينصفها الجليل
ويهوى الظالمين بها جميعاً ... إلى قعر الجحيم لهم عويل

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[2]:

نوحوا يا شيعة المولى أبا الحسن ... على الحسين غريب الدار والوطن
وابكوا عليه طريحاً بالطفوف على ... الرمضاء مختضب الأوداج والذقن
وابكوا على صدره بالطف ترضضه ... خيول أهل الخنا والحقد والإحن
وابكوا على رأسه بالرمح مشتهراً ... إلى يزيد اللعين الفاجر الكنى
وابكوا بنات رسول الله بين بني ... اللئام يشهرنَّ في الأمصار والمدن
وابكوا على السيد السجَّاد معتقلاً ... في أسره مستذلاً ناحِل البدن
وا حر قلباه وا حزني لابنته ... سكينة حاسراً والدمع كالمزن
تقول: وا ضيعتي بعد الحسين أبي ... وا ذلّتي وا عنا قلبي ووا حزني
أبعد صوني وخدري والحجاب أُرى ... جهراً وينظرني الطاغي ويرمقني
والطهر فاطمة الصغرى تنوح على ... الحسين نوح كئيب القلب ذي شجن

---

(1) سورة هود: الآية 18.

(2) القصيدة للشيخ صالح بن عبد الوهاب.

وتستغيث أباها يا أباه ترى ... من ذا يجود على يتمي فيرحمني
وزينب أخته للخد لاطمة ... تشكو إليه بقلب موجع حزن
أيا أخي يا ضيا عيني ويا أملي ... فقدانكم يا كفيل اليوم ضيّعني
يا واحدي يا ابن أمي يا حسين أما ... ترى مقامي أيا حصني ومرتكن
أمسيت بين الأعادي لا كفيل ولا ... مساعد في ملماتي يساعدني
يا كافلي يا أخي ما كان في خلدي ... أني أراك ومنك الرأس في لدن
كلا ولا خلت يا حصني وملتجئي ... هتكي وسبيي ولا بُعدي عن الوطن
يا ليت عيني قبل الآن قد عميت ... وليتني قبل هذا اليوم لم أكن
أيا ابن أمي قد أورثتني كمداً ... أوهى فؤادي وأبلاني وأنحلني
أيا كفيلي لقد عزّ الكفيل فمن ... تراه بعدك هذا اليوم يكفلني
أيا نصيري لقد عزّ النصير فلا ... أرى نصيراً على الأعداء ينصرني
وا ذلتي يا أخي من بعد عزك لي ... هُتكت بين أهل الظغن والإحن
يا ليتني قبل هذا اليوم في جدث ... ولا أراك خضيب الشيب والذقن
وأم كلثوم تدعو وهي باكية ... بمدمع هامل كالعارض الهتن
أخي أخي يا ابن أمي يا حسين لقد ... تجددت لي أحزان على حزن
أخي أخي بعد جدي والوصي أبي ... وفقدكم لثياب الحزن ألبسني
أخي أخي بعدكم من ذا ألوذ به ... ومن يساعدني في حادث الزمن
أخي أخي بعد صوني يا حسين لقد ... أصبحت أُسبى كسبي الروم في المدن
فآه يا ضيعتي من بعد فقدك يا ... حصني الحصين ويا سؤلي ويا سكني
يا ليت عين رسول الله ناظرة ... إليّ والفاجر الملعون يسلبني
يا ليت عين أمير المؤمنين أتت ... بين الأعادي بهذا اليوم تنظرني
حسرى مجرَّدة وا ويلتاه فلا ... أرى كفيلاً بهذا اليوم يكفلني
وتستغيث إلى الزهراء فاطمة ... بنت النبي ودمع العين كالمزني
يا أم قومي من الأجداث نادبة ... على الحسين مقيم الفرض والسنن
يا أم قومي وانظري رأس الحسين أخي ... كالبدر يشرق فوق الذبل اللدن
يا أم قومي انظري السجاد معتقلاً ... يُساق نحو يزيد الفاجر الكني

فيا لها حسرة لا تنقضي أبداً حتى ترى حجة الرحمٰن ذا المنن
سُمي خير الورى المختار من مضر خليفة الله فينا صاحب الزمن
الآخذ الثار من أهل العناد ومفني كل رجس خؤون غير مؤتمن
الناصر الدين والمحيي معالمه الناشر العدل في الأطراف والمدن
يزيل ما أسس الأرجاس من بدع بالإفك منهم وبالأحقاد والظغن
يا حجة الله يا ابن العسكري إلى متى تُكابد أهل البغي والفتن
عجِّل وخلِّص محبيك الضعاف فقد تشرَّد الناس عن أهل وعن وطن
وما لهم ناصر مولاي غيرك يا مُحيي فرائض دين الله والسُّنن
فخذ بنصرهم واشفي الغليل وخذ بثأر جدك يا سؤلي ومرتكني
أيا بني الوحي والتنزيل يا أملي يا مَن ولاهم غداً في القبر يؤنسني
حزني عليكم جديداً دائماً أبداً ما دمت حياً إلى أن ينقضي زمني
وما تذكرت يوم الطف رزءكم إلا تجدَّد لي حزن على حزن
وأصبح القلب مني وهو مكتئب والدمع منسكب كالعارض الهتن
لَكَمْ لَكُمْ يا بني المختار ذا أسفي لا للتنائي عن الأهلين والوطن
فهاكموها ولاة الأمر مرثية من الكئيب العبير القلب ذو الشجن
يا عدتي واعتمادي والرجا ومن هم أنيسي إذا أُدرجت في كفني
إني بحكبم أرجو النجاة غداً إذا أتيت وذنبي قد تكابدني
وعاينت مقلتي ما قدمته يدي من الخطيات في سر وفي علن
لأن حبكم زاد لآخرتي به إلٰهي من النيران ينقذني
صلّى عليكم إلٰه العرش ما سجعت حمامة أو شدى ورق على غصن

الباب الثاني

يا إخواني في الدين، لو أحاط الناس بفضل أولاد أمير المؤمنين لذهلت عقولهم وغدوا والهين، كيف وقد جمعت فيهم فضائل الأنبياء المتقدمين خصوصاً على أبيهم علي أمير المؤمنين، وقد قال رسول الله ﷺ: «يا علي لولا خوفي أن تقول الناس فيك كما قالت النصارى في عيسى ابن مريم لقلت فيك مقالاً لا تمر بأحد إلا وأخذ التراب من تحت قدميك». ولهذا أطلق عليهم لفظ الأشباح، لأن الشبح هو الذي ترى صورته ولا

تعلم حقيقته، أو لا ترون يا أهل البصائر إلى رجل أخفى أعدائه فضائله بغضاً له وستر أولياءه مناقبه خوفاً على أنفسهم، ثم ظهر بين هذين الإخفائين مناقب ملأت الخافقين.

ولقد أجاد ابن سرايا حيث ذكر له جمع بعض المزايا، حيث قال:

جمعت في صفاتك الأضداد ... فلهذا عزّت لك الأنداد
زاهد حاكم حليم شجاع ... ناسك فاتك فقير جوّاد
خلق يشبه النسيم من اللطف ... وبأس يذوب منه الجماد
شِيَمٌ ما جمعن في بشر قط ... ولا حاز مثلهن العباد
فلهذا تعمقت فيك أقوام ... بأقوالهم فرانوا وزادوا
وغلت في صفات فضلك يٰس ... وطٰه وآل ياسين وصاد
ظهرت منك للورى معجزات ... فأقرّت بفضلك الحسّاد
إن يكذب بها عِداك فقد ... كذّب من قبل قوم لوط وعاد
أنت سرّ النبي والصنو وابن ... العم والصهر والأخ المستجاد
لو رأى مثلك النبي لآخاه ... وإلا فائط[1] الانتقاد
فيكم بأهل النبي ولم ... يلق لكم خامساً سواه يُزاد
كنتَ نفساً له وعرسك وابناك ... لديه النساء والأولاد
جلّ معناك أن يحلم به البشر ... ويحصي صفاته النُقاد
إنما الله عنكم أذهب الرجس ... فردت بغيظها الأضداد
ذاك مدح الإلٰه فيكم فإن ... فهت بمدح فذاك قول يُعاد

روي من طرقهم، عن أحمد بن سعيد الثقفي قال: كنا يوماً وقوفاً على باب أبي نعيم الفضل بن دكين ونحن جماعة فينا أحمد بن حنبل وغيره من نقلة الحديث، نتوقع خروجه لنسمع منه، فاطلع علينا من خوخة على باب داره فقال: إن لي وعكة وعلة وصداع فاعذروا وانصرفوا مأجورين، فقام إليه رجل فقال مسألة، فقال: هاتها وأوجز. فقال: ما تقول في رجل شهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأقرّ أن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام شهر رمضان وحجّ البيت مع الأركان وجاهد عند دعاء الحاجة إلى الجهاد، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، واجتهد بعد ذلك في أفعال الخير ثم مات وهو لا يعرف... أبي قحافة، هل مات مؤمناً ولا بأس فيما جهل؟ قال: فإن فعل مثل ذلك وهو

(1) هكذا في الأصل.

لا يعرف الثاني فأجاب مثل الجواب الأول، قال: فإن فعل مثل ما تقدم ومات ولم يعرف علي بن أبي طالب؟ قال: لا يسعه ذلك لأن الصلاة لا تفتقر إلى ذكر غير علي كما تفتقر إلى ذكره، وقد كان من محمد بمكان لا كغيره.

ومن طريقهم أيضاً، عن سعد بن أبي وقاص قال: أمر معاوية سعداً بالسب، فأبى، فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: ثلاث قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه ولئن تكن لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعيم، سمعته يقول لعلي وقد خلفه في بعض مغازية، فقال له علي: خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟». وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله»، قال: فتطاولنا إليها فقال: أدعوا لي علياً، فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. ولما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾[1] الآية، دعا رسول الله فاطمة وعلياً والحسن والحسين، فقال: «اللهم هؤلاء أهلي».

حديث الكساء

وروي عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: دخل عليَّ أبي رسول الله ﷺ في بعض الأيام فقال لي: يا فاطمة إني لأجد في بدني ضعفاً، فقالت له فاطمة: أعيذك بالله يا أبتي من الضعف، فقال: يا فاطمة إئتيني بالكساء اليماني وغطيني به، قالت فاطمة: فغطيته به وصرت أنظر إليه وإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه، قالت فاطمة: فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه، فقلت: وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي، فقال لي: يا أماه إني أشم رائة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله ﷺ!، فقالت: أن جدك نائم تحت الكساء. فأقبل الحسن نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جدي يا رسول الله، أتأذن لي أن أدخل تحت هذا الكساء؟ فقال له: قد أذنت لك، فدخل معه. فما كان إلا ساعة وإذا بالحسين عليه السلام، الشهيد، قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه، إني أشم رائحة طيبة عندك كأنها رائحة جدي رسول الله ﷺ!، فقالت: نعم يا بني إن جدك وأخاك تحت الكساء. فدنى الحسين عليه السلام وقال: السلام عليك يا جداه، السلام عليك يا من اختاره الله، أتأذن لي أكون معك تحت هذا الكساء؟ فقال له: قد أذنت لك يا حسين. فدخل معه، قالت فاطمة عليها السلام: فأقبل

(1) سورة آل عمران: الآية 61.

عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله، فقلت: وعليك السلام، فقال: كأني أشم رائحة أخي وابن عمي رسول الله! فقلت: نعم، ها هو مع ولديك تحت الكساء. فأقبل نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله، أتأذن لي أن أكون معكم تحت هذا الكساء؟ قال: نعم قد أذنت لك. فدخل علي عليه السلام تحت الكساء. ثم أتت فاطمة عليها السلام وقالت: السلام عليك يا أبتاه، السلام عليك يا رسول الله، أتأذن لي أن أدخل معكم تحت الكساء؟ قال: نعم أذنت لك. فدخلت فاطمة معهم، فلما اكتملوا تحت الكساء قال الله عزَّ وجلَّ: يا ملائكتي وسكان سماواتي إني ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يسري، إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء. فقال: أهل بيت النبوَّة ومعدن الرسالة وهم: فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها، فقال جبرائيل: يا رب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً؟ فقال الله عزَّ وجلَّ: قد أذنت لك. فهبط الأمين جبرائيل وقال: السلام عليك يا رسول الله العلي الأعلى يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزّتي وجلالي ما خلقت سماءً مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا بحراً يجري، ولا فلكاً يدور، ولا فلكاً يسري، إلا لأجلكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم تحت هذا الكساء فهل تأذن لي أنت يا رسول الله؟ فقال: قد أذنت لك، فدخل جبرائيل معهم تحت الكساء وقال لهم: إن الله عزَّ وجلَّ قد أوحى إليكم يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: والذي بعثني بالحق نبيّاً، واصطفاني بالرسالة نجياً، ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض فيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلا ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا. فقال علي عليه السلام: إذاً والله فزنا وفازت شيعتنا ورب الكعبة. فقال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا وفيهم مهموم إلا وفرَّج الله همَّه، ولا مغموم إلاَّ وكشف الله غمَّه، ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته. فقال علي عليه السلام: إذاً فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة.

ولله رد بعض من قال من الرجال في مدح علي عليه السلام حين طاف حول قبره

---

(1) سورة الأحزاب: الآية 33.

عليه السلام:

هو الشمس أو نور الضريح يلوح ... هو المسك أم طيب الوصي يفوح
وبحر ندى أم روضة حَوَت الهدى ... وآدم أم سر المهيمن نوح
وداود هذا أم سليمان بعده ... وهارون أم موسى العصى ومسيح
وأحمد هذا المصطفى أم وصيه ... علي نماه هاشم وذبيح
حبيب حبيب الله بل سرّ سرّه ... وعين الورى بل للخلائق روح
له النص من يوم الغدير ومدحه ... من الله في الذكر المبين صريح
إمام إذا ما المرء جاد بحبه ... فميزانه يوم المعاد رجيح
له شيعة مثل النجوم زواهر ... إذا جادلت تلقي العدو طريح
عليك سلام الله يا راية الهدى ... سلام سليم يغتدي ويروح

روي عن سلمان الفارسي قال: أهدي إلى النبي ﷺ قطف من العنب في غير أوانه فقال لي: يا سلمان آتيني بولدي الحسن والحسين ليأكلا معي من هذا العنب. قال سلمان الفارسي: فذهبت أطرق عليهما منزل أمهما فلم أرهما، فأتيت منزل أختهما أم كلثوم فلم أرهما، فجئت فخبَّرت النبي ﷺ بذلك فاضطرب ووثب قائماً وهو يقول: وا ولداه وا قرة عيناه من يرشدني عليهما فله على الله الجنة. فنزل جبرائيل من السماء وقال: يا محمد علام هذا الانزعاج؟ فقال: على ولدي الحسن والحسين فإني خائف عليهما من كيد اليهود. فقال جبرائيل: يا محمد بل خف عليهما من كيد المنافقين فإن كيدهم أشد من كيد اليهود، واعلم يا محمد أن ابنيك الحسن والحسين نائمان في حديقة أبي الدحداح. فسار من وقته وساعته إلى الحديقة وأنا معه حتى دخلنا الحديقة، وإذا هما نائمان وقد اعتنق أحدهما الآخر وثعبان في فِيهِ طاقة ريحان يروح بها وجهيهما، فلما رأى الثعبان النبي ﷺ ألقى ما كان في فِيهِ وقال: السلام عليك يا رسول الله، لست أنا ثعباناً ولكني ملك من ملائكة الله الكروبين غفلت عن ذكر ربي طرفة عين فغضب عليَّ ربي ومسخني ثعبان كما ترى وطردني من السماء إلى الأرض ولي منذ سنين كثيرة أقصد كريماً على الله فأسأله أن يشفع لي عند ربي عسى أن يرحمني ويعيدني ملكاً كما كنت أولاً ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. قال: فجثى النبي ﷺ يقبلهما حتى استيقظا فجلسا على ركبتي النبي ﷺ فقال لهما النبي ﷺ: انظرا يا ولديّ، هذا ملك من ملائكة الله الكروبين قد غفل عن ذكر ربه

(1) سورة فصلت: الآية 39.

طرفة عين فجعله الله هكذا وأنا مستشفع إلى الله تعالى بكما فاشفعا له. فوثب الحسن والحسين عليهما السلام فأسبغا الوضوء وصلّيا ركعتين وقالا: اللهم بحق جدنا الجليل الحبيب محمد المصطفى، وبأبينا علي المرتضى، وبأمنا فاطمة الزهراء إلا ما رددته إلى حالته الأولى. قال: فما استتم دعاؤهم وإذا بجبرائيل قد نزل من السماء في رهط من الملائكة وبشّر ذلك الملك برضى الله عليه وبرده إلى سيرته الأولى. ثم ارتفعوا به إلى السماء وهم يسبّحون الله تعالى. ثم رجع جبرائيل عليه السلام إلى النبي ﷺ وهو مبتسم وقال: يا رسول الله إن ذلك الملك يفتخر على ملائكة السبع السماوات ويقول لهم: من مثلي وأنا في شفاعة السيدين السبطين!؟.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فلينذب النادبون، ولمثلهم فلتذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

أسهر طرفي وأنحل البدنا ... واجتاح صبري وزادني حزنا
وحوّل القلب من مساكنه ... وصيّر النائبات لي سكنا
ذكر غريب الطفوف يوم سرى ... بالأهل والمال يعنف البدنا
إلى الذي كاتبوه واجتهدوا ... أن يقتلوه ويخرّبوا الوطنا
فحين لما أتى مخبرهم ... بأنه قد أجابهم ودنا
تألبوا للقتال واجتهدوا ... واتخذوا دون ربهم وثنا
فقال مولاي: لا أبا لكم ... لم خنتم عهدنا وموثقنا
أما كتبتم إليَّ أنكم ... من بعض أنصارنا وشيعتنا
قالوا له: كف ما لنا كتب ... ولا بعثنا بأن تُقاربنا
لكن زوّرت ما أتيت به ... تريد يا ابن البتول تخدعنا
نسيت في يوم بدر ما صنعَتْ ... كف عليٍّ وفي حنين بنا
أباد أبطالنا بصارمه ... وقدَّ بالمشرفي ساداتنا
فاصبر لأخذ الحقوق منك فقد ... أوقعك الدهر في مخالبنا
فقال لي: صبراً على جلادكم ... فالله حرب لمن يُحاربنا
إن قيل من أشرف الورى نسباً ... وأصبر العالمين قلت: أنا

(1) القصيدة للشيخ عبد الله بن داود الدرمكي.

أنظر إلى ماء الفرات كيف به ... الخنزير والكلب يمرُغ البدنا
ولم أذق منه شربة وإذا ... سطوت في الحرب ما ونيت أنا
إن كان أغررتم بكثرتكم ... فلا نولّي إذاً لقلّتنا
واصطف القوم للقتال معاً ... وكلّ ضد لضدّه كمنا
وامتد جنح القيام بينهما ... فما ترى العين للنهار سنا
ما كان إلا هنيئة فإذا ... السبط وحيد وما له قرنا
ينظر أصحابه على ظما ... بين ذبيح وطائح طُعنا
قد صُبِغَ التُرب من دمائهم ... وما غنوا عن الحسين غِنا
فقال: وا حسرتان لفقدكم ... فرّقنا الدهر بعد إلْفَتِنا
وأمّ نحو الخيام مبتدراً ... ودمع عينيه يحرق الردنا
يقول: ودعتكم إلاهكم ... يا أهل بيتي أرى الفراق دنا
فالتاح للطاهرين منطقة ... منكسر القلب باكياً حزنا
فأقبلت زينب تقول له: ... في يد مَن يا حسين تتركنا
أراك يا ابن البتول منكسر ... بمثل هذا الكلام تزعجنا
فقال: أنصارنا غدوا زمراً ... وانتهكت بالطفوف حُرمتنا
أوصيك خيراً إذا قتلت فلا ... تقاربوا كل من يدنسنا
فنشركم للشعور نكرهه ... وشقكم للجيوب يوكسنا
نحن بنو المصطفى وعترته ... والله قد عزّنا وشرّفنا
فاستعلى الصبر دائماً أبداً ... فالصبر في النائبات شيمتنا
قالت: عزيز عليّ يا أملي ... صبري على حزننا وغربتنا
من ذا يفك الأسير بعدك أو ... يكفل أيتامنا ويؤنسنا
ويشترينا ببذل مهجته ... أو يتقي الله عن هضيمتنا
فضمها رحمة وقبّلها ... وقال: سيري إلى مضاربنا
فمذ رأته النساء يلثمها ... وهي تناديه وا شقاوتنا
مالوا إلى جزهم شعورهم ... وأكثروا من مقال وا حزنا
فانتحب السبط رحمة لهم ... وقال: للنائبات مقدمنا

لا تحرقوني بدمعكم فلقد ... أُبيح للمعضلات جانبنا
والله ضربُ السيوف في جسدي ... أهون من ذلّنا وشهرتنا
أخاف بعد الخدور تنهتكوا ... في يد من خاننا وخادعنا
قالوا له: يا حسين راجعهم ... لعلهم يعرفون موضعنا
ويوصلونا بشربة فلقد ... أحرق حرّ الأوام مهجتنا
قال: عسى الله وانثنى عجلاً ... يقول: هل ناصر فينصرنا
هل فيكم محسن نلوذ به ... هل فيكم راحم فيرحمنا
نموت يا قوم بينكم عطشاً ... ما تحذروا الله في تعطُّشنا
قالوا له: يا حسين مت ظمأ ... لا تعترينا ولا تماطلنا
نسقيك طعن الرماح في عجل ... وأوجع الضرب من صوارمنا
ودارت القوم حوله حلقاً ... كل يناديه صرت في يدنا
وانتهبوا بالنبال جثته ... وخبطوا من دمائه الذقنا
وجاءه الشمر مسرعاً عجلاً ... ورجله فوق منكبيه ثنى
فأقبلت زينب تقول له ... يا شمر يا شمر خلّ سيّدنا
يا شمر نفديه النفوس فإن ... قتلته فالمصاب يقتلنا
يا شمر در الحسام عن دمه ... وفي جنان غداً تجاورنا
فقال: خلوا لكم جنانكم ... لا أبتغي دون قتله ثمنا
وميّز الرأس ثم شال به ... قابض منه بكفه الأُذنا
وخلّف الجسم عارياً شحباً ... من حركات الحياة قد سكنا
فلو ترى فاطماً تقبله ... أصابعه من دمائه الردنا
قائلة: يا أخي مصابك قد ... أسهر أجفاننا وأنحلنا
عزَّ على جدنا ووالدنا ... وأمنا أن ترى وعمتنا
إذ كل شخص تراه يسلبنا ... وبعد سلب الثياب يضربنا
وإن يروك الغداة منجدلاً ... معفراً في التراب مرتهنا
يا عمتاه قربوا جهازهم ... ما تنظري في جوار سيدنا
قالت: فما حيلتي وخيلهم ... تجري على صدره وتدفعنا

لكن تنادي عليه وابتدرت تقول: يا قوم مَن يكرُمنا
غريب مقتول ما له أحد من ذا على دفنه يساعدنا
من يكسب الأجر، من يلحده ومن يعبي الحنوط والكفنا
فلم يجبها من الورى أحد فقالت: الغوث من مصيبتنا
أودعتك الله يا حسين متى يا سيدي باللقا تواعدنا
وزينب في النساء قائلة: أين مراد المنافقين بنا
لم يكفهم ذلّنا وغربتنا فالشتم والضرب فوق عاتقنا
يسيِّرونا على المطي بلا سترٍ وفي كسبهم براقعنا
يا ويلهم ما أشد كفرهم ما يرحمونا لوجه خالقنا
يا حادي العيس لا رحمت فكم في السير يا ابن الزنيم تعنفنا
كم نطلب الرفق ما نحصِّله والرأس فوق القناة يقدمنا
وا ذلّنا بعدهم وغربتهم وا طول تشتيتنا ومحنتنا
يا آل بيت النبي رزءكم أنحل أبداننا وأزعجنا
قد حوّل الكل من مسرتنا وقبل آن المشيب شيبتنا
ولا رحم الله من معي لكم في الظلم قدماً ومن عليه بنا
ويل ابن سلمى وويل صاحبه قد فتنا العالمين وافتتنا
فلعنة الله لا تزال على روحيهما عدّ من قصى ودنا
ومن توالاهما ومال إلى قوليهما وإليهما ركنا
يا صفوة الله لا نظير لكم يا من بهم سميت مناً يمنى
عبدكم الدرمكي باعكم مهجته إذ نقدتم الثمنا
في قولهم لا يخاف من مسكت كفاه في حشره ولايتنا
يا آل طٰه وهل أتى وسبا ومَن إلى قصدهم توجهنا
صلّى عليكم إلٰهكم أبداً ما صاح طير وما علا غصنا

الباب الثالث

أو لا ينتبه من الضلال من رغب عن الآل، وتحمل الذنوب الثقال، أم على القلوب الأقفال، ولكن اعلموا رحمكم الله وهداكم الطريق القويم والصراط المستقيم إن أهل

البيت ومن تابعهم من الأنام لم يزالوا مضطهدين في الدنيا إلى يوم القيامة والرزايا تعمهم ليعظم لهم الثواب ويوفون بأجورهم يوم الحساب، وليس سبي الذرية وقتل العترة النبوية بأول منكر نهض أهل الشنآن إليه وحملهم الشيطان عليه، بل تقدمته أحوال كانت له كالأساس وترتب عليها هذا الرزء، فكان أعظم منها على الناس.

روي أنه لما جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر وكلّمته في أمر فدك والعوالي، قال لها: يا بنت رسول الله ما أرَثكي أبوك لا درهماً ولا ديناراً وأنه قال: الأنبياء لا يُورثون، فقالت له: يا أبا بكر إن فدكاً والعوالي قد وهبهما لي أبي رسول الله ﷺ. فقال لها: من يشهد لك بذلك؟ فجاء علي فشهد لها بذلك، ثم جاءت أم أيمن فقالت: يا أبا بكر إن السماء تشهد إني من أهل الجنة وإني ما أقول إلا حقاً وإني أشهد أن رسول الله ﷺ أعطى فدكاً والعوالي لابنته فاطمة. فقال أبو بكر: يا بنت رسول الله صدق علي وصدقت ولكن رسول الله يدفع إليكم من فدك والعوالي قوتكم ويقسم الباقي على المؤمنين من أصحابه وينفق الباقي في سبيل الله، وأنت فما تصنعين بها؟ فقالت: وأنا أصنع بها ما كان يصنع بها أبي. فارتج الأمر بينهم وغضب أبو بكر من قولها وخرجت فاطمة الزهراء غضبانة عليه إلى أن قضت نحبها وصارت إلى ربها في المدة القليلة. ولم تزل فدك والعوالي في أيديهم إلى أن ولّى الأمر معاوية بن أبي سفيان فاقتطع مروان بن الحكم ثلثها واقتطع يزيد بن معاوية ثلثها، ولم يزالوا يتداولونها إلى أن انحصرت كلها في يد مروان بن الحكم في أيام خلافته فوهبها مروان لوالده عبد العزيز لابنه عمر. فلما تولى الأمر عمر بن عبد العزيز كانت فدك أول ظلامة ردها على أهل بيت رسول الله ﷺ ورفع السب عن علي عليه السلام. ثم أن عمر بن عبد العزيز دعا بعلي بن الحسين عليه السلام فدفع فدك إليه وصارت فدك بيد أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام مدة خلافة عمر بن عبد العزيز. فلما توفي وصار الأمر إلى بني أمية جعلوا يتداولونها إلى أن نقلت الخلافة عنهم. فلما آل الأمر إلى السفاح ردها إلى أهل البيت، ثم غصبها منهم موسى بن المهدي وأخوه هارون الرشيد. ولم تزل في أيدي بني العباس إلى أن آل الأمر إلى المأمون فردها إلى نسل فاطمة عليهم السلام.

قال صاحب الحديث: فلما جلس المأمون تخت المُلك وقعت في يده قصة فدك، فنظر إليها طويلاً وبكى وقال لبعض غلمانه: ادعي لي أولاد فاطمة. فقدم إليه شيخ كبير علوي من نسل فاطمة عليها السلام فجعل العلوي يناظر المأمون ويباحثه فيها والمأمون يحتج عليه والعلوي يحتج المأمون إلى أن حصحص الحق، فأمر المأمون له بها وأمر

القاضي أن يسجلها. فلما كتب السجل وقرأ عليه الواقعة استحسنه، ولم تزل فدك في أيدي أولاد فاطمة عليها السلام إلى سلطنة المتوكل من بني العباس وقد تبقى من نخل فدك أحد عشر نخلة من غرس رسول الله ﷺ وكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها ويحفظونه عندهم في مدينة الرسول ﷺ، فإذا قدم الحاج إلى المدينة أهدوا إليهم ثمراً من غرس رسول الله ﷺ فيتبركون به ويأخذونه إلى بلادهم وأهاليهم ثم يوصلون أولاد فاطمة عليها السلام نفقة من الدراهم والدنانير فيصير إليهم من ذلك مال جزيل فيتعيشون به طول سنتهم وذلك كله من بركات رسول الله ﷺ. ولم تزل بركات رسول الله ﷺ إلى آخر الدهر.

فانظروا يا أهل العقول والأفهام إلى فعل هؤلاء الكفرة اللئام كيف تطاولت أيديهم على غصب ميراث ابنة رسول الملك العلام وابنة خيرة الله في الأنام، واستمر ظلمهم لفاطمة إلى الذرية والعترة النبوية فشردوهم في أطراف البلاد وقتلوا منهم الآباء والأجداد والأبناء والأولاد، وسبوا حريمهم على الأقتاب بالمذلّة والاكتئاب ولم يخشوا من أهوال يوم الحساب، فلعنة الله تغشاهم أجمعين إلى يوم الجزاء والدين.

روي عن عبد الله بن عامر قال: لما أتى نعي الحسين عليه السلام إلى المدينة خرجت أم أسماء بنت عقيل بن أبي طالب في جماعة من نسائها حتى انتهت إلى قبر رسول الله ﷺ فلاذت به وشهقت عنده ثم التفتت إلى المهاجرين والأنصار وهي تقول:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ... يوم الحساب وصدق القول مسموع
خذلتم عترتي أو كنتم غيباً ... والحق عند ولي الأمر مجموع
أسلمتموهم بأيدي الظالمين فما ... منكم له اليوم عند الله مشفوع
ما كان عبد غداة الطف إذ حضروا ... تلك المنايا ولا عنهن مدفوع

قال: فما رأينا باكياً ولا باكية أكثر ما رأينا ذلك اليوم.

وفي الخبر عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم أُحد شُجّ النبي ﷺ في وجهه، وكسرت رباعيته، فقام ﷺ رافعاً يديه يقول: إن الله تعالى اشتد غضبه على اليهود إذ قالوا العزير ابن الله، واشتد غضبه على النصارى إذ قالوا المسيح ابن الله، وإن الله قد اشتد غضبه على من أراق دمي وآذاني في عترتي ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، ألا وأن الجنة محرمة عليهم أجمعين.

كما جاء بذلك الخبر عن سيد البشر حيث قال: حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وقاتلهم والمعترض عليهم، والساب لهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا

(1) سورة هود: الآية 18.

يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم. ألا وعلى محبي أهل البيت رحمة الله وبركاته ولهم في الحياة الدنيا والآخرة كما وردت به الأخبار عن المكرمين الأبرار، فعن رسول الله ﷺ: «حبنا أهل البيت يكفر الذنوب ويضاعف الحسنات وإن الله تعالى ليتحمل عن محبينا أهل البيت ما عليهم من مظالم العباد إلا ما كان منهم فيهم على إصرار وظلم للمؤمنين فيقول للسيئات: كوني حسنات».

وعن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمه لنا عبادة، وكتمان سره جهاد في سبيل الله. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: يجب أن يكتب هذا الحديث بماء الذهب.

وعنه عليه السلام أنه قال: رحم الله شيعتنا إنهم أوذوا فينا ولم نؤذ فيهم، شيعتنا منا، قد خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم مصابنا وتبكيهم أوصابنا ويحزنهم حزننا ويسرهم سرورنا، ونحن أيضاً نتألم لتألمهم ونطلع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا ولا نفارقهم لأن مرجع العبد إلى سيده ومعوله على مولاه، فهم يهجرون من عادانا، ويجهرون بمدح من والانا، ويباعدون من آذانا، اللهم أحيي شيعتنا في دولتنا وابقهم في ملكنا، اللهم إن شيعتنا منا ومضافين إلينا فمن ذكر مصابنا وبكى لأجلنا أو تباكى استحى الله أن يعذبه بالنار.

فيا لك مقتولاً أُصيب بقتله ... ملائكة الرحمٰن والجن معهم
ويا لك من رزء عظيم إذا به ... تُقاس الرزايا كلها فهو أعظم
ويا لك من يوم مهول تزلزلت ... له الأرض والأطيار بالجو حوم
ويا لك من حزن كان مذاقه ... على شيعة المختار صاب وعلقم

روي عن عبد الله بن العباس قال: كنا مع رسول الله ﷺ وإذا بفاطمة الزهراء قد أقبلت تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا فاطمة؟ فقالت: يا أبة إن الحسن والحسين قد غابا عني هذا اليوم وقد طلبتهما في بيوتك فلم أجدهما ولا أدري أين هما، وأن علياً راح إلى الدالية منذ خمسة أيام يسقي بستاناً له. إذ أبو بكر قائم بين يدي النبي ﷺ فقال له: يا أبا بكر أطلب لي قرة عيني. ثم قال: يا عمر ويا سلمان ويا أبا ذر ويا فلان ويا فلان، قوموا فاطلبوا قرة عيني. قال: فأحصينا على رسول الله ﷺ أنه وجَّه سبعين رجلاً في طلبهما، فغابوا ساعة ورجعوا ولم يصيبوهما، فاغتم النبي غماً شديداً فوقف عند باب المسجد وقال: اللهم بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفيك إن كان قرتا عيني وثمرتا فؤادي أخذا براً أو بحراً فاحفظهما وسلمهما من كل سوء يا أرحم الراحمين. فإذا بجبرائيل

عليه السلام قد هبط من السماء وقال: يا رسول الله لا تحزن ولا تغتم فإن الحسن والحسين فاضلان في الدنيا والآخرة وقد وكّل الله بهما ملكاً يحفظهما إن ناما أو قعدا أو قاما، وهما في حظيرة بني النجار. ففرح النبي ﷺ بذلك وسار وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله والمسلمون من حوله حتى دخلوا حظيرة بني النجار، وذلك الموكل بهما قد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما وعلى كل واحد منهما دراعة من صوف والمداد على شفتيهما، وإذا الحسن معانق الحسين وهما نائمان، فجثى النبي ﷺ على ركبتيه ولم يزل يقبّلهما حتى استيقظا، فحمل النبي ﷺ الحسين عليه السلام وحمل جبرائيل الحسن عليه السلام وخرج النبي ﷺ من الحظيرة وهو يقول: معاشر الناس، اعلموا إن من أبغضهما فهو في النار، ومن أحبهما فهو في الجنة، ومِنْ كرمهما على الله تعالى سماهما في التوراة: شبراً وشبيراً.

فيا إخواني هذا والله الشرف الرفيع، والفضل المنيع، والمجد الفاخر، والنور الزاهر، والعنصر الطيب الطاهر.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[1]:

إبك ما عاشت بالدموع الغزارى ... لذراري محمد المختار
شرّدوا في البلاد شرقاً وغرباً ... وخَلَت منهم عِراص الديار
وغزتهم بالجند أرجاس حقد ... بغليل من الصدور الحِرار
وكأني بهم عطاشاً يسقون ... كؤوس الردا بحدّ الشِفار
وكأني أرى الحسين وقد نكس ... عن سرجه تريب العذار
وهوى شمر اللعين عليه ... ففرى رأسه بماضي الجِمار
ثم علاه في السنان (سنان) ... يتلألأ كضوء شمس النهار
وكأني بالطاهرات وقد ... أبرزن للسبي من سجوف الديار
وكأني بزينب إذ رأته ... وهو ملقى على الجنادل عار
سقطت دهشة ونادت بصوت ... يترك الصخر ذكره ذا انفطار
يا أخي لا حييت بعدك بل لا ... نعمت مقلتي بطيب القرار

(1) القصيدة للشيخ ابن حماد رحمه الله تعالى.

أبرزت للسباء منا وجوه ... طال ما صينتها عن الأبصار
يا أخي لو ترى سكينة قد ... ألبسها اليُتم حلة الانكسار
لو تراها تُخمِّر الرأس بالكمّ ... حياءً مِن بعد سلب الخِمار
تستر الوجه باليمين وقد ... تمسك حزناً أحشاءها باليسار
كلما حث حادي العيس بالسير ... وحَدَت في حداتها باشتهار
هتفت: عمتاه ما لي أرى ... السائق مستعجلاً يحثُّ القطار
عمتاه ليته يرفق بالسير ... فأعطيه دملجي وسواري
وعزيز على أبي لو أبي يراني ... أتلافاه خيفة وأداري
لعن الله ظالميكم من الناس ... معاً بالعشي والإبكار
لو درى زائر الحسين بما ... أوجبه ذو الجلال للزوار
فلهم عفوه ورضوانه عنهم ... وحطّ الذنوب والأوزار
وتناديهم الملائكة قد أعطيتهم ... الأمن من عذاب النار
بشِّروهم بأنهم أوليائي ... في أماني وذمّتي وجواري
وخُطاهم محسوبة حسنات ... هبة من إلٰهنا الجبَّار
وعليهم أخلاف ما أنفقوه ... ضعف من درهم ومن دينار
فإذا زرته فزده بأخبار ... ونسك وخشية ووقار
وادعي من يسمع الدعاء من ... الزائر في جهره وفي الإسرار
ويردّ الجواب إذ هو حي ... لم يمت عند ربه الغفار
ثم طف حول قبره والتثم ... تربة قبر معظَّم المقدار
فيه تفاحة النبي وعلي ... وابن برٍ وخامس الأبرار
وهو خير الورى أباً ثم أماً ... وأبو السادة الهداة الحيار
جده المصطفى وولده الهادي ... علي مَن مثله في الفخار
سبط الحمى بلحمهم ودمي ... فهو محل الشعار ثم الدثار
فعليهم صلى المهيمن ما غرّد ... طير على ذرى الأحجار
وأنا الشاعر ابن حماد الناظم ... فيهم قلائد الأشعار

* * *

المجلس الثالث

من الجزء الثاني، في الليلة السابعة من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها الإخوان، كيف تُخفى زفرات الأحزان، أم كيف تُطفى لهفات الأشجان، وقد جرى ما جرى لسادات الزمان، تقطَّع منهم الأوصال، ويجدلون على الرمال، ويجرعون كؤوس الحتوف بأرض الطفوف، وتُجر نساءهم سبايا على أقتاب المطايا، فوا عجباه من تلك القلوب القاسية والنفوس الملعونة العاصية، أما اختبروهم أنهم ودايع الرحمٰن، أما سمعوا مدحهم في محكم القرآن، فيا ويل من تجرأ على أمرائه وساداته الذين هم أصل دينه وهداته، فبالله عليكم أيها الإخوان أطيلوا البكاء عليهم وعجُّوا بالابتهال في قبول الطاعات عند ذي الجلال إليهم، وأسيلوا الدموع الهتان، وأكثروا النوح والأحزان، وكيف لا تشبُّ نار أشجاني من ضلوعي كلما قرحت أجفاني سواكب دموعي.

وحقك لا ترى بي من ملال ... ولا يثني عناني عنك ثاني

كفاني أن دمعي فيك حار ... وحسبي أنني بهواك عاني

روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما خرج أمير المؤمنين إلى حرب صفين فلم يزل سائراً حتى إذا كان قريباً من كربلا على مسيرة ميل أو ميلين تقدم يسير أمام الناس حتى إذا صار بمصارع الشهداء رضوان الله عليهم قال: أيها الناس، اعلموا أنه قُبض في هذه الأرض مائتا نبي ومائتا سبط من أولاد الأنبياء كلهم شهداء وأتباعهم معهم استشهدوا معهم. ثم أنه عليه السلام طاف على بغلته في تلك البقعة ومع ذلك خارج رجليه من الركاب وهو يقول: هنا والله مناخ ركاب ومصارع شهداء لا يسبقهم بالفضل من كان قبلهم ولا يلحقهم من كان بعدهم. ثم نزل عليه السلام وجعل يبكي وهو يقول: آه وا حزناه ما لي وما لآل بني سفيان، وما لي وما لآل حرب حزب الشيطان، صبراً صبراً يا أبا عبد الله، لقد لقى أبوك منهم مثل ما تلقى منهم. ثم أنه توضأ وصلى ثم ذكر كلامه الأول، ثم نعس فخفق خفقة وانتبه وهو يقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال له ابن عباس: رأيت رؤيا

إنشاء الله تعالى خير، فقال له: يا ابن عباس رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء وهم مقلدين بسيوفهم ومعهم أغلام بيض وقد خطوا حول هذه الأرض خطة، ثم رأيت كأن هذا النخل قد ضربت بأغصانها الأرض وصارت تضطرب بدم عبيط وكأني بالحسين ولدي ونجلي وقومي ومضغتي يستغيث فلا يُغاث ويستجير فلا يجار، والرجال الذين نزلوا من السماء يقولون له: صبراً صبراً يا ابن رسول الله، يا أبا عبد الله، فإنكم تقتلون على يدي أشر الناس، وهذه الجنة مشتاقة إليكم. ثم أنهم أقبلوا يعزونني بولدي الحسين ويقولون لي: صبراً صبراً يا أبا الحسن أحسن الله لك العزاء بولدك الحسين، فقد أقرّ الله به عينيك يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[1].

فيا لك من أمر فظيع على الورى ... ومن عثرة ما أن يُقال ولا تعفا
فللّه ما أعمى رجال عن الهدى ... ولله ما أقسى قلوباً وما أجفى
ولا عجباً أن يفسدوا دين أحمد ... وأن يلحدوا فيه وقد أسلموا عنفا

روي عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين؟ قلت: لا إنما أنا رجل مشهور عند أهل البصرة وعندنا من يتبع هذا الخليفة وأعداؤنا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ولست آمنهم أن يدفعوا عليّ عند ولد سليمان فيمثلوني، قال: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: بلى والله، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله وأستعبر حتى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ فأمتنع من الطعام والشراب حتى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أما أنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنوننا لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا آمنا، أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة أفضل، ولملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها. قال: ثم استعبر واستعبرت معه فقال: الحمد لله الذي فضّلنا على خلقه بالوصية وخصنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إن الأرض والسماء ليبكيان منذ قُتل أمير المؤمنين رحمة لنا وما بكى لنا من الملائكة أكثر، وما رقت دموع الملائكة منذ قُتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلاّ رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينيه، فإذا سالت دموعه على خده فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرها حتى لا يوجد لها حر، وأن الموجع قلبه ليفرح يرانا عند موته فرحة ولا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، وأن الكوثر ليفرح بمحبتنا إذا ورد عليه حتى ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه، يا مسمع من

(1) سورة المطففين: الآية 6.

شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ولم يُسق بعدها أبداً وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل أحلى من العسل وألين من الزبد وأصفى من الدمع، وأزكى من العنبر، يخرج من تسنيم ويمر بأنهار الجنان، يجري على رياض الدر والياقوت وفيه القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام، قدحاته من الذهب والفضة وألوان الجواهر، يفوح في وجه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه: ليتني تركت ها هنا لا أبغي بهذا بدلاً ولا عنه تحوُّلاً. أما أنك يا كردين ممن تروى منه وما من عين بكت لنا إلاَّ أنعمت بالنظر إلى الكوثر وسقيت منه، وإن الشارب منه ليعطى من اللذة والطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه من دونه في حبنا، وأن على الكوثر أمير المؤمنين وفي يده عصا عوسج يحطم بها أعداءنا فيقول الرجل منهم: إني أشهد الشهادتين، فيقول له: انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك، فيقول: تبرأ مني إمامي الذي تذكره، فيقول له: ارجع إلى وراءك فقل للذي كنت تتولاه وتقدمه على الخلق أن يشفع لك فإن خير الخلق حقيق أن لا ير إذا شفع، فيقول: إني أهلك عطشاً، فيقول له: زادك الله ظمأ، وزادك الله عطشاً، قلت: جعلت فداك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره؟ قال: ردع عن أشياء قبيحة وكف عن شتمنا إذا ذكرنا وترك أشياء اجترأ عليها غيره وليس ذلك لحبنا ولهوى منه لنا ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه ولما قد شغل به نفسه عن ذكر الناس، وأما في قلبه فمنافق ودينه النصب وأتباعه أهل النصب قد تولى الماضين وقدمهما على كل أحد:

وإني ليشجيني ادكاري عصابة ... بأكناف أرض الغاضريات قتيل
ومِن بينهم سبط النبي محمد ... ومهجته فوق الصعيد مجدل
وقد طحنت منه جناجن صدره ... ورُضَّ منه الرأس في الرمح يحمل
ورِحَل بني الهادي النبي الموزَّع ... تقاسمه قوم أضاعوا وبدل
رجالهم صرعى بكل تنوفة ... ونسوتهم في السبي حسرى وثُكل
وأطفالهم غرثى يمضهم الطوى ... وليس لهم برّ هنالك يكفل

فيا إخواني، حسدوهم على الكمال وجلَّ وعلا مجدهم أن يُنال، أما أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم أغروا به المرادي اللعين وأبرزوا له قطام فهواها فأبت أن تبلغ نفسه أمانيها إلا بشيء من الحطام، وقتل علي عليه السلام فتعهد بمهرها وطاوعها على أمرها، وفيه تقوَّل من تعجَّب من إقدامه وعلو مرامه:

ثلاثة آلاف وضرب وقينة ... وضرب عليٌّ بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ... ولا فتك إلاَّ دون فتك ابن ملجم

فلما كان وقت الغداة، ضربه بالسيف وهو يوقظ للصلاة، فدعاه إلى جنة فمات من ضربته، وأما الإمام الحسن عليه السلام فدسوا إليه السم فمات كما فعلوا بجده محمد ﷺ.

عن الإمام الصادق عليه السلام: أن الحسن قال لأهل بيته: إني أموت بالسم كما مات به جدي رسول الله ﷺ، قالوا: ومن يفعل ذلك؟ قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس فإن معاوية يدس إليها ويأمرها بذاك، فقالوا: أخرجها من منزلك وباعدها من نفسك، قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً، ولو أخرجتها ما قتلني غيرها وكان لها عذري عند الناس. فما ذهبت الأيام والليالي حتى بعث إليها معاوية مالاً جسيماً وجعل يُمنيها بأن يعطيها مائة ألف درهم وأيضاً يزوِّجها من يزيد، وحمل إليها شربة من السم لتسقيها الحسن. فانصرف عليه السلام إلى منزله وهو صائم وكان يوم شديد الحر، فأخرجت له وقت الإفطار شربة من لبن قد ألقت فيها ذلك السم، فشربها فقال: يا عدوة الله قتلتيني قتلك الله، والله لا تصيبين مني خلقاً ولقد غرك وسخر منك، والله يخزيه ويخزيك. فمكث عليه السلام يوماً ومضى إلى رضوان الله، فغدر معاوية بها ولم يف لها.

وأما الحسين عليه السلام فقد غروه بالمكاتيب وزخرفوا له الأكاذيب، وقالوا: أقدم على السعة والترحيب والمنزل الخصيب ونحن لك أجناد وأرقاء وعباد. فلما أناخ بساحتهم سارعوا إليه بالسيوف والرماح وصادموه في ميدان الكفاح وقالوا: لا براح ولا سعة ولا فساح، فجاهدهم بمن معه من أوليائه وبني أبيه وأحبائه، فأتوا على آخرهم وأذاقوهم الحتوف رشقاً بالنبال، وطعناً بالرماح، وضرباً بالسيوف، فيا ويحهم ما أجرأهم على سفك دم رسول الله ﷺ، ويا ويلهم ما أسرعهم إلى تقريح كبد البتول، وكأنهم قد نسوا المعاد إلى ربّ العباد.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[1]:

مَن لقلب عن الهوى في اشتعال ... ولِلبّ من الجوى في اشتغال
ولجسم من الضنا في سقام ... ولبال من العنا في وِبال
ولطرف من الأسى في سهاد ... ولدمع من البكا في انهمال
ولوجد من البلا في مقام ... ولصبر من البلا في ارتحال
أي عذر لمن يبيت خلياً ... من جوى نار قلبه غير صال

(1) القصيدة لابن السمين عليه الرحمة.

خَلِّ يا خِلّ ذا الملام فقلبي قد تخلى عن القلوب الخوالى
لا يبالي بقول حب محب في ملائم ولائم قال قالي
ما شجاه هجر الحبيب ولا فقد قرين ولا تغيُّر حال
بل شجاه مصاب آل رسول الله خير الورى وأشرف آل
ما أهّل الشهر المحرَّم إلاّ هلّ طرفي بمدمع هطال
وتمثلت ما جرى لموالٍ يتعالى مُصابهم عن مقال
كيف صبر المحب وهو يرى الأحباب من بعد عزة وجلال
وحبيب الحبيب بين قتيل وجريح وموثق بالحبال
ووجوهاً لا تنظر الشمس إلاّ حذراً أن يفوت وقت الزوال
مسفرات من بعد ستر حجاب مبديات من بعد سجف حجال
لست أنسى الحسين روحي فداه وقليل يفدى بنفسي ومالي
قائلاً للعدو ألين قول لبيان وحجة في المقال
قد عرفتم أبي وجدي وأمي وعرفتم أخي وعمي وخالي
لم جعلتم عزاء أحمد فينا بعد حسن الفِعال قبح الفِعال
ولماذا نهجتم منهج القتل ولم آت موجباً للقتال
أتروني حرَّمت غير حرام أم تروني حلَّلت غير حلال
فاهتدوا منهج الرشاد وحيدوا عن طريق الردى وسبل الضلال
واعلموا إنني الولي فيا حزن المعادي وقرحة المتوالى
وإلينا حكم المعاد جميعاً ومآل الحساب يوم المآل
فبماذا تجادلون يوم لا ينفع عند الجدال واهي الجدال
مذ تناهى قوم الإمام تناهوا في إذاء وضيّقوا في المجال
وأبادوا الأبرار من حزبه الأخيار فتكاً بالمرهفات الصقال
بددوا جمعهم ببيض قصار ونِصال زرق وسُمر طوال
لست أنساه بعد قتل أحباه وقتل الفرسان والأبطال
قاصداً منهج الخيام إلى الفسطاط هوناً موصياً للعيال
أجملوا الصبر آل بيت رسول الله فالأجر فيه للإجمال

أخت طفلي الصغير أوصيك فيه ... دون كل العيال والأطفال
ناوليني كي أزوده منه ... ناظري بالوداع قبل ارتحال
فأتته به وكان محياه ... منيراً يفوق نور الهلال
فرآه والجسم يذوي ذبولاً ... وهو ظامي وحاله غير حال
عندها قال والجوى في اتقاد ... ليس يطفى ودمعه في انهمال
أين من يرحم الصغير ويطفي ... حر صدر ببرد ماء زلال
طلب الماء منهم فسقوه ... من كؤوس المنون ماء وِبال
ورماه رام بسهم مشؤوم ... جاء في نحره العزيز المثال
فملأ من دمائه راحتيه ... قائلاً: في سبيل رب الجلال
وأتته النبال من كل وجه ... وهو لا يختشي لوقع النبال
عندما حان حينه وأتاه ... الأجل المرتضى من الآجال
خرّ مُلقى عن مهره في هبوط ... من ثراه وقدّه في نِفال
وغدا مهره إلى الأهل ينعاه ... بشجو وسرجه منه خالي
فابتدرن النساء يندبن ندباً ... بضروب التعويل والإعوال
لهف قلبي وقد مررن بمثواه ... قتيلاً ملقى بتلك التلال
رضّ منه صدر وخر كريم ... وهو عاري السربال والسروال
فتصارخن صرخة رجّت الأعداء ... منها وأيقنوا في الوبال
وبكت أعين السماء دماء ... وسفت بالرماد ريح الشمال
لهف قلبي لأم كلثوم تنعاه ... بقلب الجمر البين صالي
وتناديه يا أخي يا مآلي ... ومآل الرجال والآمال
يا أخي يا مؤملي يا منيلي ... ومنيل السؤال قبل السؤال
بأبي جسمك السليب لباساً ... وعليه ملابس من رمال
بأبي رأسك المعلى يفوق البدر ... في تَمُّه أوان الكمال
يا أخي لو رأيت ابنك في الأسر ... وثقل القيود والأغلال
يا أخي لو رأيتنا كيف نسري ... في الفيافي على ظهور الجمال
سلبوا لباسنا حيث لا نستر ... عن أعين النساء والرجال

بعدما أضرموا الضرام وشنوا غارة في خيامنا والرِحال
ورمونا عن قوس حقد قديم وحديث بأسهم في نكال
حيث وصيتنا بصبر جميل في جميع الأمور والأحوال
فعلى الصبر قد جعلت اعتمادي وعلى الأجر قد جعلت اتكالي
يا ذوي الحجر والطواسين والرعد وأهل الأنعام والأفضال
لكم يا بني علي علاء في وداد وسؤدد في كمال
ومحل في رفعة ومعال في فعال وعزَّة في جلال
وبهاء في بهجة وضياء في تلال ورونق في جمال
ومغان رضعن در المعاني ومعان رضعن در المعالي
فلهذا إن قيل فيكم نظام قيل هذا جواهر أم لئالي
ولهذا قد زان نظماً بمدح في علاكم فتى السمين الموالي
أنتم الحرز والذريعة والذخر غداً يوم حشره والمآل
يوم لا ظلّ في القيامة إلا ظلكم فاسكنوه تحت الظلال
فعليكم من الإله صلاة جمة بالغدو والآصال

الباب الثاني

نوحوا أيها المحبون لآل الرسول على مصاب أبناء الزهراء البتول، وابكوا عليهم بالدموع السجام لأنهم الهداة الأعلام وأئمة أهل الإسلام، فلا خير والله في البكاء على الأطلال الخالية ولا خير والله في الحزن على الرمم البالية، ولا فضيلة والله في البكاء على الآباء والأجداد والأبناء والأولاد، ما لم يكن على مصاب العترة النبوية والذرية العلوية.

كما ورد في الخبر عن سيد البشر أنه قال: من ذكرنا عنده فبكى لمصابنا وحزن لما نابنا من نوب الدهر غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وفي الخبر أيضاً عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة أو دمعت عيناه فينا دمعة إلا بوأه الله في الجنة حقباً. وعنهم عليهم السلام أنهم قالوا: من بكى وأبكى ولو واحداً ضمنا له على الله الجنة، ومن لم يتأت له البكاء فتباكى فله الجنة. فهذه يا إخواني النعمة العظمى والفضيلة الكبرى، وفّقنا الله وإياكم للأجر العظيم والثواب الجسيم والخلود في جِنان النعيم مع محمد وأخيه وعترته وذراريه:

حتى متى وإلى متى تتصبر ... فلمثل هذا اليوم دمعك يذخر
اليوم فلتذهب النفوس كآبة ... وعلى الخدود من المحاجر تقطر
وجدي يزيد وحسرتي ما تنقضي ... وجواً يحل ومدمع يتحدر
ظفرت علوج أمية بإمامنا ... ظفراً تكاد له الصخور تفجر
قُتِل الحسين فيا سماء تفطري ... فلمثل مصرعه المرائر تُفطر
ومن العجائب أن مولانا اشتكى ... ظمأ وفي كلتا يديه أبحر
أخذ الحسين بكفه طفلاً له ... عطشان من فرط الظما يتضوّر
خرجت سكينة والحسين مرمل ... دامي الترائب والجبين معفر
فغدت تعفّر وجهها بدمائه ... وتقول: وا كرباه مثلك يُنحر
وغدت تناجي جدها وتقول: قد ... حكمت بنا قوم عتوا وتجبروا
يا آل أحمد ما رأينا نكبة ... إلاّ ونكبتكم أجّل وأكبر
صلّى الإلٰه عليكم ما غرّدت ... ورق الحمام ولان غصن مثمر

فيا ويلهم باعوا الآخرة بالأولى واستبدلوا بالأرذل الأدنى.

قيل: لما جمع ابن زياد، لعنه الله تعالى، قومه لحرب الحسين عليه السلام، كانو سبعين ألف فارس، قال ابن زياد: أيها الناس من منكم يتولى قتل الحسين وله ولاية أي بلد شاء؟ فلم يجبه أحد منهم، فاستدعى بعمر بن سعد، لعنه الله، وقال له: أريد أن تتولى حرب الحسين بنفسك، فقال له: اعفني من ذلك، فقال ابن زياد: قد أعفيتك يا عمر فاردد علينا عهدنا الذي كتبناه إليك بولاية الري، فقال عمر: أمهلني الليلة، فقال له: قد أمهلتك. فانصرف عمر بن سعد إلى منزله وجعل يستشير قومه وأخوانه ومن يثق به من إخوانه، فلم يشر عليه أحد بذلك. وكان عند عمر بن سعد رجل من أهل الخير يقال له: كامل، وكان صديقاً لأبيه من قبله، فقال له: يا عمر ما لي أراك بهيئة وحركة فما الذي أنت عازم عليه؟ وكان كامل كاسمه ذا رأي وعقل ودين كامل، فقال له ابن سعد لعنه الله: إني قد ولّيت أمر هذا الجيش في حرب الحسين، وإنما قتله عندي وأهل بيته كأكلة آكل أو كشربة ماء وإذا قتلته خرجت إلى مُلك الري، فقال له كامل: أف لك يا عمر بن سعد تريد تقتل الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ، أف لك ولدينك يا عمر، أسفهت الحق وضلّلت الهدى؟ أما تعلم إلى حرب من تخرج ولمن تقاتل، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون والله لو أعطيت الدنيا وما فيها على قتل رجل واحد من أمة محمد لما فعلت، فكيف تريد قتل الحسين ابن

بنت رسول الله وما الذي تقول غداً لرسول الله إذا وردت عليه وقد قتلت ولده وقرّة عينه وثمرة فؤاده وابن سيدة نساء العالمين وابن سيد الوصيين وهو سيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين، وأنه في زماننا هذا بمنزلة جده في زمانه، وطاعته فرض علينا كطاعته، وإنه باب الجنة والنار، فاختر لنفسك ما أنت مختار وإني أشهد بالله أن من حاربته أو قتلته أو أعنت عليه أو على قتله لا يلبث في الدنيا بعده إلا قليلاً. فقال له عمر بن سعد: فبالموت تخوِّفني وإني إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف فارس وأتولى ملك الري؟ فقال له كامل: إني أحدثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفقت لقبوله، اعلم أني سافرت مع أبيك سعد إلى الشام، فانقطعت بي مطيتي عن أصحابي وتهت وعطشت فلاح لي دير راهب فملت إليه ونزلت عن فرسي وأتيت إلى باب الدير لأشرب فاء، فأشرف عليَّ راهب من ذلك الدير وقال: ما تريد؟ قلت له: إني عطشان، فقال لي: أنت من أمة هذا النبي الذي يقتل بعضهم بعضاً على حب الدنيا مكالبة ويتنافسون فيها على حطامها؟ فقلت له: أنا من الأمة المرحومة أمة محمد ﷺ، فقال: إنكم أشر أمة فالويل لكم يوم القيامة وقد عدوتم إلى عترة نبيكم تسبون نساءه وتنهبون أمواله، فقلت له: يا راهب نحن نفعل ذلك؟ قال: نعم، وإنكم إذا فعلتم ذلك عجت السماوات والأرضون والبحار والجبال والبراري والقفار والوحوش والأطيار باللعنة على قاتله، ثم لا يلبث قاتله في الدنيا إلاَّ قليلاً، ثم يظهر رجل يطلب بثأره فلا يدع أحداً أشرك في دمه إلا قتله وعجل الله بروحه إلى النار. ثم قال الراهب: إني لا أرى لك قرابة من قاتل هذا ابن الطيب والله إني لو أدركت أيامه لوقيته في نفسي من حر السيوف. فقلت: يا راهب إني أعيذ نفسي أن أكون ممن يقاتل ابن بنت رسول الله، فقال: إن لم تكن أنت فرجل قريب منك وإن قاتله عليه نصف عذاب أهل النار، وإن عذابه أشد عذاباً من عذاب فرعون وهامان، ثم رد الباب في وجهي ودخل يعبد الله تعالى وأبى أن يسقيني الماء. قال كامل: فركبت فرسي ولحقت أصابي، فقال لي أبوك سعد: ما أبطأك عنا يا كامل؟ فحدثته بما سمعته من الراهب، فقال لي: صدقت. ثم أن سعداً أخبرني أنه نزل بدير هذا الراهب مرة من قبل فأخبره أنه هو الرجل قاتل ابن بنت رسول الله، فخاف أبوك سعد من ذلك وخشي أن تكون أنت قاتله فأبعدك عنه وأقصاك. فاحذر يا عمر أن تخرج عليه فيكون عليك نصف عذاب أهل النار. قال: فبلغ الخبر إلى ابن زياد فاستدعا بكامل وقطع لسانه فعاش يوم أو بعض يوم ومات رحمه الله تعالى.

وروي أن علي بن أبي طالب عليه السلام لقي عمر بن سعد يوماً فقال له: كيف

تكون إذا قمت مقاماً تتخير فيه بين الجنة والنار فتختار لنفسك النار؟ فقال له: معاذ الله أيكون ذلك؟ فقال له عليه السلام: سيكون ذلك بلا شك.

قال الراوي: ثم أن عمر بن سعد نزل على شاطىء الفرات فحالوا بين الحسين وبين الماء حتى كظهم العطش، فأخذ الحسين عليه السلام فأساً وجاء إلى وراء الخيمة ـ خيمة النساء ـ فحفر قليلاً فنبع الماء فشرب وأسقى حرمه وأطفاله وجميع أصحابه وملأ القرب وأسقى الخيل ثم غار الماء، فعلم الحسين عليه السلام أنه آخر ماء يشربه.

باعوا بدار الفنا دار البقا وشروا ... نار اللظى بنعيم غير منتقل
يا حسرة في فؤادي لا انقضاء لها ... يزول أُحد ورضوى وهي لم تزل
بنات أحمد في الأسفار سافرة ... وجوهها وبنو سفيان في الكلل
يحملن من بعد ذاك العزّ وا حزني ... أسرى حواسر فوق الأنيق الذلل
والرأس يحمله الباغي سنان على ... سنان لدن أصم الكف معتدل
مصيبة بكت السبع الشداد لها ... دماً ورزء عظيم غير محتمل

نقل أن علي بن الحسين عليهما السلام كان عمره يوم قتل أبوه عشر سنين، أو أحد عشر سنة، فدخل جامع بني أمية في يوم الجمعة واستأذن الخطيب أن يأذن له بالصعود على المنبر ليتكلم بكلام يرضي الله ورسوله، فأذن له، فصعد المنبر وقال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأنا ابن المذبوح بشاطىء الفرات عطشاناً، أنا ابن المقتول ظلماً بلا ذحل ولا تراث، أنا ابن من انتهك حريمه وقطع كريمه وذبح فطيمه وسلب قميصه ونهب من ماله وسبي عياله، أنا ابن من قُتل في الله صبراً وكفاني بهذا فخراً. أيها القوم، هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي ودعوتموه وأرسلتم إليه وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق وخنتموه وقلتم له: نحن أنصارك فقاتلتموه فتباً لما قدمتم لأنفسكم وسوء لكم فيما فعلتم، بأي عين تنظرون رسول الله، وبأي لسان تخاطبون به حبيب الله، إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وأهل بيتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي. قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء والنحيب من كل ناحية وقال بعضهم لبعض: أهلكتم والله أنفسكم وما تعلمون، فقال لهم زين العابدين: يا قوم رحم الله امرأ قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله ورسوله وأهل بيت رسوله، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة، قالوا بأجمعهم: قل يا ابن رسول الله فإنا لقولك سامعون ولأمرك طائعون ولذممك حافظون غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك فأمرنا بأمرك يرحمك الله، ونحن حرب لمن حاربك وسلم لمن سالمك ونبرأ

ممن ظلمكم وغصب حقكم ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]، فقال علي بن الحسين عليه السلام: هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين ما تشتهون، أتريدون أن تأتوا إليَّ كما أتيتم إلى أبي وأخي وبني عمي ووجدهم بلهاتي ومرارة مصابهم بين حناجري وغصصهم في فراش صدري وقولي هذا لكم لئلا تكونوا لنا ولا علينا، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم.

رموا بأسهم بغي عن قسي رداً ... من كف كفر رماها الله بالشلل
فغودروا في عِراص الطف قاطبة ... صرعى بحد حسام الغدر والدجل
سقوا بكأس القنا خمر الفنا فغدى ... الحمام تشدوا ببيت صار كالمثل
لله كم قمر حاقى المحاق به ... وخادر دون باب الخدر منجدل
نجوم سعد بأرض الطف آفلة ... وأسد غيل دهاها حادث الغيل
وأصبح السبط فرداً لا نصير له ... يلقى الحمام بقلب غير منذهل
يشكو الظما ونمير الماء مبتذل ... يعلُّ منه وحوش السهل والجبل
صاد يصد عن الورد المباح ومن ... وريده مورد الخطية الذبل
لهفي له عافر ملقى بلا كفن ... سوى السوافي بلا لحد ولا غسل
مترب الخد دامي النحر معفر ... الجبين بحر قضا ظام إلى الوشل
ذا دافح هدّ أركان الهدى ودها ... غرار صارم دين الله بالقلل

فانظروا يا إخواني، إلى هؤلاء الظلمة الكفرة الطغاة الحسدة، كيف انتهكوا حرمة الرسول وفتكوا في ذرية البتول بغير ذنب أذنبوه ولا جرم اجترموه، اللهم فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، وعذبهم العذاب الأليم في أسفل درك من الجحيم.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم فقال فيهم[2]:

فصلت صروف الحادثات مفاصلي ... وأصاب سهم النائبات مقاتلي

---

(1) سورة هود: الآية 18.

(2) القصيدة للشيخ مغامس رحمه الله تعالى.

قطع الزمان عرى قواي وكل ما ... قطع الزمان فما له من واصل
لا غرو من جد الزمان هزله ... عزّ النصير على الزمان الهازل
خلط الزمان غيمه بغمومه ... عذراً وشاب زلاله بزلاله
بُعداً لوصلك يا زمان فإنما ... حلواك من صاب وسم قاتل
أين الذي كانوا ونحن بقربهم ... في طيبات مشارب ومآكل
دارت رحاك عليهم فتمزقوا ... فالقوم تحت صفايح وجنادل
أفنيتهم وتركتنا من بعدهم ... بين الصديق أو العدو الخاذل
صرفت إرادتهم إليك فكلهم ... يتكالبون على النعيم الزائل
طلبوا حلاوات المعاش بجهلهم ... ونسوا مرارات الحمام النازل
فحذر زمانك يا أخي فإنها ... فعل الحزامة من صنيع العاقل
لا يخدعنك ما ترى من صفوة ... إن الخديعة مصرع للجاهل
أم كيف تعشق دهر سوء همه ... بغض المحب له وضرم الواصل
مغرى بحفظ البارعين من الورى ... بالنائبات ورفع ركن الحامل
أخنى على آل النبي محمد ... فأصيب شملهم ببين شامل
كانوا غياثاً للورى وسعادة ... وغيوث خصب في الزمان الماحل
كانوا سحائب رحمة فتقشعت ... بفجائع في كربلا وشلاشل
كانوا بدوراً يُستضاء بنورها ... وكواكباً للحق غير أوافل
فالمجد مهضوم الجِنان لحزنهم ... والدين في كرب وشغل شاغل
لهفي لمولاي الحسين وقد غدا ... بالطف بين مجالد ومجادل
لهفي له فرد أحاط برِحله ... من رامح للظالمين ونابل
لهفي له عند الشريعة يشتكي ... عطشاً وليس إلى الورود بواصل
لهفي لأنصار له قد غودروا ... في كربلا بذوابل ومناضل
لهفي له يرنوا مصارع أهله ... كملاً وإن صاروا لديه أفاضل
لهفي له يأتي الحريم مودِّعاً ... توديع من لا للحياة بآمل
لهفي له يحمي الحريم بسيفه ... من فارس يسطو هناك وراجِل
لهفي له والقوم تنهب جسمه ... عن ناقط بالذابلات وشاكل

لهفي له فوق الصعيد مُجدلاً قد خرّ يهوي عن سراة الفاضل
لهفي وقد ذُبح الحسين بسيفه والشيب مخضوب بقان سائل
لهفي وقد قطع الزنيم كريمه كفراً وقد علاه فوق الذابل
لهفي وخيلهم تُرض نعالها لأبر حاف في الأنام وناعل
لهفي لفسطاط الحسين وقد غدا نهباً وفيه بنو النبي الفاضل
لهفي لرأس ابن النبي هدية لابن الدعي على سِنان الغامل
لهفي لزين العابدين مكتفاً يكبو له يُقتاد بين عقائل
لهفي على حرم الحسين يسقنَّ في ذلّ السبا وما لهنَّ من كافل
لهفي لهنَّ وقد برزن حوسراً من بعد قصم أساور وخلاخل
لهفي لهن وقد سلبن معاجراً شعثاً وقد ركبن فوق رواحل
فدعت بعمتها الزكية فاطم بنت النبي دعا حزين ثاكل
يا عمتاه أين الحسين وما بنا بين العداة كأننا من كابل
قالت: بصرت له على عفر الثرى ومترب ما منه رجاء الآمل
متخضباً بدمائه متعفراً في القاع بين جوامع وعواسل
قال: ألا يا عمتاه وا حسرتاه لشقاء أيتام له وأرامل
يا عمتا كان الحسين يحوطنا وبه نصول على الزمان الصائل
يا عمتا كان الحسين وسيلة تُرجى وقد قطع الزمان وسائلي
يا عمتا ماذا نؤمل ومن يعتادنا بعوارف وفواضل
يا عمتا ليس الصديق بزائر أبداً وليس عدونا بمجامل
يا عمتا وا شقوتا من بعده ضغناً فليس لكلنا من حامل
فبكت وقالت زينب لا تصدعي قلبي فحزن أبيك غير مزائل
يا بنت مولاي الحسين ترفقي بحشاشة مسجورة ببلابل
فأبوك فارقني ففارقه العزا لكن حزني في أبيك مواصلي
حجب الحمام حمامه عن ناظري وخياله طول الزمان مقابل
أسفاً على نور الإلٰه وقد هوى أسفاً على الليث الهمام الباسل
أأخي إن ذهل الحزين مصابه يوماً فليس القلب عنك بذاهل

أأخي ما مدمعي عليك بجامد ... كلا ولا حزني عليك بزايلي
فبكت ملائكة السماء لبكائها ... وبكى النبي لها بدمع هائل
هذي الرزية للنبي وآله ... جلت فما رزء لها بمماثل
لم تفعل الأمم الأوائل مثلها ... هيهات ما أحد لذاك بفاعل
فعلام يا شيعتي تذخر مدمعاً ... تبكي به لمعالم ومنازل
فاحبس دموعك عن تذكر دمنة ... درست معالمها بشعبي نائل
واسمح بها في رزء آل محمد ... فعساك تحظى بالنعيم الآجل
إني إذا هلّ المحرم هاج لي ... حزن يذيب حشاشتي من داخلي
يفنى الزمان ولا أرى لمصابهم ... إلا أخاً حرق وجسم ناحل
فلعل تعذيبي بهم ألقى به ... غفران ذنب هدّ منه كاهل
يا أهل بيت محمد يا سادة ... حازوا الورى بمكارم وفواضل
أنتم أئمتنا الهداة وأنتم ... في الدين أهل فضائل وفواضل
أنتم رعات المسلمين فمن يزغ ... عنكم فليس له الإلٰه بقابل
أنتم بنوا المختار غير مدافع ... لكم ولا أحد لكم بمشاكل
وإليكم مني قصيدة شاعر ... لهج بمدحكم إليكم مائل
منظومة جاءت تزفُّ إليكم ... بكمالها من لج بحر الكامل
قول ابن داغر والمحب مغامس ... والقول برهان لعقل القائل
فتقبلوها وعجِّلوا بكرامتي ... فالنفس مولعة بحب العاجل
صلّى الإلٰه عليكم وسقاكم ... صوب الغمام بمستهل الوابل

الباب الثالث

أيها المؤمنون، أتدرون أي مزية تحصلون، وفي أي مرتبة تحلون، أنتم والله المحبورون الفائزون المجاهدون الآمنون الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾[1]. أليس في الكتاب المبين بعد إثبات الولاية لأمير المؤمنين وأولاده الغر الميامين: ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[2]؟ وهذا الخطاب نص صريح في هذا الباب.

واعلموا أن لهذه الآية سراً عجيباً لا يتفطن له إلا الأريب، فلو تصور المحب لآل

(1) سورة الأعراف: الآية 49.
(2) سورة المائدة: الآية 56.

الرسول ما لاقوه من الخطب المهول وأخلص في ولائه لاختار لمواساتهم في الموت على بقائه، أيجندل الحسين وبنو أبيه على الرمال ويعلى كريمه الشريف على القنا كالهلال، وتسبى ذراريه محمولين حسراً على الجمال يطاف بهم في البلاد مقرنين في الأصفاد، هذا والدموع جامدة، والعيون راقدة، لا والله لا يحسن هذا من أهل الإيمان ولا ممن يدعي إنه من حزب الرحمٰن، بل والله قلَّ لهذا المصاب خروج الأرواح من شدة الاكتئاب:

جار العدو عليهم حتى غدوا أيدي سبا في سوء حال منكر
ما بين مضروب بأبيض صارم أو بين مطعون بلدن أسمر
أو بين مسحوب ليُذبح بالعرى أو بين مشهور وآخر موسر
أو بين من يكبوا لثقل قيوده أو بين مغلول اليدين معفر
كم من أذى متهضم قد مسهم من ظالم باغٍ عليهم ومفتر

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب: يا علي إن الله زوَّجك ابنتي فاطمة الزهراء وجعل صداقها الأرض فمن مشى عليها وكان مبغضاً لها كان مشيه على الأرض حراماً ولها في يوم القيامة شأن عظيم.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة في لمة من نساء أهل الجنة، فيقال لها: يا فاطمة ادخلي الجنة، فتقول: والله لا أدخل حتى أنظر ما صُنع بولدي الحسين من بعدي في دار الدنيا. فيقال لها: أنظري في قلب القيامة، فتنظر يميناً وشمالاً فترى الحسين عليه السلام وهو واقف ليس عليه رأس، فتصرخ صرخة عالية من حرقة قلبها، فتصرخ الملائكة لصرختها وتقول: وا ولداه، وا مهجة قلباه، وا حسيناه. قال: فلم يبق في ذلك الموقف ملك ولا نبي ولا وصي إلا وبكى لأجلها وحزن لحزنها. قال: فعند ذلك يشتد غضب الله على أعداء الرسول، فيأمر الله تعالى ناراً اسمها هبهب قد أوقدوا عليها ألف عام حتى اسودت وأظلمت لا يدخلها روح فيقال لها: يا هبهب التقطي قتلة الحسين عليه السلام ومن أعان على قتله. فتلقطهم جميعاً واحداً بعد واحد، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت بهم وصهلوا بها وشهقت بهم وشهقوا بها، واشتد عليهم العذاب الأليم، فيقولون: ربنا لم أوجبت علينا حرق النار قبل عبدة الأوثان؟ فيأتيهم الجواب: يا أشقياء إن من علم ليس كمن لا يعلم فذوقوا عذاب الهون بما كنتم تعملون:

لمصابهم تتزلزل الأطواد ولقتلهم تتفتت الأكباد
كل الرزايا بعد وقت حلولها تُنسى ورزءهم الجليل يُعاد

روي عن سهل بن سعيد الشهرزوري قال: خرجت من شهرزور أريد بيت المقدس،

فصار خروجي أيام قتل الحسين عليه السلام. فدخلت الشام فرأيت الأبواب مفتحة والدكاكين مغلقة والخيل مسرجة والأعلام منشورة والرايات مشهورة، والناس أفواجاً قد امتلأت منهم السكك والأسواق وهم في أحسن زينة يفرحون ويضحكون، فقلت لبعضهم: أظن حدث لكم عيد لا نعرفه؟ قالوا: لا، قلت: فما بال الناس كافة فرحين مسرورين؟ فقالوا: أغريب أنت أم لا عهد لك بالبلد؟ قلت: نعم، فقالوا: فتح لأمير (المفسدين) فتح عظيم، قلت: وما هذا الفتح؟ قالوا: خرج عليه في أرض العراق خارجي فقتله والمنة لله وله الحمد، قلت: ومن هذا الخارجي؟ قالوا: الحسين بن أبي طالب، قلت: الحسين ابن فاطمة ابن بنت رسول الله؟ قالوا: نعم، قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون وأن هذا الفرح والزينة لقتل ابن بنت نبيكم وما كفاكم قتله حتى سميتوه خارجياً؟ فقالوا: يا هذا أمسك عن هذا الكلام واحفظ نفسك فإنه ما من أحد يذكر الحسين بخير إلا ضربت عنقه. فسكت عنهم باكياً حزيناً، فرأيت باباً عظيماً قد دخلت فيه الأعلام والطبول، فقالوا: الرأس يدخل من هذا الباب، فوقفت هناك وكلما تقدموا بالرأس كان أشد لفرحهم وارتفعت أصواتهم، وإذا برأس الحسين والنور يسطع من فِيهِ كنور رسول الله ﷺ فلطمت على وجهي وقطعت أطماري وعلا بكائي ونحيبي وقلت: وا حزناه للأبدان السليبة النازحة عن الأوطان المدفونة بلا أكفان، وا حزناه على الخد التريب والشيب الخضيب يا رسول الله، ليت عينيك ترى رأس الحسين في دمشق يُطاف به في الأسواق وبناتك مشهورات على النياق مشققات الذبول والأرياق، ينظر إليهم شرار الفساق، أين علي بن أبي طالب يراكم على هذا الحال؟ ثم بكيت وبكى لبكائي كل من سمع منهم صوتي وأكثرهم لا يلتفتون بي لكثرتهم وشدة فرحهم واشتغالهم بسرورهم وارتفاع أصواتهم. وإذا بنسوة على الأقتاب بغير وطاء ولا ستر وقائلة منهن تقول: وا محمداه، وا علياه، وا حسناه، لو رأيتم ما حل بنا من الأعداء، يا رسول الله بناتك أسارى كأنهن بعض أسارى اليهود والنصارى. وهي تنوح بصوت شجي يقرح القلوب على الرضيع الصغير وعلى الشيخ الكبير المذبوح من القفا ومهتوك الخبا العريان بلا رداء، وا حزناه لما نالنا أهل البيت، فعند الله نحتسب مصيبتنا. قال: فتعلقت بقائمة المحمل وناديت بأعلى الصوت: السلام عليكم يا آل بيت محمد ورحمة الله وبركاته ـ وقد عرفت أنها أم كلثوم بنت علي عليه السلام ـ، فقالت: من أنت أيها الرجل الذي لم يسلِّم علينا أحد غيرك منذ قتل أخي وسيدي الحسين عليه السلام؟ فقلت: يا سيدتي أنا رجل من شهرزور اسمي سهل، رأيت جدك محمد المصطفى ﷺ، قالت: يا سهل ألا ترى ما قد صنع بنا، أما والله لو عشنا في زمان لم ير محمد ما صنع بنا أهله بعض هذا قتل والله أخي وسيدي الحسين وسبينا كما تسبى العبيد

والإماء وحملنا على الأقتاب بغير وطاء ولا ستر كما ترى، فقلت: يا سيدتي يعزُّ والله على جدك وأبيك وأمك وأخيك سبط نبي الهدى، فقالت: يا سهل اشفع لنا عند صاحب المحمل أن يتقدم بالرؤوس ليشتغل النظارة عنا بها فقد خزينا من كثرة النظر إلينا. فقلت: حباً وكرامة. ثم تقدمت إليه وسألته بالله وبالغت معه فانتهرني ولم يفعل.

قال سهل: وكان معي رفيق نصراني يريد بيت المقدس وهو متقلد سيفاً تحت ثيابه، فكشف الله عن بصره، فسمع رأس الحسين وهو يقرأ القرآن ويقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1] الآية، فقد أدركته السعادة فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، ثم انتضى سيفه وشد به على القوم وهو يبكي وجعل يضرب فيهم فقتل منهم جماعة كثيرة، ثم تكاثروا عليه فقتلوه رحمه الله. فقالت أم كلثوم: ما هذه الصيحة؟ فحكيت لها الحكاية، فقالت: وا عجباه النصارى يحتشمون لدين الإسلام وأمة محمد الذين يزعمون أنهم على دين محمد يقتلون أولاده ويسبون حريمه؟ ولكن العاقبة للمتقين ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

ولقد عجبت لتلك الأطواد كيف لا تتزلزل، وكذلك النادي كيف لا ينخسف ويتحول، ولكن ارتفع موجود اللطف من بين أظهرهم وهم لا يعلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[3]:

يا أمة السوء لم تجازوا رسول الله ... فيكم إذ لم يزل متعوبا
كل يوم تهتكون حريماً ... من بنيه وتقتلون حبيبا
كيف تلقونه شفيعاً وترجون ... غداً أن يزيل عنكم كروبا
لا وربي لا ينال ذاك سوى ... من كان مولاهم موالِ مُنيبا

حكي أن موسى بن عمران رآه إسرائيل مستعجلاً وقد كسته الصفرة واعترى بدنه الضعف وحكم بفرائضه الرجف وقد اقشعر جسمه وغارت عيناه ونحف لأنه كان إذا دعاه ربه للمناجاة يصير عليه ذلك من خيفة الله تعالى، فعرفه إسرائيلي، وهو ممن آمن به، فقال له: يا نبي الله أذنبت ذنباً عظيماً فاسأل ربك أن يعفو عني، قال: نعم، وسار. فلما ناجى ربه قال له: يا رب العالمين أسألك وأنت العالم قبل نطقي به، فقال تعالى: يا موسى ما تسألني أعطيك وما تريد أبلغك، قال: ربي إن فلاناً عبدك إسرائيلي أذنب ذنباً ويسألك العفو، قال: يا موسى أعفو عمن استغفرني إلا قاتل الحسين، قال موسى: يا رب من

(1) سورة إبراهيم: الآية 42.
(2) سورة النحل: الآية 118.
(3) سورة الشعراء: الآية 227.

الحسين؟ قال له: الذي مرّ ذكره عليك بجانب الطور، قال: رب ومن يقتله؟ قال: يقتله أمة جده الباغية الطاغية في أرض كربلا وتنفر فرسه وتحمحم وتصهل وتقول في صهيلها: الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها، فيبقى ملقى على الرمال من غير غسل ولا كفن وينهب رحله وتسبى نساءه في البلدان ويُقتل ناصروه وتُشهر رؤوسهم مع رأسه على أطراف الرماح، يا موسى صغيرهم يميته العطش وكبيرهم جلده منكمش يستغيثون ولا ناصر ويستجيرون ولا خافر، قال: فبكى موسى وقال: يا رب ما لقاتليه من العذاب؟ قال: يا موسى عذاب يستغيث منه أهل النار بالنار لا تنالهم رحمتي ولا شفاعة جده ولو لم تكن كرامة له لخسفت بهم الأرض، قال موسى: برئت إليك اللهم منهم وممن رضي بفعالهم، فقال سبحانه: يا موسى كتبت رحمة لتابعيه من عبادي واعلم أنه من بكى عليه وأبكى أو تباكى حرَّمت جسده على النار:

بني أمية مات الدين عندكم ... وأصبح الحق قد وارته أكفان
أضحت منازل آل السبط مقفرة ... من الأنيس وما فيهن سكان
باهوا بمقتله ظلماً وقد هدمت ... لفقده من ذوي الإسلام أركان
رزية عمت الدنيا وساكنها ... فالدمع في أعين الباكين هتان

قيل: افتخر إسرافيل على جبرائيل، فقال: إني من حملة العرش، وصاحب الصور والنفخة، وأنا أقرب الملائكة إلى حضرة الجلال. فقال جبرائيل: أنا خير منك، قال: لماذا؟ قال: أنا أمين الله على وحيه، وصاحب الكسوف والخسوف والزلازل والرسائل. فاختصما إلى الله تعالى فأوحى إليهما: أن اسكتا فوا عزتي وجلالي لقد خلقت من هو خير منكما، انظرا إلى ساق العرش. فنظروا وإذا على ساق العرش: لا إلٰه إلاَّ الله محمد رسول الله، علي وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله. فقال جبرائيل: بحقهم عليك إلا ما جعلتني خادماً لهم، فقال: لك ذلك. فافتخر جبرائيل على الملائكة أجمع لما صار خادماً لهم، فقال: من مثلي وأنا خادم آل محمد، فانكسرت الملائكة أن يفاخروه.

فتفكروا أيها الأعلام، وتأملوا في هذا الإمام، وانظروا إلى ما فعل به القوم اللئام، وإلى صبره على التجرع والغصص والآلام، وتجرع كؤوس الحِمام، ولقد فاق على جده إبراهيم في هذا المقام العظيم، لأن إبراهيم عليه السلام ابتلي في نفسه لا غير حين ألقي في النار، والحسين عليه السلام صرع حوله بنوه وبنو أبيه الأطهار واغتصبوا نفسه أيضاً فقابل الجميع بالاستغفار والرضا والاصطبار، فهذا مرام لم يصل قبله ولا بعده أحداً إليه إلاَّ هو صلوات الله وسلامه عليه، نعم قد زاد على هذا المقام أبوه علي عليه السلام،

وذلك أن النبي ﷺ لما أدركته الوفاة وكان رأسه الشريف في حجر علي عليه السلام بكى، فقال له: ما يبكيك يا أخي؟ فقال: يا سيدي كنت وقد وعدتني بالشهادة وأنت معافى وقد كنت أرجو أن أقتل بين يديك، فقال: أبشر فإنها من وراءك، فكيف صبرك إذاً؟ فقال: يا رسول الله ليس ذاك موطن الصبر وإنما هو موطن الشكر.

فقد جعل الحسين عليه السلام موطن الشهادة موطن الصبر، وعلي عليه السلام جعلها موطن البشرى والشكر. والصبر لا يكون إلا على أمر مكروه، والشكر لا يكون إلا عن أمر محبوب، والفرق بين هذين الموطنين العظيمين كالفرق بين هذين الإمامين الكريمين.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

كيف السلو والخطوب تنوب ... ومصائب الدنيا عليك تصوب
إن البقاء على اختلاف طبائع ... ورجائي أن ينجو الفتى لعجيب
والدهر أطوار وليس لأهله ... إن فكروا في حالتيه نصيب
ليس اللبيب من استقر بعيشه ... إن المفكر في الأمور لبيب
يا غافلاً والموت ليس بغافل ... عش ما تشاء فإنك المطلوب
أبرزت لهوك إذ زمانك مقبل ... زاهٍ وإذ غصن الشباب رطيب
فمن النصير من الخطوب إذ أتت ... وعلا على شرخ الشباب مشيب
عمل الفتى من علمه مكتوبة ... حتى الممات وعمره مكتوب
فتراه يكدح في المعاش ورزقه ... في الكائنات مقدر محسوب
إن الليالي لا تزال مجدّة ... في الخلق أحداث لها وخطوب
من سر فيها ساءه من صرفها ... ريب له طول الزمان قريب
عصفت بخير الخلق آل محمد ... صر شأمية لها وصبوب
أما النبي فخانه من قومه ... في أقربيه محاكم وصحيب
من بعدما ردوا عليه وصاله ... حتى كأن مقاله مكذوب
ونسوا رعاية أحمد في حيدر ... في خُم وهو وزيره المصحوب

(1) القصيدة للشيخ مغامس رحمه الله تعالى.

فأقام فيهم برهة حتى قضى ... في الفرض وهو بغضبهم مغضوب
والطهر فاطمة زوى ميراثها ... شر الأنام ودمعها مسكوب
من بعدما رمت الجنين بضربة ... فقضت وحقها مغصوب
وسليلها الهادي سقته جعيدة ... سماً له سبط الفؤاد لهيب
وجرى من الجفن الغريق بمائه ... دمع على قتل الحسين صبيب
يا يومه ما كان أقبح منظراً ... وأمّر طعماً أنه لعصيب
بأبي الإمام المُستظام بكربلا ... يدعو وليس لما يقول مجيب
بأبي الوحيد وما له من راحم ... يشكو الظما والماء منه قريب
بأبي الحبيب إلى النبي محمد ... ومحمد عند الإلٰه حبيب
يا كربلاء أفيك يُقتل جهرة ... سبط المطهر أن ذا لعجيب
ما أنت إلا كربة وبلية ... كل الأنام بهولها مكروب
هل لا انتصرت له من القوم الأولى ... قتلوه ظلماً وهو فيك غريب
فتدكدت فيهم رُباك وغورت ... منك المياه وضاق منك رحيب

لهفي وقد زحفت إليه جموعهم ... فلهم رفيف نحوه ووثوب
لهفي له فرداً وحيداً بينهم ... لما قضت أنصاره وأُصيب
لهفي وقد وافى إليه منهم ... سهم لمقلته الشريفة مصيب
لهفي عليه وقد هوى متعفراً ... وبه أوام فادح ولغوب
لهفي عليه بالطفوف مجدلاً ... تسفي عليه شمائل وجنوب
لهفي عليه والخيول ترضّه ... فلهن ركض حوله وخبيب
لهفي له والرأس منه مميز ... والشيب من دمه الشريف خضيب
لهفي عليه ودرعه مسلوبة ... لهفي عليه ورحله منهوب
لهفي على حرم الحسين حواسراً ... شعثاً وقد رعبت لهن قلوب
أبصرت شمراً فوقه فزجرته ... عنه وقلن وللقلوب وجيب
يا شمر ويحك خله لبناته ... ولك الميهمن إن فعلت يثيب
يا شمر ويحك من أبوه وأمه ... فكر لعلك تهتدي وتثيب
حتى إذا قطع الكريم بسيفه ... لم يثنه خوف ولا ترغيب

جددن ثَمَّ على الحسين مأتماً فحريمه تبكي له وحريب
لله كم لطمت خدود عنده جزعاً وكم شقّت عليه جيوب
ما أنس لا أنسى الزكية زينباً تبكى له وقناعها مسلوب
تدعو وتندب والمصاب يكضها بين الطفوف ودمعها مسلوب
وتقول: أي شقوة أولى لها صرف الزمان وحظنا المتعوب
أأخي بعدك ما صفى متكدر ولخاطري عما يطيب نكوب
أأخي بعدك قد شقيت ورابني دهر لأخبار الرجال مريب
أأخي بعدك لا حييت بغبطة واغتالني خسف إلى قريب
أأخي بعدك من أطول به ومن أسطو به والنائبات تنوب
أأخي بعدك من يدافع جاهلاً عني ويسمع دعوتي ويجيب
لم يلق خلق ما لقيت ولا ابتلى يوماً بمثل بليتي أيوب
حزني تذرف به الجبال وعنده يسلو وينسى يوسفاً ويعقوب
فأتت إليه أم كلثوم لها ذيل على وجه الثرى مسحوب
قال: مصابك يا حسين أصابني حزناً ونوري فاحم وغريب
ما كنت أحسب يا ابن أمي أنني أشقى وأن الظن فيك يخيب
قد كنت ذخراً لي ولكن الفتى أبداً إليه حمامه مجلوب
فالآن بعدك ظل مجدي قالص ولماء وجهي جفة وتصوب
ودعت سكينة بالصغيرة فاطم قومي أخية فالمصاب يصوب
هذا أبوك معفراً ثاوٍ له خد على عفر الثراء تريب
فابكي أخية دائماً لمصابه فمصابه منه الجبال تذوب
قتلت أحبائي وأهل مودتي كملاً فليس لما شكوت طبيب
ودعا ابن سعد برزوا نسوانه فسليبة مكشوفة وسليب
قال: أوقدوا النيران في أبياته فسما لها بين البيوت لهيب
قال: اقصدوا بأرض الشآم فقربت أنقاض بزل للحريم ونيب
فركبن يندبن النبي محمداً وهم على حر الركاب ركوب
يا جدنا ساقوا علينا موثقاً بالقيد وهو خائف المرعوب

يا جدنا ساقوا بناتك حسراً حتى تهتك سترها المحجوب
يا للرجال الأكرمين لما جرى والدهر فيه مصائب وخطوب
آل النبي المصطفى الهادي لهم بالأرض في آفاقها تغريب
يحدوا بهم زجر ليرضى منهم رجس لكأس مدامه شريب
فالرأس بين يديه ينكث ثغره ويُرجع الألحان وهو طريب
يدعو بأشياخ له لا قدسوا فهم الذين عليهم مغضوب
فعلى الذي ساس المظالم أولاً لعن مدا الأيام ليس يغيب
وعلى أمية أجمعين ومن لهم يهوى من اللعن الشديد ضروب
يا أهل بيت محمد دمعي لكم جار وقلبي ما حييت كئيب
أنتم ولاة المسلمين وحبكم فرض ونهج هديكم ملحوب
طبتم فحبكم النجاة وبغضكم كفر برب العالمين وجوب
أولاكم الفضل الجسيم لأنه أبداً يعاقب فيكم ويثيب
وإليكم مني قصيدة شاعر ذي مقول من طبعه التهذيب
أهداكم مدحاً لكي تمحى بها عنه جرائم جمة وذنوب
فانظم مغامس ما تشاء منقحاً بالرغم ممن يزدري ويعيب
ثم الصلاة على النبي وآله ما ماس من مر النسيم قضيب

* * *

المجلس الرابع

من الجزء الثاني، في اليوم السابع من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها المؤمنون، أي قربة يتقرب بها المتقربون، وأي سعادة يحظى بها الفائزون أعظم من هذه القربات التي يرضى بها رب السماوات والأئمة الهداة، حسدوهم الظلمة الطغاة على ما حصل لهم من الكمالات وعلو الدرجات عند خالق الأرضين والسماوات، واعتضد ذلك بحب الدنيا الدنية فحملهم ذلك على ارتكاب هذه الرزية.

فقد نقل عن عمر بن سعد لعنه الله عندما وبخه الرجل الهمداني على خروجه على الحسين ومنعه الماء وأهل بيته، أنه قال في جوابه: يا أخا همدان والله إني أعرف الناس بحق الحسين عليه السلام وحرمته عند الله تعالى وعند رسوله، ولكني حائر في أمري ما أدري كيف أصنع في هذا الوقت كنت أتفكر في أمري وخطر ببالي أبيات من الشعر، فقال:

دعاني عبيد الله من دون قومه ... إلى بدعة فيها خرجت لحيني
فوالله ما أدري إني لصادق ... أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي ... أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار ليس دونها ... حجاب وملك الري قرة عيني

ثم قال: يا أخا همدان إن نفسي لأمارة بالسوء ما تسن لي ترك ملك الري وإني إذا قتلت حسيناً أكون أميراً على سبعين ألف فارس.

فيا إخواني، اعلموا إن التوفيق عزيز المثال ومن حقت عليه كلمة العذاب لم يفد فيه عذل العذال، ومن غلبته نفسه تورط في أعظم الأمور ودخل في الضلالة، وكما أن للجنة رجالاً فالنار لها رجال، ومن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا لهواً، فتعساً لمن ظلم تلك العصابة الكرام، وسحقاً لمن نكس أعلام أولئك الأعلام، فويل لهم ماذا يقولون حين يعرضون، وبماذا يجيبون حين يسألون ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ

أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

حكي أن الأشعث بن قيس وجويرة الجبلي قالا يوماً لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين حدثنا عن بعض خلواتك مع فاطمة عليها السلام، فقال عليه السلام: نعم، بينا أنا وفاطمة في كساء واحد نائمان إذ أقبل رسول الله ﷺ إلينا نصف الليل، وكان عليه السلام يأتيها بالتمر واللبن ليعينها على تربية الحسن والحسين عليهما السلام، فدخل علينا ونحن نيام فوضع رجلاً بحيالي ورجلاً بحيالها، فلما رأت فاطمة أباها واقفاً همت أن تجلس فلم تستطع فبكت فقال لها النبي ﷺ: ما يبكيك يا بنت محمد المصطفى؟ فقالت: أما ترى حالنا ونحن في كساء واحد نصفه تحتنا ونصفه فوقنا؟ فقال لها: يا بنية أما تعلمين أن الله أطلع إطلاعة من سمائه إلى أرضه فاختار منها بعلك علي بن أبي طالب وأمرني أن أزوِّجك به، وأن الله عزَّ وجلَّ اتخذه لي وصياً وخليفة من بعدي، يا فاطمة أما أن العرش سأل ربه أن يزينه بزينة لم يزين بها شيئاً من خلقه فزينه بالحسن والحسين عليهما السلام وجعلهما في ركنين من أركان العرش، فالعرش يفتخر بزينته على كل شيء.

وفي رواية أخرى: أن فاطمة عليها السلام لما شكت عند أبيها ضعف الحال وفقر بعلها علياً قال لها: يا بنية أتعلمين ما منزلة علي عندي؟ قالت: الله ورسوله أعلم، قال: كفاني أمري وهو ابن اثني عشر سنة، وقاتل الأبطال ولاقى الأهوال وهو ابن ثمانية عشر سنة، وفرج همي وجلى غمي وأزال كربي وهو ابن عشرين سنة، وقلع باب خيبر وهو ابن اثنين وعشرين سنة، فاستبشرت فاطمة بذلك سروراً عظيماً.

وقد ورد فيه من الفضل ما لا يعد ولا ينتهي إلى حد، فمن ذلك ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: مررت ليلة المعراج بقوم تشرشر أشداقهم فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يقطعون على الناس بالغيبة، قال: ثم عدلنا عن ذلك الطريق فلما انتهينا إلى السماء الرابعة رأيت علياً يصلي فقلت: يا جبرائيل هذا علي قد سبقنا، فقال: ليس هذا علياً، قلت: فمن هو؟ قال: إن الملائكة الكروبيين لما سمعت بفضائل علي عليه السلام وسمعت قولك فيه: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدي، اشتاقت إلى علي فخلق الله ملكاً على صورة علي فكلما اشتاقت إلى علي جاءت إلى ذلك الملك فكأنها قد رأت علياً.

وعن ابن عباس قال: رأيت أبا ذر وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر لو صمتم حتى تكونوا كالأوتاد ولو صليتم حتى

(1) سورة يونس: الآية 30.

تكونوا كالحنايا ما ينفعكم ذلك حتى تحبوا علياً.

وعن أبي شعيب الخراساني قال: دخلت على الإمام أبي عبد الله عليه السلام، فقلت: فداك أبي وأمي إني اشتقت إلى الغري، قال: وما يشوقك إليه؟ قلت: جعلت فداك أحب أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: هل تعرف فضل زيارته؟ فقلت: يا ابن رسول الله عرّفني ذلك، قال: إذا أردت زيارة أمير المؤمنين فاعلم أنك زائر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم أمير المؤمنين، فقلت: جعلت فداك إن آدم بسرنديب بمطلع الشمس وزعموا أن عظامه في البيت الحرام فكيف صارت عظامه بالكوفة؟ فقال: إن الله أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً فطاف أسبوعاً ثم نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم فلم يزل معه التابوت في جوف السفينة حتى طاف ما شاء الله أن يطوف، ثم ورد إلى الكوفة في مسجدها وفيه يقول الله للأرض: ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾[1] فبلعت ماءها وتفرق الجمع الذين كانوا مع نوح في السفينة ودفعها فرجعت إلى بيت الله الحرام وأخذ نوح التابوت فدفنه في الغري وهو قطعة من الجبل الذي كلّم الله فيه موسى تكليماً وقدّس الله عليه عيسى تقديساً واتخذ الله إبراهيم خليلاً ومحمد ﷺ حبيباً وجعله للمتنسكين منسكاً، والله ما سكن فيه بعد آبائه الطاهرين آدم ونوح أكرم من أمير المؤمنين، وإنك تزور الآباء الأولين ومحمداً خاتم النبيين، وعلياً سيد الوصيين، وإن زائره يفتح له أبواب السماء عند دعوته فلا تكن عن الخير نوّاماً. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يأتي هذه البقعة الشريفة ويصلي فيها، فبينما هو ذات يوم يصلي بالغري إذ أقبل رجلان معهما تابوت على ناقة فحطا التابوت وأقبلا إليه فسلما عليه فقال: من أين أقبلتما؟ قالا: من اليمن، قال: وما هذه الجنازة؟ فقالا: كان لنا أب شيخ كبير فلما أدركته الوفاة أوصى إلينا أن نحمله وندفنه في الغري فقلنا: يا أبانا إنه موضع شاسع بعيد عن بلدنا وما الذي تريد بذلك؟ فقال: إنه سيدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكبر، الله أكبر، أنا والله ذلك الرجل. ثم قام فصلى عليه ودفناه ومضيا. فسبحان من جعلهم رحمة للعالمين وسبباً مؤدياً إلى الفوز باليقين، وجودهم لطف في حق الأنام ومحط أجسادهم عصم لمن ثوى فيها وأقام، وبحبهم تمحى الآثام، وبصحة الاعتقاد فيهم تمحص الذنوب العظام، وباتباعهم يحصل الخلاص من أهوال يوم القيامة ودخول الجنة بسلام.

طوبى لمن أضحى هواكم قصده وإلى محبتكم إشارة رمزه

---

(1) سورة هود: الآية 44.

في قربكم نيل المسرة والمنى وجنانكم مستنزه المتنزه
قلب يهيم بحبكم تفريطه في مثلكم والله غاية عجزه
يضحى كدود القز يتعب نفسه في نسجه وهلاكه في قزه
طرف رآكم ثم شاهد غيركم تطهيره بسوى الدماء لم يجزه
نزّه فؤادك عن سواهم والقهم فوصالهم حلّ لكل منزه
الصبر طلسم لكنز وصالهم من حلّ ذا الطلسم فاز بكنزه

فوا عجباً من قوم استطاعوا على ساداتهم فقتلوهم وخرجوا على أهل هدايتهم فقهروهم، أتراهم ما علموا وما رعوا فاعتدوا وظلموا، فلا غرو إن بكت عليهم محاجري، أو قرح السهاد ناظري، أو تزايدت أوصابي، أو أضرمت نار وجدي واكتائبي.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

أتطلب دنيا بعد شيب قذال وتذكر أياماً مضت وليال
وتظهر عن بان الغوير تجلدا وتصبوا إلى نور له وضلال
إذا كنت تستحي من العار خالياً فما لك تهوى قدّ كل غزال
فكم تركب الأخطار في تبع الهوى ولا يخطر الذكر الجميل ببال
أما كان في شيب القذال هداية فيهديك نور الشيب بعد ضلال
أتأمل في دار الغرور إقامة لأنت حريص في طلاب محال
تيقظ فإني قد رأيتك مقبلاً عليها وللأخرى رأيتك قالي
تمسكت فيها بالغرور كمثل ما تمسكت من نوم بطيف خيالي
فيا زلّة أسرفت فيها تنغصت لخيفتها نفسي بكل زلال
فيا سوأتاه إن حان بيني وهذه سبيلي ولم أحذر قبيح فعالي
وكان جديراً أن يموت صبابة فتى حاله في المذنبين كحالي
فيا قلب هل لا تستقيل من الخطا وليس مصر في غد بمقال
تزوَّد من الأيام خيراً فإنها بلاغ لمشغوف بحسن مآل
أتخدعني الدنيا وقد شاب مفرقي وأصبحت مقولاً لها بعقالي

(1) القصيدة للشيخ الجليل ابن مغامس رحمه الله تعالى.

وأنسى مسار بها وما طال عهدها ... وأسعى لها بالجهل سعي خيال
ولي أسوة فيها بآل محمد ... بني خير مبعوث وأكرم آل
تقسمهم ريب المنون فأصبحوا ... عباديد أشتاتاً بكل محال
فبين شريد ترتمي غربة النوى ... به بين غيطان وبين جبال
وبين صليب ماثل فوق جذعه ... تهب عليه من صبى وشمال
وبين دفين وهو حي ومختف ... يراقب خوفاً من وقوع نِكال
وبين سميم قد سرى في عظامه ... من السم قتال بغير قتال
فيا ليت شعري من أنوح ومن له ... أروح وما قلبي عليه بسال
أأشجو علياً حين عمَّم رأسه ... بمنصلت ذي رونق وصقال
له أم لبنت المصطفى بعدما مضى ... قضت لم تفز من إرثها بخلال
أم الحسن الزاكي سقته جعيدة ... قضى بين أنصار له وموال
وإن حنيني للشهيد بكربلا ... لباقٍ فلا يقضى له بزوال
فديت إماماً بالطواف كأنما ... ركائبه قد قيدت بحبال
فأول لا نصار لديه وكلهم ... ركوب على خيل لهم وجمال
أفيكم خبير باسمها؟ قيل: كربلا ... فقال: انزلوا فيها ليوم نزال
ففي هذه حقاً محط رِحالنا ... وفلق رؤوس بيننا وقِلال
وفي هذه حقاً ستسبى بذلّة ... لنا خير نسوان وخير رجال
وفي هذه حقاً ستغدوا رؤوسنا ... تُعلى على سمر لها وعوال
فديتك من ناعٍ إلى الناس نفسه ... ومؤذن أهليه بوشك وِبال
كأن حياة النفس غير أحينة ... فما لك لا ترنو لها بوصال
لعمرك أن الموت مُرّ مذاقه ... فما بال طعم الموت عندك خالي
فديت وحيداً قد أحاط برحله ... لآل أبي سفيان جيش ضلال
يقول لأنصار له: قد أبحتكم ... ذمامي وعهدي فاسمعوا لمقال
ألا فارحلوا فالليل مرخٍ سدوله ... عليكم ومنهاج البسيطة خال
فما لهم من مطلب قد تألبوا ... عليه سوى قتلي ونهب رِحالي
فقالوا جميعاً: ما يقال لنا وما ... نقول جواباً عند رد سؤال

تقيك من الموت الشديد نفوسنا ... ويرخص عند النفس ما هو غال
أمن فرق نبغي الفريق وكلنا ... لأولاده والعيش بعدك قال
فطوبى لهم قد فاز والله سعيهم ... فكلهم في روضة وظلال
فديت إماماً بعد قتل حماته ... ينادي بصوت في البرية عال
يقول لهم: إن تتقوا الله ربكم ... فقتلي لكم والله غير حلال
فديت الذي يرنو الفرات بغلة ... وما بلها من بردها ببلال
فديت فتى قد خرّ من سرج مهره ... كما خرّ طود من منيف جبال
فديت صريعاً قد علا الشمر صدره ... لقطع وريد أو لحزّ قذال
فديت طريحاً تركض الخيل فوقه ... ترضّ جناجي صدره بنعال
فديت طريحاً أجمعوا بعد قتله ... على نهب نسوان له وعيال
فديت قتيلاً رأسه فوق ذابل ... كالبدر يزهو في أتم كمال
فديت علياً في أساراه يغتدي ... به في قيود للعدو ثقال
فديت لنسوان الحسين وأهله ... أسارى حيارى في سبي ووبال
فديت وقد قامت تناديه زينب ... بصوت مبين عن فجيعة بال
أخي ليس دمعي ما حييت بجامد ... عليك ولا قلبي عليك بسال
أخي إن تكن فارقت لا عن ملالة ... فقد كنت قدماً زينتي وجمال
أخي كيف أرجو في زماني مسيرة ... وقد فارقت كف اليمين شمال
أخي كيف أدعو لا تجيب كأنما ... تركت وصالي أو صرمت حبالي
أخي كيف بعد القرب منك طردتني ... وبعد دنوي يا أخي وجلالي
أخي لو رأت عيناك ما قد أصابني ... أساءك فيما نالني وجرا لي
أخي إن وجهي قد تبدل حسنه ... ومما جرى لي قد تغير حالي
أخي إن فدت نفس لنفس من الردى ... فنفسي إذاً تفديك منه ومالي
أخي قد دهتني الحادثات وقد برت ... نوائبها جسمي كبري خِلال
أخي كيف يفني الدهر عني خطوبه ... وقد كنت فيه عدتي وثمالي
وسار ابن سعد بالسبايا حواسراً ... على خلس أنقاض لهم ورحال
ينادين بالمختار يا خير مرسل ... وأكرم ماض في الزمان وتال

أيا جدنا ما عبد شمس فدورهم جوار وأما دورنا فخوال
أيا جدنا عض الزمان بِنانه وصالت بنا الأيام أي مصال
أيا جدنا أما الرزايا فإننا نقاسي لظى نيرانها بنصال
أيا جد ما أبقوا علينا بقية ولا فتروا في أخذنا بنكال
أيا جد لم يربع بنا لاستراحة على ما نلاقي من جوى وكلال
أيا جد لا ردن غطى رؤوسنا ولا انتعلت أقدامنا نعال
أيا جد جد الدهر من بعد هزله على لاغبات في المصاب هزال
أيا جد هذا السبط في كنف كربلا لقى بين دكداك وبين تلالى
دعوهم إليهم طالبين قدومه لإرشاد غاوٍ أو لبذل نوال
فلما أتاهم صار فرداً لديهم قرين جلاد بينهم وجدال
شكا عطشاً والماء طام ودونه رغال لهم قد أردفت برغال
يحاول منهم شربة فترده بسمر لها قد أشرعت ونصال
فذاق الردى صبراً وما ذاق شربه نزيل أواما مؤذناً بزوال
بنوك أبيدوا والبنات بذلّة يُسقن هدايا فوق نيب جمال
أيا جد لو شاهدت ما قد جرى لنا لأبصرتنا شعثاً بأسوء حال
وحسن وجوه قد تولّى سعودها توالى عليها الحزن أي نوال
بني المصطفى يا صفوة الله إن لي فؤاداً من الترنيح ليس بخال
حنيني إليكم لا يقاس بمثله حنين حمام أو حنين فصال
ولو مر في تالي الزمان متيم بشجو رثى فيكم لرثا لي
وهل أملك السلوان عن حب سادة إليهم إذا حل الحساب مآلي
فإن فاتني في عرصة الطف نصركم وأجر به أن لا يفوت مقالي
ودونكم مني عروساً زففتها إليكم كما زفت عروس حجال
منظمة الألفاظ بكر كأنما على جيدها يزهو عقود لآل
وما كلمت إلا لأن كلامهما جرى من معانيكم صفات كمال
فإن صح قبلان لها من مغامس فلست بعقبي ما جنوت أبالي
عليكم سلام الله ما لاح بارق وما لاح وسمي بصوت سجالي

الباب الثاني

إن فضل أئمة المسلمين لا يحصى كثرة ولو اجتمع له كافة العالمين، ولعمري أن في فضيلة من فضائلهم عبرة للمعتبرين وذكرى للمتبصرين إلا من أغواه الشيطان فأصم سمعه وعميت منه العينان فتصير عاصية عليه وإن كان ينظر بعينيه.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان من بني مخزوم لهم خولة من علي عليه السلام، فأتاه شاب منهم فقال: يا خال مات قريب لي فحزنت عليه حزناً شديداً، قال: أفتحب أن تراه؟ قال: نعم، قال: فانطلق بنا إلى قبره. فلما وافا إليه وقف عليه ودعى الله تعالى وقال: يا فلان قم بإذن الله تعالى، فإذا الميت جالس على شفير القبر وهو يقول: زينة شالا ـ معناه: لبيك لبيك سيدنا ـ، فقال أمير المؤمنين: ما هذا اللسان؟ ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى ولكني مت وأنا على ولاية غيرك فأدخلت النار وانقلب لساني إلى لسان أهل النار.

وعن صالح بن عقبة عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: لما هلك أبو بكر استخلف عمر رجع إلى المسجد فدخل عليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إني رجل من اليهود وأنا من ملتهم وقد أردت أن أسألك عن مسائل إن أجبتني فيها أسلمت، قال: وما هي؟ قال: ثلاث وثلاث وواحدة فإن سألتك وإن كان في قومك أحد أعلم منك فارشدني إليه، قال: عليك بذاك الشاب ـ يعني علي بن أبي طالب عليه السلام ـ. فأتى علياً فسأله، فقال له: قلت ثلاثاً وثلاثاً وواحدة، ألا قلت سبعاً؟ قال: أنا إذاً جاهل إن لم تجبني في الثلاث اكتفيت، قال: فإن أجبتك تسلم؟ قال: أسئلك عن أول حجر وضع على وجه الأرض، وأول عين نبعت، وأول شجرة نبتت. قال: نعم، أسلم يا يهودي، أنتم تقولون أول حجر وضع على وجه الأرض الحجر الذي في بيت المقدس كذبتم هو الحجر الذي نزل به آدم من الجنة، قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى عليهما السلام، قال: وأنتم تقولون أول عين نبعت على وجه الأرض العين التي ببيت المقدس كذبتم هي عين الحياة التي غسل فيها يوشع بن نون السمكة وهي العين التي شرب منها الخضر عليه السلام وليس يشرب منها أحد إلا حيا، قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى عليهما السلام، قال: وأنتم تقولون إن أول شجرة نبتت على وجه الأرض الزيتون وكذبتم، بل هي العجوة نزل بها آدم عليه السلام من الجنة معه، قال: صدقت والله إنه لبخط هارون وإملاء موسى عليهما السلام. قال: والثلاث الأخرى كم لهذه الأمة من إمام هدى لا

يضرهم من خذلهم؟ قال: إثنا عشر إماماً، قال: صدقت والله وإنه لبخط هارون وإملاء موسى عليهما السلام. قال: فأين يسكن نبيكم من الجنة؟ قال: في أعلاها ذروة وأشرفها مكاناً في جنات عدن، قال: صدقت والله وإنه لبخط هارون وإملاء موسى عليهما السلام، قال: فمن ينزل معه في منزله؟ قال: اثنا عشر إماماً قال: صدقت إنه لبخط هارون وإملاء موسى عليهما السلام، قال: السابعة وأسلم كم يعيش وصيه بعده؟ قال: ثلاثين سنة، قال: ثم يموت أو يقتل؟ قال: يقتل يضرب على قرنه فيخضب لحيته، قال: صدقت والله وإنه لبخط هارون وإملاء موسى عليهما السلام. فانظروا يا إخواني هل يوجد مثل هذا الشخص الرباني:

الله ألبسه في يوم مغرسه ثياب حمد نقيات من العار
رفاع معضلة حمال مثقلة دراك وتر ودفاع لا وتار

بنوه المعصومون سادات الدنيا وشفعاء الخلق في الأخرى، الجنة دار من والاهم، والنار سجن من عاداهم، أخذ الله لهم على الخلق المواثيق وأكد لهم على عباده العهد الوثيق.

نقل: أنه افتخرت النار على الجنة وقالت: أنا مسكن الملوك والجبابرة والقساورة وأنت لا يسكنك إلا الفقراء والمساكين. فشكت الجنة إلى ربها فأتاها النداء: اسكتي، وعزتي وجلالي لأزينك يوم القيامة بمحمد خيرتي من بريتي، وعلي ولّي أمري وخليفتي، وفاطمة الزهراء التي من أحبها أُفطم من النار بإرادتي، والحسن والحسين سيديّ شباب أهل الجنة رحمتي، والأئمة المعصومين زبدة خليقتي وشيعتهم يتنافسون في قصورك بعطيتي.

فيا إخواني لقد أصيب الإسلام بمصيبة ما أعظمها وأُدهى بداهية دهماء ما أدهمها، مصيبة نكست رؤوس أهل الإيمان، وعلت مناكب الطغيان، فليت شعري من أوصى بقتلهم ومن أمر بتبديد شملهم، ويلهم كأنهم نسوا المعاد إلى رب العباد ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

تريدون مني يا عواذل سلوة عن الحزن هذا مطلب ليس يعقل
فوالله لا أنسى مصابي بسادتي إلى أن يواريني لحود وجندل
إذا ذكرت نفسي مصاب أحبتي يظل فؤادي والحشا يتقلقل
فأوطان قلبي بالهموم ملأته وباب سرور القلب بالهمّ مقفل

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

وأي نعيم خلف السبط بعده ففي القلب حزن ثابت لا يحول
كأني به والطير يحجل حوله سليباً رداه في التراب مرمل
كأني به والشمر ينحر نحره ومولاي من حر الظما يتململ
ولم أنسها بنت الحسين سكينة تشير إلى عماتها وهي تسأل
أيا عمتا ما للأصاغر ذبحوا وما بال قومي بالصوارم قتلوا
أيا عمتا ما للحرايز سلبوا وما ذنبنا حتى نُهان ونُرذل
أيا عمتا هذا الحسين على الثرى سليب الردا من حوله الطير يخجل
أيا عمتا لو تنظرين لنحره تفيض دماء مثل ما فاض جدول
ولو عاينت عيناك ما نال جسمه وما فعلت فيه سيوف وذبل
لقد نصعوه بالصوارم والقنا فللسمر نقط والصوارم تشكل
ألا لعن الرحمٰن آل أمية وآل زياد كلما حنَّ بزل

نقل عن لوط بن يحيى في تاريخه قال: قال عبد الله بن قيس بن ورقة: كنت ممن غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرّزه عن الناس، فشكى المسلمون العطش، فأرسل فوارس على كشفه فانصرفوا خائبين فضاق صدره فقال له ولده الحسين عليه السلام: أمضي إليه يا أبتاه؟ فقال: امض يا ولدي. فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء وبنى خيمته وحط فوارسه وأتى إلى أبيه وأخبره، فبكى علي عليه السلام فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين وهذا أول فتح بوجه الحسين؟ قال: صحيح يا قوم ولكن سيُقتل عطشاناً بطف كربلا حتى تنفر فرسه وتحمح وتقول: الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها.

تخيّرتهم رشداً لأمري إنهم على الحق بل هم خيرة الخيرات
فيا رب زدني في يقيني بصيرة وزد حبهم يا رب في حسناتي

روى سلمان الفارسي قال: دخلت على النبي ﷺ فإذا الحسين عليه السلام على فخذه وهو يقبّل عينيه ويثلم فاه وهو يقول: أنت السيد ابن السيد، أنت الإمام ابن الإمام، أنت حجة ابن الحجة، أبو الحجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: فاطمة مهجة قلبي وابناها ثمرة فؤادي وبعلها نور بصري والأئمة من ولده أمناء ربي وحبله الممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجى ومن تخلف عنهم هلك.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: سأل ابن الكوا أمير المؤمنين فقال: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾[1]؟ فقال: نحن أصحاب الأعراف نعرف أصحابنا بسيماهم نقف بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه.

فمن مثل مولانا علي الذي له ... محمد خير المرسلين خليل
فيا دافع الإسلام من بعد حفظه ... وناصب دين الله حيث يميل
ويا أسد الله الذي مُر بأسه ... لأعدائه مُر المذاق وبيل
ويا من له قلب الحوادث خافق ... ويا من له صعب الأمور ذلول
أيا سيدي يا حيدر الطهر إنني ... أتيتك محزوناً وفهت أقول
أعزيك بالسبط الشهيد فرزءه ... ثقيل على أهل السماء جليل
دعته إلى كوفان شر عصابة ... عصاة وعن طرق الصواب عدول
فلما أتاهم واثقاً بعهودهم ... فمالوا وطبع الغادرين يميل
أحاطوا وحطوا بالفرات ولم يكن ... لآل رسول الله منه نهول
فلما تناهى الأمر واقترب الردى ... وذلّ عزيز واستعزّ ذليل
فمال عليه الجيش حملة واحدة ... ببيض وسمر ذبل ونصول
فوافاه في النحر المقدس عبطل ... به أصبح الدين الحنيف عليل
فخرّ صريعاً ظامياً عن جواده ... فأضحت ربوع السعد وهي محول
وراح إلى نحو الخيام جواده ... خلياً من الندب الجواد يجول
برزن إليه الطاهرات حواسراً ... لهن على المولى الحسين عويل
فللّه أمر فادح شمل الورى ... ورزء على الإسلام منه خمول
بنو الوحي في أرض الطفوف حواسراً ... وأبناء حرب في الديار نزول
ويسرى بزين العابدين مقيداً ... على البزل مأسور اللثام عليل
ويصبح في تخت الخلافة جالساً ... يزيد وفي الطف الحسين قتيل
سليل النبي المصطفى وابن فاطم ... وأين لذين الوالدين مثيل
لقد صدق الشيخ السعيد أخو العلى ... علي وجاز الفضل حيث يقول

---

(1) سورة الأعراف: الآية 46.

فما كل جد في الرجال محمداً ولا كل أم في النساء بتول
أمولاي آمالي تأمل نصركم وقلبي إليكم بالولاء يميل
وقد طال عمر الصبر في أخذ ثاركم أما آن للظلم المقيم رحيل
فدونكم من عبدكم وولّيكم عروساً ولكن في الزفاف ثكول
عليكم سلام الله ما ذُكر اسمكم وذاكي مدى الأيام ليس يزول

روى السعيد عبد الحميد عن مشايخه يرفعه إلى أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فجلس بين يديه وقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلامي وإني وإني، قال: وماذا؟ قال: تزوجني فاطمة. فأعرض عنه فرجع أبو بكر إلى عمر فقال: هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: خطبت فاطمة إلى النبي فأعرض عني، فقال: مكانك حتى آتيه فأطلب منه مثل الذي طلبت. فأتى عمر إلى النبي ﷺ فجلس بين يديه وقال: يا رسول الله قد علمت قدمي في الإسلام ومناصحتي وإني وإني، قال: وماذا؟ قال: تزوجني فاطمة، فأعرض عنه فرجع إلى أبي بكر فقال: إنه لينظر أمراً فيها، قم بنا إلى علي نأمره أن يطلب ما طلبنا. قال علي عليه السلام: فأتياني وأنا أعالج فسيلاً لي فقالا: إنا جئنا من عند ابن عمك لخطبة فاطمة فأعرض عنا فقم فاخطبها، قال علي عليه السلام: فقمت وأنا أجرر ردائي إلى طرف عاتقي وطرف على الأرض حتى أتيت النبي ﷺ فجلست بين يديه وقلت: يا رسول الله قد علمت قدمي في الإسلام وإني وإني، قال: وماذا؟ قال: زوجني فاطمة، قال: وما عندك؟ قال: قلت: فرسي وبُدني، قال: أما فرسك فلا بد لك منه وأما بُدنك فبعها، قال: فبعتها بأربعمائة درهم وجئت بها حتى وضعتها في حجره، فقبض منها قبضة فقال: أين بلال! اشتري بها طيباً وأمرهم أن يجهزوها. فجعل لها سريراً مشروطاً بالشرط ووسادة من آدم حشوها ليف وملأ البيت كثيباً وقال: يا علي إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك. فجاءت مع أم أيمن فقعدت في جانب البيت وأنا في جانب وجاء النبي ﷺ فقال: ها هنا أخي، فقالت أم أيمن: أخوك أخوك وقد زوّجته ابنتك! قال: نعم. ودخل رسول الله ﷺ البيت فقال: يا فاطمة آتيني بماء، فقامت إلى قعب في البيت فأتته بماء فمج فيه وقال لها: قومي، فصب بين يديها وعلى رأسها وقال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. ثم قال: آتوني بماء، قال علي عليه السلام: فقمت فملأت القعب ماء وأتيت به فمجّ فيه ثم قال لي: تقدم، فصب على رأسي وبين يدي وقال: اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. ثم قال: ادبر، فأدبرت، فصب بين كتفي وقال: اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. ثم قال: أدخل بأهلك باسم الله والبركة.

فيا إخواني ألا تتفكرون في هؤلاء الأقوام، هلا نظروا في كلام النبي ﷺ حين عوَّذ الذرية من الشيطان فيقفوا عما قدموا عليه من الطغيان ولكنها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[1]، فتباً لهم ما أجرأهم على انتهاك حرمة خاتم النبيين، وما أقسى قلوبهم على ذريته الطاهرين المطهرين، ويحهم أين يُتاه بهم عن قصد السبيل، وحتى متى لا يرعون عن هذا التضليل، أكل هذه الدنيا ونعيمها الزائل المشوب بالغصص والوهم الباطل، ولعمري ستفارقوها عن قليل، ويقال لهم: انطلقوا إلى ظل لا ظليل.

يا مؤثر الدنيا على دينه ... والحائر التائه عن قصده
أصبحت ترجو الخُلد فيها وقد ... أبرز ناب الموت عن حده
هيهات أن الموت ذو أسهم ... من يرمه يوماً بها يرده
لا يفرج الواعظ قلب امرىء ... لا يعزم الله على رشده

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[2]:

عزّ صبري وعزّ يوم التلاق ... آه وا حسرتاه مما ألاقي
أرَّقتني مذ فارقتني أحبابي ... برغمي غداة يوم الفراق
وفؤادي أضحى غريم غرام ... واصطباري نأى ووجدي باق
أحدقوا بي عواذلي يعذلوني ... حين فاز الدموع من أحداق
يا عذولي إني لسيع فراق ... ما له بعد لسعة من راقي
اعجبوا من متيَّم حكم الوجد ... عليه بالماء والاحتراق
نار حزني تشبُّ بين ضلوعي ... ودموعي تفيض من مآقي
حق لي بالبكاء ما لا دموعاً ... وأشق الفؤاد لا أخلاق
وأزيد الحزن الشديد لرزء ... السبط سبط الراقي لظهر البراق
قتلوه ظلماً ولم يرقبوا فيه ... لعمري وصية الخلاق
لست أنساه يوم ظل ينادي ... القوم: يا عصبة الخنا والشقاق
أتراكم بم استبحتم قتالي ... ورأيتم حلاً عليكم شقاقي

(1) سورة الحج: الآية 46.
(2) القصيدة للسيد عبد الحميد رحمه الله تعالى.

ونكثتم عهدي وكذبتموني ... وشرَّعتم قتلي وقتل رفاقي
هل علمتم بأن جدي رسول الله ... خير الأنام بالإطلاق
وعلي أبي الذي كسر الأصنام ... قسراً وفي القيامة ساقي
والبتول الزهراء فاطم أمي ... ثم عمي الطيار في الخلد راقي
هل مغيث يغيثنا وعلينا ... الأجر يوم المحيا ويوم التلاق
فأجابوه قد علمنا الذي قلت ... وما أنت بعد ذا اليوم باق
ثم حفوا به ببيض صقال ... ودروع زغف وسمر رشاقي
ورجال إلى الحروب سراع ... فوق خيل مضمرات عتاق
فغدا للقتال لا يختشي الموت ... لعمري والموت مر المذاق
يورد السمر والضبا في الأعادي ... فيرويهما دم الأعناق
فأحاطوا به فأردوه لما ... عزّ نُصاره وقُتل الباقي
ثم علُّوا كريمه فوق رمح ... وهو يبدو كالبدر في الإشراق
وبنات النبي ينددن لما ... عاينوه قد خرّ منه التراقي
وغدت زينب تنادي بشجو: ... يا أخي يا قتيل أهل النفاق
يا نبي الهدى بناتك أسرى ... يتناجين من ألم الفراق
عاريات يُحملن فوق المطايا ... حاسرات يسحبن في الأسواق
وعلي السجاد يرفل في القيد ... عليلاً مضني شديد الوثاق
يا لها من رزية تهدم الدين ... لعمري لو أن دينك باق
يا ابن بنت الرسول يا غاية المأمول ... يا عدتي غداً للتلاقي
ابن عبد الحميد عبدك ما زال ... محباً لكم بغير النفاق
إن تفت نصرتي لكم واقتحامي ... دونك الهول عند ضيق الخناق
لم تفت لوعتي وطول حنيني ... واكتئابي وحرقتي واشتياقي
ومقامي على الكآبة والأحزان ... باكٍ بدمعة مهراق
قسماً بالحجيج والبيت والركن ... وطاها وحرمة الخلاق
ما تجري يوم الطفوف على السبط ... جهاراً معاشر الفساق
وسقوه كأس المنية إلا ... بعتيق ونعثل ذي النفاق

فُهتَ بالحق والذي يقصد الحق يأمن فإنه لا يتاقي
حبكم عدّتي وأنتم ملاذي يوم حشري ومنكم أعراقي
فصلاة الِرب الرحيم عليكم ما تغنى الحداة خلف النياق

الباب الثالث

أيها المؤمنون، قاطعوا رقاد العيون، وواصلوا سهاد الجفون، وأمسكوا عن اللذات، وأبذلوا الدموع الجاريات، فإن إظهار الدموع البادية دليل على إظهار الأحزان الخافية، وإني كلما تزايدت عليَّ الأفكار يتوقد في قلبي لهيب النار فلا أجد من ألتجىء إليه ولا أعول في بث حزني عليه، وكيف لا تحزن على سادات العباد وأنوار الله في البلاد وحجج الله على الخلاق ولسانه الناطق، والشهود على الأمم بين يدي بارىء النسم:

وأعظم ما بي شجو زينب إذ رأت أخاها طريحاً للمنايا يمارس
تقول: أخي يا واحدي شمت العدا بنا واشتفى فينا الحسود المنافس
أخي يا أخي يا خير ذخر فقدته وأنفس شيء صابني فيه نافس
أخي يا أخي قد كان غاية منيتي بأن يحتويني قبل فقدك غامس
أخي اليوم مات المصطفى ووصيه ولم يبق للإسلام بعدك حارس
أخي مَن لأطفال النبوة يا أخي ومَن لليتامى إن قضيت يؤانس
أخي من يحامي عن حريم محمد ويصلح أحوالاً لها الدهر مائس
وفاطمة الصغرى تخاطب جدها ونحو أبيها طرفها متشاوس
تقول له: يا جد ليتك شاهد وقد حكمت فينا الكلاب النواهس
لتنظر يا جداه سبطك ظامياً وسابحه في لجة الموت طامس
فللّه ذا من فادح ما أجّله ورزء له عرش المهيمن رائس

روي أن العباس بن علي عليه السلام كان حامل لواء أخيه الحسين عليه السلام، فلما رأى جميع عسكر الحسين عليه السلام قتلوا وإخوانه وبنو عمه بكى وأنَّ إلى لقاء ربه واشتاق وحنَّ، فحمل الراية وجاء نحو أخيه الحسين عليه السلام وقال: يا أخي هل رخصة؟ فبكى الحسين عليه السلام بكاءاً شديداً حتى ابتلت لحيته المباركة بالدموع ثم قال: يا أخي كنت العلامة من عسكري ومجمع عددنا فإذا أنت غدوت يؤول جمعنا إلى الشتات وعمارتنا تنبعث إلى الخراب. فقال العباس: فداك روح أخيك يا سيدي قد ضاق

صدري من حياة الدنيا وأريد أخذ الثار من هؤلاء المنافقين، فقال الحسين عليه السلام: إذا غدوت إلى الجهاد فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء. فلما أجاز الحسين عليه السلام أخاه العباس للبراز، برز كالجبل العظيم وقلبه كالطود الجسيم لأنه كان فارساً هماماً وبطلاً ضرغاماً، وكان جسوراً على الطعن والضرب في ميدان الكفاح والحرب. فلما توسط الميدان وقف وقال: يا عمر بن سعد هذا الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ يقول: إنكم قتلتم أصحابه وإخوته وبني عمه وبقي فريداً مع أولاده وهم عطاشاً قد أحرق الظمأ قلوبهم، فاسقوه شربة من الماء لأن أطفاله وعياله وصلوا إلى الهلاك وهو مع ذلك يقول لكم دعوني أخرج إلى أطراف الروم والهند وأخلي لكم الحجاز والعراق والشرط لكم إن غداً في القيامة لا أخاصكم عند الله حتى يفعل الله بكم ما يريد. فلما أوصل العباس إليهم الكلام عن أخيه، فمنهم من سكت ولم يرد جواباً، ومنهم من جلس يبكي، فخرج الشمر وشبث بن ربعي، لعنهما الله، فجاءا نحو العباس، وقالا: يا ابن أبي تراب قل لأخيك لو كان كل وجه الأرض ماءاً وهو تحت أيدينا ما أسقيناكم منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد. فتبسم العباس ومضى إلى أخيه الحسين وعرض عليه ما قالوا، فطأطأ رأسه إلى الأرض وبكى حتى بلّ أزياقه، فسمع الحسين عليه السلام الأطفال ينادون: العطش، فلما سمع العباس ذلك رمق بطرفه إلى السماء وقال: إلٰهي وسيدي أريد أعتد بعدتي وأملىء لهؤلاء الأطفال قربة من الماء. فركب فرسه وأخذ رمحه والقربة في كتفه وكان قد جعل عمر بن سعد لعنه الله تعالى أربعة آلاف خارجي موكلين على الماء لا يدعون أحداً من أصحاب الحسين يشربون منه، فلما رأوا العباس قاصداً إلى الفرات أحاطوا به من كل جانب ومكان، فقال لهم: يا قوم أنتم كفرة أم مسلمون؟ هل يجوز في مذهبكم أو في دينكم أن تمنعوا الحسين وعياله شرب الماء والكلاب والخنازير يشربون منه والحسين مع أطفاله وأهل بيته يموتون من العطش؟ أما تذكرون عطش القيامة!، فلما سمعوا كلام العباس وقف خمسمائة رجل ورموه بالنبل والسهام فحمل عليهم فتفرقوا عنه هاربين كما تتفرق الغنم عن الذئب وغاص في أوساطهم وقتل منهم ـ على ما نقل تقريباً من ـ ثمانين فارساً، فهمز فرسه إلى الماء وأراد أن يشرب فذكر عطش الحسين وعياله وأطفاله فرمى الماء من يده وقال: والله لا أشربه وأخي الحسين عليه السلام وعياله وأطفاله عطاشاً لا كان ذلك أبداً. ثم ملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن وهمز فرسه وأراد أن يوصل الماء إلى الخيمة، فاجتمع عليه القوم فحمل عليهم فتفرقوا عنه وسار نحو الخيمة فقطعوا عليه الطريق، فحاربهم محاربة عظيمة فصادفه نوفل الأزرق وضربه على يده اليمنى فبراها، فحمل العباس القربة على كتفه الأيسر فضربه نوفل أيضاً فبرا كتفه الأيسر من الزند، فحمل

القربة بأسنانه فجاء سهم فأصاب القربة فانفرت وأريق ماءها، ثم جاء سهم آخر في صدره فانقلب عن فرسه إلى الأرض وصاح إلى أخيه الحسين: أدركني، فساق الريح الكلام إلى الخيمة فلما سمع كلامه أتاه فرآه طريحاً فصاح: وا أخاه وا عباساه وا قرة عيناه وا قلة ناصراه، ثم بكا بكاءاً شديداً وحمل العباس إلى الخيمة فجددوا الأحزان وأقاموا العزاء ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]:

لهفي على العباس لما أن دنى ... نحو الفرات بقلبه الحران
فأراد شرب الماء وقال بنفسه: ... وا لهفتاه للسيد الظمآن
عاف الشراب ولم يبلّ أوامه ... وجد الوجد أخيه والإخوان
لهفي على العباس إذ حاطوا به ... من كل فج أقبلوا ومكان
حاطوا به واستفردوه وخرقوا ... قرباً ملاها قاصد النسوان
ثاروا عليه بطعنهم وبضربهم ... وبطعنهم أردوه في الميدان
فعلاه رجس فاجر بحسامه ... قطع اليمين بمشرفي ويماني
وهواه آخر ضربة في رأسه ... حتى رماه بحوبة الجولاني
فأتى الحسين إليه وهو مسارع ... فرأى أخاه مكابد الحدثان
فبكا وقال: جُزيت خيراً من أخ ... واسى أخاه بشدة وهوان
أدّيت حقاً للأخوة يا أخي ... وحظيت وَصْل الحور والولدان
يا أول الشهداء يا ابن المرتضى ... صلّى عليك الله كل أوان
والله تلك مصيبة لم أنساها ... إلا إذا أُدرجت في الأكفان

حكي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه منذ وفاة أبيه الحسين ما أكل لحم الرؤوس حزناً على رأس أبيه، وكان عمره يومئذ أحد عشر سنة ولم يزل يبكي على مصاب أبيه أربعين سنة وهو مع ذلك صائم نهاره قائم ليله، فإذا أُحضر الطعام لإفطاره قال: وا كرباه لكربك يا أباه، وا أسفاه لقتلك يا أباه، ثم يبكي طويلاً وهو يقول: قتل ابن بنت رسول الله جائعاً، قتل ابن بنت رسول الله عطشاناً وأنا آكل الزاد وأشرب الماء، لا هناني، الأكل والشرب يعزز عليك يا أبي، ليتني لم أر مصرعك. قال: ولم يزل يبكي حتى تبل الدموع وجهه ولحيته فإذا أفاق أكل قليلاً وحمد الله كثيراً وقام إلى عبادة ربه وأصبح صائماً، ولم يزل هكذا حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه:

---

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

وأبلج وضاح الجبين تجمّعت به من معاني المكرمات فنون
إذا أسهرت عيناه من خوف ربه أقرّت به للأولياء عيون

حكي عن فضيل بن عبد ربه إنه قال: دخلت على الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا سيدي إني أنشدك قصيدة للسيد إسماعيل الحميري، قال: أجل، ثم أنه عليه السلام أمر بستور فسدلت وأبواب ففتحت وأجلس حريمه من وراء الستر ثم قال: أنشد يا فضيل بارك الله فيك. فأنشدته قصيدة للسيد التي أولها:

* لأم عمر باللوى مربع *

فلما بلغت إلى:

* ووجهه كالشمس إذا تطلّع *

سمعت نحيباً من وراء الستر وذلك بكاء أهل بيته وعياله، وبكى هو أيضاً عليه السلام لأنه كان رقيق القلب سريع العبرة، فقال لي: يا فضيل لمن هذه القصيدة؟ فقلت: هذه للسيد الحميري، فقال: يرحمه الله، فقلت: يا مولاي إني رأيته يرتكب المعاصي! فقال: يرحمه الله، فقلت: إني رأيته يشرب النبيذ نبيذ الرستاذق، فقال: تعني الخمر؟ قلت: نعم، قال: يرحمه الله وما ذاك على الله بعسير أن يغفر لمحب جدي علي بن أبي طالب شارب الخمر، فقلت: الحمد لله على ولايته ومحبته. ثم إني أكملت القصيدة إلى آخرها وهو عليه السلام مع ذلك يبكي.

وحكى سهيل بن ذبيان بن فضل هذه القصيدة أيضاً حيث قال: دخلت على الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بعض الأيام قبل أن يدخل عليه أحد من الناس، فقال لي: مرحباً بك يا ابن ذبيان، الساعة أراد رسولنا يأتيك لتحضر عندنا؟ فقلت: لماذا يا ابن رسول الله؟ فقال: لمنام رأيته البارحة وقد أزعجني وأرّقني، فقلت: خيراً يكون إنشاء الله تعالى، فقال: يا ابن ذبيان رأيت كأني قد نصب لي سلم فيه مائة مرقاة فصعدت إلى أعلاه فقلت: يا مولاي أهنيك بطول العمر وربما تعيش مائة سنة لكل مرقاة سنة، فقال لي: ما شاء الله كان. ثم قال: يا ابن ذبيان فلما صعدت إلى أعلا السلم رأيت كأني دخلت في قبة خضراء يرى ظاهرها من باطنها ورأيت جدي رسول الله ﷺ جالساً فيها وإلى يمينه وشماله غلامان حسنان يشرق النور من وجوههما، ورأيت امرأة بهية الخلقة، ورأيت بين يديه وهو يقرأ هذه القصيدة: «لأم عمر باللوى مربع» فلما رآني النبي ﷺ قال لي: مرحباً بك يا ولدي يا علي بن موسى الرضا سلم على أبيك علي، فسلمت عليه ثم قال لي: سلم على أمك فاطمة الزهراء، فسلمت عليها، فقال لي: وسلم على أبويك الحسن والحسين،

فسلمت عليهما، ثم قال لي: وسلم على شاعرنا ومادحنا في دار الدنيا السيد إسماعيل الحميري فسلمت عليه وجلست، فالتفت النبي ﷺ إلى السيد إسماعيل وقال له: عد إلى ما كنا فيه من إنشاد القصيدة، فأنشد يقول:

لأم عمرو باللوى مربع طامسة أعلامه بلقع

فبكى النبي ﷺ، فلما بلغ إلى قوله: «ووجهه كالشمس إذ تطلع» بكى النبي وفاطمة عليهما السلام معه ومن معه، ولما بلغ إلى قوله: «قالوا لو شئت أعلمتنا إلى من الغاية والمفزع» رفع النبي ﷺ يديه وقال: إلٰهي أنت الشاهد عليّ وعليهم إني أعلمتهم أن الغاية والمفزع علي بن أبي طالب، وأشار بيده إليه وهو جالس بين يديه صلوات الله عليه. قال علي بن موسى الرضا: فلما فرغ السيد إسماعيل الحميري من إنشاد القصيدة التفت النبي ﷺ إليّ وقال لي: يا علي بن موسى الرضا احفظ هذه القصيدة وأمر شيعتنا بحفظها، واعلمهم أن من حفظها وأدى من قراءتها ضمنت له الجنة على الله. قال الرضا: ولم يزل يكررها عليّ حتى حفظتها منه.

ونحن نتبرك بإيراد هذه القصيدة ونجعلها خاتمة الباب، وإلى الله المرجع وإليه المآب. والقصيدة هي[1]:

لأم عمرو باللوى مربع طامسة أعلامه بلقع
تروح عنه الطير وحشية والأسد من خيفته تفزع
برسم دار ما بها مؤنس إلا ظلال في الثرى وقع
رقش يخاف الموت من نفثها والسم في إتيانها منقع
لما وقفن العيس من رسمها والعين من عرفانه تدمع
ذكرتُ مَن قد كنت ألهو به فبتُّ والقلب شجٌ موجع
كأن بالنار لما شفني من حب أروى كبد تلذع
عجبت من قوم أتوا أحمداً بخطبة ليس لها موضع
قالوا له لو شئت أعلمتنا إلى من الغاية والمفزع
إذا توفيت وفارقتنا وفيهم في الملك من يطمع
فقال: لو أعلمتكم مفزعاً كنتم عسيتم فيه أن تصنعوا
صنيع أهل العجل إذ فارقوا هارون فالترك له أودع

(1) القصيدة للسيد إسماعيل الحميري رحمه الله تعالى.

وفي الذي قال بيان لمن ... كان إذا يعقل أو يسمع
ثم أتته بعد ذا عزمة ... من ربه ليس لها مدفع
أبلغ وإلاَّ لم تكن مبلِّغاً ... والله منهم عاصم يمنع
فعندها قام النبي الذي ... كان بما يأمره يصدع
يخطب مأمور وفي كفه ... كف علي ظاهراً يلمع
رافعها أكرم بكف الذي ... يرفع والكف الذي تُرفع
يقول والأملاك من حوله ... والله فيهم شاهد يسمع
من كنت مولاه فهذا له ... مولى فلم يرضوا ولم يقنع
فاتهموه وجنت منهم ... على خلاف الصادق الأضلع
وظلّ قوم غاظهم فعله ... كأنما آنافهم تُجدع
حتى إذا واروه في قبره ... وانصرفوا عن دفنه ضيّع
ما قال بالأمس وأوصى به ... واشتروا الضر بما ينفع
وقطعوا أرحامه بعده ... فسوف يجزون بما قطع
وأزمعوا غدراً بمولاهم ... تباً لما كان به أزمع
لا هم عليه يَرِدُوا حوضه ... غداً ولا هو فيهم يشفع
حوض له ما بين صنعا إلى ... أيلة والعرض به أوسع
ينصب فيه علم للهدى ... والحوض من ماء له مترع
يفيض من رحمته كوثر ... أبيض كالفضة أو أنصع
حصاه ياقوت ومرجانه ... ولؤلؤ لم تجنه أصبع
بطحاءه مسك وحافاته ... يهتزُّ منها مونق مربع
أخضر ما دون الورى ناضر ... وفاقع أصفر أو أنصع
فيه أباريق وقدحانه ... يذب عنها الرجل الأصلع
يذب عنها ابن أبي طالب ... ذباً كجرباء إبل شرع
والعطر والريحان أنواعه ... ذاك وقد هبت به زعزع
ريح من الجنة مأمورة ... ذاهبة ليس لها مرجع
إذا دنوا منه لكي يشربوا ... قال لهم: تباً لكم فارجع

دونكم فالتمسوا منهلاً يرويكم أو مطمع يشبع
هذا لمن والى بني أحمد ولم يكن غيرهم يتبع
فالفوز للشارب من حوضه والويل والذل لمن يمنع
والناس يوم الحشر راياتهم خمس فمنها هالك أربع
فراية العجل وفرعونها وسامري الأمة المشنع
وراية قدمها أذلم عبد لئيم لكع أكوع
وراية يقدمها حبتر للزور والبهتان قد أبدع
وراية يقدمها نعثل لا يرد الله له مضجع
أربعة في سقر أُودعوا ليس لهم من قعرها مطلع
وراية يقدمها حيدر ووجهه كالشمس إذ تطلع
غداً يلاقي المصطفى حيدر وراية الحمد له تُرفع
مولى له الجنة مأمورة والنار من إجلاله تفزع
إمام صدق وله شيعة يرووا من الحوض ولم يمنع
بذاك جاء الوحي من ربنا يا شيعة الحق فلا تجزع
الحميري مادحكم لم يزل ولو يُقطَّع أصبع أصبع
وبعدها صلُّوا على المصطفى وصنوه حيدرة الأصلع

* * *

المجلس الخامس

من الجزء الثاني، في الليلة الثامنة من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها الإخوان والأصحاب، كيف لا يعظم عليكم المصاب والحزن والاكتئاب وقد أصبح لهم آل الرسول ثاوياً على التراب، وتلك الأبدان المعظمة عارية من الثياب ودماءهم مسفوكة بسيوف أهل الضلال ووجوه بناته مبذولة لأعين الأنذال، فيا ليت فاطمة تنظر إلى الفاطميات بين العدى حاسرات وهن ما بين نادبة: وا أخاه، وقائلة: وا أباه، وصارخة: يا جداه، وباكية: وا كرباه، مشققات الجيوب، مفجوعات بفقد المحبوب، ناشرات للشعور، بارزات من الخدور، لاطمات للخدود، عادمات للجدود، متعبات بالنياحة والعويل، فاقدات للمحامي والكفيل، فيا عظم ما أصيب به الرسول وابتلى فيه أولاد البتول، فالحكم لله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله:

ألا يا رسول الله لو كنت فيهم ... لشاهدتهم في حالة تذهل الفكرا
فهم بين أطفال يتامى ونسوة ... أيامى وصرغى كالندامى سقوا خمرا
رؤوسهم فوق القنا وعيالهم ... بأيدي أعاديهم تسوقهم قهرا
ومن أفظع الأشياء يا خير مرسل ... مساومة استرقاق فاطمة الصغرى
مصاب بكت منه السماء وأهلها ... وأشفت به الشم الرعان على المسرا

فيا ويلهم كأنهم لم يسمعوا ما قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزَّ وجلَّ قد حرَّم الجنة على من ظلم أهل بيتي وقاتلهم وسالبهم والمعرض عنهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾»[1]. آياتهم باهرة، ومعجزاتهم واضحة ظاهرة، وهم أعلام المسلمين في الدنيا والآخرة.

روي عن يحيى أم الطويل أنه قال: كنت عند مولاي الحسين عليه السلام إذ دخل

(1) سورة آل عمران: الآية 77.

عليه شاب وهو يبكي فقال له الحسين عليه السلام: ما الذي يبكيك يا شاب؟ قال: يا ابن رسول الله إن أمي ماتت في هذه الساعة وقد تركت مالاً عظيماً ولم توص إليَّ شيء ولم أعلم أين دفنته وقد حرَّمته. فقال الحسين عليه السلام: ما الذي قالت لك عند موتها؟ قال: قالت لي: إذا أردت أن تفعل أمراً من الأمور لا تعمله إلاَّ بما يشير به إليك الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ، فما تأمرني به يا مولاي؟ فقال الحسين عليه السلام: أتحب أن يحيي الله أمك وتخبرك بما تريد؟ فقال الشاب: يا حبذا. فقام الحسين عليه السلام مع الشاب والناس معهما حتى أتى منزل أمه، فوقف عليها ودعا إلى الله تعالى بدعوات لم نفهمها ثم قال لها: قومي يا أمة الله بإذن الله تعالى وأوصي إلى ابنك بما تريدين. فقامت وهي تشهد وتقول: السلام عليك يا ابن رسول الله، اعلم أن عندي مالاً جزيلاً موضوعاً في مكان كذا وكذا فاستخرجه وخذ ثلثيه لك أنفقه بما شئت، وثلثه الآخر ادفعه لابني هذا إن كنت تعلم أنه محب لكم وموال لكم وإن كان مخالفاً فامنعه عنه لأن مالي محرم على من يبغضكم أهل البيت. ثم أنها ماتت رحمها الله تعالى، فأمر الحسين عليه السلام بتغسيلها وتكفينها وصلى عليها ودفنها.

انظروا يا إخواني إلى هذا الأمر العظيم والخطب الجسيم، وهو ليس بكثير منهم ولا بمستبعد عنهم، وقد ظهر لهم من الفضل ما لا يحصى ومن المعجزات ما لا يستقصى، فالويل لمن خذلهم وهوى غيرهم ورد لهم.

وروي عن أبي الحصين رضي الله عنه قال: رأيت شيخاً مكفوف البصر، فسألته عن السبب؟ فقال: إني من أهل الكوفة وقد رأيت رسول الله ﷺ في المنام وبين يديه طشت فيه دم عظيم من دم الحسين عليه السلام وأهل الكوفة كلهم يعرضون عليه فيلطخهم بالدم، دم الحسين عليه السلام، حتى انتهيت إليه وعرضت عليه فقلت: يا رسول الله ما ضربت بسيف ولا رميت بسهم ولا كثرت السواد عليه، فقال لي: صدقت ألست من أهل الكوفة؟ فقلت: بلى، قال: فلم لا نصرت ولدي ولم لا أجبت دعوته ولكنك هويت قتلة الحسين وكنت من حزب ابن زياد. ثم أن النبي أومىء إليَّ بإصبعه فأصبحت أعمى، فوالله ما يسرني أن يكون لي حمر النعم ووددت أن أكون شهيداً بين يدي الحسين عليه السلام.

وروي في بعض الأخبار أن رسول الله ﷺ كان نائماً في بيت عائشة وقت القايلة، فاستيقظ من نومه وهو يبكي فقالت له عائشة: ما يبكيك يا رسول الله! فداك أبي وأمي ونفسي، قال لها: إن جبرائيل أتاني في نومي وقال: أبسط يدك يا محمد، فناولني قبضة من تراب أحمر وقال لي: هذه تربة من أرض كربلاء يقتل فيها ابنك الحسين عليه السلام،

تقتله أمتك يا محمد. قالت عائشة: فجعل النبي ﷺ يحدثني وهو يبكي ويقول: من ذا يقتل ابني حسيناً، من ذا يقتل قرة عيني حسيناً، لا أناله الله شفاعتي يوم القيامة. ثم قالت عائشة: والله لقد قال لي رسول الله ﷺ: ادعي لي ابنتي فاطمة الزهراء، فأسرعت إليها فجاءت وهي تقود ابنيها الحسن والحسين كل واحد منهما بيد وجاء علي عليه السلام يمشي خلفهما حتى دخلوا حجرة النبي ﷺ فأجلس علياً عن يمينه وأجلس فاطمة عن شماله وأجلس الحسنين بين يديه ثم تناول كساء جرباً فلفَّهم فيه جميعاً وأخذ بيده اليمنى طرفاً من الكساء وبيده اليسرى الطرف الآخر ورفع رأسه نحو السماء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وتطهرهم تطهيراً» حتى قالها ثلاث مرات، فقالت عائشة: ثم جاءت جارية فاطمة ومعها إناء فيه عصيدة وخبز في طبق فوضعته بين أيديهم فجعلوا يأكلون جميعاً والنبي ﷺ يقول لهم: «كلوا هنيئاً مريئاً قد أذهب الله عنكم الرجس وطهركم تطهيراً».

أعينيّ جودا في دموع غزيرة ... فقد حقَّ إشفاقي وما كنت أحذر
أعينيّ هذا شافعوا الناس واصلوا ... المنايا فمنهم دار عون وحسر
من الأكرمين الغر من آل هاشم ... لهم سلف من واضح المجد يذكر
مصابيح أمثال الأهلة إذ هم ... لدى الجود أو دفع الكريهة أبصر
بهم فجعتنا والفوادح كاسمها ... تميم أو بكر والسكون وحمير
وهمدان قد جاشت علينا وأجلست ... هوازن في أفناء قيس وأعصر
وفي كل حي نضحة من دمائنا ... بني هاشم يعلو سناها ويشهر
فللَّه محيانا وكان مماتنا ... ولله قتلانا تُدان وتُنشر
لكل دم مولى ومولى دمائنا ... لمرتقب يعلو عليكم ويظهر
فسوف يرى أعداءنا حين نلتقي ... لأي الفريقين النبي المطهر

روى ابن وهب رضي الله عنه قال: دخلت يوم عاشورا إلى دار إمامي جعفر الصادق عليه السلام، فرأيته ساجداً في محرابه، فجلست من ورائه حتى فرغ فأطال في سجوده وبكائه فسمعته يناجي ربه وهو ساجد وهو يقول: اللهم يا مَن خصنا بالكرامة ووعدنا الشفاعة وحمَّلنا الرسالة وجعلنا ورثة الأنبياء وختم بنا الأمم السالفة وخصنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل الأفئدة من الناس تهوى إلينا، أغفر اللهم لإخواني ولزوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم في حبه وشخصوا أبدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد ﷺ، وإجابة

منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا وأرادوا بذلك رضوانك، اللهم فكافئهم عنا بالرضوان واكلأهم بالليل والنهار، واخلفهم في أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا أحسن الخلف، واكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوه منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وأقربائهم. اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلبت على قبر أبي عبد الله الحسين، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي حزنت لأجلنا واحترقت بالحزن، وارحم تلك الصرخة التي كانت لأجلنا. اللهم إني استودعتك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش الأكبر وتدخلهم الجنة وتسهل عليهم في يوم الحساب إنك أنت الكريم الوهاب.

قال: فما زال الإمام عليه السلام يدعو لأهل الإيمان ولزوار قبر الحسين وهو ساجد في محرابه، فلما رفع رأسه أتيت إليه وسلمت عليه وتأملت وجهه وإذا هو كاشف اللون متغير الحال ظاهر الحزن ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب، فقلت: يا سيدي مم بكاؤك لا أبكى الله لك عيناً، وما الذي حل بك؟ فقال لي: أوَ في غفلة عن هذا اليوم أنت؟ أما علمت أن جدي الحسين قد قُتل في مثل هذا اليوم!؟ فبكيت لبكائه وحزنت لحزنه فقلت له: يا سيدي فما الذي أفعل في مثل هذا اليوم؟ فقال لي: يا ابن وهب زر الحسين عليه السلام من بعيد أقصى ومن قريب أدنى وجدد الحزن عليه وأكثر البكاء والشجون له. فقلت: يا سيدي لو أن الدعاء الذي سمعته منك وأنت ساجد كان كمن لا يعرف الله تعالى لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً والله لقد تمنيت أني كنت زرته قبل أن أحج، فقال لي: فما الذي يمنعك من زيارته يا ابن وهب ولم تدع ذلك؟ فقلت: جعلت فداك لم أدر أن الأجر يبلغ هذا كله حتى سمعت دعاءك لزواره. فقال لي: يا ابن وهب إن الذي يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدع لهم في الأرض فإياك أن تدع زيارته لخوف من أحد فمن تركها لخوف رأى الحسرة والندم حتى أنه يتمنى أن قبره نبذه، يا ابن وهب أما تحب أن يرى الله شخصك، أما تحب أن تكون غداً ممن رُأي وليس عليه ذنب يتبع به، أما تحب أن تكون غداً ممن يصافحه رسول الله ﷺ يوم القيامة؟ قلت: يا سيدي فما قولك في غير تبييت، فقال لي: لا تجعله صوم يوم كامل وليكن إفطارك قبل العصر بساعة على شربة من ماء فإنه في ذلك الوقت انجلت الهيجاء عن آل الرسول وانكشفت الغمة

عنهم ومنهم في الأرض ثلاثون قتيلاً من مواليهم من أهل البيت، يعزُّ على رسول الله مصرعهم، ولو كان حياً لكان هو المعزى بهم. قال: وبكى الصادق عليه السلام حتى اخضلت لحيته بدموعه ولم يزل حزيناً كئيباً طول يومه ذلك وأنا معه أبكي لبكائه وأحزن لحزنه.

وها نحن، كيف لا نبكي لمن بكى لفقده الرسول، وكيف لا نحزن لمن حزنت لأجله البتول، وكيف لا نبكي لبكاء سادتنا، وكيف لا نحزن لفقد هداتنا، أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

لغيرك يا دنيا نعيت عناني ... وذاك لأمر عن غناك غناني
ومن كان في الدنيا مثلي عارفاً ... لواه الذي عن حبهن لواني
نعيت إلى نفسي زمان شيبتي ... وشيبي إلى هذا الزمان نعاني
وأنقذت في اللذات أيام صحتي ... فلما لحى عظمي السقام لحاني
لقد ستر الستار حتى كأنه ... بعفو عن اسم المذنبين محاني
ولو أنني أديت في ذاك شكره ... لكنت رعيت الحق حين رعاني
ولكنني بارزته بجرائم ... كأن لم يكن عن مثلهن نهاني
أقول لنفسي إن أردت سلامة ... فديني فمالي في الغداة بداني
ذري حذري يذري دموعي لعله ... إذا ما سقاني بالدموع شفاني
فإني لأخشى أن يقول أمرته ... بأمر وقد أمهلته فعصاني
ولي عنده يوم النشور وسيلة ... بها أنا راج صفح ما أنا جاني
بنو المصطفى الغر الذين اصطفاهم ... وميزهم من خلقه بمعاني
أناف بهم في الفخر عبد منافهم ... فما لهم عند المدان مداني
أبروا حمى من يرجى ويتقى ... ليوم طعام أو ليوم طعان
وأن لهم في سالف الدهر وقعة ... لدى الطف تجري الدمع بالهملان
غداة ابن سعد يستعد لحربهم ... بكل معدي وكل يماني
غداة تسمى مسلماً وهو خادم ... لنجل عقيل مسلم ولهاني
غداة دعوا النصاب سبط محمد ... خداعاً بأيمان لهم وأماني
غداة أتى من أهله في عصابة ... يجوبوا بها البيدا بغير تواني

(1) القصيدة للشيخ مغامس رحمه الله تعالى.

غداة دعوه فيهم أقبلت قاصداً لأنت مريب قاصداً لبيان
غداة دعوا فأنزل الحكم أميرنا وإلا لحرب يا حسين عواني
غداة دعا إن لم تنيبوا لربكم فخلوا سبيلي والرجوع لشاني
غداة أبوا أن يرجع السبط فانثنى وما هو فيما بينهم بمعاني
غداة استحث اليعملات فلم تسر وقد ضربت في كربلا بحران
غداة دعا أنصاره الآن فانزلوا نزول تفان لا نزول تهان
ففي هذه حقاً تجول رجالنا وقطع أكف بيننا وبنان
وفي هذه حقاً تجول خيولنا مجال قتال لا مجال رهان
وفي هذه حقاً تعلى رؤوسنا على مستقيمات الكعوب لدان
ودارت بهم خيل الأعادي فجرعوا كؤوس المنايا والحتوف دواني
فلم يبق إلا السبط يحمل فيهم لدى لبدة في حومة الجولان
إذا ما القتاد الجحفل اللحب رده بعضب له ذي رونق وسنان
إلى حيث أرداه سنان برمحه فخرّ كطوب من هضاب رهان
وأقبل شمر ساحب الذيل نحوه وفي كفه ماضي الغروب يماني
فقال له: من أنت، قال: أنا الذي سُمي بشمر والضباب نماني
فقال: وهل بي أنت يا شمر عارف أم أنت كفور أم جهلت مكاني
فقال له: أنت الحسين ابن فاطم وما لك في هذه البرية ثاني
فجاءته تمشي زينب ابنة فاطم مقرحة الأحشاء في لهفاني
فقالت لشمر ذي الخنا وهو مثخن بحلق حسين للمهند حاني
أيا شمر أم والله لو كنت مسلماً لربك أو أيقنت أنك فان
لما كنت يا شمر اجترأت عظيمة بها يوم تأتي يشهد الملكان
أيا شمر جهلاً قد جنيت جناية لأمثالها لم يجن قبلك جاني
أيا شمر أن الخصم فيها محمد وحيدر والزهراء والحسنان
أيا شمر أبشر سوف تلقى محمد فتشقى ولا تُسقى رحيق جنان
أيا شمر هذا واحدي قد قتلته وحسبي به حسبي به وكفاني
أيا شمر من ذا للزمان نعده إذا ما زماني بالخطوب رماني

أيا شمر ألا قبل ذاك قتلتني فما لي عيش بعد ذاك بهاني
أيا شمر من ذا يرعوي لأرامل أراها تسح الدمع حين تراني
ولما رنت نحو الحسين ونحره خضيب بما قد أسبل الودجان
دعت يا أخي يعز عليك بأنني أراك قطيع الرأس رأي عياني
أخي ما الحجا لي عن حجا لي بحاجب ولا عنك إذا بكى نهاي نهاني
أخي أي أحداث الطوارق أشتكي فقد قض دمعي طارق الحدثان
أخي من عمادي في الزمان وناصري ولم يبق إلا شقوتي وهوان
أخي إن رمتني الحادثات بريبها فقد كنت فيها عدتي وأماني
أخي ليس للمبقي لحالي بقية عليك مصاب شفني وبراني
أخي للرزايا حرقة مستمرة فيا سوأتاً منها يجن جناني
أخي إن يكن في الموت من ذاك راحة فراحة نفسي أن يكون أتاني
أخي لو تراني في السبايا أسيرة بشجو مصاب هدني ودهاني
لأبصرت مس الضر كيف أصابني بكف عدو سبني وسباني
وفاطمة الصغرى تنادي بزينب وتشكو فؤاداً دائم الخفقان
أيا عمتاه ما للضبابي ترنى قناعي وبغياً بالقطيع علاني
أيا عمتا ما لي إذا رمت من أبي دنوا حماتي قربة ولحماني
أيا عمتا كم أستغيث بوالدي ولو كان حياً سامعاً لوعاني
أيا عمتا قد كنت أملت أنني فداه ولكن الحسين فداني
أيا عمتا أما الأسى فأطاعني وأما العزا عن والدي فعصاني
أيا عمتا أما السلو فخانني غداة سلا عني الحيا وجفاني
أيا عمتا وَجْدِي عليه مجدد وما فرط أحزاني عليه بواني
أيا عمتا ما أخيب الحزن مطعماً بحلق معان للمصيبة عان
أيا عمتا إن نيح مضني من الأسى فإن الأسى قد شجني وشجاني
وتدعو بخير العالمين محمد وبالدمع جفناً عليتها بكفاني
أيا جد هذا السبط في طف كربلا مضمخ جثمان بأحمر قاني
أيا جد أما جسمه فضيوفه ضباع الفلا معلومة العسلان

أيا جد أما رأسه لو نظرته تجده رفيعاً في سِنان سنان
أيا جد قد رضّته بالجرد منهم بنو أمهات قد عرفن زواني
أيا جد لم يسقوه ماء وأنه ليكرع فيه سائر الحيوان
أيا جدنا قد هدم القوم كلما له قبل هذا اليوم مجدك بان
أيا جدنا هذي بناتك بينهم فمن أيم مسبية وحصان
أيا جدنا هذا علي مصفداً يرى ما يلاقي من أذى وهوان
أيا جد لو عاينته في قيوده رثيت لمغلول اليدين مهان
وأعظم شيء أن يشاء على الطوا بهم من مكان نازح لمكان
يسار بهم نحو الشآم هدية إلى كافر ذي قسوة وشنان
فلما رأتهم في القيود غدا لهم يقول بألحاظ الشماتة ران
ويندب أشياخاً ببدر مغرّداً بترجيع ألحان ورشف دنان
ويقرع سنا فاضلاً كان قبل ذا يقبّله من أحمد الشفتان
على ظالم الأطهار من آل أحمد أشد نكال في غد ولعان
بني صفوة الجبار عيناي كلما ذكرتم لهم بالدمع تبتدران
وإني من حزن على فوت نصركم لأقرع سني حسرة ببناني
ولكنه إن أخّر العصر عنكم ففات سناني لا يفوت لساني
وأنتم موالي الذين أقتدي بهم فلا فلان اقتدى وفلان
ولي موبقات من ذنوب أخافها إذا ما إلٰهي للحساب دعاني
وما قيل يوم الحشر يؤتى بشافع لناج ولكن الشفيع لجاني
على أنني راج سماحة منعم لقصدكم قبل السؤال هداني
وما أنا من عفو الإلٰه بقانط ولكنه ذو رحمة وحنان
وكيف وقد أبدعت إذ قمت خاطباً لكم في معاني حسنكم بمعاني
ولن يخش يوماً من عذاب مغامس إذا كنتم مما أخاف أماني
عليكم سلام الله ما درّ شارق وما قام داعي فرضه لأذان

الباب الثالث

أيها الإخوان والأصحاب، إذا عرفتم أن الحزن على هذا المصاب مما يزيد في

الأجر والثواب فلم لا تحزنون على ما حلّ بسادات الناس من اللئام الكفرة الأرجاس، أزالوهم عن مراتبهم التي رتّبهم الله فيها، وهذه القضية أصل كل بلية إن كنت تعيها، ثم لم يكفهم ذلك حتى منعوهم من الأخماس التي عوضهم الله تعالى بها عن أوساخ الناس، فقالوا: هذه للمسلمين كافة، فحرموها عليهم ومنعوها من الوصول إليهم، ثم ارتقوا إلى أبلغ من ذلك فقالوا لفاطمة عليها السلام: فدك لنا لا لك، فانتزعوا منها بلغتها وبلغة بعلها وبنيها ثم ارتقوا على ذلك فمنعوها إرثها من أبيها، فلما رأى أهل الشقاق والنفاق ما فعل بهم الصدر الأول الذي على زعمهم عليه المعول وكان في صدورهم الغل الكامن الدفين من أجل بغضهم لأمير المؤمنين لا جرم انتهزوا فيهم الفرص فجرعوهم الغصص. فوا عجباً من الأوائل والأواخر، وظلمهم الزائد، وعقلهم القاصر، فيا حرقى تزايدي على ما حلّ بساداتي، ويا جفوني سحي دموعاً على أصول ديني وأهل هداتي:

مضينا إلى الأرض التي تسكنونها ... أقبّل ترب الأرض في كل منزل
وحزناً على ما قد لقيتم من الظما ... أغص بشرب الماء في كل منهل

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

حكي أنه لما قتل الحسين وأراد القوم وطأه بالخيل، قالت فضة لزينب: يا سيدتي إن سفينة صاحب رسول الله ﷺ كان بمركب فضربته الريح فتكسر فسبح فقذفه البحر إلى جزيرة وإذا هو بأسد فدنا منه فخشي سفينة أن يأكله فقال له: يا أبا الحارث أنا مولى لرسول الله ﷺ، فهمهم بين يديه مشيراً له برأسه ومشى قدامه حتى أوقفه على طريق فركبه ونجا سالماً، وأرى أسداً خلف مخيمنا أأذهب إليه وأخبره بما هم صانعون غداً بسيدي الحسين؟ فقالت: شأنك، قالت فضة: فمضيت إليه حتى قربت منه وقلت: يا أسد أتدري ما يريدون يصنعون غداة غداً بنو أمية بأبي عبد الله؟ يريدون يوطئون الخيل ظهره، قال: نعم. فقام الأسد ولم يزل يمشي وأنا خلفه حتى وقف على جثة الحسين عليه السلام فوضع يديه عليها وجعل يمرغ وجهه بدم الحسين ويبكي إلى الصباح. فلما أصبح بنو أمية أقبلت الخيل يقدمهم ابن الأخنس لعنه الله تعالى، فلما نظروه صاح بهم ابن سعد: إنها لفتنة لا تثيروها، فرجعوا عليهم لعائن الله تعالى، وهو من بعض فضائلهم عليهم رحمة الله تعالى.

حكي عن رجل أسدي قال: كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال عسكر بني أمية فرأيت عجائب لا أقدر أحكي إلا بعضها، منها: أنه إذا هبت الرياح تمر عليّ نفحات

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

كنفحات المسك والعنبر، وإذا سكنت أرى ما تنزل من السماء إلى الأرض ويرقى من الأرض إلى السماء مثلها وأنا مفرد مع عيالي ولا أرى أحداً أسأله عن ذلك، وعند غروب الشمس يقبل أسد من القبلة فأولي عنه إلى منزلي، فإذا أصبح الصباح وطلعت الشمس وذهبت من منزلي أراه مستقبل القبلة ذاهباً، فقلت في نفسي: إن هؤلاء خوارج قد خرجوا على عبيد الله بن زياد فأمر بقتلهم، وأرى منهم ما لم أره من سائر القتلى فوالله هذه الليلة لأبدأ من المساهرة لأبصر هذا الأسد يأكل من هذه الجثث أم لا؟ فلما صار غروب الشمس وإذا به أقبل فحققته وإذا هو هائل المنظر فارتعدت منه وخطر ببالي إن كان مراده لحوم بني آدم فهو يقصدني وأنا أحاكي نفسي بهذا، فمثلته وهو يتخلى القتلى حتى وقف على جسد كأنه الشمس إذا طلعت، فبرك عليه، فقلت: يأكل منه؟ وإذا به يمرغ وجهه عليه وهو يهمهم ويدمدم، فقلت: الله أكبر ما هذا إلا أعجوبة، فجعلت أحرسه حتى اعتكر الظلام وإذا بشموع معلقة ملأت الأرض، وإذا ببكاء ونحيب ولطم مفجع، فقصدت تلك الأصوات فإذا هي تحت الأرض، ففهمت من ناع فيهم يقول: وا حسيناه، وا إماماه، فاقشعر جلدي فقربت من الباكي وأقسمت عليه بالله وبرسوله من تكون؟ فقال: إنا نساء من الجن، فقلت: وما شأنكن؟ فقلن: في كل يوم وليلة هذا عزاؤنا على الحسين الذبيح العطشان، فقلت: هذا الحسين الذي يجلس عنده الأسد؟ قلن: نعم، أتعرف هذا الأسد؟ قلت: لا، قلن: هذا أبوه علي بن أبي طالب. فرجعت ودموعي تجري على خدي:

سلُّوا سيوف محمد بمحمد ... ففروا بها هامات آل محمد

فكأن عترة أحمد أعداؤه ... وكأنما الأعداء عترة أحمد

فأكثروا رحمكم الله الأحزان، وأظهروا شعائر الأشجان، فإنه رزء عظيم ومصاب جسيم، تتزلزل منه الأطواد، وتتفتت منه الأكباد.

حكي أنه لما فرغ عمر بن سعد من حرب الحسين عليه السلام وأدخلت الرؤوس والأسارى إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله تعالى، جاء عمر بن سعد لعنه الله ودخل على عبيد الله بن زياد يريد منه أن يمكِّنه من مُلك الري، فقال له ابن زياد: آتني بكتابي الذي كتبته لك في معنى قتل الحسين وملك الري، فقال له عمر بن سعد: والله إنه قد ضاع مني ولا أعلم أين هو؟ فقال له ابن زياد: لا بد أن تجئني به في هذا اليوم وإن لم تأتني به فليس لك عندي جائزة أبداً لأني كنت أراك مستحياً معتذراً في أيام الحرب من عجائز قريش، ألست أنت القائل:

فوالله ما أدري وإني لصادق ... أفكر في أمري على خطرين

أأترك مُلك الري والري منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

وهذا كلام معتذر مستح متردد في رأيه، فقال عمر بن سعد: والله يا أمير لقد نصحتك في حرب الحسين نصيحة صادقة لو ندبني إليها أبي سعد لما كنت أديت حقه كما أديت حقك في حرب الحسين، فقال له عبيد الله بن زياد: كذبت يا لكع، فقال عثمان بن زياد أخو عبيد الله بن زياد: والله يا أخي لقد صدق عمر بن سعد في مقالته وإني لوددت أنه ليس من بني زياد رجل إلاَّ وفي أنفه خزمة إلى يوم القيامة وأن حسيناً لم يقتل أبداً، فقال عمر بن سعد: فوالله يا ابن زياد ما رجع أحد من قتلة الحسين بشر مما رجعت به أنا، فقال له: وكيف ذلك؟ فقال: لأني عصيت الله وأطعت عبيد الله وخذلت الحسين ابن بنت رسول الله ونصرت أعداء رسول الله، وبعد ذلك إني قطعت رحمي ووصلت خصمي وخالفت ربي، فيا عظم ذنبي ويا طول كربي في الدنيا والآخرة، ثم نهض من مجلسه مغضباً مغموماً، وهو يقول: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

قال أبو السدي: والله إني لأعجب ممن يسعى في قتل أئمته وهو يعلم أنهم منتقمون منه في آخرته، فهذا عاقبة أمره في حكومة الري وقد خسرها.

وأما هو نفسه فحكي عن الهيثم بن الأسود، قال: كنت جالساً عند المختار بالكوفة فابتدأ يقول لجلسائه: والله لأقتلن رجلاً عريض القدمين، غائر العينين، مرفوع الحاجبين، عدو الحسن والحسين، وقتله يرضى فيه رب العالمين، ويرضي علياً أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين. قال الهيثم: فلما سمعت كلام المختار علمت أنه يريد بهذه الأوصاف قتل عمر بن سعد.

قال: فلما نهض الهيثم من مجلسه مشى إلى عمر بن سعد وعرّفه بمقالة المختار، قال: وكان عبد الله بن جعد أعز الناس عند المختار لأنه رئيس قومه، فجاء إلى المختار وتشفع في عمر بن سعد وأخذ له كتاب أمان من المختار يقول فيه: «أما بعد، إنك يا عمر ابن سعد آمن بأمان الله ورسوله على نفسك وأهلك وولدك ومالك ولا تؤاخذ بذنب كان منك قديماً، فمن لقي عمر بن سعد من شرطة الأمير فلا يعرض له إلا سبيل الخير».

فلما وصل الكتاب إلى عمر بن سعد طاب قلبه، وظهر بعد ما كان مختفياً، وصار يحضر في مجلس المختار في كل أسبوع مرة، والمختار يكرمه ويدنيه ويجلسه معه على سريره، كل هذا وعمر بن سعد يحس قلبه بالشر ويظن أن المختار يقتله لا محالة، فعزم على الخروج ليلاً من الكوفة، فعلم المختار بخروجه من الكوفة، فقال: الله أكبر وفيّناه

(1) سورة الحج: الآية 11.

وغدر، وأعطيناه ومكر ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[1]، ولكن والله في عنقه سلسلة لو جهد عمر ابن سعد أن يفلها لما استطاع أبداً حتى أقتله إن شاء الله تعالى عن قريب.

فبينما عمر بن سعد سائر في الطريق بالليل فنام على ظهر الناقة فرجعت الناقة به إلى الكوفة وقت الصبح، فلم يشعر إلا وهو على باب داره، فنوَّخ ناقته ودخل داره واستسلم للقتل. فلما أصبح عمر بن سعد دعا بابنه حفص وقال له: امض إلى المختار وانظر هل علم بخروجي أم لا واكشف لي عن سريرته؟. قال: فجاء حفص إلى المختار وسلم عليه وقال له: أيها الأمير أبي يقرؤك السلام ويقول لك أتفي لنا بالأمان أم لا؟ فقال له: وأين أبوك؟ فقال: ها هو في داره، فقال له: أليس أبوك قد هرب البارحة وكان يريد الشام؟ فقال: معاذ الله إن أبي في داره لم يتغير أبداً. فقال: كذبت وكذب أبوك أجلس هنا حتى يأتي أبوك. ثم أن المختار استدعى رجلاً من جلاوزته، وقال له: انطلق إلى عمر بن سعد وآتني برأسه، فمضى مسرعاً فما لبث هنيئة إذ جاء وبيده رأس عمر بن سعد فألقاه في حجر ابنه ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]، فقال له المختار: يا حفص أتعرف صاحب هذا الرأس؟ قال: نعم، هذا رأس أبي ولا خير والله في الحياة بعده! فقال المختار: وإني لا أبقيك بعده، ثم أمر بقتله في الحال، لا رضي الله عنهما، ووضع الرأسان بين يديه، فسر بهما سروراً عظيماً، فقال بعض من حضر: أيها الأمير رأس عمر بن سعد برأس الحسين، ورأس حفص برأس علي بن الحسين؟ فقال له المختار: صه يا لكع الرجال، يا ويلك، أتقيس رأس عمر بن سعد برأس الحسين ورأس حفص برأس علي بن الحسين!؟ فوالله لو قتلت ثلاثة أرباع أهل الأرض ما وفوا بأنملة من أنامل الحسين!.

قال: وكان محمد بن الحنفية بمكة يجلس مع أصحابه ويذم المختار ويعتب عليه لمجالسته مع عمر بن سعد على سريره وتأخيره قتله، قال: فحمل الرأسان إليه إلى مكة، قال: فبينما محمد بن الحنفية جالس فنظر الرأسان بين يديه فخر لله ساجداً شاكراً، ثم رفع يديه يدعو للمختار بالخير ويقول: اللهم لا تنسى المختار من رحمتك، اللهم إجزه عنا أهل بيت نبيك خير الجزاء.

وعن ابن مسعود قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ في مسجده إذ دخل علينا فتية من قريش ومعهم عمر بن سعد، لعنه الله، فتغير لون رسول الله ﷺ فقلنا له: يا رسول الله ما شأنك؟ فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإني ذكرت ما يلقى أهل بيتي من أمتي من بعدي من قتل وضرب وشتم وسب وتطريد وتشريد، وأن أهل بيتي

(1) سورة آل عمران: الآية 54. (2) سورة البقرة: الآية 156.

سيشردون ويطردون ويقتلون، وإن أول رأس يُحمل على رمح في الإسلام رأس ولدي الحسين، أخبرني بذلك أخي جبرائيل عن الرب الجليل. وكان الحسين حاضراً عند جده في ذلك الوقت، فقال: يا جداه فمن يقتلني من أمتك؟ فقال: يقتلك شرار الناس ـ وأشار النبي ﷺ إلى عمر بن سعد لعنه الله ـ، فصار أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأوا عمر بن سعد داخلاً من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين عليه السلام.

قال: وجعل عمر بن سعد كلما لقى الحسين يقول: يا أبا عبد الله إن في قومنا أناساً سفهاء يزعمون أني أقتلك، فيقول له الحسين عليه السلام: والله أنهم ليسوا سفهاء ولكنهم أناس حلماء، أما أنه ستقر عيني حيث لا تأكل من بر الري من بعد قتلي إلا قليلاً، ثم تقتل من بعدي عاجلاً. وكان الباقر عليه السلام يقول: إن قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا، وقاتل الحسين ولد زنا، ولم تمطر السماء دماً إلا يوم قتلهما، ولم يحمر الأفق إلا في قتلهما، وإن هذه الحمرة التي تظهر في السماء لم تُر قبل قتل الحسين ولا رؤيت بعد قتله.

قال الراوي: فلما نزل الحسين يوم الطف في أرض كربلا أول من حال بينه وبين ماء الفرات عمر بن سعد، لعنه الله تعالى، فاشتد العطش بالحسين وأطفاله وأهل بيته عليهم السلام، فقام رجل من أصحاب الحسين وقال: يا ابن رسول الله أتأذن لي أن أمضي إلى ابن سعد فأكلمه في أمر الماء وأعرّفه بعطش الحرم والأطفال فعساه يرتدع عن القتال؟ فقال عليه السلام: ذلك إليك افعل ما شئت، قال: فجاء الهمداني ووبخه بكلام ـ وقد مر ذكره سابقاً ـ فكان من عذره أن قال: يا أخا همدان والله إني أعرف الناس بحق الحسين وحرمته عند رسول الله ولكني حائر في أمري ما أدري كيف أصنع؟ وفي هذا الوقت كنت أتفكر في أمري بين ترك ملك الري وقتل الحسين، ثم قال: نفسي لأمارة بالسوء ما تحسن لي ترك ملك الري، وإني إذا قتلت حسيناً أكون أميراً على سبعين ألف فارس. قال: فنهض من عنده مكسور القلب ورجع إلى الحسين عليه السلام وقال: يا مولاي إن القوم استحوذ عليهم الشيطان، وأن عمر بن سعد قد عزم على قتلك وقتل أصحابك وأهل بيتك ورضى بدخول النار بولاية الري ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

فيا إخواني، كيف لا يبكيهم من يزعم أن له بهم الاتصال حتى تنقطع منه عليهم الأوصال؟ وكيف لا يتحمل الحزن عليهم في هذا الحال وفي كل حال حتى المآل؟.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

---

(1) سورة الحج: الآية 11.

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

جزع بكى وأخو الصبابة يجزع ... وجرت بوادر دمعه تتدفع
صب إذا هلّ المحرم هاجه ... وَجْدٌ تفيض العين منه وتدمع
وجوى لما نال الحسين وآله ... نيرانه بين الأضالع تسفع
في كربلا في كربها وبلائها ... لما استجاشوا حوله وتجمعوا
وأتوه بالبيض الصوارم والقنا ... والخيل مسرجة تعد وتمنع
بغياً وعدواً لم يخافوا حاكماً ... عدلاً يرى ما يفعلون ويسمع
من بعدما كتبوا إليه خديعة ... منهم وهم من كل قوم أجدع
حتى إذا ما جاءهم متحملاً ... خدعوا به وكأنهم لم يسمعوا
بالأمس ما قال النبي محمد ... فيه وما أوصاهم بل ضيَّعوا
وحموه عن ماء الفرات وقد شكا ... ظمأ ولم يخشوا ولما يفزعوا
ويلٌ لهم باعوا الهداية بالعمى ... وترددوا في غيهم وتسلعوا
والله ما عادٌ بأعظم حرمة ... منهم ولا فعلت ثمود وتَبَع
قوم كفعلهم الشنيع وما أتوا ... بل فعلهم من كل فعل أشنع
ناداهم لما به حفوا معاً ... زمراً ولم يك من لقاهم يجزع
يا شر خلق الله ما من مسلم ... منكم له دين يكف ويردع
حرم النبي تموت من حر الظما ... والوحش في ماء الشريعة يترع
ألكم طلائب عندنا تبغونها ... أم ما عرفتم ويلكم ما تصنعوا
أنفذتم كتباً إليَّ فجئتكم ... فالآن إذ خنتم دعوني أرجع
قالوا له: هيهات بل لأميرنا ... تعطي القياد وتستكين وتخضع
أو بالسيوف المرهفات وبالقنا ... نوليكم طعناً وضرباً يفظع
فهناك جرّد سيفه لقتالهم ... وهو الشجاع اللوذعي السلفع
في فتية بذلوا نفوسهم معاً ... من دون مهجته إلى أن صرعوا
من حوله فوق التراب كأنهم ... أقمار أدحية ضياها يلمع

(1) القصيدة للشيخ نعمان رحمه الله تعالى.

وبقي حبيب محمد بين العدا ... فرداً يذب عن الحريم ويمنع
كالليث منصلتاً إلى أن غاله ... سهم المنون فخرّ وهو موجع
عن سرجه يرنو إلى فسطاطه ... والعين منه تستهل وتدمع
أسفي على النسوان في ذلّ السبا ... إذ لم يعد أحد هنالك يسمع
ومضى الجواد إلى الخيام محمحماً ... ينعى الحسين ودمعه يتدفع
فسمعن رنته النساء فقلن: قد ... وقع الذي كنا له نتوقع
فخرجن من فسطاطهن صوارخاً ... جزعاً صراخاً للصخور يصدع
وآتينه والشمر جاث فوقه ... بحسامه للرأس منه يقطع
فرقى الحسين وقلن: ويلك يا عدو ... الله ماذا بالمُطهَّر تصنع
هذا جزاء محمد في آله ... منكم لفعلك يا أمية أشنع
فاحتزَّ رأس السبط يا لك لوعة ... لم يبق للإسلام شمل يجمع
فاهتز عرش الله جلَّ وسبَّحت ... أملاكه وبكوا أسى وتفجعوا
وهوت نجوم عند ذاك من السما ... وبكت دماً بعض لبعض تتبع
والأرض مادت والجبال تزعزت ... والجو مسوَّد هنالك أسفع
والطير في جو السماء بكت له ... أسفاً وأعرضت الوحوش الرتع
عن وعيها جزعاً عليه ولَم يزل ... للجن نَوْحٌ في الأماكن يُسمع
وعلى سنان الرمح شالوا رأسه ... كالبدر يزهو نوره ويشعشع
وجرت خيولهم على جثمانه ... حتى تحطم صدره والأضلع
وتناهبوا رِحَل الحسين وسلبوا ... نسوانه بأخبث ما قد صنعوا
يا عين ابكي للحسين وأهله ... بدم إذا ما قلَّ منك المدمع
ابكي غريب محمد وحبيبه ... فمصابه مما سواه أفظع
ابكي عليه مفرداً بين العدا ... والبيض فيه والأسنة تشرع
ابكي عليه ورأسه في ذابل ... والجسم منه بالسيوف مبضع
ابكي له ملقى بلا غسل ولا ... كفن ولا نعش هناك يشيَّع
ابكي لنسوان الحسين حواسراً ... في البيد ما فيهن من يتقنع
ابكي لهن يسقن بعد صيانة ... قسراً وهن إذاً عطاشى جُوَع

ابكي على السجاد وهو مقيد بالقيد مكتوف اليدين مكنع
ابكي لزينب إذ تقول لأختها لما تنادوا للرحيل وأزمعوا
يا أخت قد عزموا على ترحالهم قومي إلى جسد الحسين نودع
قومي إليه فما لنا من نظرة منه سوى هذي العشية نطمع
يا أخت هذا اليوم آخر عهدنا لا يوم فيه بعده نتجمع
هذا بآل محمد فعل العدى أفبعده لهم نحب ونتبع
بل منهم نبرأ ونلعنهم معاً لعناً يدوم مجدداً لا يقطع
فالأولان هما لهذا أسسا والآخرون بنوا عليه ورفعوا
والله لولا نكث عهد المصطفى يوم الغدير وظلم حيدر فاسمعوا
ما استضهدت آل النبي أمية كلا ولا لخلافة يوم دعوا
لا زال لعن الله يغشاهم ومن يرضى بفعلهم الشنيع ويقنع
وعلى بني الزهراء صلّى ربّهم ما دام صبح خلف ليل يصدع
يا آل بيت محمد إني لكم يوم القيامة في السلام أطمع
أنا عبدكم نعمان حبكم معاً ذخري إذا ضمَّ الأنام المضجع
واليتكم لأكون تحت ولائكم وغداً إذا فزع الورى لا أفزع
وإذا منعتم حين يشتد الظما أعداءكم من حوضكم لا أمنع
مني السلام عليكم ما غردت ورقاء تهتف في الغصون وتسجع

الباب الثالث

أيها المؤمنون الناصحون، والأخلاء الصالحون، عجُّوا بالبكاء والعويل، واندبوا أهل الإيمان والتنزيل، ويا أهل الأمانة والطاعة ساعدوا أهل الكرامة والشفاعة، أو لم تسمعوا يا ذوي العقول بمصيبة آل الرسول؟ فوا عجباه من هذه المصائب التي تسكب العبرات، ويا تعجباه ممن لا يساوي مواليه في النكبات! فكيف يدعي المحبة من لا ينوح على أولاد الرسول، وثمرة فؤاد البتول؟ فهل تحسن المراثي والندب إلا على المقتولين من غير سبب؟ فيا وقعة ما أمَرّها! ويا قتلة ما أحرها؟ منعوهم من الماء المباح وسقوهم السيوف والرماح، فليت شعري ما كان السبب لذلك حتى أوردوهم تلك المهالك مشردين عن البلاد، مفجوعين في الأهل والأولاد؟ فمنهن من تخمش وجهها بيديها، ومنهن من ينزع

قرطيها من أذنيها، فيا لها من مصيبة في الأنام تضعضعت لها سائر بلاد الإسلام فنحتسب أجرها عند الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

نقل عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ ذات يوم معي، فبينما هو راقد على الفراش جاعل رجله اليمنى على اليسرى وهو على قفاه، وإذا بالحسين عليه السلام وهو ابن ثلاث سنين وأشهر، أتى إليه فلما رآه ﷺ قال: مرحباً بقرة عيني، مرحباً بثمرة فؤادي، ولم يزل يمشي حتى ركب على صدر جده فأبطأ، فخشيت أن النبي تعب فأحببت أنحيه عنه، فقال: دعيه يا أم سلمة متى أراد الانحدار ينحدر، واعلمي من آذى منه شعرة فقد آذاني. قالت: فتركته ومضيت، فما رجعت إلاّ ورسول الله يبكي فعجبت من بعد الضحك والفرح، فقربت منه وقلت: يا سيدي ما يبكيك لا أبكى الله عينك؟ وهو ينظر لشيء بيده ويبكي، قال: ما تنظرين؟ فنظرت وإذا بيده تربة، فقلت: ما هي؟ قال: أتاني بها جبرائيل هذه الساعة وقال لي: يا رسول الله هذه طينة من أرض كربلا وهي طينة ولدك الحسين وتربته التي يُدفن فيها، فصيريها عندك في قارورة فإذا رأيتها قد صارت دماً عبيطاً فاعلمي أن ولدي الحسين قد قُتل، وسيصير ذلك من بعدي وبعد أبيه وجدته وأخيه. قالت: فبكيت وأخذتها من يده وائتمرت بما أمرني، وإذا لها رائحة كأنها المسك الأذفر، فما مضت الأيام والسنون إلا وقد سافر الحسين إلى أرض كربلا، فحس قلبي بالشر وصرت كل يوم أتجسس القارورة، فبينما أنا كذلك وإذا بالقارورة انقلبت دماً عبيطاً، فعلمت أن الحسين قد قتل، فجعلت أنوح وأبكي يومي كله إلى الليل ولم أتهن بطعام ولا منام إلى طائفة من الليل، فأخذني النعاس وإذا أنا بالطيف برسول لله ﷺ مقبل وعلى رأسه ولحيته دم كثير فجعلت أنفضه بكمي وأقول: نفسي لنفسك الفدا متى أهملت نفسك هكذا يا رسول الله، من أين لك هذا التراب؟ قال: هذه الساعة فرغت من دفن ولدي الحسين. قالت أم سلمة: فانتبهت مرعوبة لم أملك على نفسي فصحت: وا حسيناه، وا ولداه، وا مهجة قلباه، حتى علا نحيبي، فأقبلت إليَّ نساء الهاشميات وغيرهن وقلن: ما الخبر يا أم المؤمنين؟ فحكيت لهن بالقصة فعلا الصراخ وقام النياح، وصار كأنه حين ممات رسول الله ﷺ، وسعين إلى قبره مشقوقة الجيب ومكشوفة الرأس فصحن: يا رسول الله قتل الحسين فوالله الذي لا إلٰه إلاّ هو، فقد حسسنا كأن القبر يموج بصاحبه حتى تحركت الأرض من تحتنا فخشينا أنها تسيخ بنا فانحرفنا بين مشقوقة الجيب ومنشورة الشعر وباكية العين.

فيا إخواني، مصابهم هو الذي أحرمنا الهجوع وأسكب من أعيننا سحائب الدموع، وقلّل صبرنا وأذهل فكرنا، وهدَّ منا الأركان، وأسلمنا الذل والهوان، فالحكم لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله:

غـريـبـون عـن أوطـانـهـم وديـارهـم تـنـوح عـلـيـهـم فـي الـبـراري وحـوشـهـا
وكـيـف لا تـبـكـي الـعـيـون لـمـعـشـر سـيـوف الأعـادي فـي الـعـلاء تـنـوشـهـا
بـدور تـوارى نـورهـا فـتـغـيّـرت مـحـاسـنـهـا تـرب الـفـلا نـعـوشـهـا

وروي أن المتوكل من خلفاء بني العباس، كان كثير العداوة شديد البغض لأهل بيت الرسول ﷺ، وهو الذي أمر الحارثين بحرث قبر الحسين عليه السلام وأن يجروا عليه الماء من النهر العلقمي بحيث لا يبقى له أثر ولا أحد يقف له على خبر، وتوعد الناس بالقتل لمن زار قبره وجعل رصداً من أجناده وأوصاهم كل من وجدتموه يريد زيارة الحسين فاقتلوه، يريد بذلك إطفاء نور الله وإخفاء آثار ذرية رسول الله ﷺ، فبلغ الخبر إلى رجل من أهل الخير يقال له: زيد المجنون، ولكنه ذو عقل شديد ورأي رشيد، وإنما لقّب بالمجنون لأنه أفحم كل لبيب، وقطع حجة كل أديب، وكان لا يعبأ من الجواب ولا يمل من الخطاب، فسمع بخراب قبر الحسين عليه السلام وحرث مكانه فعظم ذلك عليه واشتد حزنه وتجدد مصابه بسيده الحسين عليه السلام، وكان يومئذ بمصر، فلما غلب عليه الوجد والغرام لحرث قبر الإمام عليه السلام، خرج من مصر ماشياً هائماً على وجهه، شاكياً وجده إلى ربه، وبقي حزيناً كئيباً حتى بلغ الكوفة، وكان البهلول يومئذ بالكوفة فلقيه زيد المجنون وسلم عليه، فرد عليه السلام، فقال له البهلول: من أين لك معرفتي ولم ترني قط؟ فقال زيد: يا هذا اعلم أن قلوب المؤمنين جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فقال له البهلول: يا زيد ما الذي أخرجك من بلادك بغير دابة ولا مركب؟ فقال: والله ما خرجت إلا من شدة وجدي وحزني وقد بلغني أن هذا اللعين أمر بحرث قبر الحسين عليه السلام وخراب بنيانه وقتل زواره، فهذا الذي أخرجني من موطني ونغص عيشي وأجرى دموعي وأقلّ هجوعي. فقال البهلول: وأنا والله كذلك، فقال له: قم بنا نمضي إلى كربلا لنشاهد قبور أولاد علي المرتضى. قال: فأخذ كل بيد صاحبه حتى وصلا إلى قبر الحسين عليه السلام وإذا هو على حاله لم يتغير وقد هدموا بنيانه، وكلما أجروا عليه الماء غار وحار واستدار بقدرة العزيز الجبار، ولم يصل قطرة واحدة إلى قبر الحسين عليه السلام، وكان القبر الشريف إذا جاءه الماء يرتفع أرضه بإذن الله تعالى، فتعجب زيد المجنون مما شاهده وقال: انظر يا بهلول ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

قال: ولم يزل المتوكل يأمر بحرث قبر الحسين مدة عشرين سنة، والقبر على حاله

(1) سورة التوبة: الآية 32.

لم يتغير ولا تعلوه قطرة من الماء، فلما نظر الحارث إلى ذلك، قال: آمنت بالله وبمحمد رسول الله، والله لأهربن على وجهي وأهيم في البراري ولا أحرث قبر الحسين ابن بنت رسول الله، وأن لي مدة عشرين سنة أنظر آيات الله وأشاهد براهين آل بيت رسول الله ولا أتعظ ولا أعتبر. ثم أنه حل الثيران وطرح الفدان وأقبل يمشي نحو زيد المجنون وقال له: من أين أقبلت يا شيخ؟ قال: من مصر، فقال له: ولأي شيء جئت إلى هنا؟ وإني أخشى عليك من القتل، فبكى زيد وقال: والله قد بلغني حرث قبر الحسين عليه السلام فأحزنني ذلك وهيج حزني ووجدي، فانكب الحارث على أقدام زيد يقبّلهما وهو يقول: فداك أبي وأمي، فوالله يا شيخ من حين ما أقبلت إليَّ أقبلت إليَّ الرحمة واستنار قلبي بنور الله، وإني آمنت بالله ورسوله وأن لي مدة عشرين سنة وأنا أحرث هذه الأرض، وكلما أجريت الماء إلى قبر الحسين غار وحار واستدار ولم تصل إلى قبر الحسين منه قطرة، وكأني كنت في سكر وأفقت الآن ببركة قدومك إليَّ. فبكى زيد وتمثل بهذه الآيات:

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما

فبكى الحارث وقال: يا زيد قد أيقظتني من رقدتي وأرشدتني من غفلتي، وها أنا الآن ماض إلى المتوكل بسر من رأى أعرّفه بصورة الحال إن شاء أن يقتلني وإن شاء يتركني، فقال له زيد: وأنا أيضاً أسير معك إليه وأساعدك على ذلك.

قال: فلما دخل الحارث إلى المتوكل وأخبره بما شاهده من برهان قبر الحسين عليه السلام استشاط غيظاً وازداد بغضاً لأهل بيت رسول الله وأمر بقتل الحارث وأمر أن يُشد حبل في رجليه ويسحب على وجهه في الأسواق، ثم يصلب في مجتمع الناس ليكون عبرة لمن اعتبر، ولا يبقى أحد يذكر أهل البيت بخير أبداً.

أما زيد المجنون فإنه ازداد حزنه واشتد عزاؤه وطال بكاؤه، وصبر حتى أنزلوه من الصلب وألقوه على مزبلة هناك، فجاء إليه زيد فاحتمله إلى الدجلة وغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه، وبقي ثلاثة أيام لا يفارق قبره وهو يتلو كتاب الله عنده، فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع صراخاً عالياً ونوحاً شجياً وبكاء عظيماً ونساء بكثرة منتشرات الشعور، مشققات الجيوب، مسودات الوجوه، ورجالاً بكثرة يندبون بالويل والثبور، والناس كافة في اضطراب شديد، وإذا بجنازة محمولة على أعناق الرجال وقد نشرت لها الأعلام والرايات والناس من حولها أفواجاً قد انسدت الطرق من الرجال والنساء، قال زيد:

فظننت أن المتوكل قد مات، فتقدمت إلى رجل منهم وقلت له: من يكون هذا الميت؟ فقال: هذه جنازة جارية المتوكل وهي جارية سوداء حبشية وكان اسمها ريحانة، وكان يحبها حباً شديداً، ثم أنهم عملوا لها شأناً عظيماً ودفنوها في قبر جديد وفرشوا فيه الورد والرياحين والمسك والعنبر وبنوا عليها قبة عالية، فلما نظر زيد إلى ذلك ازدادت أشجانه وتصاعدت نيرانه وجعل يلطم وجهه ويمزق أطماره وحثا التراب على رأسه وهو يقول: وا ويلاه وا أسفاه عليك يا حسين، أتقتل بالطف غريباً وحيداً ظمآناً شهيداً، وتسبى نساؤك وبناتك وعيالك وتذبح أطفالك ولم يبك عليك أحد من الناس وتدفن بغير غسل ولا كفن ويحرث بعد ذلك قبرك ليطفئوا نورك وأنت ابن علي المرتضى، وابن فاطمة الزهراء، ويكون هذا الشأن العظيم لموت جارية سوداء ولم يكن الحزن والبكا لابن محمد المصطفى!؟.

قال: ولم يزل يبكي وينوح حتى غشى عليه والناس كافة ينظرون إليه، فمنهم من رق له ومنهم من جثا عليه، فلما أفاق من غشوته، أنشأ يقول:

أيُحرث بالطف قبر الحسين ويُعمَّر قبر بني الزانية
لعل الزمان بهم قد يعود ويأتي بدولتهم ثانية
ألا لعن الله أهل الفساد ومن يأمن الدنية الفانية

قال: ثم أن زيداً كتب هذه الأبيات في ورقة وسلمها لبعض حجاب المتوكل، قال: فلما قرأها اشتد غيظه وأمر بإحضاره، فأحضر وجرى بينه وبينه من الوعظ والتوبيخ ما أغاظه حتى أمر بقتله، فلما مثل بين يديه سأله عن أبي تراب من هو؟ ـ استحقاراً له ـ، فقال: والله إنك عارف به وبفضله وشرفه وحسبه ونسبه، فوالله ما يجحد فضله إلا كل كافر مرتاب ولا يبغضه إلا كل منافق كذاب، وشرع يعدد فضله ومناقبه، حتى ذكر منها ما أغاظ المتوكل فأمر بحبسه فحبس. فلما أسدل الظلام وهجع الليل جاء إلى المتوكل هاتف ورفسه برجله، وقال له: قم واخرج زيداً وإلا أهلكك الله عاجلاً، فقام هو بنفسه وأخرج زيداً من حبسه وخلع عليه خلعة سنية وقال له: اطلب ما تريد، قال: أريد عمارة قبر الحسين وأن لا يتعرض أحد بزواره، فأمر له بذلك، فخرج من عنده فرحاً مسروراً وجعل يدور في البلدان وهو يقول: من أراد زيارة قبر الحسين عليه السلام فله الأمان طول الأزمان.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فلينـدب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان والأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

أيعذب من ورد الجفاء ورود ... أيزهر من ورد الوفاء ورود
وينبع من غرس الوداد ثمارها ... ويورق من غصن المودة عود
فيا من بدا ذا الود بالصد والجفا ... أيحمل من بعد الوصال صدود
فإن تبخلوا بالوصل إني مواصل ... وبالنفس إن ضنّ الجواد أجود
وإن عدتم يوماً بما قد بدأتم ... من الغدر إني بالوفاء أعود
وحبل ذمامي لا تحل عقوده ... إذا حل من حبل الذمام عقود
وإن نقضوا عهد الوداد فإنني ... مراع لأسباب الوداد ودود
وما حال حال العهد عما عهدتم ... وإن رث عقد العهد فهو جديد
وما كادني أمر يكيد احتماله ... ولكما نقض العهود يكيد
ولا بدع إن أبدعتم نقض عهدكم ... فقد نقضت لابن النبي عهود
فكم تنقض الأرجاس عهداً وعقده ... وثيق على كل العباد وكيد
وقد جاءه تترى صحائف جمة ... كأوجههم عند التوجه سود
يقولون إن الضد باد وفي غد ... له في لظى بعد الدخول خلود
ونحن بلا والٍ وأنت ولّينا ... وأولى بنا منا ونحن عبيد
فسر قصدنا قصداً فلا زلت مقصداً ... فقصدك في كل الأمور حميد
فإن لم تسر فارسل من الآل سيداً ... فأنت لسادات الأنام عميد
فأرسل سهماً من كنانة آل ... مصيباً لدفع النائبات عتيد
فبايعه منهم ألوف تألفت ... عليه ولا يحصى لهن عديد
فلم يأتِ إلا الليل حتى تخاذلوا ... وبان لهم بعد الوفاء صدود
وألقوه مذ ألقوه قد جاء رائداً ... لمرعى يولّي في الصدور برود
عتواً من القصر المشيّد مبوءاً ... له قصر در في الجنان مشيد
ففرق جند الحق من بعد قتله ... وجمع من جند الضلال جنود
لها ابن زياد مرسل ومجهز ... وأما ابن سعد للجنود يقود
إلى حرب مولانا الحسين وآله ... تسارع منهم قائد ومقود

(1) القصيدة للشيخ محمد بن السمين رحمه الله تعالى.

طبولهم في الخافقين خوافق وتخفق رايات لهم وبنود
يذاد عن الماء المباح وقد غدا لجل عباد الله منه ورود
ويمنعه من ورده وورود كفور لآلاء الإلٰه كنود
ولست بناسي قوله حال ما بدا يخاطبهم بالطف ثم يعيد
يقول وقد بدأ مقاله معذر ويعلم أن القول ليس يفيد
إلى سبل فيها الهداية فاعدلوا وعن طريق فيها الضلالة حيدوا
ولا تكحلوا الأبصار بالبغي أعيناً مراضاً بأميال العتو ثمود
وكونوا أناساً أصلحوا ذات بِيْنَهم وآرائهم في ابن النبي سديد
ألم تعلموا أني الإمام عليكم وأني لله الشهيد شهيد
وأن لنا حكم المعاد وأمره يؤول إلينا والحساب يعود
وإن أبي يسقي على الحوض معشراً ويطرد عنه معشراً ويذود
ولولاه لم يخضر للدين عوده ولا قام للإسلام قط عميد
وقد قلت هذا القول والله عالم وقاض به والعالمون شهود
فقالوا علمنا ما تقول فلا تزد فقولك هذا ما عليه مزيد
ولكنما إنفاذ أمر أميرنا يزيد له دون الأنام نريد
نريد بأن تأتي يزيد مبايعاً فرشدك أن تأتي يزيد نريد
فقال واللعين المبرح في الحشا كلام وفي القلب الكليم وقود
سلام على الإسلام بعد رعاته إذا كان راعي المسلمين يزيد
وكيف وأبناء الكرام بذلة تُسام وأبناء اللئام تسود
وآب إلى أنصاره يطلب الرجا ويوعد إذ حقت لديه وعود
يقول: أبشروا فالقول من بعد هذه معدٍ وعيش في الجنان رغيد
وحور حسان ما لهنَّ مُناظر يضاهى وفي دار الخلود خلود
وباتوا ومنهم ذاكر ومسبِّح وراعٍ ومنهم رُكع وسجود
فمذ بزغت شمس الهياج مضيئة بأفق سماء البغي وهو مديد
به النقع غيم والبروق بوارق به الويل نبل والصراخ وعود
دعاهم فثابوا للثواب تسابقاً إلى الموت إذ فيه الحياة تعود

حفو حفيفاً مقدمين كأنهم ... ليوث الشرى عند اللقاء أسود
فأورد كل نفسه مورداً له ... صدور ومن بعد الصدور ورود
إلى أن تفانوا واحداً بعد واحد ... لديهم فمنهم قائم وحصيد
وظلّ بأرض الطف فرداً وحوله ... لآل زياد عدة وعديد
وتنظره شزراً من السمر والقنا ... نواظر إلا أنهن حديد
ينادي: أما من مسلم ذي حمية ... يحامي وعن آل الرسول يذود
أما من شهاب ثاقب يحرق العدا ... بنار فشيطان الطغاة عنيد
أما من نصير ينصر الفرد نصرة ... لينصر يوم الجمع وهو فريد
أما واحد يأتي الوحيد موصلاً ... ليوصل يوم الفصل وهو وحيد
أما جابر يأتي مجيراً ويجيره ... إذا حق في يوم الوعيد وعيد
أما من شقي والنفوس تخوفه ... توافيه إن وافى لدي سعود
أما أكمه في ليل غي فإن وفى ... أُري الفخر فخر الرشيد وهو رشيد
أما فاسد رأياً إذا آب ناصراً ... يبلج وجه الرأي وهو سديد
فلما رمى عن قوس حقد بأسهم ... حداد وكل للجلاد مريد
ثنى قصده قصد الخيام مودعاً ... لهم موصياً بالصبر وهو حميد
يقول: اصبروا فالله جلّ جلاله ... يوف لأجر الصابرين مزيد
وصبراً جميلاً آل بيت محمد ... فمجدكم والفضل ليس يبيد
إذا مات منا سيد قام سيد ... رقيب على كل الأنام شهيد
وبعد فزين العابدين خليفتي ... على من له في ذا الوجود وجود
وأستودع الرحمٰن ولدي وعترتي ... ومن جاء منهم والد وولد
وألوى على جيش العداة بعزمة ... تكاد لها شم الجبال تميد
ففرّ العدى من بأسه خيفة الردى ... كما فر من بأس الأسود صيود
فغادرهم صرعى لديه ومنهم ... جريح تولى هارباً وطريد
فمذ حان حين أرسل القوم أسهماً ... أصيب بها نحر له ووريد
هوى ثاوياً فوق الثرى ومحله ... له فوق آفاق السماء صعود
وظلّ صريعاً بالطفوف ونفسه ... بها من سياق الموت وهو يجود

إلى أن قضى نحباً وعهداً وموعداً ... به جاء من سرّ النبي وعود
تقي نقي طاهر، طاهر الوفا ... وَفِيٌّ مجيد في الفِعال حميد
ولما غدا الحر الجواد وسرجه ... خلي وللحر الجواد فقيد
برزن نساء الهاشميات حسراً ... عليهن من نسج الثكول برود
توادين يخدشن الوجوه تفجعاً ... وتلطم بالأيدي لهن خدود
وفاطمة الصغرى تعانق أختها ... سكينة خوف السبي وهو مكيد
وزينب ما بين النساء وقلبها ... قريح وبالأحزان فهو كميد
تقول وللأحزان في القلب مبدع ... ومبد لأسرار الهموم معيد
أخي يا ابن أمي يا شقيقي وسيدي ... ومن لي من دون الأنام عميد
عليك جفوني الذاريات ذوارف ... وأما دموعي المرسلات تجود
أخي مهجة الإسلام مقضي كآبة ... ومتن الهدى قد قدّ وهو عميد
أخي ثُلَّ عرش الدين وانهدَّ ركنه ... وعُطِّل منه إذا أُصبت حدود
أخي من يلئم الشمل بعد شتاته ... ومن لبناء المكرمات يشيد
أخي من ترى للجود والندى ... إذا سار وفد أو أقام وفود
فأنت لمن يبغي الوفادة والجدي ... بأنفس ما يسخو المفيد تفيد
وإن أجدبت أرض فأنت ربيعها ... وإن ضنَّ صوب المزن أنت مجيد
وكل مصاب جاء بعدك هين ... وما هان في هذا المصاب شديد
فيا شيعة المختار نوحوا لمصرع ... الشهيد وبالدمع الغزير فجودوا
تطأه خيول المجريات تجبراً ... ويسفي عليه بعد ذاك صعيد
وآل رسول الله يشهرن في الملا ... وآل ابن هند في الخدور رقود
يسار بآل المصطفى فوق ضمر ... وترفعهم بيد وتخفض بيد
ورأس إمام السبط في رأس ذابل ... طويل على رأس السنان يميد
وينكثه بالخيزران شماتة ... به وسروراً كافر وعنيد
ويؤتى بزين العابدين مصفداً ... وفي قدميه للحديد حدود
فقوموا بأعباء العزاء فإنه ... جليل وأما غيره فزهيد
لأي مصاب يذرف الشأن ماءه ... وتقضي نفوس أو تُفَتُّ كبود

لأعظم من هذا المصاب وخطبه عظيم على أهل السماء شديد
مصاب له في كل قلب مصيبة سهام لحبات القلوب تبيد
وللهمّ همٌّ والرزايا رزية وللحزن حزن زائد ويزيد
إليكم يا بني الزهراء يا من سمت بهم إلى المجد آباء لهم وجدود
أوجه وجه المدح مني لأنه قلائد في جِيد العلى وعقود
لأني لكم عبد محب وحبه قديم فمنه طارف وتليد
وما قدر مدح قاله في علاكم ومدحكم في المحكمات عتيد
ولكن يسر الأولياء استماعه ويكبت أعداء لكم وحسود
فيا من هم فلك النجاة ومن هم هداة وغوث في الأنام وجود
فمذ كان بدء الفضل منكم تفضلوا وجودوا على نجل السمين وعودوا
فأنتم له ذخر إذا جاء في غد ومع كل نفس سائق وشهيد
عليكم سلام الله حيث ثناؤكم حكى نشره ند يضوع وعود
وحيث بكم هبت نسيم ونسمت هبوب وللعيدان رنح عود
وأزهر من زهر البروج زواهر وورد من زهر المروج ورود

* * *

المجلس السادس

من الجزء الثاني، في اليوم الثامن من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها المأمنون، جودوا بماء العيون المخزون، وأيها السامعون جددوا ثياب الأشجان والحزون، وتساعدوا على النياحة والعويل، واسكبوا العبرات على الغريب القتيل، واندبوا لمن اهتز لفقده عرش الجليل، ونوحوا أيها المحبون لآل الرسول، وابكوا على مصاب أبناء البتول، وسحوا عليهم الدموع فإنهم أعلام الأنام وأئمة أهل الإسلام فلعلكم تواسونهم في المصاب بإظهار الجزع والاكتئاب والإعلام بالحنين والانتحاب، فيا خيبة من جهل فضلهم وأنكر قدرهم ولكنها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[1]:

وقفت على الدار التي كنتم بها ... فمغناكم من بعد معناكم فقر
وقد درست منها الرسوم وطالما ... بها درس العلم الإلهي والذكر
فَرَاقَ فُرَاقُ الروح بَعدَ بُعْدَكُم ... ودار برسم الدار في خاطري الفكر

روي عن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال: لما أتوا برأس أبي إلى يزيد فكان يتخذه بمجالس الشراب ويأتي برأس أبي ويضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر في مجلسه ذات يوم رسول ملك الروم وكان من أشرافهم وعظمائهم، فقال: يا ملك العرب هذا رأس من؟ قال يزيد لعنه الله: ما لك بذلك حاجة، قال: إني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس حتى يشاركك في الفرح والسرور، فقال له يزيد: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: ومن أمه؟ قال: فاطمة الزهراء بنت محمد المصطفى، قال النصراني: أما تراني إذا حققت النظر إليه يقشعر جسمي، وأسمعه يقرأ آيات من كتابكم! أف لك ولدينك، ديني خير من دينك، اعلم أن أبي من حوافد داود عليه السلام وبيني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعصمونني ويأخذون من تراب أقدامي تبركاً فيّ، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم رسول الله وما بينكم

---

(1) سورة الحج: الآية 46.

وبينه إلا أم واحدة، فأي دين أحسن من دينكم؟ أما سمعت يا يزيد كنيسة الحافر؟، فقال: لا والله، قال له: اعلم أن بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ليس فيه عمران إلا بلدة واحدة في وسط الماء طولها ثمانون فرسخاً، وعرضها مثله، ما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت وأشجارهم العود والعنبر، وهي في أيدي النصارى لا ملك عليهم، وفيها كنائس كثيرة لكن أعظمها كنيسة الحافر، في محرابها حقة من ذهب، معلق بها حافر يزعمون أنه حمار عيسى عليه السلام وقد زخرفوا حول الحقة بالذهب والديباج، يقصدها في كل عام كثير من النصارى يطوفون حولها ويقبّلونها ويرفعون حوائجهم إلى الله تعالى، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم، لا بارك الله فيكم ولا في دينكم. فاغتاظ يزيد لعنه الله وقال: اقتلوا هذا النصراني لكي لا يفضحنا في بلاده.

فلما أحس النصراني بذلك قال: أمرت بقتلي؟ قال: نعم، فخر ساجداً إلى الأرض شكراً تعالى، وقال: اعلم أني رأيت البارحة نبيكم في المنام وهو يقول: يا نصراني أنت من أهل الجنة، فعجبت غاية العجب، فوثب إلى الرأس وضمه إلى صدره ونادى: السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين ورحمة الله وبركاته، إشهد لي عند ربك وجدك وأبيك وأمك وأخيك بأني أشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن علياً ولّي الله، فغاروا عليه بالسيوف وقطّعوه، رحمه الله تعالى.

هدأت العيون ودمع عينك يهمل ... سحاً كماً وكف الضباب المخضل
وكأنما بين الجوانح والحشا ... مما تأويني شهاب مدخل
وجداً على النفر الذين تتابعوا ... يوماً بموته أسندوا لم يقفلوا
فتغير القمر المنير لفقدهم ... والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قوم علا بنيانهم من هاشم ... فرع أشم وسؤدد ما ينقل
قوم بهم نصروا الإلٰه ورسوله ... وعليهم نزل الكتاب المنزَّل
وبهديهم رضى الإلٰه لخلقه ... وبجدهم نصر النبي المرسل

روي أن رجلاً مؤمناً من أكابر بلاد بلخ كان يحج بيت الله الحرام ويزور قبر النبي ﷺ في أكثر الأعوام، وكان يأتي علي بن الحسين فيزوره، ويحمل إليه الهدايا والتحف ويأخذ مصالح دينه منه، ثم يرجع إلى بلاده، فقالت له زوجته: أراك تهدي تحفاً كثيرة ولا أراه يجازيك عنها بشيء، فقال: إن الرجل الذي نهدي إليه هدايانا هو ملك الدنيا والآخرة، وجميع ما في أيدي الناس تحت ملكه لأنه خليفة الله في أرضه وحجته على عباده، وهو ابن رسول الله، وهو إمامنا ومولانا ومقتدانا. فلما سمعت ذلك منه أمسكت عن ملامته.

قال: ثم إن الرجل تهيأ للحج مرة أخرى في السنة القابلة وقصد علي بن الحسين، فاستأذن له فدخل فسلم عليه وقبّل يديه ووجد بين يديه طعاماً فقرّبه إليه وأمره بالأكل معه، فأكل الرجل حسب كفايته، ثم استدعى بطشت وإبريق فيه ماء فقام الرجل فأخذ الإبريق وصب الماء على يدي الإمام، فقال الإمام: يا شيخ أنت ضيفنا فكيف تصب على يدي الماء؟ فقال: إني أحب ذلك، فقال الإمام عليه السلام: حيث أنك أحببت ذلك فوالله لأريك ما تحب وترضى به وتقر به عيناك. فصب الرجل الماء على يديه حتى امتلأت ثلث الطشت، فقال الإمام للرجل: ما هذا؟ قال: ماء، فقال الإمام: بل هو ياقوت أحمر، فنظر الرجل إليه فإذا هو قد صار ياقوتاً أحمر بإذن الله تعالى. ثم قال الإمام عليه السلام: يا رجل صب الماء أيضاً، فصب الماء على يدي الإمام مرة أخرى حتى امتلأ ثلثي الطشت، فقال له: ما هذا؟ قال: هذا ماء، فقال الإمام: بل هذا زمرد أخضر، فنظر الرجل إليه فإذا هو زمرد أخضر، ثم قال الإمام أيضاً: صب الماء يا رجل، فصب الماء على يدي الإمام حتى امتلأ الطشت، فقال للرجل: ما هذا؟ فقال: ماء، قال: بل هذا در أبيض، فنظر الرجل فإذا هو در أبيض بإذن الله تعالى، وصار الطشت ملآناً من ثلاثة ألوان: در، وياقوت، وزمرد. فتعجب الرجل غاية العجب وانكب على أيدي الإمام يقبلهما، فقال له: يا شيخ لم يكن عندنا شيء نكافيك على هداياك إلينا فخذ هذه الجواهر فإنها عوض هديتك واعتذر لنا عند زوجتك لأنها عتبت علينا. فأطرق الرجل رأسه خجلاً وقال: يا سيدي من أنبأك بكلام زوجتي! فلا شك أنك من بيت النبوة؟.

ثم أن الرجل ودع الإمام وأخذ الجواهر وسار بها إلى زوجته وحدثها بالقصة، قالت: ومن أعلمه بما قلت؟ فقال: ألم أقل لك أنه من بيت العلم والآيات الباهرات. فسجدت لله شكراً وأقسمت على بعلها بالله العظيم أن يحملها معه إلى زيارته والنظر إلى طلعته. فلما تجهز بعلها للحج في السنة القابلة أخذها معه فمرضت المرأة في الطريق وماتت قريباً من مدينة الرسول ﷺ، فجاء الرجل إلى الإمام باكياً حزيناً وأخبره بموت زوجته وأنها كانت قاصدة إلى زيارته وزيارة جده رسول الله ﷺ، فقام الإمام وصلى ركعتين ودعا الله سبحانه بدعوات لم تُحجب، ثم التفت إلى الرجل فقال له: قم وارجع إلى زوجتك فإن الله عزَّ وجلَّ قد أحياها بقدرته وحكمته وهو يحيي العظام وهي رميم. فقام الرجل مسرعاً وهو فرح، بين مصدق ومكذب، فدخل إلى خيمته، فرأى زوجته جالسة في الخيمة على حال الصحة فزاد سروره واعتقد ضميره، وقال لها: كيف أحياك الله تعالى؟ فقالت: والله لقد جاءني ملك الموت وقبض روحي، وهمّ أن يصعد بها وإذا

برجل صفته كذا وكذا ـ وجعلت تعدد أوصافه الشريفة ـ وبعلها يقول لها: نعم صدقتي هذه صفة سيدي ومولاي علي بن الحسين عليه السلام، قالت: فلما رآه ملك الموت مقبلاً انكب على قدميه يقبلهما ويقول: السلام عليك يا حجة الله في أرضه، السلام عليك يا زين العابدين، فرد عليه السلام وقال له: يا ملك الموت أعد روح هذه المرأة إلى جسدها فإنها قاصدة إلينا وإني قد سألت ربي أن يبقيها ثلاثين سنة أخرى ويحييها حياة طيبة لقدومها إلينا زائرة لنا، فإن للزائر علينا حقاً واجباً. فقال له الملك: سمعاً وطاعة لك يا ولي الله، ثم أعاد روحي إلى جسدي وأنا أنظر إلى ملك الموت قبّل يده الشريفة وخرج عني. فأخذ الرجل بيد زوجته وأتى بها إلى مجلس الإمام وهو بين أصحابه، فانكبت على ركبتيه تقبلهما وهي تقول: هذا والله سيدي ومولاي هذا الذي أحياني الله ببركة دعائه. ولم تزل المرأة مع بعلها مجاورين عند الإمام بقية أعمارهما بعيشة طيبة في البلدة الطيبة إلى أن ماتا رحمة الله عليهما.

فيا إخواني، إذا كان الإمام زين العابدين هذه حالته عند الله، كيف يستحق أن تغل يداه وتسبى نساؤه ويحملن على أقتاب الجمال عرايا بغير وطاء ويطاف بهن البلدان بين أهل العناد حزب الشيطان، فلا حول ولا قوة إلا بالله وعلى ظالمي أهل البيت لعنة الله.

روي عن حذلم بن بشير قال: قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين وقت منصرف علي بن الحسين عليه السلام بالنسوة من كربلا، ومنهم الأجناد يحيطون بهم وقد خرج الناس لينظروا إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء ولا غطاء جعلن نساء الكوفة يبكين ويندبن، فسمعت علي بن الحسين وهو يقول وقد نهكته العلة وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه: إن هؤلاء النسوة يبكين! فمن قتلنا؟ قال: ورأيت زينب بنت علي عليه السلام ولم أر خفرة أنطق منها، كأنها تفرغ من لسان أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وقد أومت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات، فقالت: الحمد لله والصلاة على أبي رسول الله ﷺ أما بعد: يا أهل الكوفة فلا رقت لكم العبرة، ولا هدأت الرنة، فإنما مثلكم كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف الظلف، والصرم السرف، خوارون في اللقاء عاجزون عن الأعداء، ناكثون في البيعة، مضيعون للذمة، فبئس ما قدمت لكم أنفسكم، إن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون؟ إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد فزتم بعارها وشنارها، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبداً، فسليل خاتم الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم وإمارة محجتكم ومدرجة

حجتكم خذلتم وله قتلتم، ألا ساء ما تزرون فتعساً ونكساً ولقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم أتدرون أي كبد لمحمد فَرَيْتُم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾[1]، ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء بلاغ الأرض والسماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخرى، فلا يستخفنكم المهل فإنه لا يحقره البدار ولا يخاف عليه فوت النار كلا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾[2].

قال: ثم سكتت، فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم على أفواههم، ورأيت شيخاً قد بكى حتى اخضبت لحيته وهو يقول:

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عد نسل لا يخيب ويخزي

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[3]:

طوايا نظامي في الزمان لها نشر يعطرها من طيب ذكركم نشر
قصائد ما خابت لهن مقاصد ظواهرها حمد، بواطنها شكر
مطالعها تحكي النجوم طوالعاً وأنوارها زهر وأخلاقها زهر
عرائس تجلي حين تجلى قلوبنا أكاليلها در وتيجانها تبر
حسان لها حسان بالفضل شاهد على وجهها بشر يدين لها بشر
أنظمها نظم اللئالي وأسهر الليالي ليحيى لي بكم وبها ذكر
فيا ساكني أرض الطفوف عليكم سلام محب ما له عنكم صبر
نشرت دواوين الثنا بعد طيها ففي كل طرس من مديحي لكم سطر
فطابق شعري فيكم دمع ناظري فسر غرامي شائع بكم جهر
لئالي نظامي في عقيق مدامعي فمبيض ذا نظم ومحمر ذا نثر
فلا تتهموني بالسلو فإنما مواعيد سلواني وحقكم الحشر
فذلي بكم عز وفقري بكم غنى وكسري بكم جبر وعسري بكم يسر

---

(1) سورة مريم: الآيتان 89 - 90. (2) سورة الفجر: الآية 14.
(3) القصيدة للشيخ صالح بن العرندس رحمه الله تعالى.

تروق بروق السحب لي من دياركم فينهل من دمعي بيارقها القطر
فعيناي كالخنساء تجري دموعها وقلبي شديد في محبتكم صخر
وقفت على الدار التي كنتم بها ومغناكم من بعد معناكم قفر
وقد درست منها الرسوم وطالما بها درّس العلم الإلٰهي والذكر
فَراقَ فُراق الروح من بعد بُعدكم ودار برسم الدار في خاطري الفكر
وسالت عليها من دموعي سحائب إلى أن تروى البان بالدمع والسدر
وقد أقلعت عنها السحاب ولا تجد ولا دَرّ من بعد الحسين لها در
إمام الهدى سبط النبوة والد الأئمة رب النهى مولى له الأمر
أبوه إمام المرتضى علم الهدى وصي رسول الله والصنو والصهر
إمام بكته الأنس والجن والسما ووحش الفلا والطير والبر والبحر
له القبة البيضاء بالطف لم تزل يطوف بها حزناً ملائكة غر
وفيه رسول الله قال وقوله صحيح صريح ليس في ذلكم نكر
حبي بثلاث ما أحاط بمثلها ولي فمن زيد سواه ومن عمرو
له تربة فيها الشفاء وقبة يُجاب بها الداعي إذا مسه الضر
وذرية ذرية منه تسعة أئمة حق لا ثمان ولا عشر
أيقتل ظمآناً حسين بكربلا وفي كل عضو من أناملة بحر
ووالده الساقي على الحوض في غد وفاطمة ماء الفرات لها مهر
فوا لهف نفسي للحسين وما جنى عليه غداة الطف في حربه الشمر
رماه بجيش كالظلام قسيه الأهلة والخرصان أنجمه الزاهر
لراياته نصب وأسيافه جزم وللنقع رفع والرماح لها جر
تجمع فيه من طغاة أمية عصائب غدر لا يقوم لها عذر
وأرسلها الطاغي يزيد ليملك العراق وما أغنته شام وما مصر
وشد لهم أسراً سليل زيادها فحلّ بهم من شد أزرهم الوزر
وآمر فيهم نجل سعد لنحسه فما طال في الري اللعين له عمرو
فلما التقى الجمعان في أرض كربلا تباعد فعل الخير واقترب الشر
فداروا به في عشر شهر محرم وبيض للمواضي في الأكف لها شمر

فقام الفتى لما تشاجرت القنا ... وصال وقد أودى بمهجته الحر
وجال يطوف في المجال كأنه ... دجى الليل في لألاءِ غرته الفجر
له أربع للريح فيهن أربع ... لقد زانه كر وما شأنه الفر
ففرق جمع القوم حتى كأنهم ... طيور بغاث شث شملهم الصقر
فأذكرهم ليل الهرير فأجمع ... الكلاب على ذاك الهرير وقد هر
هناك فدته الصالحون بأنفس ... يضاعف في يوم الحساب لها الأجر
وحادوا عن الكفار طوعاً لنصره ... وجادله بالنفس من سعده الحر
ومدوا إليه ذبلاً سمهرية ... لطول حياة السبط من مدها جزر
فغادره في مأزق الحرب مارق ... بسهم لنحر السبط من وقعه نحر
فمال عن الطرف الجواد أخو الندى ... الجواد قتيلاً حوله يصهل المهر
سنان سنان خارق منه في الحشا ... وصارم شمر في الوريد له شمر
تجر عليه العاصفات ذيولها ... ومن نسج أيدي الصافنات له طمر
زجت له السبع الشداد وزلزلت ... رواسي جبال الأرض والتطم البحر
فيا لك مقتولاً بكته السما دماً ... فمغبر وجه الأرض بالدم محمر
ملابسه في الحرب حمر من الدما ... وهن غداة الحشر من سندس خضر
ولهفي لزين العابدين وقد سرى ... أسيراً عليلاً لا يفك له أسر
وآل رسول الله تسبى نساؤهم ... ومن حولهن الستر يهتك والخدر
سبايا بأكوار المطايا حواسراً ... يلاحظهن العبد في الناس والحر
ورملة في ظل القصور مصانة ... يناط على أقراطها النير والدر
فويل يزيد من عذاب جهنم ... إذا أقبلت في الحشر فاطمة الطهر
ملابسها ثوب من السم أسود ... وآخر قانٍ من دم السبط محمر
تنادي وأبصار الأنام شواخص ... وفي كل قلب من مهابتها ذعر
وتشكو إلى الله العلي وصوتها ... عليٌّ ومولانا علي لها ظهر
فلا ينطق الطاغي يزيد بما جنى ... وأنى له عذر ومن شأنه الغدر
فيؤخذ منه بالقصاص فيحرم ... النعيم ويصلى في الجحيم له قعر
أيقرع جهراً ثغر سبط محمد ... وصاحب ذاك الثغر يحمى به الثغر

ويشدو له الشادي فيطربه الغنا ... ويسكب في الكأس النظار له الخمر
فداك الغنا في البعث تصحيفه العنا ... وتصحيف ذاك الخمر في قلبه الجمر
وليس لأخذ الثار إلا خليفة ... يكون لكسر الدين من عدله جبر
تطوف به الأملاك من كل جانب ... ويقدمه الإقبال والعز والنصر
عواملة في الدار عين خوارق ... وحاجبه عيسى وناصره الخضر
تظلله حقاً غمامة جده ... إذا ما الملوك الصيد ظللها الحتر
محيط على علم النبوة صدره ... فطوبى لعلم ضمه ذلك الصدر
هو ابن الإمام العسكري محمد ... التقي النقي العالم العلم الحبر
سليل علي الهادي نجل محمد ... الجواد ومن بأرض طوس له قبر
علي الرضا وهو ابن موسى الذي قضى ... ففاح على بغداد من نشره عطر
وصادق قول إنه نجل صادق ... إمام به في العلم يفتخر الفخر
نتيجة مولانا الإمام محمد ... إمام لعلم الأنبياء به يقر
سلالة زين العابدين الذي بكى ... فمن دمعه يبس الأعاشيب مخضر
سليل الحسين الفاطمي وحيدر ... الوصي فمن طهر نمى ذلك الطهر
له الحسن المسموم عم فحبذا ... الإمام الذي عم الورى جوده الغمر
سمي رسول الله وارث علمه ... إمام على آبائه نزل الذكر
هم النور نور الله جلَّ جلاله ... هم التين والزيتون والشفع والوتر
مهابط وحي الله خزان علمه ... ميامين في أبياتهم يقبل النذر
وأسماؤهم مكتوبة فوق عرشه ... ومكنونة من قبل أن يخلق الذر
فلولاهم لم يخلق الله آدماً ... ولا كان زيد في الأنام ولا عمرو
ولا سطحت أرض ولا رفعت سما ... ولا طلعت شمس ولا أشرق البدر
ونوح بهم في الفلك لما دعا نجا ... وغيض به طوفانه وقضي الأمر
ولولا نارهم نار الخليل لما غدت ... سلاماً وبرداً وانطفأ ذلك الجمر
ولولاهم يعقوب ما زال حزنه ... ولا كان عن أيوب يُكشف الضرّ
ولان لداود الحديد بسرهم ... فقدر في سرد يحير له الفكر
ولما سليمان البساط بهم دعا ... أسيلت له عين يفيض بها القطر

وسخرت الريح الرخاء بأمره فغدوتها شهر وروحتها شهر
ولولاهم ما كان عيسى ابن مريم لغادر من طي اللحود له نشر
سرى سرهم في الكائنات وفضلهم فكل نبي فيه من سرهم سر
مصابكم يا آل طٰه مصيبة ورزء على الإسلام أحدثه الكفر
سأندبكم يا عدتي عند شدتي وأندبكم حزناً إذا أقبل العشر
وأبكيكم ما دمت حياً فإن أمت ستبكيكم بعدي المراثي والشعر
وكيف يحيط الواصفون بمدحكم وفي مدح آيات الكتاب لكم ذِكر
ومولدكم بطحاء مكة والصفا وزمزم والبيت المحرَّم والحجر
جعلتكم يوم المعاد ذخيرتي فطوبى لمن أمسى وأنتم له ذخر
عرائس فكر الصالح بن عرندس قبولكم يا آل طٰه لها مهر
سيبلى الجديدان الجديد وحبكم جديد بقلبي ليس يخنقه الدهر
عليكم سلام الله ما لاح بارق وحلّقت عقود المزن وانتثر القطر

الباب الثاني

العجب ممن يرضى من ذوي العقول بالدنيا داراً بعد آل الرسول، غدرت بمواليها فلا خير والله ولا بركة فيها، فرحم الله من اتخذ فيها الزاد ليوم الحشر والمعاد وجعلها إلى ما تقدم من صالح الأعمال، بعد انقضاء الأعمار والآجال. ولعمري لا عمل فيها أعظم من موالاة الآل لدفع تلك الأثقال العضال والمشاق والأهوال. فوا عجباه ممن مال من الحق إلى الباطل، وارتكب مثل هذا الخطب الهائل، وتجرأ على انتهاك ذرية الرسول وأولاد فاطمة البتول، وما ذاك إلا لطلب الدنيا ونعيمها وما قدره لو صح بالنسبة إلى النار وجحيمها:

هب الدنيا تسافي إليك عفواً أليس مصير ذاك إلى زوال
وهل دنياك إلا مثل فيء أظلّك ثم أذن بانتقال
فما ترجو لشيء ليس يبقى سريع لا يدوم على الليالي

لعلهم ما عرفوا حالاتهم، ولم يبلغهم شيء من معجزاتهم، بلى والله لقد سمعوا وعرفوا وعاهدوا وما فوا ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

نقل أنه لما رجع النبي ﷺ من غزاة خيبر إلى المدينة، جاءته امرأة يهودية قد أظهرت له الإسلام ومعها لحم ذراع جمل مشوي فيه سم، فوضعه بين يديه، فقال لها: ما هذا؟ فقالت له: فداك أبي وأمي يا رسول الله لقد همني أمرك في غزوتك إلى خيبر فإني أعرفهم رجالاً شجعاناً، وهذا لحم ذراع جمل لي قد ربيته صغيراً وعلمت أن أحب الأطعمة إليك الشواء من لحم الذراع، فنذرت لله نذراً إن سلمك الله من وقعة خيبر وظفَّرك الله بهم لأذبحن جملي وأجعل لحمه صدقة عنك وقد جئت بهذا منه إليك لأوفي نذري، قال: وكان من جلساء رسول الله ﷺ رجل يقال له البراء[1]، فمد يده وأخذ من ذلك اللحم فوضعها في فِيه، فقال له علي عليه السلام: يا براء لا تتقدم على رسول الله أبداً، فقال البراء، وكان أعرابياً: يا علي كأنك تبخِّل رسول الله؟ فقال علي: لا والله ما أبخِّل رسول الله ولكني أبجِّله وأوقره وأعظِّمه، وليس لي ولا لك ولا لأحد من خلق الله أن يتقدم على رسول الله بقول ولا فعل ولا أكل ولا شرب، فقال البراء: لست تريد هذا ولكنك تبخِّل رسول الله، فقال علي: يا براء هذا طعام جاءت به امرأة وكانت من قبل يهودية ولسنا نعرف حالها، فإذا أكلت بأمر رسول الله فهو الضامن لسلامتك منه، وإذا أكلت بغير إذنه وكَّلك الله نفسك، فربما يكون هذا الطعام مسموم، قال: فبينما علي يخاطب البراء بهذا الكلام والبراء يلوك اللقمة في فمه إذ أنطق الله الذراع بلسان فصيح يقول: يا رسول الله لا تأكلني فإني مسموم، فسقط البراء مغشياً عليه ولم يُرفع من مكانه إلا ميتاً، فقال رسول الله ﷺ: ائتوني بالمرأة، فأتوا بها فقال لها بلطف ورفق: ما حملك على ذلك؟ فقالت: يا محمد قد قتلت أبي وعمي وأخي وبعلي وولدي فهذا الذي حملني على ذلك فجئت إليك بهذا السم، وقلت في نفسي: إن كان محمداً نبياً حقاً فسيمنعه الله من أكله أو يأكله ولا يضره السم، وإن كان كاذباً فإني أنتقم منه حيث قتل قومي ورجالي. فقال رسول الله ﷺ: يا هذه أنه لن يضرنا موت البراء فإنما امتحنه الله لتقدمه عليَّ ولو أنه كان يأكل بأمري لكفاه الله أذية السم. ثم أن رسول الله ﷺ قال: هلم يا سلمان، ويا عمار، ويا مقداد، ويا أبا ذر، هلموا جميعاً فكلوا من هذا الطعام. فمد رسول الله ﷺ يده وقال: بسم الله الشافي، بسم الله الكافي، بسم الله المعافي، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. ثم أكل مع جميع أصحابه حتى شبعوا والمرأة واقفة تنظر إليهم، فقال لها رسول الله ﷺ: أليس أكلنا بحضرتك من هذا الطعام المسموم؟ فكيف

(1) الظاهر إنه ليس البراء بن عازب لأنه بقي إلى أن قُتل الحسين عليه السلام، كما تقدم في الباب الثالث، من المجلس الثامن، من الجزء الأول.

رأيت دفع الله عن نبيه وأصحابه أذية السم؟ فقالت: يا رسول الله إني كنت شاكة في نبوَّتك والآن قد أيقنت أنك رسول الله حقاً وصدقاً وأنا أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأنك محمداً رسول الله، وأسلمت المرأة وأحسنت إسلامها.

قال: فلما حملت جنازة البراء إلى رسول الله ﷺ ليصلي عليها قال رسول الله ﷺ: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل له: قد ذهب في حاجة. فجلس رسول الله ﷺ ينتظره ولم يصلِّ على جنازة البراء، فقيل له: يا رسول الله ما لك لا تصلي على جنازة هذا العبد المؤمن؟ فقال: إن الله عزَّ وجلَّ أمرني أن لا أصلي عليها حتى يحضر علي بن أبي طالب فيجعله في حل مما كلمه ليجعل الله موتة البراء بهذا السم كفارة لذنبه. فقال من حضر وشاهد الخبر وسمع الكلام الذي قاله البراء لعلي: يا رسول الله إنما كان كلام البراء مزاحاً مازح به علياً ولم يكن جداً منه فيؤاخذه الله بذلك، فقال رسول الله ﷺ: لو كان كلام البراء جداً لأحبط الله أعماله كلها ولو تصدق بملء ما بين الثرى إلى عنان السماء ذهباً وفضة لكنه كان مزاحاً وهو في حِل من ذلك إلا أن رسول الله يريد أن لا يعتقد أحد منكم أن علياً عليه السلام واجد عليه فيحِله علي بن أبي طالب بحضرتكم إجلالاً للبراء ويسغفر له ليزيده الله زلفة في جنانه. قال: فبينما هم في الكلام، إذ دخل علي عليه السلام فوقف عند جنازة البراء وقال: يرحمك الله يا براء لقد كنت صوَّاماً، ولقد متَّ في سبيل الله، ولقد جاهدت بين يدي رسول الله فرضي الله عنك. فقال رسول الله ﷺ: فوالله لو كان أحد من الموتى يستغني عن صلاة رسول الله لاستغنى صاحبكم هذا بدعاء علي بن أبي طالب. ثم قام رسول الله ﷺ فصلى على جنازة البراء وأمر بدفنه رحمة الله عليه.

فانظروا يا ذوي العقول إلى حقد هذه المرأة التي عزمت على قتل الرسول وأبي الطهر البتول، وكذلك بنو أمية حقدوا وهم من قديم الزمان والأعوام من فتك علي فيهم إطاعة للملك العلام، ولكن إلى الله مرجع الخصام في يوم القيام:

فرى كبدي من حزن آل محمد ... ومن زفرات ما لهن طبيب
فمن مبلِّغ عني الحسين رسالة ... وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيل بلا جرم كأن قميصه ... صبغ بماء الأرجوان خضيب
فللسيف إعوال وللريح رنة ... وللخيل من بعد الصهيل نحيب
تزلزلت الدنيا لآل محمد ... وكادت لهم صمُّ الجبال تذوب

حكى عروة الباقي قال: حججت في بعض السنين فدخلت مسجد رسول الله ﷺ فوجدت رسول الله ﷺ جالساً وحوله غلامان يافعان وهو يقبِّل هذا مرة وهذا أخرى فإذا

رآه الناس يفعل ذلك أمسكوا عن كلامهم حتى يقضي وطره منهما وما يعرفون لأي سبب حبه إياهما، فجئته وهو يفعل ذلك بهما، فقلت: يا رسول الله هذان إبناك؟ فقال: إنهما ابنا ابنتي وابنا أخي وابن عمي وأحب الرجال إليَّ، ومن هو سمعي وبصري، ومن نفسه نفسي ونفسي نفسه، ومن أحزن لحزنه ويحزن لحزني. فقلت له: قد عجبت يا رسول الله من فعلك بهما وحبك لهما؟ فقال له: أحدثك أيها الرجل إني لما عرج بي إلى السماء ودخلت الجنة انتهيت إلى شجرة في رياض الجنة فعجبت من طيب رائحتها، فقال لي جبرائيل: يا محمد لا تعجب من هذه الشجرة فثمرها أطيب من ريحها. فجعل جبرائيل يتحفني من ثمرها ويطعمني من فاكهتها وأنا لا أمُل منها. ثم مررنا بشجرة أخرى فقال لي جبرائيل: يا محمد كُل من هذه الشجرة فإنها تشبه الشجرة التي أكلت منها الثمر فإنها أطيب طعماً وأزكى رائحة. قال: فجعل جبرائيل يتحفني بثمرها ويشمني من رائحتها وأنا لا أمُل منها، فقلت: يا أخي جبرائيل ما رأيت في الأشجار أطيب ولا أحسن من هاتين الشجرتين! فقال: يا محمد أتدري ما اسم هاتين الشجرتين؟ فقلت: لا أدري، قال: إحداهما الحسن والأخرى الحسين، فإذا هبطت يا محمد إلى الأرض من فورك فأت زوجتك خديجة وواقعها من وقتك وساعتك فإنه يخرج منك طيب رائحة الثمر الذي أكلته من هاتين الشجرتين فتلد لك فاطمة الزهراء ثم زوِّجها أخاك علياً فتلد له ابنين، فسم أحدهما الحسن والآخر الحسين. قال رسول الله ﷺ: ففعلت ما أمرني أخي جبرائيل فكان الأمر ما كان، فنزل إليَّ جبرائيل بعدما ولد الحسن والحسين، فقلت له: يا جبرائيل ما أشوقني إلى تينك الشجرتين؟ فقال لي: يا محمد إذا اشتقت إلى الأكل من ثمر تينك الشجرتين فشم الحسن والحسين. قال: فجعل رسول الله ﷺ كلما اشتاق إلى الشجرتين يشم الحسن والحسين ويشمهما وهو يقول: صدق أخي جبرائيل. ثم يقبِّل الحسن والحسين، ويقول: يا أصحابي، إني أود إني أقاسمهما حياتي لحبي لهما فهما ريحانتاي من الدنيا. فتعجب الرجال من وصف النبي ﷺ للحسن والحسين عليهما السلام.

فكيف لو شاهد النبي من سفك دماءهم وقتل رجالهم وذبح أطفالهم ونهب أموالهم وسبى حريمهم؟ ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [1]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [2].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

---

(1) سورة البقرة: الآية 161. (2) سورة الشعراء: الآية 227.

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[1]:

جاد ما جاد من دموعي السجاد لمصاب الكريم نسل الكرام
حلَّ من فادح على الناس طرّاً ومُصاب أُصيب في الإسلام
كيف يلتذُّ طاعم بطعام كيف يُهني اللبيب طيب المنام
قلَّ صبري وزاد حزني ووجدي فهمومي سكري ودمعي مدامي
أضْرَمَ الشوق جذوره في فؤادي للأسى خل لائمي عن ملامي
لم أزل في تفكر وانقياد لهموم تعلني بالسقام
بدموع حكت سحائب مزن وفؤاد متيم مستهام
برحت مهجتي لتبريح وجدي فعلى جيرتي وأهلي سلامي
ظللت أشكو إلى الحمام غرامي يا حمامي أدنيتني لِحمامي
هيَّجتني بلابلي وامتحاني بالتحاني إذ الغريم غرامي
لست أبكي لفقد أهل وخِل فتَكَت فيهم يد الأيام
وديار خلا الأحبة منها فهي بعد الأنيس مأوى الهوام
لا ولا هالني فراق حبيب بان عني مقوضاً للخيام
إنما حسرتي وحزني ووجدي ونحيبي وزفرتي واضطرام
لسليل البتول سبط رسول الله نور الإلٰه خير الأنام
فتكت فيه عصبة الكفر حتى قتلوه ظلماً بغير إجرام
منعوه ماء الفرات مباحاً لسواه تمرُّداً بالخصام
لست أنسى الحسين بالطف ملقى عافر الخد ناحر النحر دامي
لست أنساه وهو فيهم وحيد قد أحاطت به علوج اللئام
منعوه الماءَ الزلال وحاطوه دونه بالمهند الصمصام
وا حسيناه إذ أحاط الأعادي فيه كلٌّ مجرَّد للحسام
وا حسيناه وهو فيهم ينادي يا لقومي كيف خنتم ذمامي
وا حسيناه إذ قضى وهو ممنوع من الماء حوله وهو ظامي
وا شهيداه لست أنساه يدعو رب فاحكم بيني وبين اللئام

(1) القصيدة للشيخ النقي التقي محمد علي بن طريح النجفي رحمه الله تعالى.

وا إماماه ما له من نصير ... وا إماماه ما له من محامي
وا إماماه إذ يودع أهليه ... ويرمي بطرفه للخيام
زينب أخته تنوح بشجو ... ثم تدعو لواحد العلام
وتناديه يا أخي يا ابن أمي ... أظلمت بعد فقدكم أيامي
يا أخي هذه سكينة تبكي ... قد أهلّت دموعها بالسجام
تستجير العدا بطرف كليل ... وفؤاد مؤلّه مستهام
يا أخي فاطم تدور وترتاع ... لما نالها من الآلام
خانها دهرها فأضحت بالذلّ ... بعد عزّ ونعمة واحتشام
يا أخي هذه بناتك بالذلّ ... أسارى وما لهن محامي
يا أخي هذه الأسارى حيارى ... ساترات الوجوه بالأكمام
كم جِسان وكم ربيبة خدر ... صرن من غير برقع ولثام
يا أخي لو ترى علياً بقيد ... ناكس الرأس ذلّة للرغام
يا أخي هدّ حزن فقدك ركني ... وكساني النحول ثوب سقام
يا أخي خانني الزمان بصبري ... وجفا عن جفون عيني منام
يا أخي أظلم الزمان علينا ... بعدما كان ضاحكاً بابتسام
لهف قلبي على الحسين طريحاً ... بين تلك الأوهاد والأوكام
لهف قلبي عليه والشمر يسعى ... نحوه وهو مشهر للحسام
قال: يا شمر هل علمت بأني ... ابن بنت الرسول بدر التمام
وأبي خيرة الأنام وجدي ... صفوة الله والنبي التهامي
قال شمر: عرفت هذا ولكن ... نلت اليوم يا ابن طٰه مرامي
قال: يا شمر خلِّ قتلي لتحظى ... يوم حشري الورى بدار السلام
قال شمر: ما للجنان وما لي ... بل عطاء يزيد والأنعام
ثم أحنى على الإمام مكبّاً ... ذابحاً بالمهند الصمصام
ثم علا سنان كريم السبط ... كالبدر في ليالي التمام
لعنة الله لا تزال على الشمر ... ومن خان أحمد بالذمام
أي نكراني وأي فجور ... حسبه في الحساب نار الضرام

أيُعلَّى على السنان سنان ... الرجس رأس الحسين بين الأنام
ثم يسري به يأمُّ السبايا ... قاصداً بالمسير نحو الشآم
لعن الله آل حرب الكفر ... والغدر عابد الأصنام
وزيد اللعين نسل اللعين ... عصبة الكفر والخنا والحرام
وزياداً ونسل آل زياد ... وابن سعد اللعين نسل اللئام
وكذا اللعين يعتري كل رجس ... نعثل ثم حبتر والدلام
زادهم ربنا إلى اللعن لعناً ... سرمدياً مخلّداً بالدوام
يا بني أحمد وركن المعالي ... أنتم النور والبحور الطوامي
أنتم عدّتي ليوم معادي ... تنقذوني من الذنوب العظام
أنتم العارفون حبي وبغضي ... فهو كاف عن منطقي وكلامي
قلت في حبكم وأخلصت ودّي ... يا رجائي وسادتي واعتصامي
فخذوها من مسلمي ولّي ... يختفي مهذب للنظام
تحفتي منكم غداً في حياتي ... تنقذوني من زلتي واجترامي
فعليكم من السلام صلاة ... وسلام بألف ألف سلام
ما اضمحل الدجى وأسفر صبح ... وأضاءت كواكب بظلام

الباب الثالث

أيها المؤمنون الأخيار، والأمناء الأبرار، أليس بإظهار الأسف منكم تحطُّ الأوزار، أليس أئمتكم هم الجِنن الواقية من النار، أليس هم العدة لكل هول وشدة، أيبكي الباكون منكم على فقد الأولاد والآباء والأجداد، ولا يبكي على سادات العباد وأنوار الله في البلاد، لو بكيتم بدل الدمع دماً، وجعلتم جميع العمر مأتماً، لكان أقل القليل بالنسبة إلى هذا الخطب الجليل، كيف لا وقد جاء في الخبر عن سيد البشر: «من شرب الماء فذكر عطش الحسين وعطش أطفاله وعياله وأنصاره فلعن قاتليهم وظالميهم كتب الله له أربعة آلاف حسنة وحط أربعة آلاف سيئة، ورفع له أربعة آلاف درجة وكان كمن أعتق أربعة آلاف نسمة، وحشره الله يوم القيامة ثَلِجَ الفؤاد لن يظمأ أبداً».

فهل هذا إلاّ لعظم المصاب وشدة الوجد الداخل عليهم والاكتئاب، فيا إخواني تساعدوا على الندب والعويل، وتحاضوا على الثواب الجزيل، فإنكم تعزون فاطمة

البتول، بل جميع أهل بيت الرسول عليهم السلام:

فيا لك عيناً لا تجف عيونها ونار لها بين الضلوع ذحول
أيُقتل ظمآناً حسين وجده إلى الناس من رب العباد رسول
ويُمنع شرب الماء والشرب آمن على الشرب منها صادر ونهول
مُصاب أصيب الدين منه بفادح تكاد له شم الجبال تزول

حكي أنه لما توفيت فاطمة عليها السلام حزن أمير المؤمنين عليه السلام لفقدها حزناً عظيماً وانفرد بالعزاء وحده وتحجَّب عن الناس مدة طويلة، فاجتمع جماعة من إخوانه المؤمنين وشيعته الصادقين وقالوا: إن علي بن أبي طالب إمامنا وولّينا وأميرنا وأمير المؤمنين أجمع قد احتجب عنا وصرنا لا نراه إلاَّ في وقت أداء الفرائض وانقطع عنا ما كان يفيدنا به من أحاديثه ويردنا به من أخباره، وقد طال ذلك علينا منه وصرنا كالغنم بغير راع، فوقع عين الجماعة على عمار بن ياسر وقالوا له: يا عمار إمضي إلى أمير المؤمنين وكلِّمه في ذلك فلعلك تأتينا به أو تستأذن لنا بالدخول عليه، قال عمار: فقمت ودخلت عليه فوجدته جالساً في بيته ومعه ولداه الحسن والحسين عليهما السلام وهو مع ذلك يبكي، فسلمت عليه وجلست بين يديه ساعة فقلت له: يا سيدي أتأذن لي أن أقول أو أسكت؟ فقال لي: قل ما شئت، قلت: يا سيدي ما بالكم تأمرونا بالصبر على المصيبة ونراكم تجزعون، فقال عليه السلام: يا عمار إن العزاء عن مثل من فقدته لعزيز، يا عمار لما فقدت رسول الله ﷺ كانت فاطمة الزهراء هي الخلف منه والعوض عنه وكانت صلوات الله عليها إذا نطقت ملأت سمعي بكلامه، وإن مشت حكت كريم قوائمه، فوالله يا عمار ما أحسست بوجع المصيبة إلا بوفاتها وما أحسست بألم الفراق إلا بفراقها. قال عمار: فأبكاني كلامه وبكاؤه، فبكيت رحمة له، فقلت: يا أمير المؤمنين اعلم أن الناس صنفان: مفتقر ومفتقر إليه، وقول الناصح ثقيل، فقال لي: يا عمار إني أحدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ قال: لما قتل النبي يحيى بن زكريا عليهما السلام ووجم عيسى ابن مريم وجوماً فقطعه ذلك من الكلام واحتجب من الأنام ودخل عليه أحد الحواريين فقال له: يا روح الله لا تقطع عادتك المباركة عنا واخبرنا بالأحاديث الصحيحة لعل الله يرحمنا ولعل حديثك ينبه أبناء الدنيا من رقدة الغفلة ويخرجهم من ظلمة الجهل، فرُب كلمة قد أحيت سامعاً بعد الموت ورفعته بعد الضعة ونعشته بعد الصرعة وأغنته بعد الفقر وجبرته بعد الكسر وأيقظته بعد الغفلة وبقيت في قلبه ففجرت ينابيع الحياة فسالت منه أودية الحكمة ونبتت فيه غرائس الحكمة إذا وافق ذلك القضاء من الله عزَّ وجلَّ، قال له عيسى: نعم يا

عبد الله إن مثلك من يستدعي من العالم الكلام ولا بأس عليك، وأما أنت فاعلم أن هذه المفقودة الماضية بنت رسول الله وعند الله أحتسبها. ثم نهض ودموعه تنحدر على لمته فتلقوه الجماعة وصاروا بين عاذر وعاذل، فقال لهم: رويداً فإن القلب إذا خلت قالت وإذا كرهت مالت، ألستم تعلمون أنه لما توفيت أم المؤمنين خديجة الكبرى جزع رسول الله ﷺ جزعاً شديداً حتى إني أشفقت عليه من شدة الجزع فقلت له: يا رسول الله أنت والله القبلة، وإليك الإشارة، وبك القدوة، وعليك المعتمد، ومنك التعليم، وأنت السراج إذا ضللنا، وأنت الصلاح إذا فسدنا، وأنت الهادي إذا تُهنا، وحولك حاسد وحاقد ومحب وواجد، وقريش شاخصة الأبصار إليك، مصغية الأذان نحوك، وبعد فأنت يا رسول الله ممن إذا قال فعل وإذا أمر عمل، فقال لي: مهلاً يا أبا الحسن بردت دمعي وسكّنت جزعي. ثم أنه ﷺ صار يحب الخلوة بنفسه ويتطرق الأمكنة الخالية، فبينما هو ذات يوم بظاهر مكة، شرّفها الله تعالى، إذ سمع هاتفاً ينشد بيتاً من الشعر، وهو:

وكل ذي سفرة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

فقال النبي ﷺ: «إن من الشعر لحكمة».

ثم قال لي ﷺ: يا علي حفظته؟ قلت: نعم، فاستعاده مني نوباً كثيرة. وكان ﷺ يقول: «وكل ذي سفرة * ولا يؤوب غائب الموت».

ثم قال عليه السلام: يا عمار والله ما ذكرت أمها خديجة إلا وجابهها رسول الله ﷺ في ذكرها ولا رآها تبكيها إلا وسبقتها عبرة عليها، ولا جرى ذكرها إلاّ وأسهب في وصفها وطال الثناء عليها وتلهف على فراقها. ولما مات ولده إبراهيم عليه السلام بكى رسول الله ﷺ حتى جرت دموعه على لمته صلوات الله عليه، فقيل له: يا رسول الله أتنهى عن البكاء وأنت تبكي هكذا؟ فقال: ليس هذا بكاء وإنما هو رحمة ومن لا يَرحم لا يُرحم، وإنما البكاء الذي هو رنة وصراخ عال ومن لا يرحم لا يرحم. ثم التفت إلى أصحابه وقال: أتلومونني على فقد بنت رسول الله ﷺ وإني أقتدي برسول الله ﷺ لأنه بكى على خديجة الكبرى وليست بنت نبي وأن فاطمة الزهراء ست النساء بنت أشرف الأنبياء ووالدة سيد الشهداء صلوات الله عليه وعلى أبيها.

نقل أنه من إنشاد علي عليه السلام بعد وفاة فاطمة عليها السلام:

نفسي على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

كمالهم لا يخفى ونورهم أبداً لا يطفى، حسدوهم على الفضل والكمال وجل وعلا

مجدهم أن يُنال.

حكي عن السيد الحسيني رضي الله عنه قال: كنت مجاوراً في مشهد مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام مع جماعة من المؤمنين، فلما كان اليوم العاشر من شهر عاشور ابتدأ رجل من أصحابنا يقرأ مقتل الإمام الحسين عليه السلام، فوردت رواية عن الباقر عليه السلام أنه قال: من ذرفت عيناه على مصاب الحسين عليه السلام ولو مثل جناح البعوضة غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وكان في المجلس معنا جاهل مركب يدعي العلم ولا يعرفه، فقال: ليس هذا بصحيح والعقل لا يعتقده، وكثر البحث بيننا وافترقنا من ذلك المجلس وهو مصر على العناد في تكذيب الحديث. فنام ذلك الرجل تلك الليلة فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت وحشر الناس في صعيد صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً وقد نصبت الموازين وامتد الصراط ووضع الحساب ونُشرت الكتب وأشعلت النيران وزخرفت الجنان واشتد الحر عليه وإذا هو قد عطش عطشاً شديداً وبقي يطلب الماء فلا يجده، فالتفت يميناً وشمالاً وإذا هو بحوض عظيم الطول والعرض قال: قفلت في نفسي هذا هو الكوثر فإذا فيه ماء أبرد من الثلج وأحلى من العذب وإذا عند الحوض رجلان وامرأة أنوارهم تشرق على الخلائق وهم مع ذلك لبسهم السواد وهم باكون محزونون، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: هذا محمداً المصطفى وهذا لإمام علي المرتضى وهذه الطاهرة فاطمة الزهراء، فقلت: ما لي أراهم لابسين السواد باكين ومحزونين؟ فقيل لي: أليس هذا يوم عاشورا يوم مقتل الحسين عليه السلام؟ فهم محزونون لأجل ذلك. قال: فدنوت إلى ست النساء فاطمة وقلت لها: ما فضل البكاء على ولدك الحسين عليه السلام؟ قالت لي: فضل البكاء على مصاب ولدي الحسين عليه السلام ومهجة قلبي وقرة عيني الشهيد المقتول ظلماً وعدواناً لعن الله قاتليه وظالميه ومانعيه من شرب الماء، قال الرجل: فانتبهت من نومي فزعاً مرعوباً واستغفرت الله كثيراً وندمت على ما كان مني وأتيت إلى أصحابي الذين كنت معهم وأخبرتهم برؤياي وتبت إلى الله عزَّ وجلَّ:

تبارك من أجلك من شبيه ومن أعطى محاسنك الكمالا
مديحك عدتي وهواك قصدي ومن عاداك لا أهواه لا لا

روي عن شعيب بن عبد الرحمٰن الخزاعي أنه قال: لما قتل الحسين عليه السلام في طف كربلا وجد في ظهره أثر، فسئل زين العابدين عليه السلام: ما هذا الأثر الذي نراه في ظهر أبيك؟ فبكى طويلاً وقال: هذا مما كان يحمل قوتاً على ظهره إلى منازل الفقراء والأرامل واليتامى والمساكين وأنه كان ينقل لهم طعاماً في جراب وينقله إلى دورهم طول

ليلته وكانت نفقته سراً لا جهراً لأن صدقة السر تطفىء غضب الرب:

هو الذي كل آية نزلت أحاط في علمها وأوَّلها
حوى الكرامات بعد والده آخرها ملكه وأوَّلها

نقل رجلاً يسمى عبد الرحمٰن، كان معلماً للأولاد في المدينة، فعلّم ولداً للحسين يقال له جعفر، فعلمه: الحمد لله رب العالمين، فلما قرأها على أبيه الحسين عليه السلام استدعى المعلم وأعطاه ألف دينار وألف حلة وحشى فاه دراً، فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: وأي تساوي أعطيته هذه بتعليمه ولدي: الحمد لله رب العالمين، فوا حر قلباه لتلك الأجساد الملقاة على الرمضاء بلا مهاد، هي والله جسوم طال ما أتعبوها في عبادة الرحمٰن وتلاوة القرآن، تبكيهم المحراب والصلوات وتنوح عليهم المطايا والكرامات، لقد هدموا بقتلهم الدين المتين، وأذلُّوا بمصابهم رقاب المؤمنين، وأغضبوا بغضبهم رب العالمين والملائكة المقربين أجمعين ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[2]:

كفى أخفي وجدي وأكتم شأني ودموعي تسيح من سحب شأني
وفؤادي لا يستفيق غراماً وهيامي لشدة الخفقان
وجفوني جفون طيب رقادي واصطباري نأي ووجدي دان
فلوجدي أبرزت من طي فكري ناشرات الهموم والأحزان
ولوجدي شخصان عيني قالا حين سحت سحائب الأجفان
لست ممن تخشى خوف الله فينا نحن في لجة البكا غرقان
قال قرّا أو لا تقرّا فعذري قد بدا واضحاً فلا تعذراني
كيف صبري على الحسين ومولاي حسين رمي بسهم الهوان
من أكف البغاة آل زياد وذوي البغي آل أبي سفيان
فوقفوا نحوه ينال عناد ورموه بأسهم العدوان
نبذوا عهده وأبدوا جهاراً كل خافٍ من كامن الأضغان

---

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

(2) القصيدة لابن السمين رحمه الله تعالى.

كيف أنساه بالطفوف فريداً ... بعد فقد الأنصار والأعوان
وينادي: هل ذائد هل نصير ... ينصر الطهر من بني عدنان
ويلكم ما علمتم أن جدي ... دينه المرتضى من الأديان
ويلكم ما سمعتم أي قول ... جاء فينا في محكم القرآن
فأجاب النداء غير معين ... ورماه بنبل حرب عوان
قتلوه ظلماً وبغياً وعدواً ... وانتهاكاً لحرمة الرحمٰن
ثم رضّوا الصدر الشريف عناداً ... بخيول العصيان والطغيان
ثم حزّ الكريم واحتزَّ هام ... الآل أهل الإلحاد والكفران
وتولوا سلب النساء وإلهاب ... خباء بمضرم النيران
ثم ساروا برأسه والسبايا ... تتهادى بذلّة وهوان
حيث وافوا يزيد زاد سروراً ... ثم أبدى مسرة الجذلان
قائلاً ارجعوا فلسنا نبالي ... حيث نلنا آمالنا والأماني
ثم ردوا الكريم أزهر في الأفق ... ضياء من نوره النيران
فادكاري رد الكريم شجاني ... وعويل الرجال والنسوان
حين وافوا من الشآم ولاقوا ... جابراً زائراً لتلك المغاني
فأقاموا له عزّاً يقرح القلب ... ويبدي كواً من الأشجان
آه لهفي لزينب تندب السبط ... وتذري مدامع الأجفان
وتنادي بلوعة واكتئاب ... وجفون عبرى وقلب عان
أين من يسعد النوائح بالنوح ... ويرثوا الفاقد الولهان
أين من وجده كوجدي وشجوي ... حيث يشجي فؤاده ما شجاني
أين من قلبه كقلبي المعنى ... لعياني من العنا ما عناني
أين من يندب المصارع بالطف ... ومثوى الكهول والشبان
أين من يعرف المودة للقربى ... بنص النبي والقرآن
أين أهل الوفا وأهل التأسي ... ليسوا بالهمِّ والأحزان
أين من يندب الوحيد من الناصر ... يشكوا من قلّة الأعوان
أين من يندب الحسين ويذري ... من مآقي شونه ما شآن

أين من ينـدب الإمـام إمـام الخلق طرّاً من أنسها والجان
أين من يندب الشجاع المحامي عن حمى الدين فارس الفرسان
ومفيد العفاة يوم طعام ومبيد العراة يوم طِعان
وكمال الورى وزين البرايا وجمال الأقران والإخوان
أين من يندب الحماة حماة الدين أهل المعروف والإحسان
وبدوراً غابوا فلسنا نراهم في سماء الأسماء والجنان
أين من يندب الكريم كريم سبط يسمو على سنان سنان
ويزيد اللعين ينكث منه ثغره الجوهري بالخيزران
أين من يندب النساء عرايا وسبايا يدرن في البلدان
ظلمونا فويل من ظلم الآل ولم يخش سطوة الرحمٰن
يوم يجثو الحسين بيد يد الله وما رأسه على الجثمان
وتراه البتول وهو بلا رأس فتبدي الأشجان عند العيان
فتنادي: يا رب هذا حسين قتلوه الأعداء بالعدوان
فانتصف لي من الظلوم وخذ لي يا إلهي من كل قاص ودانـي
عندها يغضب الإلٰه فتأتي هبهب تلقط الظلوم الجاني
يا بني المصطفى سموتم محلاً سامياً في المكان والإمكان
أنتم منهج المحجة في الدين ونهج الإرشاد والإيمان
وجمال لأوجه الدهر يبدو كل شخص منكم جمال زمان
وجرى ماء حبكم ذوي الإيمان مجرى الأرواح في الأبدان
فهو نجوى لمن أراد نجاة من ولاكم وسر علم البيان
فلهذا نجل السمين مواليه أراد البيان بعد المعاني
ثم أهدى إليك در نظام وعقوداً يفقن نظم الجمان
يتولاكم بوجه ويبدي بوجوه من المديح حسان
مدح تبهج الولي سروراً وتهيج العداوة بالأحزان
فعليكم من السلام سلام كل آن وساعة وزمان

* * *

المجلس السابع

من الجزء الثاني، في الليلة التاسعة من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها المؤمنون الأتقياء العارفون، أما تحبون أن يرجع لكل واحد منكم ميزانه، أما تريدون أن يعطى كل واحد منكم على حزنه ثواباً جزيلاً وثناء جميلاً، أما بلغكم عن الفصيح الناطق الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: نفس المهموم المحزون لنا تسبيح وحزنه لمصابنا عبادة وكتمان سرنا عنده جهاد في سبيل الله، ونوحه على مصابنا أفضل العبادة، وبكائه على ما أصابنا من أعدائنا تمحيص لذنوبه.

وإذا كان الحال هذه فينبغي للمؤمن أن يتجلبب أشجانه ويلبس شعار وجده وأحزانه، فإن الرقة على الآل من أحسن الأحوال وأكملها عند ذي الجلال، كما جاءت به الرواية عن الصادق حيث قال: إن إكمال المؤمنين أحسنهم خلقاً وأكثرهم رقة علينا أهل البيت وأشدهم حباً لنا وأكثرهم حزناً علينا وأكثرهم مودة لنا.

فيا إخواني، محبتهم النار تقيكم، وولايتهم عند كل كريهة حتى الموت تكفيكم، كما ورد بذلك الخبر عن الصادق عليه السلام حيث قال: مرض مؤمن صالح فافتقده سلمان الفارسي فقال: أين صاحبنا فلان؟ فقيل له: أنه مريض، قال: امشوا بنا إليه لنعوده. فقاموا معه جميعاً فدخلوا عليه فوجدوه في حال النزع وهو يجود بنفسه، فبكى سلمان وقال: يا ملك الموت إرفق بولي أهل البيت، فقال له ملك الموت بلسان فصيح يسمعه من حضر: يا عبد الله اعلم أني لرفيق بالمؤمنين ولو ظهرت لك، فتعجب الآخرون من هذا الكلام ولم يروا المتكلم.

وإذا كان الأمر كذلك فكيف لا ننوح على أولاد محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة البتول الزهراء، ويلهم تواثبوا عليهم جهراً فقتلوهم وعن شرب الماء منعوهم كأنهم ما عرفوهم، فتباً لهم ما أجرأهم على انتهاك حرمة الرسول وتقريح كبد الزهراء البتول، فكأنهم نسوا المعاد إلى رب العباد.

شعر[1]:

عيني جودي على الشهيد القتيل واتركي الخد كالمحل المحل
كيف يشفي البكاء في قتل مولاي إمام التنزيل والتأويل
قاتلوا الله والنبي ومولاهم علياً إذ قاتلوا ابن الرسول
فجعوه من غدرهم برضيع هل سمعتم بمرضع مقتول
ثم لم يشفهم سوى قتل نفس هي نفس التكبير والتهليل
هي نفس الحسين نفس رسول الله نفس الوصي نفس البتول
ذبحوه ذبح الأضاحي فيا قلب تصدَّع على الغريب الذليل

نقل أنه لما وصل الحسين عليه السلام في مسيره إلى الكوفة إلى منزل اسمه سوق، جلس عليه السلام ناحية عن الناس، وإذا برجل قد قدم من الكوفة فسأله الحسين عليه السلام وقال: ما الخبر؟ فقال: يا سيدي ما خرجت من الكوفة حتى رأيت هانياً ومسلماً بن عقيل مقتولين وبُعث برأسيهما إلى يزيد. فقال الحسين عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، وسار الرجل ولم يعلم به أحد من أصحابه.

قال: وكان لمسلم بنت عمرها إحدى عشرة سنة مع الحسين عليه السلام، فلما قام الحسين من مجلسه جاء إلى الخيمة فعزز البنت وقرّبها من منزله فأحست البنت بالشر لأنه عليه السلام كان قد مسح على رأسها وناصيتها كما يُفعل بالأيتام، فقالت: يا عم ما رأيتك قبل هذا اليوم تفعل بي مثل ذلك أظن أنه قد استشهد والدي؟ فلم يتمالك الحسين عليه السلام من البكاء وقال: يا ابنتي أنا أبوك وبناتي أخواتك، فصاحت ونادت بالويل، فسمع أولاد مسلم ذلك الكلام وتنفسوا الصعداء وبكوا بكاءً شديدً ورموا بعمائهم إلى الأرض. قال: لما تأمل الحسين عليه السلام هذا الحال وقتل مسلم، وأن أهل الكوفة هم الذين أعانوا على قتل أمير المؤمنين عليه السلام ونهب الحسن وضربه بالخنجر على فخذه فبكى بكاءً شديداً حتى اخضلت لحيته بالدموع.

ونقل أيضاً لما آل أمر الحسين إلى القتال بكربلا وقتل جميع أصحابه ووقعت النوبة على أولاد أخيه، جاء القاسم بن الحسن وقال: يا عم الإجازة لأمضي إلى هؤلاء الكفرة، فقال له الحسين: يا ابن الأخ أنت من أخي علامة وأريد أن تبقى لأتسلى بك، ولم يعطه إجازة للبراز، فجلس مهموماً مغموماً باكي العين، حزين القلب، وأجاز الحسين إخوته للبراز

(1) القصيدة للصاحب ابن عباد رحمه الله تعالى.

ولم يجزه، فجلس القاسم متألماً ووضع رأسه على رجليه وذكر أن أباه قد ربط له عوذة في كتفه الأيمن وقال له: إذا أصابك ألم وهمّ فعليك بحل العوذة وقراءتها وفهم معناها واعمل بكل ما راه مكتوباً فيها. فقال القاسم لنفسه: مضى سنين عليَّ ولم يصيبني من مثل هذا الألم. فحلَّ العوذة وفضها ونظر إلى كتابتها وإذا فيها: يا ولدي قاسم، أوصيك إنك إذا رأيت عمك الحسين عليه السلام في كربلا وقد أحاطت به الأعداء فلا تترك البراز والجهاد لأعداء رسول الله ولا تبخل عليه بروحك، وكلما نهاك عن البراز عاوده ليأذن لك في البراز لتحظى في السعادة الأبدية. فقام القاسم من ساعته وأتى إلى الحسين عليه السلام وعرض ما كتب الحسن على عمه الحسين، فلما قرأ الحسين العوذة بكى بكاءً شديداً ونادى بالويل والثبور وتنفس الصعداء وقال: يا ابن الأخ هذه الوصية لك من أبيك وعندي وصية أخرى منه لك ولا بد من إنفاذها. فمسك الحسين عليه السلام على يد القاسم وأدخله الخيمة وطلب عوناً وعباساً وقال لأم القاسم: ليس للقاسم ثياب جدد؟ قالت: لا، فقال لأخته زينب: آتيني بالصندوق، فأتته به ووضع بين يديه ففتحه وأخرج منه قباء الحسن وألبسه القاسم ولفّ على رأسه عمامة الحسن ومسك بيد ابنته التي كانت مسماة للقاسم فعقد له عليها وأفرد له خيمة وأخذ بيد البنت ووضعها بيد القاسم وخرج عنهما، فعاد القاسم ينظر إلى ابنة عمه ويبكي إلى أن سمع الأعداء يقولون: هل من مبارز، فرمى بيد زوجته وأراد الخروج وهي تقول له: ما يخطر ببالك وما الذي تريد أن تفعله؟ قال لها: أريد ملاقاة الأعداء فإنهم يطلبون البراز وأني أريد ملاقاتهم، فلزمته ابنة عمه، فقال لها: خلي ذيلي فإن عرسنا آخرناه إلى الآخرة، فصاحت وناحت وأنَّت من قلب حزين ودموعها جارية على خديها وهي تقول: يا قاسم أنت تقول عرسنا أخَّرناه إلى الآخرة وفي القيامة بأي شيء أعرفك وفي أي مكان أراك؟ فمسك القاسم يده وضربها على ردنه وقطعها وقال: يا ابنة العم اعرفيني بهذه الردن المقطوعة. قال: فانفجع أهل البيت بالبكاء لفعل القاسم وبكوا بكاءً شديداً ونادوا بالويل والثبور.

قال من روى: فلما رأى الحسين أن القاسم يريد البراز قال له: يا ولدي أتمشي برجلك إلى الموت؟ قال: وكيف يا عم وأنت بين الأعداء وحيداً فريداً لم تجد محامياً ولا صديقاً، روحي لروحك الفداء ونفسي لنفسك الوقاء. ثم أن الحسين عليه السلام شق أزياق القاسم وقطع عمامته نصفين ثم أدلاها على وجهه ثم ألبسه ثيابه بصورة الكفن وشد سيفه بوسط القاسم وأرسله إلى المعركة. ثم أن القاسم قدم إلى عمر بن سعد وقال: يا عمر أما تخاف الله، أما تراقب الله يا أعمى القلب أما تراعي رسول الله ﷺ؟ فقال عمر بن سعد: أما كفاكم التجبر، أما تطيعون يزيد؟ فقال القاسم: **لا جزاك الله خيراً تدَّعي الإسلام وآل رسول الله عطاشاً ظماء، قد اسودت الدنيا بأعينهم!، فوقف هنية فما رأى أحداً يقدم**

إليه فرجع إلى الخيمة فسمع صوت ابنة عمه تبكي، فقال لها: ها أنا جئتك، فنهضت قائمة على قدميها وقالت: مرحباً بالعزيز الحمد لله الذي أراني وجهك قبل الموت. فنزل القاسم في الخيمة وقال: يا ابنت العم ما لي اصطبار أن أجلس معك والكفار يطلبون البراز، فودعها وخرج وركب جواده وحماه في حومة الميدان، ثم طلب المبارزة، فجاء إليه رجل يعد بألف فارس فقتله القاسم وكان له أربعة أولاد مقتولين فضرب القاسم فرسه بسوط وعاد يقتل بالفرسان إلى أن ضعفت قوته فهمَّ بالرجوع إلى الخيمة وإذا بالأزرق الشامي قد قطع عليه الطريق وعارضه، فضربه القاسم على أمّ رأسه فقتله وسار القاسم إلى الحسين عليه السلام وقال: يا عماه العطش العطش أدركني بشربة من الماء، فصبَّره الحسين وأعطاه خاتمه وقال: حطه في فمك ومصه، قال القاسم: فلما وضعته في فمي كأنه عين ماء فارتويت وانقلبت إلى الميدان. ثم جعل همَّته على حامل اللوى وأراد قتله فاحتاطوا به بالنبل فوقع القاسم على الأرض فضربه شيبة بن سعد الشامي بالرمح على ظهره فأخرجه من صدره فوقع القاسم يخور بدمه ونادى: يا عم أدركني، فجاءه الحسين عليه السلام وقتل قاتله وحمل القاسم إلى الخيمة فوضعه فيها، ففتح القاسم عينه فرأى الحسين قد احتضنه وهو يبكي ويقول: يا ولدي لعن الله قاتليك، يعزُّ والله على عمك أن تدعوه وأنت مقتول، يا بني قتلوك الكفار كأنهم ما عرفوا من جدك وأبوك. ثم أن الحسين عليه السلام بكى بكاءاً شديداً وجعلت ابنة عمه تبكي وجميع من كان منهم لطموا الخدود وشققوا الجيوب ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور.

فيا إخواني، أكثروا النوح وجددوا الأحزان على ما جرى على سادات الزمان، فوا حزناه لما أصاب أهل بيت الرسول وبني الزهراء البتول من الأشقياء النغول، فتباً لهم فيما فعلوه، وتعساً لهم فيما تحملوه فبأي شيء يتعللون حين يُسألون، وبما يجيبون حين يُستنطقون، كلا والله ليس لهم جواب مانع ولا خطاب دافع، وسيردون إلى العذاب الأليم والعقاب الجسيم.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فلينذب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[1]:

مشيب تولى للشباب وأقبلا نذيراً لمن أمسى وأضحى مغفلا
يرى الناس منهم ظاعن أثر ظاعن فظن سواه الظاعن المتحملا

(1) القصيدة للشيخ محمد السبيعي رحمه الله تعالى.

ترَّحلت الجيران عنه إلى البلا ... وما رحل الجيران إلا ليرحلا
ولكنه لما مضى العمر ضائعاً ... بكى عمره الماضي فحنَّ وأعولا
تذكر ما أفنى الزمان شبابه ... فبات يسحُّ الدمع في الخد مسبلا
ولم يبك من فَقْد الشباب وإنما ... بكى ما جناه ضارعاً متنصلا
تصرَّمت اللذات عنه وخلفت ... ذنوباً غدا من أجلها متوجِّلا
حنانيك يا مَن عاش خمسين حجة ... وخمساً ولم يعدل عن الشر معدلا
وليس له في الخير مثقال ذرة ... وكم ألف مثقال من الشر حصَّلا
وقد جاءه في الذرتين كفاته ... إذا ما تلى في محكم الذكر منزلا
أعاتب نفسي في الخلا ولم يفد ... عتابي على ما فات في زمن خلا
فيا ليت أني قبل ما قد جَنَتْ يدي ... على نفسها لاقيت حتفاً معجَّلا
ويا ليت أني كنت في الوحش هاملاً ... ولم أك للطاعات في العمر مُهْمِلا
ويا ليت أمي لا غدت حاملاً بمن ... غدا حاملاً وزراً يوازن أجبُلا
ويا ليت شعري هل تفيد ندامتي ... على ما به أمسى وأضحى مثقلا
عذيري من الذنب الذي صار موجباً ... عذاب إلٰهي عاجلاً ومؤجلا
يدي قد جنت يا صبي على يدي ... ونفسي لنفسي حرت العذل فاعذلا
ولا تعذل عيناً على عينها بكت ... فطرفي على طرفي جنى وتأملا
سأبكي على ما فات مني ندامة ... إذا الليل أرخى الستر منه وأسبلا
سأبكي على ذنبي وآفات غفلتي ... وأبكي قتيلاً بالطفوف مجدلا
سأبكي على من مات مني بعبرة ... تجود إذا جاء المحرَّم مُقبلا
حنيني على ذاك القتيل وحسرتي ... عليه غريباً في المهامة والفلا
حنيني على المُلقى ثلاثاً معفراً ... طريحاً ذبيحاً بالدماء مُغسلا
سأبكي عليه والمذاكي بركضها ... تكفنه مما أثارته قسطلا
سأبكي عليه وهي من صدره ... ترضُّ عظاماً أو تفصل مفصلا
سأبكي على الحران قلباً من الظما ... وقد منعوه أن يعلّ وينهلا
إلى أن قضى يا لهف نفسي على الذي ... قضى بغليل يشبه الجمر مشعلا
سأبكي على المحزوز رأساً من القفا ... إلى أن برى السيف الوريدين والطلا

سأبكي عليه يوم أضحى بكربلا يكابد من أعدائه الكرب والبلا
وقد أصبحت أفراسه وركابه وقوفاً بهم لم تنبعث فتوجلا
فقال: بأي الأرض تعرف هذه فقالوا له: هذي تسمى بكربلا
فقال: على اسم الله حطوا رِحالكم فليس لنا أن نستقل ونرحلا
ففي هذه مهراق جاري دمائنا ومهراق دمع الهاشميات ثكلا
وفي هذه والله تضحى جسومنا وزوارها سيد يعاقب فرعلا
وفي هذه والله تضحى رؤوسنا مشهرة تعلوا من الخط ذبلا
وفي هذه والله تسبى حريمنا وتضحى بأنواع العذاب وتُبتلا
وفيها تُساق الهاشميات حسراً وتضرب ضرب الشدقميات جفلا
فلهفي على مضروبة الجسم وهي من ضروب الأسى تبكي هماماً مبجلا
ولهفي على أطفالها في حجورها تمجُّ عقيب الثدي سهماً ومنصلا
ولهفي على الطفل المفارق أمه ولهفي عليها تبكي على الطفل مطفلا
ولهفي عليها وهي في غربة النوى تجوب الفيافي مجهلاً أثر مجهلا
أشيعة آل المصطفى من يكون لي عويناً على رزء الشهيد مولولا
أشيعة آل المصطفى من ينوح لي وينعى الإمام الفاضل المتفضلا
قفا نبك من ذكرى حبيب محمد وخلوا لذكراكم حبيباً ومنزلا
قفا نبك من تذكاره ومصابه فتذكاره ينسى الذحول فحوملا
فوالله لا أنسى وإن بعد المدى قتل ضبابي من الدين قد خلا
فوالله لا أنساه يخفض في الثرى وشمر على الصدر المعظم قد علا
يهبر أوداج الحسين بسيفه إلى حيث رواه نجيعاً وخضلا
ولم أنس أخت السبط زينب أقبلت لتقبيله ثم انثنت لم تُقبِّلا
وقد قنَّع الرجس المزنم رأسها ومنكبها الزاكي قطيعاً مفتلا
فقالت له: يا شمر دعني هنية أعلل قلباً باللقا لن يعللا
فإن لم يكن إلا تعلل ساعة فإني بها أشفي فؤاداً معللا
أيا شمر دع عيني إلى نور عينها به تشتفي من قبل أن تتحملا
أتمنع عيني نظرة من حبيبها ولا لذ في قلبي سواه ولا حلا

أتمنعني من نظرة يشتفي بها ... فؤادي بمن لي كان كهفاً وموئلا
أتفردني وحدي وابن والدي ... وتحتز رأساً منه رأس على الملا
فما رقّ منه القلب عنه خضوعها ... وأوجعها بالسوط ضرباً مثكلا
وميَّز رأس السبط ثم رمى به ... فسبَّحت الأملاك في سبعها العلا
وسحت عليه سبعها الدم قانياً ... ولا عجباً من أن تسح وتهملا
ولا عجباً إن مادت الأرض بالورى ... وأرجف منها جانباها وزلزلا
ومالوا إلى سبي الحريم فحللوا ... بجهلهم ما ليس في الشرع حُللا
فكم سالب درعاً وكم هاتك خبا ... وقاصم خلخال فأدمى المخلخلا
وكم ساحب بِكراً ولاطم ثيب ... لينزع عنهن البراقع والمِلا
وما أنسى في شيء يقادم عهده ... ولا أنسى زين العابدين مكبلا
يغار على نسوانه فيرى لهم ... عذاباً بأنواع العذاب مكفلا
سأبكي عليه بالسياط مقنعاً ... سأبكي عليه بالحديد مثقلا
سأبكي له وهو العليل وفي الحشا ... غليل ببرد الماء لن يتبللا
سأبكي لبنت السبط فاطم قد غدت ... قريحة جفن وهي تبكيه معوّلا
تحنُّ فيشجي كل قلب حنينها ... وتصدع من صم الصياخيد جندلا
تقول: أبي أبكيك يا خير من مشى ... ومن ركب الطرف الجواد المحجلا
أبي كنت للدين الحنيفي موضحاً ... ومذ ثكلتك البيض أصبح مثكلا
أبي يا ثمال الأرملات وكهفها ... إذا عاينت خطباً من الدهر معضلا
أبي يا ربيع المجد بين ومن به ... يغاث من السقيا إذا الناس أمحلا
أبي يا غياث المستغيثين والذي ... غداً لهم كنزاً وذخراً وموئلا
أبي إن سلا المشتاق أو وجد العزى ... فإن فؤادي بعدك ما سلا
سأبكيك تبكيك المحارب شجوها ... وقد فقدت مفروضها والتنفلا
سأبكيك تبكيك العقائد والنهى ... سأبكيك تبكيك المحارم والعلا
سأبكيك تبكيك المناجاة في الدجى ... سأبكيك يبكيك الكتاب مرتلا
سأبكيك إذ تبكي عليه سكينة ... سدعها كالغصن جاد وأسبلا
ونادت رباب أمتاه فأقبلت ... وقد كضها فقد الحسين وأثكلا

وقالت لها: يا أمنا ما لوالدي ... مضى مزمعاً عنا الرحيل إلى البلا
أنادي به يا والدي وهو لم يجب ... وقد كان طلقاً ضاحكاً متهلِّلا
أظن أبي قد حال عما عهدته ... وإلا فقد أمسى بنا متبدلا
ألا أبتا قد شقت البين شملنا ... وجرعنا في الكاس صبراً وحنظلا
ونادى المنادي بالرحيل فقربوا ... من الهاشميات الفواطم نزلا
وصار بها الحادي يغني مغردا ... سل الدار عمن قد نأى وترَّحلا
تسير ورأس السبط يسري أمامها ... كبدر الدجى وافا السعود فأكملا
فلهفي لها عن كربلا قد ترحَّلت ... مخلفة أزكى الأنام وأنبلا
ولهفي لها في أعنف السير والسرى ... تأم زينماً بالشأم مضللا
فلما رآها في حبائل سره ... تهلل مسروراً وأبدى التغزُّلا
ونادى برأس السبط ينكث ثغره ... وينشد أشعاراً بها قد تمثّلا
نفلق هاماً من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أحق وأجملا
ألا فاعجبوا من ناكث ثغر سيداً ... له أحمد يمسي ويضحي مقبِّلا
له عذَّب الرحمٰن ما سحَّ وابلٌ ... وعذَّب أصحاب السقيفة أولا
أولئك في يوم السقيفة أفسدوا ... جميع الورى جيلاً فجيلاً لهم تلا
أولئك من أردى الحسين بكربلا ... ومن خان الله المهيمن المرسلا
قضوا ما قضوا من أمرهم بعدما قضى ... نبيهم واستعجلوا أن يُغسلا
وجاءهم إبليس في زي عابد ... فأطنب في شكر الإلٰه وطوَّلا
ولم يشكر الملعون إلا لأنه ... رأى حبتراً صار الإمام فحمدلا
وقال أبا... تهن فإنني ... أبايع قبل الناس لن أتشكلا
فقل لرجيم جاء نحو رجيمه ... فبايعه قبل العصاة وعجلا
أويلك لم تذعن لآدم ساجداً ... وبايعت أدنى العالمين وأنذلا
تغشاك باللعن الإلٰه مضاعفاً ... وخص ابن سلمى والدلام ونعثلا
بني الوحي والتنزيل مَن لي بمدحكم ... ومدحكم في محكم الذكر أُنزلا
وإن كان نظمي كالفريد مفصلاً ... فقد أنزل الرحمٰن فيكم مفصلا
ولكني أرجو شفاعة جدكم ... لما فقت فيه دعبلاً ثم جرولا

فهنيتموا بالمدح من خالق الورى فقد نلتموا أعلا محلاً وأفضلا
فسمعاً من السبعي نظم غرائب يظل لديها أحظل الفحل أحضلا
غرائب يهويها الكميت ودعبل كما فيكم أهوى الكميت ودعبلا
أجاهر فيها بالولاء مصرحاً وبغضي لشانيكم مزجت به الولا
لقد سيط لحمي في هواكم وفي دمي وما قل مني في عدوكم القلا
عليكم سلام الله يا خير من مشى ويا خير من لبى وطاف وهلّلا
فما أرتضي إلاكموا لي سادة وما سواكم فالبراءة والخلا

الباب الثاني

أيها المؤمنون السامعون والأمناء الصالحون، اعلموا إن الله تعالى قد ابتلى ابن نبيكم الحسين عليه السلام ببلاء عظيم بكت من أجله السماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأطيارها وأغصانها، والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون، فأي قلب لا ينصدع لقتله، وأي فؤاد لا يحزن من أجله، وكيف لا وقد أصبح أهل البيت مطردين مشردين مذودين عن الأوطان والديار شاسعين في البراري والأمصار كأنهم أولاد اليهود والكفار، فيا لها من مصيبة عظمت في الإسلام، وجليل خطب عم سائر الأنام، فيا إخواني لا تقصروا في البكاء والعويل وتساعدوا على هذا الرزء الجليل وابرزوا الدموع الهتان ومخفيات الأشجان والأحزان على ما أصاب سادات الزمان من الذلّ والهوان:

يا مؤمناً متشيّعاً بولائه يرجو النجا والفوز يوم المحشر
إبكي الحسين بلوعة وبحرقة إن لم تجدها لُمْ فؤادك وأكثر
وامزج دموعك بالدماء وقل ما في حقه حقاً إذا لم تنصر
والبس ثياب الحزن يوم مصابه وما بين أسود حالك أو أصفر
فعساك تحظى في المعاد بشربة من حوضهم ماء لذيذ سكر

روي عن أبي مخنف قال: لما قتل الحسين عليه السلام أسر من عسكره غلامان صغيران، فأتي بهما إلى عبيد الله بن زياد، لعنه الله تعالى، فدعا بسجان له وقال له: خذ هذين الغلامين واسجنهما ومن طيب الطعام فلا تطعمهما ومن بارد الماء فلا تسقهما وضيّق عليهما سجنهما، قال: فأخذهما السجان ووضعهما في السجن إلى أن صار لهما سنة كاملة حتى ضاقت صدورهما، فقال الصغير للكبير: يا أخي يوشك أن تفنى أعمارنا وتبلى أبداننا في هذا السجن، فلما لا تخبر السجان بخبرنا ونتقرب إليه بمحمد المصطفى ﷺ؟ فقال:

هذا ما يكون. فلما جنهما الليل أتى السجان إليهما بقرصين من شعير وكوز من ماء، فقام إليه الصغير فقال له: يا شيخ أتعرف محمد المصطفى؟ قال: وكيف لا أعرفه وهو نبيي وشفيعي يوم القيامة؟ قال له: يا شيخ أتعرف علي بن أبي طالب؟ قال: وكيف لا أعرفه وهو إمامي وابن عم نبيي، قال له: يا شيخ أتعرف مسلم بن عقيل؟ قال: بلى أعرفه وهو ابن عم رسول الله، فقال له: يا شيخ نحن من عترة مسلم بن عقيل نسألك من طيب الطعام فلا تطعمنا ومن بارد الماء فلا تسقينا وقد ضيّقت علينا سجننا فما لك وما لنا لا ترحمنا لصغر سننا أما ترعانا لأجل سيدنا رسول الله ﷺ؟ فلما سمع السجان كلامهما بكى بكاءاً شديداً وانكب على أقدامهما يقبلهما ويقول: نفسي لنفسكما الفداء وروحي لروحكما الوقاء يا عترة محمد المصطفى، والله لا يكون محمد خصمي في القيامة، هذا باب السجن مفتوح فخذوا أي طريق شئتما يا حبيبيّ، سيروا بالليل واكمنا بالنهار.

قال: فلما خرجا لم يدريا إلى أي جهة يمضيان، فلما جهجه الصبح عليهما دخلا بستاناً وصعدا على شجرة واكتنا بها، فلما طلعت الشمس وإذا بجارية قد رأتهما فأقبلت إليهما وسألتهما عن حالهما وطيبت قلوبهما وقالت لهما: سيرا معي إلى مولاتي فإنها محبة لكما. فسارا معها فسبقتهم الجارية فأعلمت مولاتها، فلما سمعت بها قامت حافية إليهما واستقبلتهما بالبشرى وقالت لهما: أدخلا على رحب وسعة. فلما دخلا أنزلتهما في مكان لم يدخل إليه أحد من الناس وخدمتهما خدمة تليق بهما.

ثم أن ابن زياد لعنه الله نادى في شوارع الكوفة: أن من جاءني بأولاد مسلم بن عقيل فله الجائزة العظمى. وكان زوج تلك المرأة من جملة من طلبهما، فلما جن الليل أقبل اللعين إلى داره وهو تعبان من كثرة الطلب، فقالت له زوجته الصالحة: أين كنت فإني أرى في وجهك آثار التعب؟ قال: إن ابن زياد قد نادى بأزقة الكوفة أن من جاءني بأولاد مسلم ابن عقيل كان له عندي الجائزة العظيمة وقد خرجت في الطلب فلم أجد لهما أثراً ولا خبراً. فقالت له زوجته: يا ويلك أما تخاف من الله؟ ما لك وأولاد الرسول تسعى إلى الظالم بقتلهم فلا تغرنك الدنيا. قال: أطلب الجائزة من الأمير، قالت: تكون أقل الناس وأحقرهم عنده إن سعيت بهذا الأمر. فبينما هو بين النائم واليقظان إذ سمع الهمهمة من داخل البيت فقال لزوجته: ما هذه الهمهمة؟ فلا ترد عليه الجواب كأنها لم تسمع، فقعد وطلب مصباحاً، فتناوم أهل البيت كأنهم لم يسمعوا، فقام وأشعل المصباح وأراد فتح الباب فقالت له زوجته: ما تريد من فتح الباب؟ ومانعته، فقاتلها ومانعها وفتح الباب وإذا بأحد الولدين قد انتبه فقال لأخيه: يا أخي اجلس فإن هلاكنا قد قرب، فقال له أخوه: ما

رأيت يا أخي؟ قال: بينما أنا نائم وإذا بأبي واقف عندي وإذا بالنبي ﷺ وعلي والحسن والحسين وقوف وهم يقولون لأبي: ما لك تركت أولادك بين الكلاب والملاعين؟ فقال لهما أبي: وها هما بأثري قادمين. فلما سمع الملعون كلامهما جاء إليهما وقال لهما: من أنتما؟ قالوا: من آل الرسول، قال: ومن أبوكم؟ قالوا: مسلم بن عقيل، فقال الملعون: إني أتعبت اليوم فرسي ونفسي في طلبكما وأنتما عندي، ثم أنه لطم الأكبر منهما لطمة أكبه على الأرض حتى تهشم وجهه وأسنانه من شدة الضربة وسال الدم من وجهه وأسنانه. ثم أنه كتّفهما كتافاً وثيقاً، فلما نظرا إلى ما فعل بهما اللعين قالا: ما لك يا هذا تفعل بنا هذا الفعل وامرأتك قد أضافتنا وأكرمتنا وأنت هكذا تفعل بنا! أما تخاف الله فينا! أما تراعي يتمنا وقربنا من رسول الله؟ فلم يعبأ اللعين بكلامهما ولا رحمهما ولا رقّ لهما، ثم دفعهما إلى خارج البيت وبقيا مكتفين إلى الفجر وهما يتوادعان ويبكيان لما جرى عليهما.

وأما الملعون فلما أصبح الصبح أخرجهما من داره وقصد بهما جانب الفرات ليقتلهما وزوجته وولده وعبده خلفه وهم يخوفونه الله تعالى ويلومونه على فعله، فلم يرتدع اللعين ولم يلتفت إليهم حتى وصلوا إلى جانب الفرات فأشهر اللعين سيفه لقتلهما فوقعت زوجته على يديه ورجليه تقبلهما وتقول له: يا رجل إعفي عن هذين الولدين اليتيمين واطلب من الله الذي تطلبه من أميرك عبيد الله بن زياد فإن الله يرزقك عوض ما تطلبه منه أضعافاً مضاعفة، فزعق الملعون عليها زعقة الغضب حتى طار عقلها وذهل لبها، ثم قال للعبد: يا أسود خذ هذا السيف واقتل هذين الغلامين وائتني برأسيهما حتى أنطلق بهما إلى عبيد الله بن زياد وآخذ جائزتي منه ألفي درهماً وفرساً. فلما همَّ بقتلهما قال له أحد الغلامين: يا أسود ما أشبه سوادك بسواد بلال مؤذن رسول الله ﷺ، يا أسود ما لك وما لنا حتى تقتلنا؟ امضي عنا حتى لا نطالبك بدمنا عند رسول الله ﷺ، فقال لهما العبد: يا حبيبيّ من أنتما؟ فإن مولاي أمرني بقتلكما، فقالوا: يا أسود نحن من عترة نبيك محمد ﷺ، نحن أولاد مسلم بن عقيل أضافتنا عجوزكم هذه الليلة ومولاك يريد قتلنا، قال: فانكب العبد على أقدامهما يقبلهما ويقول: نفسي لنفسكما الفداء وروحي لروحكما الوقاء، يا عترة محمد المصطفى، والله لا يكون محمد خصمي يوم القيامة. ثم رمى السيف من يده ناحية وطرح نفسه في الفرات وعبر إلى الجانب الآخر، فصاح به مولاه: عصيتني! فقال: أطعتك ما دمت لا تعصي الله فلما عصيت الله عصيتك أحب إليَّ من أن أعصي الله وأطيعك، فقال اللعين: والله ما يتولى قتلكما أحد غيري، فأخذ السيف وأتى إليهما وسلّ السيف من جفنه، فلما همَّ بقتلهما جاء إليه ولده وقال له: يا أباه قدم حلمك

وأخر غضبك وتفكر فيما يصيبك في القيامة، قال: فضربه بالسيف فقتله، فلما رأت الحرمة ولدها مقتولاً أخذت بالصياح والعويل.

قال: فتقدم الملعون إلى الولدين، فلما رأياه تباكيا ووقع كل منهما على الآخر يودعه ويعتنقه والتفتا إليه وقالا له: يا شيخ لا تدعنا نطالبك بدمائنا عند جدنا يوم القيامة، خذنا حيين إلى ابن زياد يصنع بنا ما يريد، فقال: ليس إلى ذلك سبيل، فقالا له: يا شيخ بعنا في السوق وانتفع بأثماننا ولا تقتلنا، فقال: لا بد من قتلكما، قالا له: يا شيخ ألا ترحم يتمنا وصغرنا؟ فقال لهما: ما جعل الله لكما في قلبي من الرحمة شيئاً، فقالا: يا شيخ دعنا نصلي كل منا ركعتين، قال: صليا ما شئتما إن نفعتكما الصلاة.

قال: فصليا أربع ركعات، فلما فرغا رفعا طرفيهما إلى السماء وبكيا وقالا: يا عادل، يا حكيم احكم بيننا وبينه بالحق. ثم قالا له: يا هذا ما أشد بغضك لأهل البيت، فعندها عمد الملعون وضرب عنق الأكبر فسقط إلى الأرض يخور في دمه، فصاح أخوه وجعل يتمرغ بدم أخيه وهو ينادي: وا أخاه وا قلة ناصراه وا غربتاه هكذا ألقي الله وأنا متمرغ بدم أخي، فقال له الملعون: لا عليك سوف أُلحقك بأخيك في هذه الساعة. ثم ضرب عنقه ووضع رأسيهما في المخلاة ورمى أبدانهما في الفرات وسار بالرأسين إلى عبيد الله بن زياد.

فلما مثل بين يديه وضع المخلاة، فقال له: ما في المخلاة يا هذا؟ قال: رؤوس أعدائك أولاد مسلم بن عقيل. فكشف عن وجهيهما فإذا هما كالأقمار المشرقة فقال: لم قتلتهما؟ قال: بطمع الفرس والسلاح، فقام ابن زياد ثم قعد ثلاثاً وقال: ويلك وأين ظفرت بهما؟ قال: في داري وقد أضافتهم عجوز لنا، فقال ابن زياد: أفلا عرفت لهما حق الضيافة وأتيت بهما حيين إليّ؟ فقال: خشيت أن يأخذهما أحد مني ولا أقدر على الوصول إليك. فأمر ابن زياد أن يغسلوهما من الدم، فلما غسلوهما وأتي بهما إليه ونظرهما تعجب من حسنهما وقال له: يا ويلك لو أتيتني بهما حيين لضاعفت لك الجائزة فتعذر بعذره الأول ثم قال له: يا ويلك حين أردت قتلهما ما قالا لك؟ قال: فالا لي يا شيخ ألا تحفظ قرابتنا من رسول الله، قال: فما قلت لهما؟ قال: قلت لهما ما لكما من رسول الله قرابة، قال: فماذا قالا لك أيضاً؟ قال: قالا لي ألا ترحم صغر سننا؟ فقلت لهما: ما جعل الله لكما في قلبي من الرحمة شيئاً، قال: فما قالا لك أيضاً؟ قال: قالا لي امضي إلى السوق فبعنا وانتفع بأثماننا، فقلت لهما لا بد من قتلكما، قال: فماذا قالا لك أيضاً؟ قال: قالا لي ألا تمضي بنا إلى ابن زياد يحكم فينا بأمره؟ فقلت لهما ليس إلى ذلك سبيل، قال:

فماذا قالا لك أيضاً؟ قال: قالا لي دعنا نصلي كل واحد منا ركعتين، فقلت لهما صليا إن نفعتكما الصلاة، فصليا أربع ركعات فلما فرغا من الصلاة رفعا طرفيهما إلى السماء ودعيا وقالا: يا حي يا حكيم احكم بيننا وبينه بالحق، ثم نظر ابن زياد إلى ندمائه وكان فيهم محب لأهل البيت، وقال له: خذ هذا الملعون وسر به إلى موضع قتل فيه الغلامين واضرب عنقه ولا تدع أن يختلط دمه بدمهما وخذ هذين الرأسين وارمهما في موضع رمى به أبدانهما. قال: فأخذه وسار به وهو يقول: والله لو أعطاني ابن زياد جميع سلطنته ما قبلت هذه العطية. وكان كلما مر بقبيلة أراهم الرأسين وحكى لهم بالقصة وما يريد يفعل بذلك اللعين، ثم سار به إلى موضع قتل فيه الغلامان فقتله بعد أن عذبه بقطع عينيه وقطع أذنيه ويديه ورجليه ورمى بالرأسين في الفرات.

قال: فخرجت الأبدان وركبت الرؤوس عليها بقدرة الله تعالى ثم تحاضنا وغاصا في الفرات. ثم إن ذلك الرجل المحب أتى بالرأس ـ رأس ذلك اللعين ـ فنصبه على قناة وجعل الصبيان يرجمونه بالحجارة ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[3]:

دعا قلبه الداعي الوعيد فأسمعا ... وداع لبادي شيبه فتودعا
وأيقن بالترحال فاعتد زاده ... وحاذر من عقبى الذنوب فأقلعا
إلى كم وحتى ما اشتغالك بالمنى ... وقد مر منك الأطيبان فودعا
أيقنع بالتفريط في الزاد عاقل ... رأى الرأس منه بالمشيب تقنعا
إذا نزع الإنسان ثوب شبابه ... فليس ترى إلا إلى الموت مسرعا
وشيبك توقيع المنون مقدماً ... بأنك لموت في غد متوقعا
أتطمع أن تبقى وغيرك ما بقى ... فليس نرى للنفس في العيش مطمعا
تدافع بالآمال عن أخذ أهبة ... ليوم إذا ما حم لم يغن مدفعا

(1) سورة هود: الآية 18.
(2) سورة الشعراء: الآية 227.
(3) القصيدة للشيخ ابن حماد رحمه الله تعالى.

وتسأل عند الموت ربك رجعة ... وهيهات أن تعطى هنالك مرجعا
أما لك إخوان شهدت رفاتهم ... وكنت لهم نحور القبور مشيعا
وأنت فعن قرب إلى الموت صائر ... وينعاك للإخوان ناع لهم نعى
جرت عينه النجلى عن صحن خده ... فأصبح بين الدود نهباً موزعا
وأنت كضيف لا محالة راحل ... ومسترجع ما كان عندك مودعا
تلاقي الذي فرطت واستدرك الذي ... مضى باطلاً واصنع من الخير مصنعا
ولا تدع الدنيا الغرور فإنما ... هلاكك فيها إن تغر وتخدعا
فقد جعلت دار الفجائع والأسى ... فلست ترى إلا مزاراً مفجعا
كفاك بخير الخلق آل محمد ... أصابهم همّ المصائب أجمعا
تخطفهم ريب المنون بصرفه ... فاغرب بالأرزاء فيهم وأبدعا
وقفت على أبياتهم فرأيتها ... خراباً إراباً قفرة الجو بلقعا
وإن لهم في عرصة الطف وقعة ... تكاد لها الأطواد أن تتزعزعا
غزتهم بجيش الحقد أمة جدهم ... ولم تر فيهم من لهم قد رعا
كأني بمولاي الحسين وصحبه ... وجيش ابن سعد حولهم قد تجمعا
وقد قام فيهم خاطباً قائلاً لهم ... ولم يك من ريب المنون ليجزعا
ألم تأتني يا قوم بالكتب رسلكم ... تقولون عجل نحونا السير مسرعا
وإنّا جميعاً شيعة لك لا نرى ... لغيرك في حق الإمامة موضعا
وقد جئت للعهد الذي عليكم ... فما عندكم في ذاك قولوا لأسمعا
فقالوا له: ما هذه الكتب كتبنا ... فقال لهم: خلوا سبيلي لأرجعا
فقالوا له: هيهات بل لنسوقكم ... إلى ابن زياد كارهين وخضعا
فإن لم تجيبوا فالأسنة بيننا ... يجرعكم أطرافها السم منقعا
فقال لهم: يا ويلكم تباعدوا ... عن الماء كي نروى، فقالوا له معا
سنوردكم حوض الردى قبل ورده ... ومالوا عليه بالأسنة شرعا
فبادر أصحاب الحسين إليهم ... فرادى ومثنى حاسرين ودرعا
إذا ما أتوا نحو الشريعة للظما ... رأوا دونها زرق الأسنة شرعا
لقد صبروا لا ضيّع الله صبرهم ... ولم يك عند الله صبر مضيّعا

إلى أن ثووا صرعى على الترب حوله ... فللّه ذاك المصرع الطف مصرعا
ووافوا إلى مولاي إذ ظل وحده ... فلاقوه إذ لاقوا شجاعاً سميدعا
فشد عليهم شدة علوية ... فخلى نياط القوم منها مقطعا
كفعل أبيه في الحروب وضربه ... وهل تلد الشجعان إلا مشجعا
إلى أن ثوى عن سرجه متعفراً ... يلاحظ فسطاط النساء مودعا
وأقبل شمر الرجس فاحتزّ رأسه ... وخلف منه الجسم شلواً مبضعا
وشال سنان في السنان برأسه ... كبدر الدجى وافى من التم مطلعا
ومالوا على رِحل الحسين وأهله ... فيا يومهم ما كان أدهى وأشنعا
فلو تنظر النسوان في ذلّة السبا ... يسقن على رغم عطاشى وجوعا
وزينب ما تنفك تدعو بأختها ... أيا أخت ركني قد وهى وتضعضعا
أيا أخت من بعد الحسين نعده ... لحادثة الأيام حصناً ممنعا
أيا أخت هذا اليوم آخر عهدنا ... فبعد حسين قط لن نتجمعا
أيا أخت لو أن الذي بي من الأسى ... برضوى إذاً لانهدّ أو لتزعزعا
أيا أخت ابكي لليتامى بذلّة ... ونوحي وابكي للأرامل ضيعا
فيا مؤمناً في زعمه متشيعاً ... ولا مؤمن إلا الذي قد تشيعا
أتذبح في يوم به ذبح العدى ... إمامك فاعفر عفر خديك لا لعا
ويألف في عاشور جنبك مضجعاً ... وترب الفلا أضحى لمولاك مضجعا
أيضحك منك الثغر من بعد أن غدى ... به ثغر مولاك الحسين مقرعا
أينهب فيه رحل آل محمد ... وبيتك فيه لا تزال موسعا
فيا ليت سمعي صم من ذكر يومه ... ويا ليت لم يخلق لي الله مسمعا
سأبكي دماً بعد الدموع لفقده ... وإن لم يكن يترك لي الحزن مربعا
أشيعة آل المصطفى من يلومني ... على بغض من يشني الشفيع المشفعا
برئت إلى الرحمٰن ممن شناهم ... ولا زلت أبكيهم إلى أن أُشيَّعا
ولائي لهم شفع البرا من عدوهم ... بذلك أرجوهم غداً لي شفعا
أوالي الذي سمي لكثرة علمه ... بطيناً كما سمي من الشرك أنزعا
ومدح ابن حماد لآل محمد ... يرجى بأن يجزى لدى البعث ما سعا

الباب الثاني

أيها الأصحاب والإخوان، أطيلوا الأشجان والأحزان، وابكوا لسادات الزمان، فيا ليت علمي ماذا يقول ظالم بضعة الرسول، إذ حاولوا إطفاء نور خاتم النبيين، ومحوا آثار ذريته من بين العالمين، فتعساً لهم ما حملهم على غصب البتول ابنة النبي الرسول، وعلى ماذا أنفسهم وطنوا، وعلى أي شيء اعتمدوا وركنوا، فهل كانت إلا أيام قلائل وفيء زائل ثم يردون على الهول الطائل ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

فيا إخواني، إذا ذكرت مصابهم في تلك الأيام وما حل بهم من الآلام العظام يعتريني الهمّ والحزن حتى تكاد تخرج روحي من البدن فأتمنى مَن أبثّ حزني إليه ليساعدني ويسعفني على ما أنا عليه.

لا تحسبوا مدمعي المبيض غير دمي وإنما نار أنفاسي تصعده

روي عن عبد الحميد رضي الله عنه قال: بينما الحسين عليه السلام واقف في ميدان الحرب يوم الطف وهو يستعطف القوم شربة ماء، وهو ينادي: هل من راحم يرحم آل الرسول المختار، هل من ناصر ينصر الذرية الأطهار، هل من مجير لأبناء البتول، هل من ذاب يذبُّ عن حرم الرسول؟ إذ أتى الشمر اللعين إليه حتى صار بالقرب منه ونادى: أين أنت يا حسين؟ فقال: ها أنا ذا، فقال: أتطلب منا شربة من الماء! هذا مطلب محال، ولكن أبشر بالنار الحمراء وشرب الحميم. فقال الحسين عليه السلام: من أنت يا لعين؟ فقال: الشمر، فقال الحسين عليه السلام: الله أكبر صدق جدي رسول الله ﷺ في رؤياه من قبل، فقال له الشمر: في أي شيء صدق جدك؟ فقال عليه السلام: قال جدي رأيت في منامي كلباً أبقع يأكل من لحوم أهل بيتي ويلعق من دمائهم، وأما أنا فإني رقدت الآن فرأيت في منامي كلاباً كثيرة تريد تنهش من لحمي وتشرب من دمي وكان فيهم كلب أبقع وكان أشدهم عليّ جرأة وأكثرهم عليّ حنقاً وهو أنت يا شمر. وكان الشمر لعنه الله أبقع الجسد، قال: فغضب الشمر من كلام الحسين عليه السلام وازداد حنقاً وبغضاً، وقال: والله لا يقتلك غيري ولأذبحنك من قفاك ليكون ذلك أشد بك.

ليبك على الإسلام من كان باكياً فقد هدمت أركانه ومعالمه
وقد ذهب الإسلام إلا بقية قليل من الدنيا الذي هو لازمه

(1) سورة التحريم: الآية 6.

فيا لهفاه على مصاب الإسلام بعصابة جعلهم الله تعالى رحمة للأنام، بهم تتحصل الخيرات وتكتسب الفضائل والكمالات، فيا خيبة من ناوأهم ويا خسران من أبغضهم وعاداهم.

روي عن بعض الثقات أن عبد الله بن عمر لما بلغه أن الحسين عليه السلام متوجه إلى العراق، جاء إليه وأشار عليه بالطاعة والانقياد لابن زياد وحذّره من مشاقة أهل العناد، فقال له الحسين عليه السلام: يا عبد الله إن من هوان هذه الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل فامتلأ به سروراً ولم يعجل الله عليهم بالانتقام وعاشوا في الدنيا مغتبطين، ألم تعلم يا عبد الله أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيّاً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يفعلوا شيئاً ولم يعجل الله عليهم بانتقام بل أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

ثم قال: يا عبد الله، اتق الله ولا تدعن نصرتي ولا تركنن إلى الدنيا لأنها دار لا يدوم فيها نعيم، ولا يبقى أحد من شرها سليم، متواترة محنها، متكاثرة فتنها، أعظم الناس فيها بلاء الأنبياء، ثم الأئمة الأمناء، ثم المؤمنون، ثم الأمثل فالأمثل.

قال عليه السلام: يا عبد الله، قد خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى لقاء أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير مصرع مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي قطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجوفة سغباً لا محيص يوم خط بالقلم رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ليوافينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته هي مجموعة لنا في حظيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز لهم وعده، فمن كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معي فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى.

ثم لقيه أبو هريرة الأسدي، فقال له: يا ابن رسول الله ما الذي أخرجك من حرم جدك محمد المصطفى؟ فقال: يا أبا هريرة إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فحملت، وطلبوا دمي فهربت عن حرم جدي، وكان يزيد أنفذ عمر بن العاص في جيش عظيم وولاه أمر الحاج وأوصاه أن يقبض على الحسين سراً ويقتله غيلة ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

قال: ثم جاء إليه عبد الرحمٰن بن الحرث وأشار عليه بترك ما يجزم عليه من المسير

(1) سورة هود: الآية 18.

إلى الكوفة، وبالغ معه وذكره ما فعله أهل الكوفة بأبيه وأخيه من قبله وحذره منهم غاية الحذر فشكر له الحسين عليه السلام وقال: لقد اجتهدت برأيك هذا ولكن مهما يقضي الله يكن وأيم الله لتقتضي الفئة الباغية وليسلبنهم الله بعد قتلي دلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً في رقابهم، ثم يسلط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم وأولادهم ودمائهم، وكذلك أمية:

إن كان منزل دمعي لا أنيس له فإن رسم الكرى عن مقلتي درسا
ما زلت أجحد ما ألقى وأدفعه فاستشهد العاذلون الدمع والنفسا

روي عن الصادقٍ عليه السلام أنه قال: دخل جابر الأنصاري إلى أبي في مدينة الرسول ﷺ، فقال له: يا جابر بحق جدي رسول الله إلا أخبرتني عن اللوح، أرأيته عند أمي فاطمة الزهراء؟ فقال جابر رضي الله عنه: أشهد بالله العظيم ورسوله النبي الكريم لقد أتيت إلى فاطمة الزهراء في بعض الأيام لأهنيها بولدها الحسين عليه السلام بعدما وضعته بستة أيام، فإذا هي جالسة وبيدها لوح أخضر من زبرجدة خضراء وفيه كتابة أنوار الشمس، وله رائحة أطيب من المسك فقلت لها: ما هذا اللوح يا بنت رسول الله؟ فقالت: هذا اللوح أهداه الله إلى أبي رسول الله فيه اسم محمد المصطفى واسم علي المرتضى واسم ولديّ الحسن والحسين، وأسماء الأئمة الباقين من ولدي. فسألتها أن تدفعه إلي لأنظر ما فيه، فدفعته إليّ فسررت به سروراً عظيماً فقلت لها: يا ست النساء هل تأذنين لي أن أكتب نسخته؟ فقالت: افعل. فأخذته ونسخته عندي، فقال له الباقر عليه السلام: هل لك أن تريني نسخة بعينها الآن؟ فمضى جابر إلى منزله فأتى بصحيفة من كاغد مكتوب فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من العليم أنزله الروح الأمين على خاتم النبيين أجمعين، أما بعد: يا محمد عظّم أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي، ولا ترجو سوائي، ولا تخشى غيري، فمن يرجو ويخشى غيري أعذبه عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين. يا محمد، إني اصطفيتك على سائر الأنبياء وفضلت وصيك علياً على سائر الأوصياء وجعلت ولدك الحسن عيبة علمي بعد انقضاء مدة أبيه، وجعلت الحسين خير أولاد الأولين والآخرين، ومن نسله الأئمة المعصومين، وعليه تشب فتنة صماء، فالويل كل الويل لمن حاربه وغصبه حقه، ومنه يعقب زين العابدين، وبعده محمد الباقر لعلمي والداعي إلى سبيلي على منهاج الحق، ومن بعده جعفر الصادق القول والعمل، ومن بعده الإمام المطهر موسى بن جعفر، ومن بعده علي بن موسى الرضا يقتله كافر عنيد ذو بأس شديد، ومن بعده محمد الجواد يُقتل مسموماً، ومن بعده علي الهادي يُقتل بالسم، ومن بعده

الحسن العسكري يُقتل بالسم، ومن بعده القائم المهدي وهو الذي يقيِّم اعوجاج الدين ويأخذ ثار الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وهو رحمة للعالمين وسوط عذاب على الظالمين، وسألقي عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب، فتذلّ أوليائي قبل ظهوره، وتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم فيظهر حجتي فيهم فيقتلون ويحرقون وتصبغ الأرض من دمائهم ويشوفوا الويل والرنة في نسائهم، أولئك أوليائي حقاً بهم أدفع كل فتنة عمياء حندسية، وبهم أكشف الزلازل وأرفع الآصاد والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون. فقال بعض أصحاب الصادق عليه السلام: يا مولانا لو لم نسمع في دهرنا إلا فضل هذا الحديث لكفانا فضله. وقال عليه السلام: ولكن فصنه إلاّ عن أهله.

فانظروا أيها الإخوان الأبرار، إلى ما فعل بالأئمة الأطهار! الأشقياء الكفرة الفجار، فيا ويلهم ماذا يجيبون عند بكاء الرسول لمصاب ذرية البتول، وبكاء إبراهيم خليل الرحمٰن، وغضب لغضبهما الملك الديان ﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[2]:

هجوعي وتلذاذي عليَّ محرم ... إذا هلَّ في دور الشهور المحرَّم
أجدد حزناً لا يزال مجدداً ... ولي مدمع هام هموم مسجم
وأبكي على الأطهار من آل هاشم ... وما ظفرت أيدي أولي البغي منهم
هم العروة الوثقى هم المعدن التقي ... هم الشرف السامي نور الهدى هم
هم العترة الداعي إلى الرشد حبهم ... ينبأنا فيه الكتاب المعظَّم
بهم نطقت مدحاً من الله (هل أتى) ... و(طٰه) و(يٰس) و(عم) و(مريم)
وجدهم الهادي النبي وأمهم ... بتول ومولانا علي أبوهم
يعزُّ على المختار والطهر حيدر ... وفاطمة بالطف رزء معظم
وقد سار بالرهط الحسين ابن فاطمة ... لكُتُبٍ من الطاغين بالخدع تقدم

(1) سورة يونس: الآية 30.
(2) القصيدة للشيخ محمود ابن طريح النجفي رحمه الله تعالى.

إلى أن أتى أرض الطفوف بأهله فلم ينبعث مهر ولم يجر منسم
فقال: فما هذي البقاع التي بها وقفن الخيول السابقات فاعلموا
فقالوا: تسمى نينوى، قال: أوضحوا فقالوا: تسمى (كربلا) قال: خيِّموا
نعم هذه والله أخبر جدنا بأن بها تُسبى نسانا وتُظلم
وفي هذه الأبدان تهوى إلى الثرى وفي هذه الأطفال بالرغم تيتم
وفي هذه تبدوا البنات حواسراً وتوجع ضرباً بالسياط وتُشتم
وفي هذه النسوان يبرزن هتكاً بغير شعور والسعور ترنم
وتخرم أقراط وتدمى أساور وتُسلب خمر والخلاخل تقصم
وتستعطف النسوان آل أمية فلم تر من يحنوا عليها ويرحم
وسار ابن سعد واللعين ابن خولة وشمر وطم الأرض جيش عرمرم
فلما أحاطوا بالحسين تناوبوا وأكفئهم ليل من الكفر مظلم
وأقبلت الأعداء من كل جانب على الظلم واشتاقت إليهم جهنم
وصال إمامي بالطغاة مجادلاً كما صال بالأغنام ليث غشمشم
وجالدهم بالبِيض ضرباً وبالقنا طعاناً وروى الأرض بالدم منهم
إلى أن فنوا أصحابه ورجاله وأضحى فريداً ألفه الترب والدم
فنادى: ألا هل ناصراً ومجاهداً يجاهد عن آل النبي ويغنم
فلم يلق إلا سمهرياً يجيبه وإلا يمانياً به الموت يعلم
وداروا عليه بالقسي فأرسلت لجثمانه نبل فرادى وتوأم
فأصدفه سهم الردى متشعباً ثلاثاً تلقاها الوريد المكرم
فجد له الأرض ملقى على الثرى طريحاً له الذراري شراب ومطعم
فقام إليه الشمر يسعى وقد جثى على صدره والشمر رجس مزنم
وأقبل مهر السبط نحو خيامه يحمحم عرياناً وينعى ويلطم
فلما رأين الطاهرات خرجن في ذلّ السبا كلٌّ إليه تقدم
وبادرن نحو السبط وهو مرمل يكلمنه شجواً ولا يتكلم
رأت زينب صدر الحسين مرضضاً فصاحت ونار الحزن في القلب تضرم
وصكت من الضرب المبرح وجهها ولم تر صبراً من جوى الثكل يعصم

تقول: أخي قد كنت نوراً لشملنا ... فيا سورنا لم أنت فينا مهدم
أخي يا أخي قد كنت كنزاً لفقرنا ... فها أنت في أيدي العدى تتقسم
أخي يا أخي قد كنت كهفاً لعزّنا ... ألم ترنا بالذلّ نُسبى ونُشتم
أخي زوِّد الأطفال وعداً وأوبة ... فليس سوى الباري وإياك يرحم
أخي زود الولهى سكينة نظرة ... فمهجتها حرى وعبرتها دم
أخي تهتوي التقبيل منك سكينة ... وشمر لها بالسوط ضرباً يؤلم
أخي فاطم الصغرى تحب التفاتة ... وحقك هذا قلبها فيك مغرم
أخي ابنتك الأخرى رقية ضمها ... إليك فأحشاها من الوجد تضرم
تقولا هلمي يا سكينة نرتمي ... على والدي دعنا من الموت نسلم
وإلا فقومي ودِّعيه فإنه ... يروم ارتحالاً بعده ليس يقدم
ولم أنس وجداً أم كلثوم تشتكي ... إلى جدها يا جد لو كنت تعلم
أيا جد هل تنظر حسيناً مرملاً ... لأضلعه خيل العداة تحطم
وهل تنظر السجاد بالقيد موثقاً ... يضر به التنكيل سحباً ويشتم
أيا جدنا هذي بناتك حسراً ... أسارى قرط ابن بنتك تقسم
أيا جدنا ساقوا علياً مكبلاً ... لينظره الطاغي يزيد المزنم
أيا جدنا رأس الحسين يقله ... سنان سناه بالقناة محكم
فيا لك مقتولاً أصيب بقتله ... ملائكة الرحمٰن والجن معهم
ويا لك من رزء عظيم إذا به ... تقاس الرزايا كلها فهو أعظم
ويا لك من يوم مهول تزلزلت ... له الأرض والأطيار بالجو حوم
ويا لك من حزن كأن مذاقه ... على شيعة المختار صاب وعلقم
أتسبى كريمات الحسين على الضنا ... ويكنف نسوان العلوج المخيم
ألا لعن الرحمٰن آل أمية ... وأشياخهم مع من تناسل منهم
وأشياعهم والتابعين لقولهم ... ومن لهم بالقلب يهوى ويرحم
فيا عترة الهادي خذوها بمدحكم ... مدبجة كالدر حين ينظم
على كل بيت للمديح يتيمة ... بأسماع من يهواكم تتقسم
تزف إليكم كل عشر محرم ... يتوق إليها الشاعر المترنم

مديحاً لمحمود العزيزي عبدكم ... له بأعاديكم من اللعن أسهم
موالي مواليكم معادي عدوكم ... مودته في حبكم لا تكتم
ويرجى بها يوم القيامة شربة ... من الحوض يا أهل الشفاعة منكم
خذوا لي وآبائي وأمي ووالدي ... أماناً من أذى النار وأرحم
ورهطي وإخواني وقارئين مدحتي ... ومستمعيها واعطفوا وترحم
وفي الخلد نرجوا تدخلونا بجاهكم ... فليس لنا إلا النبي وأنتم
صلاة وتسليم مساء وبكرة ... من الله عد الذر تترى عليكم

* * *

المجلس الثامن

من الجزء الثاني، في اليوم التاسع من عشر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أيها الإخوان، أكثروا رحمكم الله النوح والأشجان، وأظهروا شعائر الأحزان على سادات الزمان وأولى الكرم والفضل والإحسان، خصوصاً في شهر عاشورا، وإن كان حزنهم خليقاً في كل الشهور، وكيف لا نبكي على مصاب من لا يحصل لنا من النار الخلاص إلا إذا قمنا في محبتهم بالإخلاص؟ وما لنا لا نعادي أعداء قوم محبهم يحبهم الجبار ومبغضهم يورده موارد أهل النار.

ففي الخبر عن سيد البشر: أنه قال ذات يوم لبعض أصحابه: يا عبد الله أحبب في الله، وأبغض في الله، ووالّي في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون ذلك كذلك. فقال له: يا رسول الله وكيف لي أن أعلم أني قد واليت في الله وعاديت في الله، ومن ولّي الله عزَّ وجلَّ حتى أواليه ومن عدوه حتى أعاديه؟ فأشار رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام فقال: أترى هذا؟ قال: بلى، قال: ولّي هذا ولّي الله، وعدو هذا عدو الله، فوالي ولّيي هذا لو أنه أبوك، وعادي عدوه لو أنه أبوك:

إذا كنت تهوى القوم فاسلك طريقهم ... فما وصلوا إلا بعد العلائق

وما نقل الهندي وهو حديدة ... على الكتف إلا بعد دقّ المطارق

فيا هذا، أيلام من شق الجيوب، جيوب القلوب لا جيوب الثياب، أو يعنف من أجرى الدماء لا الدموع على هذا المصاب؟ كلا حاشا لله حقهم لا يقضى وشكرهم لا يؤدى، لكن من بذل الاجتهاد كان جديراً أن يحصل المراد.

روي عن أبي جمرة الثمالي قال: أتيت إلى سيدي ومولاي علي بن الحسين عليه السلام وهو في داره في مدينة الرسول، فاستأذنت عليه بالدخول، فأذن لي، فدخلت عليه فوجدته جالساً وإذا على فخذه صبي صغير وهو مشغوف به، وهو يقبله ويحنو عليه، فقام

الصبي يمشي فعثر فوقع على عتبة الباب فانشج رأسه، فوثب إليه مهروﻻً، وقد أحزنه ذلك فجعل ينشف دمه بخرقة وهو يقول له: يا بني أعيذك بالله أن تكون المصلوب في الكناس، فقلت له: يا مولاي فداك أبي وأمي وأي كناس؟ فقال: يصلب ابني هذا في موضع يقال له الكناس من أعمال الكوفة، فقلت: يا مولاي أو يكون ذلك؟ قال: والله سيكون ذلك والذي بعث محمداً بالحق نبياً لئن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة وهو مقتول مسحوب، ثم يدفن وينبش ويصلب في الكناسة، ثم ينزل بعد زمان طويل فيحرق ويذرى في الهواء. فقلت: جعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ قال: هذا ابني زيد وهو مع ذلك يحدثني ويبكي، ثم قال لي: أتحب أن أحدثك بحديث ابني هذا؟ قلت: بلى، قال: بينما أنا ليلة ساجداً في محرابي إذ ذهب بي النوم، فرأيت كأني إلى الجنة وكأن رسول الله ﷺ وعلياً والحسن والحسين قد زوَّجوني بحورية من حور العين، فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى وإذا أنا بهاتف يقول: أتحب أن أبشرك بولد اسمه زيد! فاستيقظت من نومي وقمت وصلّيت صلاة الفجر، وإذا أنا بطارق الباب، فخرجت إليه فإذا معه جارية وهي مخمرة بخمار، فقلت له: ما حاجتك؟ فقال: أريد علي بن الحسين، فقلت: أنا هو، فقال: أنا رسول المختار إليك وهو يقرئك السلام ويقول: قد وقعت هذه الجارية بأيدينا فاشتريتها بستمائة دينار وقد وهبتها لك، وهذه أيضاً ستمائة دينار أخرى فاستعن بها على زمانك. فدفع إليّ المال ومعه كتاب، فقبضت المال والجارية، فقلت لها: ما اسمك؟ فقالت: اسمي حورية، فقلت: صدق الله ورسوله، هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً، فدخلت بها تلك الليلة، فإذا هي غاية الصلاح، فعلقت مني بهذا الغلام، فلما وضعته سميته زيداً، وسترى ما قلت لك!.

قال أبو حمزة الثمالي: فوالله لقد رأيت زيداً مقتولاً، ثم سحب، ثم دفن، ثم نشر، ثم صلب، ولم يزل مصلوباً زماناً طويلاً حتى عشعشت الفاختة في جوفه، ثم أحرق ودق وذري في الهواء رحمة الله عليه.

وروى فضلة عن بعض الأخباريين قال: سألت خالد بن فضلة عن فضل زيد بن زين العابدين عليه السلام؟ فقال: أي رجل كان، فقلت: وما علمت من فضله؟ قال: كان يبكي من خشية الله تعالى حتى تختلط دموعه بدمه طول ليله حتى اعتقد كثير من الناس فيه الإمامة، وكان سبب اعتقادهم ذلك منه لخروجه بالسيف يدعو بالرضى من آل محمد عليهم السلام فظنوه يريد بذلك نفسه ولم يكن يريدها لمعرفته باستحقاق مَن قبله، وكان سبب خروجه الطلب بدم جده الحسين عليه السلام. وأنه دخل يوماً على هشام بن عبد

الملك، وقد كان جمع له هشام بني أمية وأمرهم أن يتضايقوا في المجلس حتى لا يتمكن زيد من الوصول إلى قربه، فوقف زيد مقابله، وقال له: يا هشام ليس أحد من عباد الله فوق أن يوصي بتقوى الله في عباده، وأنا أوصيك بتقوى الله فاتقه. فقال هشام: يا زيد أنت المؤهل نفسك للخلافة، وأنت الراجي لها وما أنت وذاك لا أم لك وإنما أنت ابن أمة؟ فقال له زيد: إني لا أعلم أحداً أعظم عند الله من نبي بعثه، فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعث الله إسماعيل نبياً وهو ابن أمة، فالنبوَّة أعظم أم الخلافة! وبعد فما يقصر في رجل جده رسول الله، وهو ابن علي بن أبي طالب أن يكون ابن أمة! قال: فنهض هشام مغضباً ودعا قهرمانه وقال: والله لآتين هذا بعسكر يضيق به الفضاء. وخرج زيد وهو يقول: لم يكره قوم قط حر السيوف إلاَّ ذلُّوا.

ثم أنه توجه إلى الكوفة، فاجتمع عليه أهلها وبايعوه على الحرب معه، فنقضوا ببيعته وأسلموه لعدوه! فقتل رحمة الله عليه وصلب في موضع يقال له الكناسة وبقي مصلوباً بينهم أربع سنوات لا ينكر أحد منهم بيد ولا لسان، وقد عشعشت الفاختة في جوفه، وقد خانوا به أهل الكوفة ونقضوا بيعته كما خانوا آبائه وأجداده من قبل ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

قال: فلما بلغ قتله إلى الصادق عليه السلام حزن عليه حزناً عظيماً وجعل يئن من وجده عليه وفرق من ماله صدقة عنه وعمن أصيب معه من أصحابه لكل بيت منهم ألف دينار، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر صفر سنة عشرين ومائة من الهجرة، وكان عمره يوم قتل اثنين وأربعين سنة، قال: فلما قتل زيد سر بقتله المنافقون، وحزن له المؤمنون، وأما هشام بن الحكم فإنه فرح بقتله وعمل يوم قتله عيداً وأنشد يقول:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يُصلب
وقسَّم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب

قال: فبلغ قوله إلى الصادق عليه السلام فاغتمَّ منه غمّاً شديداً، ورفع يديه إلى نحو السماء وهما يرتعشان من شدة عرقه وقال: اللهم إن كان عبدك الحكم كاذباً فسلط عليه كلباً من كلابك يأكله. قال: فأرسله بنو أمية إلى الكوفة فافترسه الأسد، لعنة الله عليه، فوصل خبره إلى الصادق عليه السلام فخرَّ ساجداً لله لسرعة إجابة دعائه وقال: الحمد لله الذي أنجز وعده وأهلك عدوه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2]، لقد غرَّتهم الدنيا الدنية حتى أزدَتْهم وأهلكتهم فحسبهم جهنم وساءت مصيراً، يوم لا يجدون من الله ولّياً

(1) سورة هود: الآية 18.
(2) سورة الشعراء: الآية 227.

ولا نصيراً.

ألا يا بايعاً ديناً بدنيا غروراً لا يدوم لها نعيم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

نقل أنه كانت الدولة لبني أمية ألف شهر، وكانوا لا يزالون يأمرون الخطباء بسب علي بن أبي طالب على رؤوس المنابر، فأول من تأمر منهم معاوية عليه اللعنة، ومدة خلافته عشرون سنة، ثم تخلّف من بعده ولده يزيد عليه اللعنة ثلاثة سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، ثم تخلف من بعده معاوية بن يزيد شهراً واحداً وأحد عشر يوماً، وترك الخلافة خوفاً من عذاب الله واعترف بظلم آبائه وعرَّف الناس ذلك وهو قائم على المنبر حتى أن أمه لامته على ذلك، فقالت له: ليتك كنت حيضة ولم تكن بشراً اعزل نفسك عن منصب آبائك، فقال لها: يا أماه وأنا والله وددت أن أكون حيضة ولا أطأ موطئاً لست له بأهل ولا ألقى الله عزَّ وجلَّ بظلم آل محمد. ثم تخلف من بعده مروان بن الحكم عليه اللعنة ثمانية أشهر وعشرة أيام ومات، ثم تخلف من بعده عبد الملك بن مروان عليه اللعنة إحدى وعشرين سنة وشهراً، ثم تخلف من بعده الوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية أشهر ويوماً واحداً، ثم تخلف من بعده أخوه هشام بن عبد الملك تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام، ثم تخلف مروان الحمار خمس سنين وشهراً وثلاثة عشر يوماً، فملك بنو أمية ثلاثة وثمانون سنة وأربعة أشهر، يكون المجموع ألف شهر وهم مع ذلك يسبون علياً عليه السلام، ثم تخلف عمر بن عبد العزيز وأبطل السب على علي، فلما قتل الحسين عليه السلام لم تقم لبني أمية قائمة حتى سلبهم الله ملكهم واضمحل ذكرهم. فلما تولى السفاح أحمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم رسول الله ﷺ استأصل الأكثر منهم، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1].

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[2]:

ويك يا عين سحي دمعاً سكوباً ويك يا قلب كن حزيناً كئيبا
ساعداني سعدتما فعسى أشفي غليلاً من لوعة وكروبا

(1) سورة هود: الآية 18.
(2) القصيدة لابن حماد رحمه الله تعالى.

إن يوم الطفوف لم يبق لي من ... لذة العيش والرقاد نصيبا
يوم صارت إلى الحسين بنو حرب ... بجيش فنازلوه الحروبا
وحموه من الفرات فما ذاق ... سوى الموت دونه مشروبا
في رجال باعوا النفوس على الله ... فنالوا ببيعها المرغوبا
لست أنساه حين أيقن بالموت ... دعاهم فقام فيهم خطيبا
ثم قال: الحقوا بأهليكم إذ ... ليس غيري أرى لهم مطلوبا
شكر الله سعيكم إذ نصحتم ... ثم أحسنتم لي المصحوبا
فأجابوه: ما وفيناك إن نحن ... تركناك بالطفوف غريبا
أي عذر لنا يوم نلقى ... الله والطهر جدك المندوبا
حاش لله بل نواسيك أو يأخذ ... كلٌّ منّا من المنون نصيبا
فبكى ثم قال: جوزيتم الخير ... فما كان سعيكم أن يخيبا
ثم قال: اجمعوا الرجال وشبوا ... النار فيها حتى تصير لهيبا
وغدا للقتال في يوم عاشورا ... فأبدى طعناً وضرباً مصيبا
فكأني بصحبه حوله صرعى ... لدى كربلا شباباً وشيبا
فكأني أراه فرداً وحيداً ... ظامياً بينهم يلاقي الكروبا
حاملاً طفله يقبله حتى ... قد هوى الطفل بالدماء خضيبا
وكأني أراه إذ خرّ مطعوناً ... على حر وجهه مكبوبا
وكأني بمهره قاصداً الفسطاط ... يبدي تحمحماً ونحيبا
وبرزن النساء حتى إذا أبصرن ... حيارى وقد شققن الجيوبا
فكأني بزينب إذ رأته ... حارياً دامي الجبين تريبا
أقبلت نحو أختها ثم قالت: ... ودّعيه وداع من لا يؤوبا
أخت يا أخت كيف صبرك عنه ... وهو كان المؤمل المحبوبا
ثم خرّت عليه تلثم خديه ... وقد صار دمعها مسكوبا
وتناديه: يا أخي لو رأت عيناك ... حالي رأيت أمراً عجيبا
يا أخي لا حييت بعدك هنيهت ... حياتي من بعدكم لن تطيبا
كنت حصني من الزمان إذا ما ... خفت خطباً دفعت عني الخطوبا

ضافت الأرض بي وكانت علينا ... بك يا سيدي فناءاً رحيبا
يا هلالاً لما استتمَّ كمالاً ... غاله خسفه فأهوى غروبا
يا قضيباً أغض ما كان أودته ... رياح الورى وكان رطيبا
ما توهمت يا شقيق فؤادي ... كأن هذا مقدراً مكتوبا
عد يتاماك إن أردت منيباً ... يا أخي بالرجوع وعداً قريبا
فلعلي أسر فيك ولّياً ... وأسوء الحسود فيك المريبا
يا أخي حق فيك ما كنت أخشاه ... فظني قد بان فيك كذوبا
يا أخي فاطم الصغيرة كلِّمها ... فقد كاد قلبها أن يذوبا
يا أخي قلبك الشفيق علينا ... ما له قد قسى وصار صليبا
ما أذلّ اليتيم حين ينادي ... بأبيه ولا يراه مجيبا
يا أخي لو ترى علياً لدى اليتم ... مع الأسر ما يطيق وجوبا
يا أخي لو ترى علياً لقد صار ... لدى القيد بينهم مسحوبا
يا أخي ضمه إليك وقرِّبه ... وسكِّن فؤاده المرعوبا
لا تباعده يا أخي بعد إذ ... عوَّدته منك ذلك التقريبا
يا أخي لو تراه مستضعفاً بين ... الأعادي مقيّداً مصحوبا
كلما أوجعوه بالضرب ناداك ... وقد صار دمعه مسكوبا
يا أخي هل يعز فيك علي ... حين أضحى مكبلاً مضروبا
يا أخي زود اليتيم اعتناقاً ... والتزاماً إذا أردت المغيبا
عندها قد بكت ملائكة الله ... واهتزّ عرش ربي غضوبا
ثم سيرن حاسرات حيارى ... ما يفترن رنة ونحيبا
وإذا ما رأين بالرأس قد شيل ... على رأس ذابل منصوبا
يتساقطن بالوجوه على الأرض ... وينددن بالعويل ندوبا
وينادين: يا أقل البرايا ... كلها رحمة وأقسى قلوبا
باعدوا الرأس وارحمونا ورقُّوا ... لا تزيدوا قلوبنا تعذيبا
ما لنا بيننا وبينكم الله ... لدى الحشر حاكماً وحسيبا
يوم عاشور لا رعيت لقد ... كنت مشؤوماً على الهداة عصيبا

يا بني المصطفى سلام عليكم ما أقلَّ الغصون طيراً طروبا
هدني الحزن بعدكم مثل ما هدّ من الحزن يوسف يعقوبا
ولقد زاد ذكر زيد غليلي حين أضحى على الكناس صليبا
ثم أذرى من بعد قبر ونبش وحريق بين الرياح نهيبا
أمة السوء لم تجازوا رسول الله فيكم إذ لم يزل متعوبا
كل يوم تهتكون حريماً من بنيه وتقتلون حبيبا
وتبيحون ما حمى وتشنون على أهله الأذى والحروبا
كيف تلقونه شفيعاً وترجون غداً أن يزيل عنكم كروبا
لا وربي ينال ذاك سوى مَن كان مولاهم موالٍ منيبا
وإليكم يا سادتي قد توجهت مطيعاً لأمركم مستجيبا
بكم طاب مولد علم الله وزادت بصيرتي تهذيبا
ويقيني صفا لكم فصفا سري وودي قتلت حصناً عجيبا
وخلعت العِذار فيكم فلن أقبل عذلاً فيكم ولا تأنيبا
وأنا الشاعر ابن حماد لا ينكر فضلي من كان طباً لبيبا

الباب الثاني

أيها المؤمنون السامعون، اعملوا رحمكم الله الفكر وأطيلوا التأمل والنظر وانظر إلى هذا الإمام وشدة صبره على المضض والآلام وتجرُّع كؤوس الحِمام في رضى الملك العلام، فإنه أمر تحير فيه الأفكار، وتذهل في معانيه القلوب والأبصار. ألا ترون إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ابتلي بنفسه لا غير حين ألقي في النار؟ والحسين عليه السلام صرع حوله بنوه وبنو أبيه الأطهار وآله وصحبه الأخيار، واغتصبوا نفسه الزكية فقابل الجمع بالرضى والاصطبار، وهذا أمر لم يصل أحد قبل ولا بعد إليه إلا أبوه الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام:

كفاك قسماً لو اكتفيت به إنك في المجد والعلى علم
بمن يلوذ الراجي سواك ومَن به يعوذ اللاجي ويعتصم

فلا غرو إن بكينا الإمام الحسين عليه السلام بدمع يخجل صوب الغمام، أليس هو ابن حبيب الملك العلام؟ أليس هو سبط سيد الأنام؟ أليس هو ثمرة فؤاد الزهراء؟ أليس

من خدامه جبرائيل؟ أليس من عتقائه دردائيل؟ فيا ويل من ظلمهم وغصبهم حقهم وهضمهم.

نقل أنه لما أنفذ ابن زياد برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد، لعنه الله تعالى، التفت يزيد إلى عبد الملك بن مروان وقال له: انطلق حتى تأتي عمر بن سعيد بن العاص بالمدينة فبشره بقتل الحسين. قال عبد الملك: فركبت ناقتي وسريت نحو المدينة، فلما دخلت المدينة لقيني رجل من قريش فقال لي: ما الخبر؟ فقلت: عند الأمير تسمعه، فبكى الرجل وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون قتل والله الحسين. قال عبد الملك: فلما دخلت على عمر بن سعيد قال لي: ما وراءك؟ قلت: ما يسر الأمير، قتل والله الحسين بن علي! فاستر بذلك سرور عظيماً وقال لي: أخرج فنادي في شوارع المدينة بقتل الحسين لتسرّ بذلك بني أمية وتكمد بني هاشم. قال: فخرجت فناديت في شوارع المدينة فلم أسمع واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم ينوحون على الحسين عليه السلام حين سمعوا النداء بقتله، ثم رجعت إلى عمر بن سعيد بن العاص، فلما رآني تبسم ضاحكاً ثم قال:

عجّت نساء بني زياد عجة ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب
فالآن أشفينا القلوب بقتله ... وسقي حسين جرعة لم تُشرب

ثم قال: هذه والله واعية بواعية عثمان. ثم خرج إلى المسجد ورقى المنبر وأعلم الناس بقتل الحسين عليه السلام ودعا ليزيد بدوام الملك وشدة السلطان، وسب الحسين وذمه ثم نزل عن المنبر. فازداد البكاء والنوح في دور بني هاشم.

قال: وخرجت أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين وهي حاسرة ومعها أخواتها أم هانىء، وأسماء، ورملة، وزينب بنات عقيل، وهن يبكين قتلاهن بطف كربلا وواحدة منهن تقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مُفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

قال: فلما كان الليل من ذلك اليوم الذي خطب فيه عمر بن سعيد، إذ سمع أهل المدينة في جوف الليل منادياً ينادي ولا يُرى شخصه:

أيها القاتلون ظلماً حسيناً ... ابشروا بالعذاب والتنكيل
كل من في السماء يدعو عليكم ... من نبي وملائك وقبيل
قد لُعنتم على لسان ابن داود ... وموسى وصاحب الإنجيل

فتباً لهم ما أجرأهم على انتهاك حرمة خاتم النبيين! وما أقسى قلوبهم على الذرية الطاهرين! كأنهم لم يسمعوا بفضلهم في القرآن المبين على لسان الرسول وجبرائيل الأمين! بلى والله قد سمعوا وعرفوا وعاهدوا عليه وما وفوا ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

وأبشروا أيها الشيعة وبشروا، فإن لكم عند الله الأجر العظيم والثواب الجسيم، وتصديق ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول لغلامه قنبر: أبشر وبشِّر المؤمنين أن رسول الله ﷺ مات وهو ساخط على أمته إلاَّ الشيعة، ألا وإن لكل شيء عروة، وعروة الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء شرفاً وشرف الإسلام الشيعة، ألا وإن لكل شيء سيداً وسيد المجالس مجالس الشيعة، والله لولا من في الأرض منكم ما أنعم الله على أهل الخلاف وما لهم في الآخرة من نصيب وإن تعبَّدوا واجتهدوا وصاموا وصلُّوا كثيراً لن يدخلوا الجنة، وإن شيعتنا ينظرون بنور الله ومن خالفنا ينقلب بسخط الله، والله إن فقراءكم أهل الغنى وإن أغنياءكم أهل القنوع، وإن كلكم أهل دعوة الله وأهل إجابته، أنتم الطيبون ونساءكم الطيبات، كل مؤمن منكم صديق في الجنة وكل مؤمنة حوراء في الجنة.

فيا إخواني، ما عذر أهل الإيمان في إضاعة البكاء ولبس أثواب الأحزان لمصاب سيد الشهداء من ولد عدنان؟ كيف لا؟ وهو حبيب رب العالمين، وابن سيد الوصيين، وآية الله في العالمين.

ففي الخبر عن ابن مسعود أنه قال: دخلت يوماً على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أرني الحق حتى أنظر إليه، فقال لي: يا ابن مسعود ألج المخدع، فولجت فرأيت علي ابن أبي طالب راكعاً ساجداً وهو يقول عقيب كل صلاة: اللهم بحرمة محمد عبدك ورسولك اغفر للخاطئين من شيعتي. قال ابن مسعود: فخرجت أخبر رسول الله بذلك فرأيته راكعاً ساجداً وهو يقول: اللهم بحرمة علي بن أبي طالب عبدك اغفر للعاصين من أمتي. قال ابن مسعود: فأخذني الهلع حتى غشي عليَّ، فرفع النبي ﷺ رأسه وقال: يا ابن مسعود أكفرت بعد إيمانك؟ فقلت: معاذ الله ولكني رأيت علياً يسأل الله تعالى بك وتسأل الله به ولا أدري أيكما أفضل! فقال النبي ﷺ: يا ابن مسعود، إن الله عزَّ وجلَّ خلقني وعلقني والحسن والحسين من نور عظمته قبل الخلق بألف عام حين لا تسبيح ولا تقديس، ففتق نوري فخلق منه السماوات، وفتق نور علي فخلق منه العرش والكرسي،

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

وعلي أجلّ من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن أجلّ من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين فخلق منه الجنان والحور والولدان، والحسين أفضل منهم، فأظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى الله عزَّ وجلَّ الظلمة وقالت: اللهم بحرمة هذه الأشباح التي خلقتهم إلاَّ ما فرَّجت عنا من هذه الظلمة، فخلق الله روحاً وقرنها بأخرى فخلق منها نوراً ثم أضاءت الروح فخلق منها الزهراء فأضاءت منها المشارق والمغارب، فمن ذلك سميت الزهراء. يا ابن مسعود، إذا كان يوم القيامة يقول الله عزَّ وجلَّ لي ولعلي: أدخلا الجنة من شئتما وأدخلا النار من شئتما، وذلك قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾[1] والكافر من جحد نبوتي والعنيد من عادى علياً وأهل بيته وشيعته.

ولله در دعبل الخزاعي حيث يقول:

ولو قلّدوا الموصى إليه أمورهم ... لزمت بمأمون على العثرات
أخو خاتم الرسل الصفي من القذا ... ومفترس الأبطال في الغمرات
فإن جحدوا كان الغدير شهودهم ... وبدر وأُحد شامخ الهضبات
وآي من القرآن يُتلى بفضله ... وإيثاره بالقوت في اللزبات
نحى لجبرائيل الأمين وأنتم ... عكوف على العزى معاً ومنات

روى الشيخ أبو علي الطبرسي في «مجمع البيان» في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا - إلى قوله - وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[2]، قال: نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين وجارية لهم تسمى فضة، وذكر القصة بإسناد عن الصادق عليه السلام وابن عباس قالا: مرض الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فعادهما رسول الله ﷺ ومعه رجلان، فقال أحدهما لأمير المؤمنين: يا أبا الحسن لو نذرت في ابنيك نذراً عافاهما الله تعالى، فقال علي: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله سبحانه، وكذلك قالت فاطمة، وكذا الصبيان، وكذا جاريتهم فضة. فألبسهما الله العافية فأصبحوا صياماً وليس عندهم شيء من الطعام، فانطلق أمير المؤمنين عليه السلام إلى جار له يهودي يعالج الصوف اسمه شمعون، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هل لك أن تعطيني جزراً من الصوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة أصواع من شعير؟ فقال اليهودي: نعم، وأعطاه. فجاء بالصوف والشعير وأخبر فاطمة بذلك، فقبلت وأطاعت، ثم عمدت فغزلت ثلثه ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته فخبزت منه خمسة أقراص، وصلّى أمير المؤمنين صلاة المغرب

(1) سورة ق: الآية 24.
(2) سورة الإنسان: الآيات 5 - 22.

مع رسول الله ﷺ ثم أتى المنزل، فوضع الخوان بين يديه وجلسوا يتعشون خمستهم، فأول لقمة كسرها أمير المؤمنين إذ مسكين قد وقف على الباب وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة، فوضع أمير المؤمنين اللقمة من يده ثم قال: يا فاطمة ادفعيه إليه، فعمدت فاطمة إلى ما كان على الخوان جميعه فدفعته إلى المسكين وباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً ولم يذوقوا إلا الماء القراح. ثم عمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته ثم أخذت صاعاً من الشعير فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرص، وصلّى أمير المؤمنين مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب ثم أتى المنزل، فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها أمير المؤمنين إذا يتيم ينادي بالباب: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، أنا يتيم من يتامى المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة. فرمى أمير المؤمنين اللقمة وقال لفاطمة: ادفعيه إليه، ثم عمدت فاطمة إلى جميع ما على الخوان من الخبز فأعطته لليتيم وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صائمين، فعمدت فاطمة إلى الثلث الباقي من الصوف فغزلته وطحنت الباقي من الشعير وعجنته وخبزته خمسة أقراص لكل واحد قرص، فصلّى أمير المؤمنين مع رسول الله ﷺ صلاة المغرب وأتى المنزل. فوضع الخوان وجلسوا يتعشون خمستهم، فأول لقمة كسرها أمير المؤمنين وأراد وضعها في فمه إذا بأسير من أسارى المشركين ينادي بالباب: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة تأسروننا وتشردوننا ولا تطعموننا مما تأكلون، أطعمونا أطعمكم الله من موائد الجنة. فرمى أمير المؤمنين اللقمة من يده وعمدت فاطمة إلى ما كان على الخوان فجمعته ودفعته إلى الأسير، وباتوا ليلتهم جياعاً وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء.

قال شعيب في حديثه: وأقبل علي بالحسن والحسين نحو رسول الله وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فلما نظرهما رسول الله قال: يا أبا الحسن ما أشد ما يسوءني ما أراكم فيه؟ فقال: يا رسول الله انطلق معي إلى فاطمة. فانطلق، فإذا هي في محرابها وقد لصقت بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها في وجهها، فلما نظرها رسول الله ضمها إليه وقال: وا غوثاه أنتم منذ ثلاثة أيام على ما أرى! فهبط جبرائيل عليه السلام وقال: خذ يا محمد مما هنأك الله في أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبرائيل؟ قال: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ - إلى قوله - إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾[1].

(1) سورة الإنسان: الآيات 1 - 22.

بأهلي ومالي ثم قومي وأسرتي فداء لمن أضحى قتيل ابن ملجم
علي رقا فوق الخلائق في الورى فهدّت له أركان بيت المحرم
تكاد الصفا والمشعران كلاهما تهدّ وبان النقص في ماء زمزم
وأصبحت الشمس المنير ضياؤها لقتلى علي لونها لون أدهم
وضلّ له أفق السماء كأنه شقيقة ثوب لونها لون عندم
وناحت عليه الأرض إذ فُجعت به حنيناً لثكلى نوحها بترنم
وأضحى التقي والخير والعلم والنهى وبات العلي في قبره المتهدم

وقال غيره من أهل الفضل:

إلى م أُلام وحتى متى أعنف في حب هذا الفتى
فهل زوِّجت فاطم غيره وفي غيره (هل أتىٰ) هل أتى

فيا إخواني العنوا من ظلمهم وغصبهم حقهم وهضمهم.

فعلى مثل هؤلاء الأشراف فليبكي الباكون، وإياهم فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[1]:

سجعت فوق الغصون فاقدات للقرين فاستهلت سحب أجفاني وهزتني شجوني
غرّدت لا شجوها شجوي ولا حنت حنيني لا ولا قلت لها يا ورق بالنوح أسعديني
ما شجى الباكي طروباً وشجى الباكي الحزين حق لي أبكي دماء عوض الدمع الهتون
لغريب نازح الدار خلي من معين لتريب الخد دامي الوجه مرضوض الجبين
لحبيب أسلم القلب إلى داء دفين لست أنساه بأرض الطف إذ قال أخبروني
ما اسم هذه الأرض قالوا كربلا يا ابن الأمين فبكى شجواً ونادى: يا لقومي حان حيني
أرض كرب وبلاء في رباها يدفنوني وبها تُهتك نسواني وفيها يقتلوني
وبها يمتحن الله رجالاً ينصروني فارجعوا جوزيتم خير جزاء واتركوني
ليس للقوم سوى قتلي قصد فاسمعوني فأجابوا: لا ومن خصك بالفضل المبين
لا رجعنا أو سنسقي القوم كاسات المنون فانثنى نحو الحريم الفاطميات بلين
قائلاً: يا أخت، يا أخت هلمي ودِّعيني أخت يا زينب ضمي شمل أهلي خلفيني
واحرسي السجاد واحميه بأجفان العيون فهو القائم من بعدي بعلم وبدين

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله تعالى.

وإن اشتد عليكن مصابي فاندبيني ... وإذا نحت فنوحي بشجون وسكون
واتقي الله وكوني خير أسلاف القرون ... وإذا قمت إلى نافلة الليل اذكريني
وإذا استعبدت مولاك صلاة فصليني ... وغداً نحو العدى يرتاح للحرب الزبون
جائلاً يشبه في سطوته ليث العرين ... فرمته أسهم الأحقاد عن أيدي الضغون
فهوى شلواً طعيناً آه للشلو الطعين ... وغدت زينب تبكي بعويل ورنين
وتنادي: وا رجالاه فقد خابت ظنوني ... أين جدي أين حملات أبي أين حصوني
ليرونا والعدى هتكوا كل مصون ... حاسرات يسحبونا في سهول وحزون
وتنادي والمطايا تشتكي شد الوضين: ... وا ضلالي لوجوه كبدور في دجون
وا عنائي في يتامى في البكا قد أقرحوني ... وا شقائي في أسارى في قيود يرمقوني
يا لها صفقة مغبون ولوعات حزين ... يحمل الرأس السماوي إلى الرجس اللعين
وبنات المصطفى تهدى إلى كلب مهين ... يا بني (طٰه) و(يٰس) و(حٰم) و(نون)
بكم استعصمت من شر خطوب تعتريني ... فإذا خفت فأنتم لنجاتي كالسفين
وعليكم ثقل ميزاني وأنتم تنقذوني ... فاحشروا العبد الخليعي إذاً ذات اليمين
وإليكم مدحاً أسنى من الدر الثمين ... يا حجاب الله والمحمى عن رجم الظنون
فيك داريت أناساً عزموا أن يقتلوني ... وتحصنت بقول الصادق الحبر الأمين
إتقوا إن التقى من دين آبائي وديني ... ولأوصافك وريت كلامي وحنيني
وإلى مدحك أظهرت ظهوري وبطوني ... وكفاني علمك الشاهد للسرّ المصون
ومعاذ الله أن ألوي عن الحبل المتين ... وأساوي بين مفضال ومفضول ضنين
وعليم وعديم وأمين وخئوني ... بين من قال أقيلوني، ومن قال اسألوني

هل يساويه بعلم أو بفضل أو بدين

الباب الثالث

أيها الرؤساء الأعلام، كيف يلتذ العاقل منكم بطعام وقد حكمت في مواليه الكفرة اللئام، أو بشراب وقد قُتلوا في الظلماء، والماء حولهم قد طما، أو يسكن بعدهم إلى الطمأنينة والدعة وقد ضيّقوا عليهم الأرحبة والسعة، أو يقلّ من النوح والأحزان وقد لاقوا الهوان من أبناء الزمان، ولم لا نموت صبابة في هواهم طلباً لرضى الله ورضاهم؟

الموت مُر ولكني إذا ظمئت ... نفسي إلى المجد مستحلّ لمشربه

رياسة ماض في رأسي وساوسها تدور فيه وأخشى أن تدور به

حكي عن زيد النساج قال: قال لي جار وهو شيخ كبير عليه آثار النسك والصلاة، وكان يدخل إلى بيته ويعتزل عن الناس ولا يخرج إلا يوم الجمعة، قال زيد النساج: فمضيت يوم الجمعة إلى زيارة زين العابدين عليه السلام، فدخلت إلى مشهده وإذا أنا بالشيخ الذي هو جاري قد أخذ من البئر ماء وهو يريد أن يغتسل الجمعة والزيارة، فلما نزع ثيابه وإذا في ظهره ضربة عظيمة فَتْحَتُها أكثر من شبر وهي تسيل قيحاً فاشمئز قلبي منها، فحانت منه التفاتة فرآني فخجل فقال لي: أنت زيد النساج؟ فقلت: نعم، فقال لي: يا بني عاوني على غسلي، فقلت: لا والله لا أعاونك حتى تخبرني بقصة هذه الضربة التي بين كتفيك ومن كف من خرجت، وأي شيء كان سببها؟ فقال لي: يا زيد أخبرك بها بشرط أن لا تحدث بها أحداً من الناس إلا بعد موتي! فقلت: لك ذلك، فقال: عاوني على غسلي فإذا لبست أطماري حدثتك بقصتي. قال زيد: فساعدته فاغتسل ولبس ثيابه وجلس في الشمس وجلست إلى جانبه وقلت له: حدثني، فقال لي: اعلم أنّا كنا عشرة أنفس قد تواخينا على الباطل وتوافقنا على قطع الطريق وارتكاب الآثام، وكانت بيننا نوبة ندبرها في كل ليلة على واحد منا ليصنع طعاماً نفيساً وخمراً عتيقاً وغير ذلك، فلما كانت الليلة التاسعة وكنا قد تعشينا عند واحد من أصحابنا وشربنا الخمر، ثم تفرقنا وجئت إلى منزلي وهدوت ونمت، فأيقظتني زوجتي وقالت لي: إن الليلة الآتية نوبتها عليك ولا في البيت عندنا حبة من الحنطة، قال: فانتبهت وقد طار السكر من رأسي وقلت: كيف أعمل، وما الحيلة، وإلى أين أتوجه؟ فقالت لي زوجتي: الليلة ليلة الجمعة ولا يخلو مشهد مولانا علي بن أبي طالب من زوار يأتون إليه يزورونه، فقم وامضي واكمن على الطريق، فلا بد أن ترى أحداً فتأخذ ثيابه فتبيعها وتشتري شيئاً من الطعام لتتم مروءتك عند أصحابك وتكافئهم على ضيافتهم. قال: فقمت وأخذت سيفي وجحفتي ومضيت مبادراً وكمنت في الخندق الذي في ظهر الكوفة، وكانت ليلة مظلمة ذات رعد وبرق، فأبرقت برقة فإذا أنا بشخصين مقبلين من ناحية الكوفة، فلما قربا مني برقت برقة أخرى فإذا هما امرأتان، فقلت في نفسي: في مثل هذه الساعة تأتي امرأتان! ففرحت ووثبت عليهما وقلت لهما: اطرحا ثيابكما سريعاً، ففزعتا مني ونزعتا ثيابهما، فحسست عليهما حلياً فقلت لهما: وانزعا الحلى التي عليكما سريعاً، فطرحتاه. فأبرقت السماء برقة أخرى فإذا أحدهما عجوز والأخرى شابة من أحسن النساء وجهاً كأنها ظبية قناص أو درة غواص، فوسوس لي الشيطان على أن أفعل بها القبيح وقلت في نفسي: مثل هذه الشابة التي لا يوجد مثلها

حصلت عندي في هذا الموضع وأخليها، فراودتها عن نفسها فقالت العجوز: يا هذا أنت في حل مما أخذته منا من الثياب والحلي فخلنا نمضي إلى أهلنا فوالله أنها بنت يتيمة من أمها وأبيها وأنا خالتها وفي هذه الليلة القابلة تُزف إلى بعلها، وأنها قالت لي: يا خالة إن الليلة القابلة أُزف إلى ابن عمي وأنا والله راغبة في زيارة سيدي علي بن أبي طالب عليه السلام وإني إذا مضيت إلى بعلي ربما لا يأذن لي بزيارته، فلما كانت هذه الليلة الجمعة خرجت بها لأزوِّرها مولاها وسيدها أمير المؤمنين فبالله عليك لا تهتك سترها ولا تفض ختمها ولا تفضحها بين قومها، فقلت لها: إليك عني، وضربتها وجعلت أدور حول الصبية وهي تلوذ بالعجوز وهي عريانة ما عليها غير السروال وهي في تلك الحال تعقد تكتها وتوثقها عقداً، فدفعت العجوز عن الجارية وصرعتها إلى الأرض وجلست على صدرها ومسكت يديها بيد واحدة وجعلت أحلّ عقد التكة باليد الأخرى وهي تضطرب تحتي كالسمكة في يد الصياد وهي تقول: المستغاث بك يا الله، المستغاث بك يا علي بن أبي طالب، خلصني من يد هذا الظالم. قال: فوالله ما استتم كلامها إلاَّ وأحسست حافر فرس خلفي، فقلت في نفسي: هذا فارس واحد وأنا أقوى منه، وكانت عليَّ قوة زائدة وكنت لا أهاب الرجال قليلاً أو كثيراً. فلما دنا مني فإذا عليه ثياب بيض وتحته فرس أشهب تفوح منه رائحة المسك، فقال لي: يا ويلك خلي المرأة، فقلت له: اذهب لشأنك فأنت نجوت بنفسك وتريد تنجي غيرك؟ قال: فغضب من قولي ونفحني بذبال سيفه بشيء قليل فوقعت مغشياً عليَّ لا أدري أنا في الأرض أو في غيرها وانعقد لساني وذهبت قوتي لكني أسمع الصوت وأعي الكلام، فقال لهما: قوما البسا ثيابكما وخذا حليكما وانصرفا لشأنكما. فقالت العجوز: فمن أنت يرحمك الله؟ وقد منَّ الله علينا بك وإني أريد أن توصلنا إلى زيارة سيدنا علي بن أبي طالب، قال: فتبسم في وجوههما وقال لهما: أنا علي ابن أبي طالب، ارجعا إلى أهلكما فقد قبلت زيارتكما. قال: فقامت العجوز والصبية وقبَّلا يديه ورجليه وانصرفا في سرور وعافية. قال الرجل: فأفقت من غشوتي وانطلق لساني فقلت له: يا سيدي أنا تائب إلى الله على يدك وإني لا عدت أدخل معصية أبداً. فقال: إن تبت تاب الله عليك، فقلت له: تبت والله على ما أقول شهيد. ثم قلت له: يا سيدي إن تركتني في هذه الضربة هلكت بلا شك. قال: فرجع إليَّ وأخذ بيده قبضة من تراب ثم وضعها على الضربة ومسح بيده الشريفة عليها فالتحمت بقدرة الله تعالى. قال زيد النساج: فقلت له: كيف التحمت وهذا حالها؟ فقال لي: والله إنها كانت ضربة مهولة أعظم مما تراه الآن ولكنها بقيت موعظة لمن يسمع ويرى، ولا شك أن علياً والأئمة عليهم السلام أحياء عند ربهم يُرزقون.

بني الوحي والآيات يا مَن مديحهم ... علوت به قدراً وطبت به ذكرا
مهابط سر الله خزّان علمه ... وأعلى الورى فخراً وأرفعهم قدرا
ركائب آمالي إليكم حثثتها ... فلا أرتجي في الناس زيداً ولا عمرا
ومن ذا الذي أضحى بربع نداكم ... نزلاً فما أبدلتم عسره يسرا

عن ابن عباس وأبي رافع قالا: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ هبط جبرائيل ومعه جام من البلور الأحمر مملوء مسكاً وعنبراً، فقال له: السلام عليك، الرب يقرؤك السلام ويحييك بهذه التحية ويأمرك أن تحيي بها علياً وولديه. فلما صارت في كف النبي ﷺ هلّلت ثلاثاً وكبّرت ثلاثاً ثم قالت بلسان ذرب: «بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾[1]»، فشمها النبي ﷺ ثم حيا بها علياً فلما صارت في كف علي قالت: «بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: الآية 55] ـ إلى قوله: ـ ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾»[2]، فاشتمها علي عليه السلام وحيا بها الحسن، فلما صارت في كف الحسن قالت: «بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾[3]»، فاشتمها الحسن وحيا بها الحسين عليه السلام، فلما صارت في كف الحسين قالت: «بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[4]»، ثم رجعت إلى النبي ﷺ فقالت: «بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5]»، فلم ندري صعدت في السماء أم نزلت في الأرض بقدرة الله تعالى.

وهل هذا يا إخواني إلاّ من بعض كراماتهم وفضائلهم؟ ونكاتهم الآيات الباهرة والمعجزات بيّنة ظاهرة، وساداتنا هم والله شعفاء المذنبين في الآخرة.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[6]:

لمصاب الكريم زاد شجوني ... فاعذلوني أو إذا شئتموا فاعذروني
كيف لا أندب الكريم بجفن ... مقرَّح بالبكا وقلب حنيني
وقليل إن سحَّ من غير عين ... دمع عيني من ذاريات جفوني

---

(1) سورة طه: الآيتان 1 – 2.
(2) سورة المائدة: الآية 55.
(3) سورة النبأ: الآيتان 1 – 2.
(4) سورة الشورى: الآية 23.
(5) سورة النور: الآية 35.
(6) القصيدة للشيخ حسن النجفي رحمه الله تعالى.

يا لها من محاجر هاميات بخلت وابل الغمام الهتوني
وجفون إن أصبح الماء غوراً من بكاها جاءت بماء معين
لقتيل بكت له الجن والإنس وسكان سهلها والحزون
لهف قلبي عليه وهو جديل فوق وجه الصعيد دامي الجبين
يتلظى من الصدى وعلى الخد جواري عيونه كالعيون
لهف قلبي لثغره وهو يفتر نظاماً كاللؤلؤ المكنون
قد علاه قضيب كف يزيد الباغي الطاغي الظلوم الخؤون
لست أنساه بالطفوف فريداً منشداً من لواعج وشجون
ليت شعري لأي ذنب ويا ليت على أي بدعة يقتلوني
إن يكن قد جهلتموا الفضل منا فاسألوا محكم الكتاب المبين
والدي أشرف الورى بعد جدي وأخي أصل كل فضل ودين
والبتول الزهراء أمي وعمي ذو الجناحين صاحب التمكين
وينادي يا أم كلثوم قومي قبل تفريق شملنا ودّعيني
واذرفي دمعك المصون على الخد ونوحي عليَّ ثم اندبيني
وإذا ما رأيت مقتول ظلم منعوه عن حقه فاذكريني
لهف قلبي لزينب وهي تبكي وتنادي من قلبها المحزون
يا أخي يا مؤملي يا رجائي يا مناي يا مسعدي يا معيني
كنت أمناً للخائفين ويُمناً للبرايا في كل وقت وحين
بم تشدي من خاطري مستهام موثق بالأسى وقلب رهين
يا هلالاً لما استتمَّ ضياءاً غيَّبته بالطف أيدي المنون
ليت عينيك يا شقيقي ترانا حاسرات من بعد خدر وصون
سافرات الوجوه متهتكات بين عبد باغ ووغد لعين
آل طٰه يا مَن بهم يغفر الله ذنوبي وما جنته يميني
وأماني في يوم بعثي وأمني عند خوفي من كل خطب وضيني
أنتم قبلتي وحجتي وفرضي وصلاتي وأصل نسكي ودِيني
من تمسك بكم وأمَّ إليكم قد نجا والتجا بصحن حصين

لا أبالي وإن تعاظم ذنبي يوم بعثي لكن يقيني يقيني
كل عزي بين الأنام وفخري يوم حشري بأنكم تقبلوني
بعتكم مهجتي بعد صحيح عن تراضٍ ولست بالمغبون
أنا منكم لكم بكم وإليكم فرط وجدي وذا حنين أنيني
قد بذلت المجهود بالمدح مني حسب جهدي ولم أكن بضنين
ذكركم لم يزل جليسي أنيسي مسعفي عند حركتي وسكوني
أنتم لا سواكم وإليكم لا إلى غيركم تُساق ظعوني
لا أبالي إذا حظيت لديكم قربوني الأنام أو أبعدوني
سوف أصفيكم الوداد بقلب ولسان كالصارم المسنوني
وإذا ما قضيت بحبي ستبقى بعد مودتي مدائحي وفنوني
وإليكم من عبدكم حسن النجفي قصيداً تزهو كدر ثمين
بكر نظم لها القبول صداق فاقبلوها يا سادتي وارحموني
وعليكم من الإلٰه صلاة كلما ناح طائر في الغصون

* * *

المجلس التاسع

من الجزء الثاني، في الليلة العاشرة من المحرم، وفيه ابتداء مصرع الحسين عليه السلام

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

أما بعد أيها المؤمنون، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله تعالى لخاصته وأوليائه وأحبائه وخلصائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديث بالصغار وضرب على قلبه بالإسهاب، وأديل الحق بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومنع النصف، ألا وإن من أهَّله الله لذلك، الشهداء من الأنصار والأقرباء، فإنهم لما علموا أنهم لا ينالون لبس الخلعة السنية إلا بخلع الحياة وركوب المنية، وأنهم لا يعلون إلى مطلوبهم إلا ببذل النفوس في طاعة محبوبهم، وتيقنوا أنها المرتبة العالية والبيعة الراجحة الغالية، وبذلوا الأرواح يوم الكفاح، وأتلفوا الأجساد يوم الجلاد، والأبدان يوم الطعام، فلو شاهدت كل واحد منهم يوم الطفوف وهو يبادر إلى طعن الرماح وضرب السيوف، لرأيت الأمر العظيم والخطيب الجسيم، ولمثل هذا فليعمل العاملون ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[1]:

يلقي الرماح بنحره فكأنها ... في قلبه عود من الريحان

ويرى السيوف وصوت وقع حديدها ... عرساً يجليها عليه غواني

فيا لها من منية حصلوها وفضيلة أحرزوها فاقوا بها الأولين والآخرين في رضى مولاهم الحسين ابن أمير المؤمنين، ولعمري أنه جهاد أعظم من جهاد أنصار الإمام أبي عبد الله عليه السلام، أذن لهم في ترك القتال وقال: اذهبوا في هذا الليل بمن معي من الآل فأنا بغية هؤلاء الأرجاس وقتلي مرادهم دون الناس، فأبوا واختاروا الموت على الحياة في طاعته، والفناء لإجابته. ولله در من قال فيهم:

جادوا بأنفسهم في حب سيدهم ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

---

(1) سورة المطففين: الآية 26.

فلو رأيتهم وقد أقبلوا على القتال، يجالدون بالسيوف في حومة النزال، يستبشرون بذهاب الأعمار لما كشف عن أبصارهم فشاهدوا الجنة والنار. ولله در بعض مادحيهم حيث نظم وقال فيهم:

قوم إذا نودوا لدفع ملمة ... والقوم بين مدعس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا ... يتهافتون على ذهاب الأنفس

وقوا بنفوسهم نفوس الطاهرين البررة حتى أُبيدوا عن آخرهم بأيدي الطغاة الفجرة، فكم يومئذ من كبد مقروحة، ودمعة مسفوحة، ومن لاطمة خدها، ونادبة جدها، ومنشور شعرها، ومهتوك سترها، وكم من مريض يئنُّ، وثاكلة تحنُّ، وكم من كريم على رأس السنان، وشريف يُسام الخسف والهوان، وكم من طفل مذبوح ودم لآل رسول الله مسفوح، وكم من أكباد محترقة من الظماء وأجساد مرملة بالدماء، وربات خدر بارزات ومغلولات حاسرات، فوا عجباه بما حلَّ بالآل من اللئام الكفرة الأنذال:

وجرع كأس الموت بالطف أنفس ... كرام وكانوا للرسول ودائعا
وبُذِّل سعد التم من آل هاشم ... بنحس وكانوا كالبدور طوالعا

وقال آخر:

أُديرت كؤوس للمنايا عليهم ... فأعفوا عن الدنيا كإعفاء ذي السكر
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه ... وأرواحهم في الحجب نحو العلى تسري
فما عرَّسوا إلاَّ بقرب حبيبهم ... وما عرَّجوا من مس بؤس ولا ضر

روي عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كنت عند رسول الله ﷺ جالساً إذ أقبل الحسن عليه السلام، فلما رآه بكى وقال: إليَّ إليَّ، فأجلسه على فخذه اليمنى. ثم أقبل الحسين عليه السلام فلما رآه بكى وقال مثل ذلك، وأجلسه على فخذه اليسرى، ثم أقبلت فاطمة عليها السلام فلما رآها بكى وقال مثل ذلك وأجلسها بين يديه، ثم أقبل علي عليه السلام فرآه فبكى وقال مثل ذلك فأجلسه إلى جانبه الأيمن، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى واحداً من هؤلاء إلا وبكيت له وما فيهم إلا من تُسر برؤيته؟ فقال: والذي بعثني بالنبوَّة واصطفاني بالرسالة على جميع البرية ما على وجه الأرض نسمة أحب إليَّ منهم، وإنما بكيت لما يحل بهم بعدي، وذكرت ما يُصنع بولدي هذا الحسين، فكأني به وقد استجار بحَرَمي وقبري فلا يُجار فيرتحل إلى أرض مقتله ومصرعه، أرض كربلاء، تنصره عصابة من المسلمين أولئك سادات شهداء أمتي يوم القيامة، كأني أنظر إليه وقد رُمي بسهم فخرّ عن سرجه طريحاً ثم يُذبح كما يُذبح الكبش مظلوماً، ثم انتحب وبكى

وأبكى من كان حوله وارتفعت أصواتهم بالضجيج، ثم قام وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ما يلقى أهل بيتي من بعدي.

وفي بعض الأخبار: أن الحسين دخل على أخيه الحسن، فلما نظر إليه فبكى فقال: ما يبكيك يا أبا عبد الله الحسين؟ فقال: بلى لما يصنع بك، فقال الحسن: أنا الذي يؤتى إليَّ بالسم فأقتل به ولكن لا يوم كيومك يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاك رحلك وثقلك، فعندها تحل على أمية اللعنة وتمطر السماء دماً ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار.

فيا إخواني، تساعدوا على النياحة والعويل، واسكبوا عبراتكم على الغريب القتيل الذي اهتزَّ لمصابه عرش الجليل، ولئن حجبتكم عن نصرتهم الأقدار على ما يشاء القادر المختار، فلا عذر لكم عن لبس جلابيب العزاء وإظهار شعار الحزن والبكاء، وهو من أقل القليل في هذا القبيل:

يا سادة شُرِّف الكتاب بما حوى ... فيهم من الإجلال والإعظام
يا مَن إذا ذكر اللبيب مصابهم ... هانت عليه مصائب الأيام
قسماً بمن فرض الولاء على الورى ... لكم وذلك أعظم الإقسام
ما أطمع الأرجاس فيما أبدعوا ... فيكم وجرّأهم على الإقدام
إلا الذين تعاقدوا أن ينقضوا ... ما أحكم الهادي من الإبرام

روي أنه لما قبض الحسن عليه السلام، اجتمع نفر من أهل الكوفة في دار رجل منهم وكتبوا إلى الحسين كتاباً يعزونه في أخيه ويذكرون فيه: إنَّا شيعتك والمصابون لمصيبتك والمحزونون لحزنك والمنتظرون لأمرك، شرح الله صدرك وغفر ذنبك ورفع ذكرك وأعلا قدرك ورد عليك حقك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وصار الناس يقولون: إن هلك معاوية يكن الأمر للحسين عليه السلام، فبلغ ذلك معاوية فبعث يستعتب الحسين بكلام يذكر فيه: أما بعد، فقد بلغني عنك أمور وأسباب وأظنها باطلة فلا تسمعني إلى قطيعتك يا أبا عبد الله، فمتى أكرمتني أكرمتك ومتى أهنتي أهنتك، فلا تشق عصا هذه الأمة، فقد جربتهم وبلوتهم وأبوك من قبلك كان أفضل منك وقد أفسدوا عليه رأيه، وإياك تسمع كلام السفهاء الذين لا يعلمون بعواقب الأمور.

فكتب الحسين عليه السلام كتاباً إليه يعتذر فيه إلى أن دنا من معاوية الموت أوصى إلى ابنه يزيد، وكان غائباً، وكتب له كتاباً يذكر فيه: اعلم يا بني إني قد وطأت لك البلاد

وذلّلت لك الرقاب الشداد، ولست أخشى عليك إلا من أربعة أنفر فإنهم لا يبايعونك على هذا الأمر. وذكر منهم الحسين، ودفع الكتاب إلى الضحاك بن قيس وأمره أن يوصله إلى يزيد عند قدومه من غيبته. ثم أن معاوية قضى نحبه. فأرسل الضحاك إلى يزيد رسولاً يخبره بموت أبيه، فجزع جزعاً عظيماً وبقي أياماً لا يخرج من داره، فلما خرج بعد ذلك جاء الناس يعزونه ويهنونه، وكان من جملتهم الضحاك بن قيس، فدفع إليه الوصية، فلما فضها وقرأها بكى حتى غشى عليه، فلما أفاق خرج فرقى المنبر وخطبهم خطبة يذكر فيها موت أبيه وأنه ولاّه الأمر من بعده. ثم نزل عن المنبر وكتب إلى الوليد بن عتبة، وكان يومئذ والياً على المدينة، كتاباً يأمره أن يأخذ البيعة على أهلها، وبعث إلى عمر بن سعيد بالري وأمره أن يأخذ البيعة على أهلها، ونفذ إلى جميع الأمصار بذلك فبايعوه إلا أهل الكوفة والمدينة.

وكان فيما بعث إلى الوليد يقول: خذ لنا البيعة على من قبلك عامة وعلى هؤلاء الأربعة أنفر خاصة وهم: عبد الرحمٰن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي. فمن لم يبايعك منهم فانفذ إليَّ برأسه. فلما قرأ الكتاب بعث إلى مروان بن الحكم، وكان قد جفاه من أجل الإمارة لأنه كان والياً من قبله على المدينة، فلما دخل عليه قرّبه وأدناه وقرأ عليه الكتاب، فقال له مروان: الرأي أن ترسل إلى هؤلاء الأربعة وتدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فإن أبوا فاضرب أعناقهم. فأرسل في طلبهم فقالوا للرسول انصرف، فأقبل عبد الله بن الزبير على الحسين عليه السلام وقال: يا ابن رسول الله أتدري ما يريد الوليد منا؟ قال: نعم، اعلموا أنه قد مات معاوية وتولى الأمر من بعده ابنه يزيد وقد وجّه الوليد في طلبكم ليأخذ البيعة عليكم، فما أنتم قائلون؟ فقال عبد الرحمٰن: أما أنا فأدخل بيتي وأغلق بابي ولا أبايعه. وقال عبد الله ابن عمر: أما أنا فعليّ بقراءة القرآن ولزوم المحراب. وقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فما كنت بالذي أبايع يزيد. وقال الحسين عليه السلام: أما أنا فأجمع فتياني وأتركهم بفناء الدار وأدخل على الوليد وأناظره وأطالب بحقي. فقال له عبد الله بن الزبير: إني أخاف عليك منه، قال: لست آتيه إلاّ وأنا قادر على الامتناع منه إنشاء الله تعالى.

ثم أنه عليه السلام نهض إلى منزله فأرسل إلى أهله وشيعته ومواليه فأقبلوا إليه، فأتى إلى دار الوليد وقال لهم: إني داخل على هذا الرجل فإن سمعتم صوتي فاهجموا عليه وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم. ثم دخل على الوليد فقرّبه وأدناه وأراه الكتاب ودعاه إلى البيعة، فقال الحسين عليه السلام: إنّا لله وإنا إليه راجعون، إنها مصيبة عظيمة ولنا بها

شغل عن البيعة. فقال الحسين: إن مثلي لا يبايع خلف الأبواب سراً دون الجهر، ولكن إذا خرجت ودعوت الناس كنت أول من بايع. فقال: انصرف يا أبا عبد الله وائتنا غداً مع الناس، فقال مروان: احذر أن يخرج حتى يبايعك أو تضرب عنقه، فلما سمعه الحسين وثب قائماً وقال: يا ابن الزرقاء أنت تقتلني أم هؤلاء لا أم لك يا ابن اللخناء، والله لقد أهجت عليك وعلى صاحبك مني حرباً طويلاً، ثم خرج. فقال مروان للوليد: عصيتني والله لا قدرت على مثلها أبداً، فقال له الوليد: ويحك لقد اخترت لي ما فيه هلاكي وهلاك ذريتي فوالله ما أحب أن يكون لي ملك الدنيا وأنا مطالب بدم الحسين وأن كل امرىء يكون مطالباً بدمه لخفيف الميزان يوم القيامة، فقال له مروان: مثلك ينبغي أن يكون سائحاً في البراري والقفار لا أن يكون أميراً!. ثم أن الوليد أرسل إلى الحسين عليه السلام رسلاً بالليل وقال لهم: لا ترجعوا إلا به. فساروا إليه مستعدين لذلك فوجدوه قد طلع يريد مكة بأهله وبني عمه إلا محمد بن الحنفية.

فيا حر قلبي تزايدي، ويا نار وجدي توقدي، ويا فؤادي القريح من الحزن والكآبة لا تستريح. ولله در من قال من الرجال:

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بد أن تَرِدَ القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ

روي عن بعض نقلة الآثار: أنه لما أراد الحسين عليه السلام الخروج إلى مكة قال له محمد بن الحنفية: يا أخي إني خائف عليك أن تأتي مصراً من هذه الأمصار فيختلفون عليك فتكون قتيلاً بينهم ويذهب دمك وتهتك حرمك، قال له الحسين: إني أقصد مكة فإن اطمأنت بي البلاد أقمت بها وإن كانت الأخرى لحقت بالرمال والشعاب حتى ننظر ما يكون. ثم أتى قبر جده رسول الله ﷺ والتزمه وبكى بكاءاً شديداً وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد خرجت من جوارك كرهاً وقد فُرِّق بيني وبينك حيث أني لم أبايع ليزيد بن معاوية شارب الخمور وراكب الفجور، وها أنا خارج من جوارك على الكراهة، فعليك مني السلام.

ثم أخذته النعسة، فرأى في منامه رسول الله ﷺ وإذا هو قد ضمه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه وقال: حبيبي يا حسين كأني أراك عن قليل مرملاً بدمائك مذبوحاً بأرض كرب وبلا بين عصابة من أمتي وأنت في ذلك عطشان ولا تسقى، وظمآن ولا تروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، فما لهم عند الله من خلاف، حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا عليَّ وهم إليك مشتاقون إن لك

في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة. قال: فجعل الحسين عليه السلام في منامه ينظر إلى جده ويسمع كلامه وهو يقول: يا جداه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا فخذني إليك وادخلني معك إلى قبرك. فقال النبي ﷺ: يا حسين أنه لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى تُرزق الشهادة وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك وأخاك وعمك وعم أبيك تحشرون في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة.

قال: فانتبه الحسين عليه السلام من نومه فزعاً مرعوباً، فقص رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب فلم يكن في ذلك اليوم في شرق ولا غرب قوم أشد غمّاً من أهل البيت ولا أكثر باكية ولا باكٍ.

قال: وتهيأ الحسين وعزم على الخروج ودعا بمحمد بن الحنفية وقال له: يا أخي إني عازم على الخروج إلى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم ولا تخفي عليَّ شيئاً من أمورهم.

قال: ثم دعا الحسين عليه السلام لأخيه بدواة وبياض، فكتب: هذه وصية الحسين لأخيه محمد، بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية: أن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد، وسيرة علي بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، فمن قبلني بقول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد على هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق ويحكم بيني وبينهم وهو خير الحاكمين. هذه وصيتي إليك يا أخي وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

ثم طوى الحسين كتابه وختمه بخاتمه ودفعه إلى أخيه محمد بن الحنفية ثم ودَّعه وخرج في جوف الليل يريد مكة في جمع من أهل بيته، وذلك لثلاث ليال مضين من شعبان سنة ستين من الهجرة. فلزم الطريق الأعظم، فجعل يسير وهو يتلو هذه الآية: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وعن سكينة بنت الحسين عليها السلام قالت: لما خرجنا من المدينة ما كان أحد

(1) سورة القصص: الآية 21.

أشد خوفاً منا أهل البيت. ثم أن الحسين ركب الجادة، فقال له ابن عمه مسلم بن عقيل: يا ابن رسول الله لو عدلنا عن الطريق وسلكنا غير الجادة كما فعل عبد الله بن الزبير كان عندي الرأي فإنّا نخاف أن يلحقنا الطلب، فقال له الحسين عليه السلام: لا والله يا ابن العم لا فارقت هذا الطريق أبداً أو أنظر إلى أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى. قال: فسار الحسين عليه السلام وهو يقول:

إذا المرء لم يحمِّ بنيه وعرسه ... ونسوته كان اللئيم المسببا
وفي دون ما يبغي يزيد بنا غداً ... نخوض حياض الموت شرقاً ومغربا
ويضرب ضرباً كالحريق مقدماً ... إذا ما رآه ضيغم راح هاربا

قال: فبينما الحسين كذلك بين مكة والمدينة إذ استقبله عبد الله بن مطيع العدوي فقال له: أين تريد يا أبا عبد الله جعلني الله فداك؟ فقال: أما في وقتي هذا فإني أريد مكة فإذا سرت فيها استخرت الله في أمري، فقال له عبد الله: خار الله لك يا ابن رسول الله فيما عزمت عليه غير أني أشير عليك مشورة فاقبلها مني، فقال الحسين: وما هي يا ابن مطيع؟ فقال: إذا أتيت مكة فاحذر أن يغرك أهل الكوفة، فيها قتل أبوك وأخوك بطعنة طعنوه كادت أن تأتي على نفسه، فالزم الحرم فأنت سيد العرب في دهرك هذا، فوالله لئن هلكت ليهلكن أهل بيتك بهلاكك والسلام. فودعه الحسين ودعا له بالخير وسار حتى وافى مكة، فلما نظر إلى جبالها من بعيد جعل يتلو هذه الآية: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

قال: فلما قدم الحسين إلى مكة قال: اللهم خر لي وقرّ عيني واهدني سواء السبيل. ثم دخل مكة وجعل الناس يترددون إليه ولا ينقطعون عنه، فلما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية امتنعوا من البيعة ليزيد فاجتمعوا وكتبوا إلى الحسين كتاباً يقولون فيه: أقدم إلينا يكون لك ما لنا وعليك ما علينا فلعل الله يجمع بيننا وبينك على الهدى ودين الحق. ورغّبوه في القدوم إليهم، إلى أن قالوا: فإن لم تقدر على الوصول إلينا فأنفذ إلينا برجل يحكم فينا بحكم الله ورسوله. وكتبوا بهذا المعنى كتباً كثيرة.

فلما وقف الحسين على الكتب وقرأ ما فيها سألهم عن أمور الناس وكتب إليهم كتاباً يذكر فيه: إني قد أنفذت إليكم أخي وابن عمي والمفضل عندي مسلم بن عقيل بن أبي طالب، فاسمعوا له وأطيعوا رأيه وقد أمرته باللطف فيكم وأن ينفذ إليّ بحسن رأيكم وما أنتم عليه، وأنا أقدم عليكم إنشاء الله. ثم دعا بمسلم فأنفذه مع دليلين يدلانه على

(1) سورة القصص: الآية 22.

الطريق. فلما صار أثناء الطريق ضلّ الدليلان عن الطريق ومات أحدهما عطشاً، فنظر مسلم مما هو متوجه إليه، فبعث إلى الحسين يخبره بذلك ويستعفيه عن المسير إلى الكوفة، فبعث إليه الحسين يأمره بالمسير إلى ما أمره به. فسار من وقته وساعته إلى أن قدم الكوفة فدخلها ليلاً فنزل في دار المختار بن أبي عبيدة، ثم صار الناس يختلفون إليه، فأقرأهم كتاب الحسين عليه السلام، فمنهم من تداخل السرور عليه، فاجتمعوا عليه وبايعوه حتى نقل أنه بايعه في ذلك اليوم ثمانية عشر ألف رجل.

فكتب مسلم إلى الحسين كتاباً بمبايعة أهل الكوفة وإنك تعجل الإقبال إلينا. فبلغ الخبر إلى النعمان بن بشير، وكان هو خليفة يزيد بن معاوية، فصعد المنبر خطيباً، فقال في خطبته: احذروا مخالفة الخليفة يزيد وأي رجل أصبح مخالفاً لقولي لأضربن عنقه. ثم أن رجلاً من القوم يقال له عبد الله الحضرمي استضعف رأي النعمان وبعث كتاباً إلى يزيد يذكر فيه اجتماع الناس على مسلم بن عقيل وأنه يبعث إلى الكوفة رجلاً أقوى رأياً من النعمان. فلما قرأ يزيد الكتاب أنفذ إلى الكوفة عمر بن سعد، لعنه الله تعالى، وكتب إلى عبيد الله بن زياد، وكان في البصرة، كتاباً يستنهضه على الرحيل إلى الكوفة ولا يدع من نسل علي أحداً إلا قتله. فلما قرأ الكتاب تجهّز للمسير إلى الكوفة مجدّاً في مسيره، فلما وصل الكوفة دخلها وهو متلثم وبيده قضيب خيزران وأصحابه من حوله فجعل لا يمر بملأ إلاّ وسلم عليهم بالقضيب والناس يردون عليه السلام ويزعمون أنه الحسين لأنهم كانوا يتوقعون قدومه. فلما قرب من قصر الإمارة قال لهم مسلم الباهلي: يا ويلكم هذا الأمير ابن زياد وليس هو طلبتكم، فأسفر ابن زياد عن لثامه وقال للنعمان وهو في أعلا القصر: يا نعمان حفظت نفسك وضيعت مصرك، ثم نادى بالناس، فرقى المنبر فخطب خطبة ذكر فيها: إن الخليفة يزيد قد ولاني مصركم هذا، وقد أوصاني بالإحسان إلى محسنكم والتجاوز عن مسيئكم، وأنا مطيع أمره فيكم. فلما نزل من المنبر جعل الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقولون: ما لنا والدخول بين السلاطين، فنقضوا بيعة الحسين وبايعوا عبيد الله ابن زياد.

قيل: وكان ذلك يوم الجمعة، وكان مسلم بن عقيل موعوكاً لم يقدر على الحضور للاجتماع. فلما كان وقت صلاة العصر خرج إلى الجامع فأذّن وأقام الصلاة وصلى وحده ولم يصلّ معه أحد من أهل الكوفة، فخرج فرأى رجل فقال له: ماذا فعل أهل مصركم؟ قال: يا سيدي نقضوا بيعة الحسين وبايعوا يزيد. فصفق بيده وجعل يخترق السكك والمحال هارباً حتى بلغ إلى محلة بني خزيمة فرأى باباً شاهقة في الهواء وجعل ينظر

إليها، فخرجت جارية فقال لها: يا جارية لمن هذه الدار؟ قالت: لهاني بن عروة، فقال لها: ادخلي فقولي إن رجلاً من أهل البيت واقف بالباب فإن قال ما اسمه فقولي مسلم بن عقيل. فدخلت الجارية ثم خرجت إليه وقالت له: ادخل، وكان هاني يومئذ عليلاً فنهض ليعتنقه فلم يطق. وجعلا يتحادثان إلى أن وصلا إلى ذكر عبيد الله بن زياد، فقال هاني: يا أخي إنه صديقي وسيبلغه مرضي فإذا أقبل إليَّ يعودني خذ هذا السيف واحذر أن يفوتك والعلامة بيني وبينك أن أقلع عمامتي عن رأسي فإذا رأيت ذلك فاخرج لقتله. قال مسلم: أفعل إن شاء الله.

ثم أن هاني أرسل إلى ابن زياد يستجفيه فبعث إليه معتذراً: إني رائح العشية. فلما صلى ابن زياد العشاء خرج يعود هانياً، فلما وصل استأذن للدخول فقال هاني: يا جارية ادفعي هذا السيف إلى مسلم بن عقيل، فدفعته إليه ودخل عبيد الله بن زياد ومعه حاجبه وجعل يحادثه ويسأله عن حاله وهو يشكو إليه ألمه ويستبطي مسلماً في خروجه، فقلع عمامته عن رأسه وتركها على الأرض ثم رفعها ثلاث مرات ثم رفع صوته بشعر أنشده كل ذلك يريد به إشعار مسلم وإعلامه. فلما كثرت الحركات والإشارات من هاني أنكر عليه ابن زياد فنهض هارباً وركب جواده وانصرف.

فلما خرج، خرج مسلم من المخدع فقال له هاني: يا سبحان الله ما منعك من قتله؟ قال: منعني كلام سمعته من أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لا إيمان لمن قتل مسلماً، فقال له هاني: والله لو قتلته لقتلت فاجراً كافراً.

ثم أن ابن زياد بعث في طلب مسلم وبذل على ذلك الجوائز والعطايا الخطيرة، وكان ممن رغب في ذلك العطاء مولى لابن زياد يقال له: معقل، فخرج يدور الكوفة ويتحيل على الاستطلاع على خبر مسلم إلى أن وقع على خبره أنه عند هاني، أرشده عليه رجل يقال له: مسلم بن عوسجة، قال له: إني ثقة من ثقاته وعندي كتمان أمره وقد أحببت أن ألقاه لأبايعه، وحلف لذلك الرجل بالأيمان المؤكدة على ذلك. فلما أدخله على مسلم وهاني أخذ أخبارهما على الحقيقة وأوصلهما إلى ابن زياد، فبعث ابن زياد في طلب هاني، فلما وصل إليه وسلم عليه أعرض عنه ولم يرد عليه جواباً، فأنكر هاني أمره فقال: لماذا أصلح الله الأمير؟ فقال: يا هاني أخبيت مسلماً وأدخلته دارك وجمعت له الرجال والسلاح وظننت أن ذاك يخفى عليّ. فقال هاني: معاذ الله أيها الأمير ما فعلت ذلك، فقال: بلى قد فعلته، فقال هاني: الذي بلغك عني باطل، فقال ابن زياد: يا معقل أخرج عليه وكذِّبه، فخرج معقل وقال: يا هاني أما تعرفني؟ فقال: نعم أعرفك فاجراً غادراً، ثم

أنه علم أنه كان عيناً لابن زياد. فقال له ابن زياد: يا هاني آتني بمسلم وإلا فرقت بين رأسك وجسدك، فغضب من قوله وقال: إنك لا تقدر على ذلك أو تهرق بنو مذحج دمك، فغضب ابن زياد فضرب وجهه بقضيب كان عنده فضربه هاني بسيف كان عنده فقطع أطماره وجرحه جرحاً منكراً فاعترضه معقل لعنه الله فقطع وجهه بالسيف، فجعل هاني يضرب بهم يميناً وشمالاً حتى قتل من القوم رجالاً وهو يقول: والله لو كانت رجلي على طفل من أطفال أهل البيت ما رفعتها حتى تُقطع. حتى تكاثر عليه الرجال فأخذوه وأوثقوه كتافاً وأوقفوه بين يدي ابن زياد، وكان بيده عمود من حديد فضربه به فقتله رحمة الله عليه وعذّب قاتله وأصلاه جهنم وبئس المصير. ولله در من قال:

سأصبر حتى تنجلي كل غمة ... وتأتي بما تختار نفسي من البشائر
وإني لبئس العبد إن كنت آيساً ... من الله إن دارت عليَّ الدوائر

قال الناقلون: لما وصل خبر هاني إلى مسلم خرج من الدار هارباً حتى انتهى إلى الحيرة فأضافته امرأة هناك بعدما سألته عن حاله وقصته. فلما أدخلته الدار أكرمته وقدمت إليه المأكول فأبى عن ذلك لما به من الوجل والألم، فلما أمسى المساء أقبل ولد المرأة إلى الدار وكان من أتباع ابن زياد فنظر إلى أمه رآها تكثر الدخول والخروج إلى ذلك المكان فأنكر شأنها وسألها عن ذلك فنهرته، فألح عليها في المسألة فأخذت عليه العهد فأخبرته، فأمسك عنها وأسر ذلك في نفسه إلى أن طلع الفجر، وإذا بالمرأة قد جاءت إلى مسلم بماء ليتوضأ وقالت له: يا مولاي ما رأيتك رقدت في هذه الليلة، فقال لها: اعلمي إني رقدت رقدة فرأيت في منامي عمي أمير المؤمنين وهو يقول: الوحاء الوحاء العَجَل، العَجَل، وما أظن إلاّ أنه آخر أيامي من الدنيا.

يا طالب الصفوة في الدنيا بلا كدر ... طلبت معسرة فآيس من الظفر
واعلم بأنك ما عمرت ممتحن ... بالخير والشر والإيسار والعسر
في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة ... ومن يفرّ فلا ينجو من القدر

ثم أن ولد المرأة لما حقق الخبر عن مسلم مضى إلى اللعين ابن زياد فأخبره بخبر مسلم، ثم أن ابن زياد دعا بمحمد بن الأشعث الكندي وضم إليه ألف فارس وخمسمائة راجل وأمرهم بالانطلاق إلى مسلم، فسار ابن الأشعث حتى وصل الدار، ولما سمعت المرأة صهيل الخيل وقعقعة اللجم أقبلت إلى مسلم وأخبرته بذلك فلبس درعه وشد وسطه وجعل يدير عينيه، فقالت المرأة: ما لي أراك تهيأت للموت؟ فقال: ما طلبة القوم غيري، وأنا أخاف أن يهجموا عليَّ في الدار ولا يكون لي فسحة ولا مجال. ثم أنه عمد إلى

الباب وخرج إلى القوم فقاتلهم قتالاً عظيماً حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، فلما نظر ابن الأشعث إلى ذلك أنفذ إلى ابن زياد يستمده بالخيل والرجال فأنفذ إليه ابن زياد يقول: ثكلتك أمك رجل واحد يقتل منكم هذه المقتلة العظيمة؟ فكيف لو أرسلتك إلى من هو أشد منه قوة وبأساً؟ ـ يعني الحسين ـ. فبعث إليه الجواب: عساك أرسلتني إلى بقال من بقاقيل الكوفة أو إلى جرمقان من جرامقة الكوفة، وإنما أرسلتني إلى سيف من أسياد محمد ابن عبد الله. فلما بلغ ذلك ابن زياد أمده بالعسكر الكثير، فلما رأى مسلم ذلك رجع إلى الدار وتهيأ وحمل عليهم حتى قتل كثيراً منهم وصار جلده كالقنفذ من كثرة النبل، فبعث إلى ابن زياد يستمده بالجند والرجال فأرسل إليه بذلك وقال لهم: يا ويلكم أعطوه الأمان وإلا أفناكم عن آخركم، فنادوه بالأمان فقال لهم: لا أمان لكم يا أعداء الله وأعداء رسوله. ثم حمل عليهم فقاتلهم، ثم أنهم احتالوا عليه وحفروا له حفرة عميقة في وسط الطريق وأخفوا رأسها بالدغل والتراب ثم انطردوا بين يديه فوقع بتلك الحفرة وأحاطوا به، فضربه ابن الأشعث على محاسن وجهه فلعب السيف في عرنين أنفه ومحاجر عينيه حتى بقيت أضراسه تلعب في فمه فأوثقوه وأخذوه أسيراً إلى ابن زياد. فنظر مسلم إلى برادة هناك فيها ماء، وكان له يومان ما شرب الماء، فقال لمن يليها: اسقني ماء والجزاء على الله تعالى وعلى رسوله، فرفع إليه البرادة، فلما تناولها منه ردها إليه وقال: خذها لا حاجة لي فيها. ثم أدخلوه إلى ابن زياد فقال له القوم: سلم على الأمير، فقال: السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى. فضحك ابن زياد، فقال له بعض الحجبة: أما ترى الأمير يضحك في وجهك فلم لا تسلم عليه بالإمارة؟ فقال مسلم: والله ما لي أمير غير الحسين بن علي عليه السلام وإنما يسلم عليه بالإمارة من يخاف منه الموت. ولله در من قال من الرجال:

أصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلّد
وإذا ذكرت مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصيبة آل بيت محمد
واصبر كما صبر الكرام فإنها ... نوب تنوب إليكم تكشف في غد

ثم أن ابن زياد قال له: سواء عليك سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول، فقال: إذا كان لا بد من قتلي فلي إليكم حاجة، قالوا: وما هي؟ قال: أريد رجلاً قرشياً أوصيه. فنهض عمر بن سعد، لعنه الله، فقال له: ما وصيتك؟ فقال له: ادن مني، فدنى منه فقال له: أول وصيتي فأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وأن علياً ولّي الله ووصي رسوله وخليفته في أمته، وثانياً: تأخذ درعي تبيعه وتقضي عني سبعمائة درهم استقرضتها منذ

دخلت إلى مصركم هذا، ثالثاً: أن تكتب إلى سيدي الحسين يرجع ولا يأتي إلى بلدكم فيصيبه ما أصابني فقد بلغني أنه توجه بأهله وأولاده إلى الكوفة. فقال عمر بن سعد: أما ما ذكرت من الشهادة فكلنا نشهدها، وأما ما ذكرت من بيع الدرع وقضاء الدين فذلك إلينا إن شئنا قضيناه وإن شئنا لم نقض، وأما ما ذكرت من أمر الحسين فلا بد أن يقدم علينا ونذيقه الموت غصة بعد غصة. ثم أن ابن زياد سمع بذلك فقال: قبحك الله من مستودع سراً وحيث أنك أفشيت سره فلا يخرج إلى حرب الحسين غيرك. ثم أمر بمسلم أن يصعد به إلى أعلى القصر ويرمى منه منكساً على رأسه، فعند ذلك بكى مسلم على فراق الحسين عليه السلام وقال:

جزى الله عنا قومنا شر ما جزى ... شرار الموالي بل أعق وأظلم
هم منعونا حقنا وتظاهروا ... علينا ورامونا نذلّ ونرغم
وغاروا علينا يسفكون دماءنا ... فحسبهم الله العظيم المعظم
ونحن بنو المختار لا شيء مثلنا ... نبي صدوق مكرَّم ومكرم

قال: ثم ألقي من أعلى القصر وعجل الله بروحه إلى الجنة. ثم إنهم أخذوا مسلماً وهانياً يسحبونهما في الأسواق، فبلغ خبرهما إلى مذحج فركبوا خيولهم وقاتلوا القوم وأخذوهما ودفنوهما رحمة الله عليهما وعذَّب قاتليهما بالعذاب الشديد يوم الوعيد.

ولله در من قال من الرجال:

فإن كنت لا تدري بالموت فانظري ... إلى هاني في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشَّم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا ... أحاديث من يسري بكل سبيل
ترى جسداً قد غيّر الموت لونه ... ونضيح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحيا من فتاة حيية ... وأقطع من ذي شفرتين صقيل
وأشجع من ليث ببطن مسبل ... وأجرأ من ليث بغابة غيل

ثم أن ابن زياد، لعنه الله، بعث كتاباً إلى يزيد لعنه الله يخبره بقصتهما، فكتب إليه الجواب يقول: كنت كما أردت وفعلت ما أحببت وصدقت ظني فيك وقد بلغني أن الحسين متوجه إلى العراق فضج عليه المراصيد واكتب إليّ بما يحدث من الأمور، والسلام.

فانظروا يا إخواني إلى ما صنع بأهل الفضل والمعاني، جرَّعوهم الكؤوس وأذاقوهم

الحتوف واستأصلوهم طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف، فيا ويحهم كأنهم لم يخافوا الانتقام في يوم الحشر والقيامة ولم يراقبوا الملك العلام ولا برسوله المظلّل بالغمام. وبالله عليكم يا إخواني لما ترحمتم على مسلم بن عقيل وتفكرتم فيما امتحن الله فيه هذا الجيل، فليس ذلك على سبيل الهوان وإنما هو على سبيل التبجيل والتفضيل، فلو ذابت نفوسكم من الأحزان وبذلتم أرواحكم في النوح والأشجان لكان ذلك من أقل القليل لهذا الخطب الجليل.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[1]:

قلب المتيَّم بالأحزان موغور ... وطَرْفِه عن لذيذ النوم محجور
ودمعه فوق صحن الخد منحدر ... وجسمه بقيود السقم مقهور
وودي الصبر منه مقفر خرب ... وعمره بالبكاء والنوح معمور
قد عاهد الله أيماناً مغلظة ... لا يترك الحزن حتى ينفخ الصور
حزناً مقيماً مديماً لا على ولد ... ولا حبيب ولا إبكاء مخدور
ولا لحُسن رياض قد زهت ونمت ... وقت الربيع بالزهر تزهير
ولا لنوح حمام الأيك إذ سجعت ... فوق الغصون لها في النوح تجهير
ولا لطيب الصبا واللهو إذ ذهبا ... غداة ذيل حلى البال مجدور
لكن تصرَّم شهر الحج فاحترقت ... أحشاه بالحزن لما هلَّ عاشور
أمثل الأتقياء الأصفياء ومَن ... لولاهم ما رجا القرآن مأزور
غداة سار ابن سعد بالجيوش إلى ... حرب الحسين له في السير تكبير
من بعد ما وردت بالأمس كتبهم ... أقدم فأنت بعون الله منصور
فحين لما دنا من قرب دارهم ... مبلِّغاً ما به بالنص مأمور
ثاروا عليه وحالوا دون مشربه ... وأظهروا شك في الصدر مذخور
فقال: يا قوم كفوا عن ضلالتكم ... فالكل منا بتقوى الله مأمور
فلا تغركم الدنيا وزينتها ... فالخير والشر للإنسان مسطور
إني أحذركم بطش الإله بكم ... ومن تقدم بالإنذار معذور

(1) القصيدة للشيخ الدرمكي رحمه الله تعالى.

عـذرتـمـونـي وجـددتـم عـهـودكـم فجئت أسعى لما في الكتب مسطور
قالوا له: كفّ عن هذا الكلام فما ينجيك من كيدنا ذا اليوم تعذير
فإن أردت النجا بايع يزيد وإن تأبى فدمك بالأسياف مهدور
فقال: يا قوم إن الله أمرّنا وما لصاحبكم في الحكم قطمير
وقسمة النار والجنات في يدنا وما علينا لخلق الله قط تأمير
قالوا له: حكمكم ظلم وطاعتكم سقم وخذلانكم ما فيه تخسير
فإن أطعت على هون نجوت وإن تأبى فأنت بحد السيف مقهور
فقال: خلوا سبيلي إن لي فكراً باقي نهاري ولي في الليل تفكير
فأمّ منزله والدمع يسبقه كأنه درر في الخد منثور
فحين لما دجى الليل البهيم وقد أمسى على وجلٍ والطرف مسهور
دعا بأصحابه جميعاً فأحضرهم وقال: يا قوم ما في الأمر تأخير
إن النواصب قد نامت عيونهم والبر خال وجنح الليل مستور
من كان منكم يواسينا بمهجته فأجره ثابت والذنب مغفور
ومن أبى فهو في حِلٍ وفي دعة فما لنا في رقاب الناس تحجير
فأكثروا بالبكاء والوجد وانتحبوا وجددوا قولهم والدمع محدور
حاشا وكلا بأن نعطي الظهور معاً وأنت في عرصات الطف محصور
فالموت لا بد أن نلقى مرارته فاصدع بما أنت ملزوم ومأمور
فقال: لا خيّب الرحمٰن قصدكم ولا هفا لكم ذكر ولا نور
يا ليتني كنت ذاك اليوم بينهم وفي يدي مرهف الخدين مشهور
لله درهم ما كان أصبرهم كأنهم في الوغى أُسد مغاوير
من كل محتزم بالصبر مدرع بالفضل متشح بالخير مذكور
كانوا كأصحاب بدر في الوغا لهم شأن ومجد وتعظيم وتوقير
لله كم قسموا بالروع من بطل مجرّب وهو في الهيجاء مذكور
حتى أُذيقوا الردى ظلماً على ظمأ والماء يشربه كلب وخنزير
وأصبح السبط فرداً لا نصير له وقلبه بلظى الأحزان موغور
إذا دنوا منه أفناهم بصارمه وإن ولّى فله في الدين تبصير

حتى رموه بسهم في مقاتله ... فخرّ ملقى له في التراب تعفير
وأدبر المهر ينعاه ويندبه ... والسرج منتكس والرمح مكسور
فحين أبصرنه النسوان مختضباً ... خرجن كل لها في الذيل تعثير
كل تقول: فُجعنا بالذي فُجعت ... به البتول وخانتنا المقادير
أين الحسين يرانا نستغيث فلا ... نُغاث قد أحكمت فينا الخنازير
واغبرت الأرض والآفاق وانكسفت ... شمس النهار ووافى البدر تكوير
وأصبحت عرصات العلم دارسة ... وشرد الحق واستعلى المناكير
فحين أبصرته النسوان منجدل ... والشمر يذبحه والسيف مشهور
سقطن كل توقيه بمهجتها ... ودمعهم فوق صحن الخد محدور
والشمر يدفعهم عنه ويوجعهم ... ضرباً بوشحهم والنحر منحور
وميَّز الرأس في كفيه ينظره ... الدم منه على زنديه تقطير
لهفي لزينب تنعاه وتندبه ... والنحر في يدها والرأس مبتور
يا عارياً كَسَتِ الأرياح جثته ... قميص ترب بدم النحر مزرور
وغسّلته الضبا من دم منحره ... وشيّبه قطنه والترب كافور
ونعشه من قنى الخطى أرفعها ... والقبر في قلب من والاه محفور
يا سيدي ما ترى الأيام حولك ... والسجاد يسحب في الأقياد مأسور
وأم كلثوم للأيتام جامعة ... وقلبها بسيوف الحزن مشطور
وبينهم فاطمة الصغرى صارخة ... وشعرها من وراء الكتف منشور
تقول: يا أبتا خلّفتنا عِبر ... وفي بعض ما نالنا الناس تعبير
مَن للأرامل والأيتام يا أبتا ... وأنت تحت طباق الأرض مقبور
ما كان أطيبنا والشمل مجتمع ... ونحن في نعمة والقلب مسرور
تبدَّل الأمن خوفاً والنعيم شقا ... واليسر عسراً وضد الصفو تكدير
ما كنت أحسب أن الدهر يعذرني ... وبذل وجهي وهتك الستر مذخور
لا زلت أحذر حتى صرت في حذري ... وحاذر الدهر لم ينفعه تحذير
يعزُّ على البضعة الزهراء لو نظرت ... أولادها الغرّ كل وهو مضرور
كان الحسين لنا سوراً وقصر حِمى ... فاليوم هدِّم ذاك القصر والسور

يا عمتاه قربوا الأجمال يرتحلوا والرأس يقدمهم في الرمح مشهور
قومي نودّع جثمان الحسين فقد حان الرحيل وما للقوم تأخير
فغرّدت برفيع الصوت عمتها أما لزلّتنا يا قوم تكبير
تُسيِّرونا على الأقتاب عارية شعثاً عراة لنا في السير تعثير
يا ليت أسماعنا من قبل ذا طرشت جمعاً وأعيننا من رزئنا عور
بأي وجه تلاقي الله ويلك يا حادي اتق الله أين الله محذور
فحين لما أتوا أرض الشام معاً وفوقهم علم الأحزان منشور
وأقبلوا بالسبايا والرؤوس معاً نحو اللعين وباب القصر محصور
فكبّروا قال: ما هذا؟ فقيل له: رأس الحسين فأنشا وهو مسرور
أخذت ثاري بقتلي لابن فاطمة ظلماً وخالفت ما في الكتاب مسطور
فلعنة الله تغشاه ووالده مخلّد في أطباق النار مدحور
وجاد أجداث آل المصطفى أبداً غيث مقيم مدى الأيام مهمور
متى نرى الشمس من غرب وقد طلعت لها شعاع على الآفاق مظهور
والعدل بالأرض والأيام باسمة والظلم والفسق والطغيان مطمور
أنا العبد الذليل الدرمكي ومَن شخصي على فطرة الإسلام مفطور
صلّى الإلٰه على مَن حبهم سكن ومدحهم في جميع الكتب مسطور

الباب الثالث

أيها المؤمنون والأمناء الصالحون، أجروا مياه العيون من مقرحات الجفون على هذا الخطب العظيم والمصاب الجسيم، خطب يقل فيه بذل الأرواح ويهون فيه الضرب والكفاح، خطب أبكى الرسول وأحرق كبد البتول، فوا عجباه ممن تقدم إليهم بذلك وخاض بنفسه تلك المهالك! كيف لم تحفظ فيهم القرابة والنسب والشرف والحسب؟ حتى تركوا رجالهم بنجيع الدماء مخضوبة وأبدانهم على التراب مسلوبة ومخدراتهم سبايا منهوبة. فكم من جرم اجترموه وعظيم أمر ارتكبوه، فما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله، فيا إخواني كيف لا نبكي عليهم وتحنُّ قلوبنا إليهم؟

وقد ورد في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: من ذكرنا عنده فبكى لما أصابنا من نوب الدهر غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. فلذلك يجب علينا لبس

سراويل الجزع والأشجان وإرسال الدموع الهتان، وأن نضج ضجيج الثكلى بين العباد، ونواسي بهذا التعداد علي بن الحسين السجاد، لما روي أنه بكى على أبيه الحسين أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا وبكى، حتى قال مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخشى عليك أن تكون من الهالكين، فيقول: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[1].

ثم قال: إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا وخنقتني العبرة:

إن كنت محزوناً فما لك ترقد ... هلاّ بكيت لمن بكاه محمد
ولقد بكته في السماء ملائك ... زهر كرام راكعون سُجد
والشمس والقمر المنير كلاهما ... حول النجوم تباكياً والفرقد
أنسيت قتل المصطفين بكربلا ... حول الحسين ذبائح لم يلحدوا
فسقوه من جرع الحتوف بمشهد ... كثر العدو به وقلّ المسعد
ثم استناحوا الصائنات حواسراً ... فالشمل من بعد الحسين مبدّد
كيف السلو وفي السبايا زينب ... تدعو بحرقة قلبها يا أحمد
يا جد حولي من يتامى إخوتي ... في الذل قد سلبوا القناع وجرّدوا
يا جد قد منعوا الفرات وقتلوا ... عطشاً فليس لهم هناك مورد
يا جد من ثكلي وطول مصيبتي ... ولما أعانيه أقوم وأقعد
يا جد لو أبصرتني ورأيتني ... والخد مني بالدماء مخدد
يا جد ذا نحر الحسين مضرج ... بالدم والجسم الشريف مجرّد
يا جد ذا صدر الحسين مرضض ... والخيل تنزل من علاء وتصعد
يا جد ذا ابن الحسين معلل ... ومغلل في قيده ومصفد
يرنو لوالده وينظر حاله ... وبنو أمية في العمى لم يهتدوا
يا جد ذا شمر يروم بفتكه ... ذبح الحسين فأي عين ترقد
ليحوز جائزة الزنيم عليه من ... لعن المهيمن ما به يتضهد
حتى إذا أهوى عليه بسيفه ... نادى بفاضل صوته يا واحد
يا خالقي أنت الرقيب عليهم ... في فعلهم ظلماً وأنت الشاهد

(1) سورة يوسف: الآية 68.

وتعج طوراً بالنبي وآله ... وتقول يا جداه ألا يا أحمد
يا والدي الساقي علي المرتضى ... نال العدو بنا كما قد مهدوا
يا أمي الزهراء قومي جددي ... وجميع أملاك السما لك ينجد
هذا حبيبك بالحديد مقطع ... ومخضب بدمائه مستشهد
والطيبون بنوك قتلى حوله ... فوق الصعيد مبضع ومجرد
هذا مصاب ما أصيب بمثله ... بشر من المخلوق إلا واحد
وإليكم من عبدكم ومحبكم ... بعض النظام عساه فيه يسعد
صلّى الإلٰه عليكم يا سادتي ... ما دام طير في الغصون يغرد

روي عن نقلة الأخبار: أن اليوم الذي قُتل فيه مسلم بن عقيل وهو يوم الثلاثاء لثمان خلون من ذي الحجة، يوم التروية، كان فيه خروج الحسين من مكة إلى العراق بعد أن طاف وسعى وأحلَّ من إحرامه، وجعل حجة عمره مفردة لأنه عليه السلام لم يتمكن من إتمام الحج مخافة أن يبطش به، وذلك لأن يزيد لعنه الله أنفذ عمر بن سعد بن العاص في عسكر عظيم وولاه أمر الموسم وأمّره على الحاج كله وكان قد أوصاه يقبض الحسين عليه السلام سراً وإن لم يتمكن منه يقتله غيلة، ثم أنه لعنه الله دسّ مع الحجاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية وأمرهم بقتل الحسين على كل حال اتفق. فلما علم الحسين بذلك حل من إحرام الحج وجعلها عمرة مفردة.

وعن بعض الناقلين: أن محمد بن الحنفية لما بلغه الخبر أن أخاه الحسين خارج من مكة يريد العراق كان بين يديه طشت فيه ماء وهو يتوضأ فجعل يبكي بكاءاً شديداً حتى سمع وكف دموعه في الطشت مثل المطر، ثم أنه صلى المغرب، ثم سار إلى أخيه الحسين فلما صار إليه قال له: يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم ومكرهم بأبيك وأخيك من قبلك وإني أخشى عليك أن يكون حالك كحال من مضى من قبلك فإن أطعت رأيي قم بمكة وكن أعز من في الحرم المشرف. فقال: يا أخي إني أخشى أن تغتالني أجناد بني أمية في حرم مكة فأكون كالذي يُستباح دمه في حرم الله. فقال: يا أخي فصر إلى اليمن فإنك أمنع الناس به. فقال الحسين: والله يا أخي لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني. ثم قال: يا أخي سأنظر فيما قلت.

قال: فلما كان وقت السحر عزم الحسين على الرحيل إلى العراق، فجاءه أخوه محمد بن الحنفية وأخذ بزمام ناقته التي هو راكبها وقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما أشرت به عليك؟ فقال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: يا أخي إن

جدي رسول الله ﷺ أتاني بعدما فارقتك وأنا نائم فضمني إلى صدره وقبّل ما بين عيني وقال: يا حسين يا قرة عيني أخرج إلى العراق فإن الله عزّ وجلّ قد شاء أن يراك قتيلاً مخضباً بدمائك. فبكى ابن الحنفية بكاءاً شديداً وقال له: يا أخي إذا كان الحال هكذا فما معنى حملك هذه النسوة وأنت ماضٍ إلى القتل؟ فقال: يا أخي قد قال لي جدي أيضاً أن الله عزّ وجلّ قد شاء أن يراهنّ سبايا مهتكات يسقن في أسر الذل وهن أيضاً لا يفارقنني ما دمت حياً. فبكى ابن الحنفية بكاءاً شديداً وجعل يقول: أودعتك الله يا حسين في وداعة الله يا حسين.

ونقل: أنه لما خرج من مكة اعترضه رسول عمر بن سعد وفيهم يحيى بن سعيد ليردوه فأبى عليهم وتدافع الفريقان وتضاربوا بالسياط، ثم امتنع عليهم الحسين امتناعاً شديداً ومضى لوجهه فنادوه وقالوا: يا حسين ألا تتقي الله تخرج من الجماعة وتفرق بين هذه الأمة؟ فقال لهم: لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون.

وروي عن الطرماح بن حكيم قال: لقيت حسيناً وقد امترت لأهلي ميرة فقلت: اذكر الله في نفسك لا يغرنك أهل الكوفة والله إن دخلتها لتقتلن وإني أخاف أن لا تصل إليها، فإن كنت مجمعاً على الحرب فانزل (أجاء) فإنه جبل منيع والله ما لنا فيه ذل قط وعشيرتي جميعاً يرون نصرتك ما أقمت فيهم. فقال: إن بيني وبين القوم موعداً أكره أن أخلفها فإن يدفع الله فقديماً ما أنعم علينا وكفى، وإن يكن ما لا بد منه ففوز وشهادة إن شاء الله، ومضى لوجهه.

ونقل أيضاً: أن الحسين عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق من المدينة جاءت إليه أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ وقالت له: يا بني لا تحزّني بخروجك إلى العراق فإني سمعت من جدك رسول الله يقول: يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلا. فقال: يا أماه وأنا والله أعلم ذلك وإني مقتول لا محالة وليس لي من هذا بد وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه وأعرف من يقتلني وأعرف البقعة التي أدفن فيها وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي وإن أردت يا أماه أريتك حفرتي ومضجعي ومكاني، ثم أشار بيده الشريفة إلى جهة كربلا، فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع معسكره وموقفه ومشهده كما هو الآن ـ وهي من بعض فضائله صلوات الله وسلامه عليه ـ، فعند ذلك بكت أم سلمة بكاءاً عظيماً وسلمت أمرها إلى الله تعالى. فقال لها: يا أماه قد شاء الله عزّ وجلّ أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً وقد

شاء الله يرى حرمي ورهطي ونسائي مسبيين مشردين وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً.

فداؤك روحي يا حسين وعترتي وأنت عفير في التراب جديل
وجسمك عريان طريح على الثرى عليك خيول الظالمين تجول
بناتك تسبى كالإماء حواسراً وسبطك ما بين العدا قتيل

ثم أن الحسين عليه السلام بعدما توجه إلى العراق كتب كتاباً إلى أهل العراق يقول فيه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه المؤمنين، سلام عليكم، وإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن كتاب مسلم بن عقيل أتاني يخبرني بحسن رأيكم واجتماع ملتكم على نصرتنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا ولكم الصنيع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية فإذا قدم عليكم رسولي فاكتموا أمركم وخذوا حذركم فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى والسلام.

فلما أقبل الرسول بالكتاب اعترضه الحصين بن نمير وبعث به إلى ابن زياد، فاستخرج الكتاب فلم يقبل تسليمه إليه ومزقه ولم يمكنه منه، فقال ابن زياد: من أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين، قال: ممن الكتاب وإلى من؟ قال: من الحسين إلى أهل الكوفة، فغضب ابن زياد فقال له: اصعد على المنبر وسب الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي، قال: لما صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم وقد فارقته بالحاجر فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه واستغفر لعلي بن أبي طالب.

قال: فأمر ابن زياد بأن يلقى من أعلى القصر، ففعل به، فمات من ساعته وعجل الله بروحه إلى الجنان.

قال الراوي: فبينما الحسين في المسير إذ طلع عليه ركب مقبلون من الكوفة وفيهم هلال بن نافع البجلي، وعمرو بن خالد، فسألهما عن الناس، فقال: أما الأشراف فقد استمالهم ابن زياد بالأموال، وأما باقي الناس فقلوبهم معك وأسيافهم عليك. وبلغاه الخبر عن مسلم بن عقيل وهاني بن عروة أنهما قتلا، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم قال للركب: ولكم علم برسولي؟ قالوا: نعم قتله ابن زياد، فاسترجع وبكى وقال: جعل الله له الجنة ثواباً، اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً إنك على كل شيء قدير.

ثم أنه عليه السلام قام خطيباً بالناس، وقال: إنه قد نزل بنا من الأمر ما ترون، وأن

الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُنتهى عنه، ليرغب المؤمنين في لقاء الله حقاً ولا يرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما.

ثم سار عليه السلام إلى نصف النهار فرقد واستيقظ وقال: رأيت هاتفاً يقول: أنتم تسيرون والمنايا تُسرع بكم إلى الجنة. فقال له ابنه: يا أبتاه ألسنا على الحق؟ قال: يا بني إي والذي مرجع العباد إليه. فقال: إذاً لا نبالي بالموت. ثم أنه عليه السلام سار حتى أتى إلى موضع يقال له: زُبالة، فنزل بها وخطب الناس فقال: أيها الناس إنما جمعتكم على أن العراق لي وقد أتاني خبر فظيع عن ابن عمي مسلم يدل على أن شيعتنا قد خذلتنا فمن كان منكم يصبر على حر السيوف وطعن الأسنة فليتم معنا وإلا فلينصرف عنا.

قال: فجعل القوم يتفرقون يميناً وشمالاً حتى لم يبق معه من أهل بيته مواليه نيف وسبعون رجلاً وهم الذين خرجوا معه من مكة فسار بهم إلى الثعلبية فاعترضهم الحر بن يزيد الرياحي قادماً من نحو القادسية في أربعة آلاف فارس، فلم يزل الحر يساير الحسين حتى جاء وقت الظهر، فخرج وصلّى بالناس وقال: أيها الناس المعذرة إلى الله وإليكم، اعلموا أني لم آتكم حتى أتتني كتبكم بأن لك ما لنا وعليك ما علينا، فإن كنتم على ذلك فقد أتيتكم وإن كنتم كارهين لقدومي انصرفت عنكم. فقال له الحر: لا نعرف ما تقول ولا نعرف من كتب إليك ولا من أرسل وإنما أمرنا أن لا نفارقك إلا عند عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: يا ويلك الموت أدنى إليكم من ذلك. ثم أنه عليه السلام همَّ بالرجوع فمنعه الحر أشد المنع، فلما كثر بينهم الخطاب قال الحر: فإذا أبيت ذلك فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يرجع بك إلى المدينة.

قال: فسار الحسين عليه السلام والحر يساره حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل، وإذا بفسطاط مضروب، فقال عليه السلام: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لرجل يقطع الطريق، فأرسل الحسين إليه فقال له: يا هذا إنك قد جمعت على نفسك ذنوباً كثيرة فهل لك من توبة تمحض بها عنك الذنوب؟ قال: فماذا؟ قال: تنصر ابن بنت رسول الله، فقال: والله ما خرجت من الكوفة إلا خوفاً أن تقدم إليها فأكون أول من يحاربك مع ابن زياد، ولكن هذه فرسي وهذا سيفي واعفني من ذلك. فأعرض عنه الحسين وقال: إذا بخلت بنفسك فلا حاجة لنا في مالك، وتلا هذه الآية: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾[1]. ثم قال: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: من سمع نداء أهل البيت ولم يجبه أكبه الله على

(1) سورة الكهف: الآية 51.

منخريه في النار. ثم أنه سار عليه السلام فلما فارقه الرجل ندم على ما فاته من نصرة الحسين.

قال: فبينما هم يسيرون وإذا براكب على نجيب قد أقبل من نحو الكوفة، فلما وصل سلم على الحر ولم يسلم على الحسين ثم دفع إلى الحر كتاباً من ابن زياد يأمره فيه بالتعجيل، فساروا جميعاً إلى أن انتهوا بأرض كربلا إذ وقف الجواد الذي تحت الحسين ولم ينبعث من تحته، وكلما حثه على المسير لم ينبعث خطوة واحدة، فنزل عنه وركب غيره فلم ينبعث خطوة واحدة، فقال الإمام عليه السلام: يا قوم ما يقال لهذه الأرض؟ فقالوا: نينوى، فقال: هل لها اسم غير هذا؟ قالوا: نعم، شاطىء الفرات، فقال: هل لها اسم غير هذا؟ قالوا: نعم تسمى كربلا. فعند ذلك تنفس الصعداء فقال: هذه والله كرب وبلاء ها هنا والله ترمل النسوان وتُذبح الأطفال، وها هنا والله تُهتك الحريم، فانزلوا بنا يا كرام فها هنا محل قبورنا وها هنا والله محشرنا ومنشرنا وبهذه وعدني جدي رسول الله ﷺ ولا خلف لوعده. ثم أنه نزل عن فرسه وجلس بعد ذلك يصلح سيفه وهو يقول:

يا دهر أفٍ لك من خليلي ... كم لك بالإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حي سالك سبيلي ... ومنتهى الأمر إلى الجليل

ولم يزل يكرر هذه الأبيات حتى سمعت أخته زينب فوثبت تجر ذيلها حتى انتهت إليه وقالت له: يا أخي وقرة عيني ليت الموت أعدمني الحياة يا خليفة الماضين وثمال الباقين هذا كلام من أيقن بالموت، وا ثكلاه اليوم مات جدي محمد المصطفى، وأبي علي المرتضى، وأمي فاطمة الزهراء، وأخي الحسن الرضى. قال لها: يا أختاه لا يذهب بحلمك الشيطان تعزي بعزاء الله فإن أهل السماء والأرض يموتون وكل شيء هالك إلا وجهه، أبي خير مني وأخي خير مني ولكل مسلم برسول الله أسوة. فقالت: يا أخي تقتل وأنا أنظر إليك؟ فردت غصته وتغرغرت عيناه بالدموع، فقالت: يا أخي ردنا إلى حرم جدنا، فقال: لو ترك القطا لغفا ونام. قالت: والله يا أخي لا فرحت بعدك أبداً. ثم أنها لطمت وجهها وأهوت إلى جيبها فشقته وخرجت مغشية عليها، ثم قام الحسين إليها وقال لها: يا أختاه بحقي عليك إذا أنا قُتلت فلا تشقي عليَّ جيباً ولا تخمشي وجهاً ولا تدعين بالويل والثبور. ثم حملها حتى أدخلها الخيمة ثم خرج إلى أصحابه وأمرهم أن يقربوا البيوت بعضها إلى بعض ففعلوا ذلك.

ثم أن ابن زياد لعنه الله نادى في عسكره: معاشر الناس من يأتيني برأس الحسين وله

الجائزة العظمى وأعطه ولاية الري سبع سنين؟، فقام إليه عمر بن سعد لعنه الله وقال: أصلح الله الأمير، وقال: امض إليه وامنعه من شرب الماء وآتني برأسه. فقال: أيها الأمير أخرني شهراً، قال: لا أفعل. قال: ليلتي هذه! قال: قد فعلت. ثم نهض من وقته وساعته ودخل مضربه، فدخل عليه أولاد المهاجرين والأنصار وقالوا له: يا ابن سعد تخرج إلى حرب الحسين وأبوك سادس الإسلام! فقال: لست أفعل ذلك، ثم جعل يفكر في ملك الري وقتل الحسين فأضلّه الشيطان وأعمى قلبه، فاختار قتل الحسين عليه السلام وملك الري واستعد للحرب ومد العساكر إلى أن تكملت عشرين ألفاً فضيّقوا على الحسين وأصحابه.

ثم أن الحسين قام متكئاً على سيفه وقال: أما بعد أيها الناس، انسبوني من أنا وارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها، هل يحل لكم سفك دمي وانتهاك حرمي؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن عمه وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسكم؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله ﷺ فيَّ وفي أخي؟ سلوا زيد بن أرقم وجابر بن عبد الله الأنصاري، وسهل بن سعد الساعدي، وأنس بن مالك، يخبروكم عن هذا القول، فإن كنتم تشكون إني ما أنا ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري، والله ما تعمدت الكذب منذ نشأت وعرفت أن الله يمقت الكذب وأهله، هل تطالبونني بقتل منكم قتلته، أو بمال استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ فسكتوا.

فلما كان اليوم التاسع من المحرم دعاهم عمر بن سعد لعنه الله إلى المحاربة، فأرسل الحسين عليه السلام أخاه العباس يلتمس منهم التأخير في تلك الليلة، فقال ابن سعد للشمر: ما تقول؟ فقال: أما أنا فلو كنت الأمير لم أنظره، فقال عمر بن سلمة: سبحان الله والله لو كانوا من الترك أو الديلم وسألوك هذا ما كان لك أن تمنعهم، فحينئذ أمهلهم، فكان لهم في تلك الليلة دوي كدوي النحل من الصلاة والتلاوة.

ثم أن الحسين عليه السلام جمع أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، لا أعلم أن أصحاباً أوفى ولا أخير من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً، ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا فأنتم في حل ليس عليكم مني ذمام، وقد غشيكم الليل فاتخذوه ستراً جميلاً، فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء عبد الله بن جعفر: لا نفعل ذلك ولا نبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً. فدعا لهم العباس وإخوته ثم بايعوه وقال لبني مسلم بن عقيل: حسبكم من القتل ما تقدم في مسلم اذهبوا فقد أذنت لكم، قالوا: لا والله لا نفارقك أبداً حتى نضرب بأسيافنا ونُقتل بين يديك.

ثم ان الحسين ركب فرسه وتهيأ للقتال ثم ان القوم أقبلوا يزحفون نحو الحسين، فرمى عمر بن سعد إلى أصحاب الحسين سهماً وقال: اشهدوا لي عند الأمير إني أول من رمى، فقال الحسين لأصحابه: قوموا إلى الموت الذي لا مفر لكم عنه. فنهضوا جميعاً والتقى العسكران وامتاز الرجالة من الفرسان، واشتد الجلاد بين العسكرين إلى أن علا النهار، فاشتد العطش بالحسين وأصحابه فدعا بأخيه العباس وقال له: اجمع أهل بيتك واحفر بئراً، ففعلوا ذلك فطموها ثم حفروا أخرى فطموها، فتزايد العطش عليهم. فقال العباس لأخيه الحسين: يا أخي ما ترى ما حل بنا من العطش وأشد الأشياء علينا عطش الأطفال والحرم؟ فقال الإمام عليه السلام: إمضي إلى الفرات وآتنا بشيء من الماء، فقال: سمعاً وطاعة. فضم إليه رجالاً وسار حتى أشرفوا على المشرعة فتواثبوا عليهم الرجال وقالوا لهم: ممن القوم؟ قالوا: نحن من أصحاب الحسين، قالوا: وما تصنعون؟ قالوا: قد كضنا العطش وأشد ذلك علينا عطش الحرم والأطفال. فلما سمعوا ذلك حملوا عليهم فمنعوهم، فحمل عليهم العباس فقتل منهم رجالاً وجدل أبطالاً حتى كشفهم عن المشرعة ونزل فملأ قربته ومد يده ليشرب فذكر عطش الحسين عليه السلام فنفض يده وقال: والله لا ذقت الماء وسيدي الحسين عطشان. ثم صعد المشرعة فأخذه النبل من كل مكان حتى صار جلده كالقنفذ من كثرته، فحمل عليه رجل من القوم فضربه ضربة قطع بها يمينه، فأخذ السيف بشماله فحمل عليه آخر فقطعها، فانكب وأخذ السيف بفمه فحمل عليه رجل فضربه بعمود من حديد على رأسه ففلق هامته، فوقع على الأرض وهو ينادي: يا أبا عبد الله عليك مني السلام، فلما رأى الحسين أخاه وقد انصرع صرخ: وا أخاه، وا عباساه، وا مهجة قلباه، يعزّ والله عليّ فراقك. ثم حمل على القوم وكشفهم عنه ثم نزل إليه فحمله على ظهر جواده وأقبل به إلى الخيمة فطرحه وهو يبكي حتى أغمي عليه.

ولله در من قال:

أحق الناس أن يبكى عليه ... فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده علي ... أبو الفضل المضرّج بالدماء
ومن ساواه لا يثنيه شيء ... وجادله على ظمأ بماء

ومن قال أيضاً:

وما زال في حرب الطغاة مجاهداً ... إلى أن هوى فوق الصعيد مجدلا
وقد رشقوه بالنبال وخرقوا ... له قربة الماء الذي كان قد ملا
فنادى حسيناً والدموع هوامل ... أيا ابن أبي قد خاب ما كنت آملا

عليك سلام الله يا ابن محمد ... على الرغم مني يا أخي نزل البلا
فلما رآه السبط ملقى على الثرى ... يعالج كرب الموت والدمع أهملا
فجاء إليه والفؤاد مقرح ... ونادى بقلب بالهموم قد امتلا
أخي كنت عوني في الأمور جميعها ... أبا الفضل يا من كان للنفس باذلا
يعزُّ علينا أن نراك على الثرى ... طريحاً ومنك الوجه أضحى مرملا
عليك من الرحمٰن ألف تحية ... فقدرك عندي يا أخي الآن قد علا
فابشر بجنات من الله في غد ... وبالحور والولدان والفوز والعلى

روي أنه لما قتل العباس تدافعت الرجال على أصحاب الحسين عليه السلام، فلما نظر ذلك نادى: يا قوم أما من مجير يجيرنا، أما من مغيث يغيثنا، أما من طالب حق فينصرنا، أما من خائف من النار فيذبّ عنا، أما من أحد يأتينا بشربة من الماء لهذا الطفل فإنه لا يطيق الظمأ!، فقام إليه ولده الأكبر، وكان له من العمر سبع عشرة سنة، فقال: أنا آتيك بالماء يا سيدي، فقال: امضي بارك الله فيك. قال: فأخذ الركوة بيده ثم اقتحم الشريعة وملأ الركوة وأقبل بها نحو أبيه، فقال: يا أبة الماء لمن طلب اسقي أخي وإن بقي شيء فصبه عليَّ فإني والله عطشان. فبكى الحسين وأخذ ولده الطفل فأجلسه على فخذه وأخذ الركوة وقربها إلى فِيهِ، فلما همَّ الطفل أن يشرب أتاه سهم مسموم فوقع في حلق الطفل فذبحه قبل أن يشرب من الماء شيئاً، فبكى الحسين ورمى الركوة من يده ونظر بطرفه إلى السماء وقال: اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الخلق بنبيك وحبيبك ورسولك:

والله ما لي أنيس بعد فرقتكم ... إلا البكاء وقرع السن من ندم
ولا ذكرت الذي أبدى الزمان لكم ... إلا جرت أدمعي ممزوجة بدمي

ثم أنه اشتد القتال بين الفريقين حتى قتل مقتلة عظيمة ورجع إلى أبيه يستغيث من العطش فقال له: اصبر قليلاً حتى تلقى جدك أمير المؤمنين فيسقيك بكفه شربة لا ظمأ بعدها. فرجع وحمل عليهم فقتل مقتلة عظيمة ثم كمن له ملعون من أصحاب عمر بن سعد فضربه ضربة على مفرق رأسه فانصرع، فنادى: يا أباه هذا جدي محمد المصطفى، وهذا جدي علي المرتضى، وهذه جدتي فاطمة الزهراء، وهذه جدتي خديجة، وهم إليك مشتاقون. فأقبل الحسين وفرّق القوم عنه وصاح بأعلى صوته، فتصارخن النساء فقال لهن الحسين: اسكتن فإن البكاء أمامكن، فأخذ رأس ولده ووضعه في حجره وجعل يمسح الدم عن وجهه وهو يقول: قتلوك يا بني ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول

الله، قتل الله قوماً قتلوك يا بنيَّ، واغرورقت عيناه بالدموع.

قال من شهد الوقعة: كأني أنظر إلى امرأة خرجت من فسطاط الحسين وهي كالشمس الزاهرة وهي تنادي: وا ولداه، وا قرة عيناه، فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت علي.

فانظروا يا إخواني إلى أهل المكر والعناد كيف حملهم الغلّ الكامن في الفؤاد على قتل أولاد الرسول وثمرة فؤاد الزهراء البتول فتركوهم مصرعين على الرمال في أذل الأحوال غير مراقبين فيهم ذا الجلال، رؤوسهم في أعالي الرماح، وأجسادهم شاحبة تسفي عليها الرياح، فهم ما بين قتيل يجري منه الصديد، وأسيراً مكبَّل بالحديد. فيا عيوني سحي دموعاً، ويا فؤادي ذُب كمداً وخشوعاً.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[1]:

جل المصاب من أصبنا فاعذري ... يا هذه، وعن الملامة فاقصري
أفما علمت بأن ما قد نالنا ... رزء عظيم مثله لم يذكر
رزء عظيم لا يقاس بمثله ... رزء فلم تسمع به أو تبصر
رزء به عرش الإلٰه مصابه ... والشمس كاسفة ولما تزهر
رزء النبي المصطفى ومصيبة ... جلت لدى الملك الجليل الأكبر
رزء الحسين الطهر أكرم من برى ... باري الورى من سوقة ومؤمر
من جده الهادي النبي المصطفى ... وأبوه حيدرة عظيم المفخر
والبضعة الزهراء فاطم أمه ... حوراء طاهرة وبنت الأطهر
وأخوه سبط المصطفى وحبيبه ... هذا الشبير وصنو ذاك الشبر
فأحق أن يرثى وأن نبكي له ... بتفجع وتوجع وتحسر
وأحق من ألف ناء أو دمنة ... درست معالمها بسطح المحجر
هذا الحسين ملقى بشاطىء كربلا ... ظمآن دامي الخد ثم المنحر
عار بلا كفن ولا غسل سوى ... مور الرياح ثلاثة لم يُقبر
مقطوع رأس هشمت أضلاعه ... وكسير ظهر كسره لم يجبر

(1) القصيدة لسيف بن عمير رحمه الله تعالى.

ومباعد عن داره وحماته ... ومنازل بحجونها والمشعر
ويظام مضطهداً غريباً نازحاً ... نائي المزار بذلّة لم يُنصر
ويُذاد عن ماء الفرات ووردها ... ذود البعير لخمسة لم يصدر
ويُداس بعد ركوبه خير الورى ... بحوافر وسنابك وبعسكر
ويدق ثغر كان أحمد لم يزل ... عن لثمه في الخد غير مفتر
وحريمه من حوله وحماته ... ماتوا ظمأ فورودهم من كوثر
لم ينثنوا من نصره حتى غدوا ... أيدي سبا في سوء حال منكر
ما بين مضروب بأبيض صارم ... أو بين مطعون بلدن أسمر
أو بين مسحوب ليذبح بالعرى ... أو بين مشهور وآخر موسر
أو بين من يكبو لثقل قيوده ... أو بين مغلول اليدين معفر
ورضيع حول بالحسام فطامه ... وصغير سن عن أذى لم يكبر
هذا وزين العابدين مكتفاً ... بالقيد بين عصابة لم تنظر
قد أثخنوه بضربهم وبقيدهم ... قد أوثقوه فكان كالمتضور
فكأن مولاي الحسين وقد غدا ... متأهباً لقتالهم لم يحذر
ذو لبدة عز المعين مجاهداً ... ثبت الجنان أشد كل غضنفر
يغشى النزال ولا يزال محامياً ... حتى رماه سهم رجس أبتر
فهوى الصعيد مجدلاً ومعفراً ... يكبو فينهض قائماً لم يقدر
يدعو الإلٰه ويستغيث بجده ... في حاله المستضعف المستنصر
يومي إلى نحو الخيام وتارة ... نحو العدو كخائف متحذر
فكأنما قد ألبسوه من الظبا ... ثوبين بين معصفر ومزعفر
وأتاه أشقاها لقطع كريمه ... ولحزّ أوداج وقطع الأبهر
لم يدر ذاك الرجس أي عظيمة ... أم أي داهية أتى أم منكر
لما أبان الرأس بان به الهدى ... وعلا الظلام على الضياء الأزهر
وهوى إلى السفل الحضيض مكرم ... والظلم شاد وساد كل مغشمر
والجن ناحت شجوة في أرضها ... والغيث غاض ماء الأبحر
وعليه أمطرت السماء وقبله ... يحيى دماً وسواهما لم تمطر

وهوى يدور الأفق في أفلاكها ... فكأنها من قبله لم تبدر
وكأنها أفلاكها في كربلا ... أو كربلا صارت فريق المنبر
يا كربلاء حويت ما لم تحوه ... أرض سواك من الضياء النير
غيَّبت بطن الأرض منك مُعظَّماً ... وغدوت تفتخري بكل غضنفر
كُنتِ مجازاً ثم صرت حقيقة ... بين البلا والكرب للمتبصر
ومن العجائب بعد قتل المجتبى ... بدع وأحداث لنسل الأطهر
نسل النبي المصطفى وحريمه ... تسبى كما تسبى بنات الأصفر
ويُشهَّرون ويسلبون مدارعاً ... ومقانعاً من بعد سلب المعجر
ويُسيَّرون على المطايا كالإما ... بين الملا وبكل واد مقفر
شعثاً مثاكيل عطاشى جوعاً ... أسرى كأنهم لأسرة قيصر
ويُصغَّرون ويُشتمون عداوة ... بأوامر من كافر متجبر
لم أنس زينب وهي حسر حائر ... في نسوة متبرجات حُسر
تمشي إلى نحو الحسين وتشتكي ... ما نالها من ظلم ذاك المعشر
تدعو وتندب يا ثمال أرامل ... وربيع أيتام أطفال صغر
يا ابن النبي المصطفى خير الورى ... وابن البتولة والإمام الأطهر
قد جلَّ رزؤك يا أخي وجلَّ ما ... ألقاه من ثكل وطول تضرر
أأخي رزؤك مُلبِسي ثوب الضنا ... ومُغيِّراً جسمي بلون أصفر
أأخي مذ فارقت فارقني العرا ... وعلى عليَّ تحسري وتزفري
أأخي واصلني العزا وهجرتني ... ولقد عهدتك واصلاً لم تهجر
أأخي حالي بعد بعدك ما صفا ... وحلاوتي ممزوجة بتمرمر
أأخي بعد البعد منك تقرّبت ... مني المصائب في الزمان الأعسر
أأخي دار أمية معمورة ... وديار فاطم عاطل لم تعمر
أأخي شمل أمية مستجمع ... وبنات أحمد شملهم يتكدر
أأخي أولاد لآل أمية ... مخفورة وبناتنا لم تُخفر
يا سيدي يا واحدي وموئلي ... يا من إليه شكايتي وتجأري
يا غايتي يا بغيتي يا منيتي ... يا من يقيني نائبات الأعصر

كم من أسى متهضم قد مسنا ... من ظالم باغ علينا مفتر
كنا نُعِدُّك للحوادث ملجأ ... فإذا فُقِدت فَكَسْرُنا لم يُجبر
ظَفَرَ العدو بنا ونال مراده ... لما مضيت وقبل ذا لم يظفر
في ربع جدك آمنون وغفل ... أخرجتنا لمصائب لم تشعر
فإذا ارعوت أهوت إليه تضمه ... وقناعها سلب ولم تتخمر
وسكينة عنها السكينة فارقت ... لما ابتديت بفرقة وتغير
ورقية رقَّ الحسود لضعفها ... وغداً ليعذرها الذي لم يعذر
ولأم كلثوم يجدُّ جديدها ... لثم عقيب دموعها لم يكرر
لم أنسها وسكينة ورقية ... يبكينه بتحسر وتزفر
يدعون أمهم البتولة فاطماً ... دعوى الحزين الواله المتحير
يا أمنا هذا الحسين مجدلاً ... ملقى عفيراً مثل بدر مزهر
في تربها متعفراً ومضخماً ... جثمانه بنجيع دم أحمر
ظمآن فارق رأسه جثمانه ... عريان مسلوب الردا والمئزر
يا أمنا نوحي عليه وعوّلي ... في قبرك المستور بين الأقبر
يا أمنا لو تعلمين بحالنا ... لرأيت ذا حال قبيح المنظر
أما الرجال فمؤسر ومعفر ... والمحصنات ففي سبي وتُشهر
هذا وكيف يحمل والعزا ... منا عقيب مصابنا بالمنذر
أم كيف تسلو النفس عن تطلابه ... بل بالبكاء عليهم بتحسر
يا مؤمناً متشيعاً بولائه ... يرجو النجاة والفوز يوم المحشر
إبكي الحسين بلوعة وبعبرة ... إن لم تجدها ذبّ فؤادك وأكثر
وامزج دموعك بالدماء وقل ما ... في حقه حقاً إذا لم تنصر
والبس ثياب الحزن يوم مصابه ... ما بين أسود حالك أو أخضر
فعساك تحظى في المعاد بشربة ... من حوضهم ماء لذيذ سكر
ويزيدني حزناً بأن رؤوسهم ... تهدى إلى الطاغي يزيد المفتر
فكأنها فوق العوالي أنجم ... زهرت بأنوار الهدى للمنظر
لما رأى الملعون أحوال النسا ... والرأس ظل بحاله المستبشر

فعلى أمية وعتيقها ودلامها لعن أبي لم يحصر
هذا مصاب للنبي وآله يوم الطفوف جرى بصحة مخبر
ما في الرزايا الهائلات رزية بأجّل منها في الأمور وأكبر
كل المصائب لو تعاظم شأنها هي دون ذلك في المحل الأكبر
عَدَتْ على أفعال عادٍ واعتدت ما عقر ناقة صالح من أحمر
وإليكم يا سادتي وأحبتي شعر كنظم الدر أو كالجوهر
حبرت ألفاظاً فجاءت درة هذّبتها بجوانحي وتفكري
ألبستها حلل المعاني فاغتدت تسبي العقول بمسمع وبمنظر
أبهى وأسنى من عروس تجتلي وأرق من صهباء تروق بمحضر
سادات إذا قرئت على أمثالها نظم يعيب لجرول ولحبتر
أرثي الحسين بها وأرجوا منكم يوم المعاد كرامتي وتوقري
والعفو عما قد جنيت من الخطا وجرائم لولاكم لم تغفر
وعبيدكم سيف فتى ابن عميرة عبد لعبد عبيد حيدر قنبر
وعليكم صلّى المهيمن ما سرى أو سار ركب في دجى أو مقمر

الباب الثالث

يا إخواني في الدين، هل يحسن نوح النائحين إلا على الذرية الطاهرة، وهل يليق بكاء الباكين إلا على أولاد علي أمير المؤمنين؟ فوا حسرتاه على تلك الأجساد المرملة بالدماء، وعلى تلك الأفواه اليابسة من الظماء، ويا لهفاه على مولاي الحسين ينادي فلا يُجاب، قد شغله المصاب عن توديع الأولاد والأحباب، زخرفوا له الأكاذيب وقالوا له: أقدم على السعة والترحيب وعلى النزل الخصيب، فنحن لك ما تريد أرقاء وعبيد، فحين أناخ برحلهم وحط بمحلهم سارعوا إليه بالسيوف والرماح، وصارعوا في ميدان الكفاح، فجاهدهم بمن معه من أبنائه وأهل بيته وأحبابه، إلى أن سقوا الحتوف رشقاً بالنبال وطعناً بالرماح وضرباً بالسيوف. يا ويلهم ما أجرأم على الله، وعلى انتهاك حرمة رسول الله، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]، فبالله عليكم يا إخواني أديموا عليهم الحزن الطويل فإن مصابهم عظيم جليل:

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

يا نفس صبراً فكل نائبة ... سوى مصاب الحسين تحتمل
ويا جفوني سحي عليه فلي ... عن كل رزء برزئه شغل
لهفي له يشتكي الأوام وللبيض ... المواضي من نحره بلل
لهفي لذاك الجبين معفراً ... كالشمس أنى بدا لها الخجل
لهفي لنسوانه وقد كشفت ... عن صدرهن السجوف والكلل
هذي تنادي أخي وتلك أبي ... والدمع فوق الخدود منهمل
وزينب مستجيرة ولها ... على أخيها ندب ومرتجل
تصيح من حسرة ومن أسف ... والقلب منها مروَّع وجل
أين علي بن الحسين ألا ... أين المحامي والفارس البطل
وفاطم تستغيث عمتها ... صارخة ودمع عينها خضل
يا سادتي يا بني النبي ومن ... عليهم في المعاد أتكل
ما عنكم لابن حرة عوض ... وليس منكم لعارف بدل
وأين عنكم بالولاء لكم ... تمحى الخطايا ويُغفر الزلل

فلا يفرح الظالمون بما هم عليه عاكفون وسيعلمون إلى ما إليه يرجعون، فتباً لمن أعمتهم أطماعهم الدنيوية وأهواؤهم المردية الردية، جعلوا يركضون في أودية الضلال على مطايا الأطماع، فنكستهم إلى الأذقان في أمر حمله لا يستطاع ولكنها ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

ألا ترون يا إخواني إلى أول الرجلين عند نزول الموت حيث قال، كما نقله الثقاة من الرجال: يا ليتني كنت تبنة في لبنة. وهل هذا إلا نظير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[2]، وإلى الثاني حيث قال: لو أن لي ملء الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع. وهل هذا إلا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[3]. فشتان ما بين ذين وبين، من قال حين ضرب على أم رأسه: فزت ورب الكعبة، ولعمري أن نسبة هؤلاء وأضرابهم إليه افتراء على الله وعليه. فيا سعد من تمسك بذراريه، ويا فلاح من اعتقده وكان من حزبه ومواليه. بنوه المعصومين سادات الدنيا وشفعاء الخلق في الآخرة، أزالوهم عن مراتبهم التي رتّبهم

(1) سورة الحج: الآية 46.
(2) سورة النبأ: الآية 40.
(3) سورة الزمر: الآية 47.

الله في العالمين فبذلك استحقوا منه العذاب المهين واللعنة إلى يوم الدين.

نقل أنه لما قتل علي بن الحسين في طف كربلاء أقبل عليه الحسين وعليه جبة خز دكناء وعمامة موردة وقد أرخى لها غرتين، فقال مخاطباً له: أما أنت يا بني فقد استرحت من كرب الدنيا وغمها وما أسرع اللحوق بك. ثم وثب على قدميه ببردة رسول الله ﷺ والتحف بها وأفرغ عليه درعه الفاضل وتقلّد سيفه واستوى على متن جواده وهو غائص في الحديد. فأقبل على أم كلثوم وقال لها: أوصيك يا أخية بنفسك خيراً، وإني بارز إلى هؤلاء القوم. فأقبلت سكينة وهي صارخة، وكان يحبها حباً شديداً، فضمها إلى صدره ومسح دموعها بكمه وقال:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني
فإذا قُتلت فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

ونقل آخر وهو: أنه لما قتل أصحاب الحسين عليه السلام كلهم وتفانوا وأبيدوا ولم يبق أحد، بقي عليه السلام يستغيث فلا يُغاث وأيقن بالموت؛ أتى إلى نحو الخيمة وقال لأخته: آتيني بثوب عتيق لا يرغب فيه أحد من القوم أجعله تحت ثيابي لئلا أجرَّد منه بعد قتلي. قال: فارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب ثم أوتي بثوب فخرقه ومزقه من أطرافه وجعله تحت ثيابه، وكان له سروال جديد فخرقه أيضاً لئلا يُسلب منه. فلما قتل عمد إليه رجل فسلبهما منه وتركه عرياناً بالعراء مجرداً على الرمضاء، فشلت يداه في الحال وحلَّ به العذاب والنكال. قال: فلما لبس الحسين عليه السلام ذلك الثوب المخرق ودَّع أهله وأولاده وداع مفارق لا يعود.

قال: وكان عبد الله بن الحسن الزكي واقفاً بإزار الخيمة وهو يسمع وداع عمه الحسين، فخرج في أثره وهو يبكي ويقول: والله لا أفارق عمي، فلحقته زينب لتحبسه لأنه صغير لم يبلغ الحلم، والحسين يقول لها: يا أختي احبسيه، فانفلت الصبي من يدها وقال: والله لا أفارق عمي، فأقبل حرملة بن كاهل اللعين إلى الحسين عليه السلام فضرب الصبي بالسيف فأطن يمينه إلى الجلد فإذا هي معلقة، فصاح الصبي: يا عماه أدركني، فأخذه الحسين وضمه إليه وقال: يا ابن أخي صبراً على ما نزل بك يا ولدي؛ فبينما هو يخاطبه إذ رماه اللعين حرملة بسهم فذبحه في حجره فصاحت زينب: وا ابن أخاه ليت الموت أعدمني الحياة، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل. وكان عمر بن سعد اللعين قريباً منها، فقالت: ويحك يا عمر تقتل ابن بنت رسول

الله وأنت تنظر إليه؟ فلم يجبها.

قال من شهد الوقعة: أن الحسين عليه السلام أقبل على عمر بن سعد وقال له: أخيِّرك في ثلاث خصال، قال: وما هي؟ قال: تتركني حتى أرجع إلى المدينة حرم جدي رسول الله!، قال: ما لي إلى ذلك سبيل. قال: أسقوني شربة من الماء فقد نشفت كبدي من الظمأ!، قال: ولا إلى الثانية من سبيل. قال: وإن كان لا بد من قتلي فليبرز إليَّ رجل بعد رجل!، فقال: ذلك لك. فحمل على القوم وهو يقول:

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخر حين أفخر
وفاطم أمي ثم جدي محمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر
بنا بين الله الهدى من ضلالة ... ويغمر بنا آلاءه ويطهر
علينا وفينا أنزل الوحي والهدى ... ونحن سراج الله في الأرض نزهر
ونحن ولاة الحوض نسقي محبنا ... بكأس رسول الله من ليس ينكر
إذا ما أتى يوم القيامة ظامياً ... إلى الحوض يسقيه بكفيه حيدر
إمام مطاع أوجب الله حقه ... على الناس جمعاً والذي كان ينظر
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر
فطوبى لعبد زارنا بعد موتنا ... بجنة عدن صفوها لا يكدّر

قال: ثم أن الحسين عليه السلام نظر إلى اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته صرعى، فالتفت إلى الخيمة ونادى: يا سكينة، يا فاطمة، يا زينب، يا أم كلثوم عليكن مني السلام، فنادته سكينة: يا أية استسلمت للموت؟ فقال: كيف لا يستسلم من لا ناصر له ولا معين، فقالت: يا أبة ردنا إلى حرم جدنا! فقال: هيهات لو ترك القطا لنا، فتصارخن النساء، فسكتَّهن الحسين ثم حمل على القوم وهو يقول:

كفر القرم وقدماً رغبوا ... عن ثواب الله رب الثقلين
حنقاً منهم وقالوا إننا ... نأخذ الأول قدماً بالحسين
يا لقومي من أناس قد بغوا ... جمعوا الجمع لأهل الحرمين
لا لذنب كان مني سابقاً ... غير فخري بضياء الفرقدين
بعلي الطهر من بعد النبي ... ذاك خيرة هاشم في الخافقين
خيرة الله من الخلق أبي ... بعد جدي فأنا ابن الخيرتين
أمي الزهراء حقاً وأبي ... وارث العلم ومولى الثقلين

فضة قد صفيت من ذهب فأنا الفضة ابن الذهبين
ذهب في ذهب في ذهب ولجين في لجين في لجين
والدي شمس وأمي قمر فأنا الكوكب وابن القمرين
عبد الله غلاماً يافعاً وقريش يعبدون الوثنين
يعبدون اللات والعزى معاً وعلي قائم بالحسنين
مع رسول الله سبعاً كاملاً ما على الأرض مصلٍّ غير ذين
هجر الأصنام لا يعبدها مع قريش لا ولا طرفة عين
من له جد كجدي في الورى أو كأمي في جميع المشرقين
خصَّه الله بفضل وتُقى فأنا الأزهر ابن الأزهرين
جوهر من فضة مكنونة فأنا الجوهر ابن الدرتين
نحن أصحاب العبا خمستنا قد ملكنا شرقها والمغربين
نحن جبريل لنا سادسنا ولنا البيت ومثوى الحرمين
كل ذا العالم يرجوا فضلنا غير ذا الرجس لعين الوالدين
جدي المرسل مصباح الدجى وأبي الموفى له بالبيعتين
والذي خاتمه جاد به حين وافى رأسه للركعتين
قتل الأبطال لما برزوا يوم أُحد وببدر وحُنين
أظهر الإسلام رغماً للعدى بحسام صارم ذي شفرتين

قال: ولم يزل يحمل على القوم يجالدهم بالسيف يميناً وشمالاً حتى قتل منهم مقتلة عظيمة إلى أن انكشفوا من بين يديه واقتحم المشرعة ونزل إلى الماء وقد كضه العطش العظيم وكذلك فرسه.

قال: فلما حس الفرس ببرد الماء يجري تحت قدميه حط رأسه ليشرب فصبر عليه حتى شرب ونفض ناصيته ثم جعل ذوائب السيف في يده وغرف غرفة ليشرب وإذا بصائح: يا حسين أدرك خيمة النساء، فرمى الماء من يده وأقبل مسرعاً نحو الخيمة فرآها سالمة، فعلم أنها كانت حيلة من الكفرة اللئام ليحرموه شرب الماء ويحولوا بينه وبينه:

وا لهفتاه على معين سيادة أكدى وكان على الزمان معينا
أبكي أعز كأن ضوء جبينه فلق صدوقاً في الحديث أميناً
طابت مآزره وطاب ثناؤه فوجدته بالمدحتين قمينا

إن المحامد لا تقوم بفضله ... فاقصص له الأنفال أو ياسينا
اليوم سلطت الدثور على العلى ... ولقد بررت المكرمات سنينا
حتى أغارت للمنون كتائب ... لم أدر أن لها عليك كمينا
هتكت حمى المجد المصون ولم تدع ... دمعاً لذي حلم عليك مصونا

وقال آخر:

لهفي عليه وقد أحاط به العدى ... والبيض تبرق والخيول صواهل
ويقول وهو يجود بينهم وقد ... فقد النصير وثم تمَّ الخاذل
هل مسعد هل منجد هل ناصر ... هل ذائد هل فارس هل راجل
هل راغب هل واهب هل هارب ... هل ناصح هل راشد هل عاقل
يأتي إلينا ناصراً ومحامياً ... فيرى لنا حقاً نفاه الباطل
يا سعده إن قرّ وهو مفارق ... يا فوزه إن قرّ وهو مواصل
لا تجهلوا فالجهل داء معضل ... لا يشتفي من داء جهل جاهل
فأنا الإمام عليكم دون الورى ... وبذاك قد قامت هناك دلائل
جدي النبي محمد مَن فضله ... فضل على كل البرية شامل
وأبي الوصي أبر من وطأ الثرى ... من بعده حاف غداً أو ناعل
والأم فاطمة البتول ومَن لها ... فضل به ضرع الفضائل حافل
وأخي الزكي وجعفر عمي فمن ... في الفضل من كل الأنام يماثل
ولنا المعاد يعود فضل قضائه ... فهناك نحكم فيكم أو نُسأل
فهناك أوقد كل باغ خارج ... نيران حرب وهو فينا داخل

فيا إخواني، كيف لا تبكي عليهم محاجري؟ وكيف لا يقرح السهاد ناظري أو تتزايد أوصابي أو تضرم نار وجدي واكتئابي؟ فيا جفوني سحي دماء، ويا قلبي ازدد ألماً، ويا حرقي اشتدي عليهم، ويا أشواقي تزايدي اليهم.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان وتتابعت عليه الأشجان، فنظم وقال فيهم[1]:

(1) القصيدة لأبي الحسين بن أبي سعيد رحمه الله تعالى.

أيها الباكي المطيل بكاه ... كل ما آن صبحه ومساه
إبك ما عشت للحسين بشجو ... لا ترد بالبكا الطويل سواه
فهو سبط النبي أكرم سبط ... فاز عبد بنفسه واساه
يوم أضحى بكربلا بين قوم ... خذلوه وأظهروا بغضاه
وهو يدعوهم إلى منهج الحق ... وهم في عمى الضلالة تاهوا
كتبوا نحوه يقولون إنّا ... قد رضينا بكل ما ترضاه
سر إلينا فلا إمام نراه ... يهتدي ذا الورى إذاً بهداه
غيرك اليوم يا ابن من فرض الله ... على سائر الأنام ولاّه
كن إلينا مسارعاً فعلينا ... حين تأتي جميع ما تهواه
فأتى مسرعاً إليهم فلما ... عاينوه وعنده أقرباه
أعرضوا عن وداده ثم أبدى ... منهم الحقد من له أخفاه
ثم صالوا عليه صولة بغي ... لم يريدوا من الأنام سواه
فتحامت إليه إخوان صدق ... رغبة في قتال من عاداه
بذلوا دونه النفس اختياراً ... للمنايا وجاهدوا في رضاه
ما ونوا ساعة إلى أن أُبيدوا ... للمنايا ولم يعد إلا هو
تارة بطعن الطغاة وطوراً ... بالحسام الصقيل يحمي حماه
إذ رماه اللعين خولى بسهم ... وهو عن ذاك غافل لا يراه
وعلاه اللعين أعني سناناً ... طعنه بالسنان شُلت يداه
فهوى بالجراح يخفض في الأرض ... صريعاً أبي وأمي فداه
وأتى مسرعاً إلى نحره الشمر ... بعد أن سلَّ سيفه وانتضاه
فبرى رأسه وكبَّر لما ... أن على رأس رمحه علاه
فبكت من فِعاله الجن والأنس ... ومَن حلَّ في رفيع سماه
وبكى البيت والمقام ونادى ... مذهب الحق آه وا ويلاه
وغدا الدين بعد هذا حزيناً ... وعليه الزمان شق رداه
وتولى الجواد يبكي عليه ... آسفاً وهو بالبكا ينعاه
ورأت زينب أخاها على الأرض ... صريعاً معفراً بدماه

ثاوياً بالعرى قتيلاً سليباً عارياً من قميصه ورداه
ثم نادت بأختها أخت يا أخت حق لي في الحسين ما أخشاه
أخت يا أخت خيَّب الدهر فيه ما ارتجيناه آه وا خيبتاه
ما توهمت في جنود يزيد أنهم يهرقون ظلماً دماه
أخت يا أخت آه وا طول حزني بعد آه ثم وا حسرتاه
أخت يا أخت قد جفاني حبيب ما تعمدت في الزمان جفاه
أخت يا أخت ودِّعيه وقولي لحسين متى يعدنا لقاه
أخت يا أخت اسكبي الدمع حزناً لقتيل ما غمضت عيناه
أخت يا أخت قاتل الله قوماً قتلوه وحرموه لقاه
أخت يا أخت اندبيه بشجو ندب صب تقلقت أحشاه
أخت يا أخت اندبيه وقولي يا وحيداً أُبيد بعد ظماه
يا شهيداً لموته أفل البدر واعتراه الخسوف بعد ضياه
يا قضيباً حين استوى وتدلى أقصفته المنون بعد استواه
يا قتيلاً بكت له الجن والأنس طويلاً واستوحشت لجفاه
لهف نفسي وجميع خيل الأعادي قد أهدَّت بركضها أعضاه
لهف نفسي على بنات حسين حاسرات يصحن وا جداه
لهف نفسي على الحسين وشمر قد برى الرأس عامداً من قفاه
آه وا ذلتاه من بعد عز آه وا ضيعتاه يا جداه
آه وا خيبتاه بعد حسين آه وا غربتاه وا وحدتاه
آه يا جد لو رأيت حسيناً بعد أن أحدقت به أعداه
حرَّموا مورد الفرات عليه افتراء وذبحوا إبناه
وسقوه الحِمام ظلماً وجوراً واستباحوا أمواله ونساه
جد يا جد لو رأيت علياً ناحلاً والسقام قد أضناه
لو تراه بقيد وهو يبكي بين قوم لا يرحمون بكاه
وإذا ما رأى أم كلثوم نادى أتعبوني بالقيد يا عمتاه
فبكت رحمة له أم كلثوم وأجابت من بعد ذاك نداه

ثم قالت له ألا أن ذا الحال عزيز لجدنا أن يراه
وعزيز عليه أن لو يرى اليوم بعينيه بعض ما نلناه
لو يرانا ونحن فوق المطايا عند رجس نسير في مسراه
وإذا ما وقفن في السير عنه ساعة لم يكف عنا أذاه
طالباً للشآم نحو يزيد جعلت في جهنم مثواه
ثم لما أتيته في دمشق بهت الرجل إذ رأت عيناه
رأس سبط النبي فوق قناة والسبايا يصحن وا سنداه
ثم قال الزنيم: ويل ابن مرجان على الطاهرين ما أعداه
ويحه ما أشده من عتل ويحه في الفِعال ما أقساه
كنت أرضى بدون ذا الفعل منه لكن الأمر ما أراد الله
ودعا الرجس بعد ذاك بالرأس فأوتي به فلما رآه
ساطعاً بالضيا تعجب منه ثم منه تعجبت جلساه
وعلا بالقضيب رأس حسين ثم في طست عسجد ألقاه
وانثنى الرجس ثم أنشد شعراً وترنَّم وقال في منشاه
ليت أشياخنا تشاهد ذا اليوم الذي قد أسرنا لقاه
يا لها اليوم فرحة وسروراً حيث نال الصديق فيه مناه
فعلى الطاغي اللعين يزيد لعنة الله دائماً تغشاه
فالعنوه ببكرة وأصيل فلقد طال في المعاد شقاه
والعنوا ما استطعتم ابن زياد وابن سعد ومن سعى في رضاه
فلقد باع دينه من يزيد بالزهيد القليل من دنياه
جددوا اللعن ما بقيتم عليه وأطيلوا مدى الزمان سجاه
فلعنهم من المهيمن لعن ليس يفنى ولا يزول بقاه
يا بني المصطفى سلام عليكم ما أضاء الصبح واستنار ضياه
أنتم صفوة العلي من الخلق جميعاً وأنتم أمناه
أنتم منهج القويم وأنتم يا بني أحمد منار هداه
أنتم حبله المتين فطوبى لمحب تمسكته يداه

أنتم يا بني النبي حجج الله ... في البرايا وأنتم خلفاه
حبكم في المعاد ذخري وكنزي ... يوم يلقى المسيء ما قد جناه
وإذا ما أبو الحسين ارتجاكم ... حاش لله أن يخيب رجاه
ابن أبي سعد مخلص الود فيكم ... في غد يرتجيكم شفعاه
ويرجى الخلود في جنة الخلد ... وأن تصفحوا له عن جناه
وعليكم من ربكم صلوات ... ليس يحصي عظيمها إلا هو
ما دعا الله مخلص حين صلّى ... في مقام وما استجيب دعاه

* * *

المجلس العاشر

من الجزء الثاني، في اليوم العاشر من شهر المحرم

وفيه أبواب ثلاثة:

الباب الأول

عباد الله، إن المصيبة بالحسين عليه السلام أعظم المصائب، فصبوا فيها شآبيب الدموع السواكب بتصعيد الزفرات الغوالب؛ واستنزفوا بالبكاء الدماء، واعقبوا الكرب والبلا بتذكركم كربلا، نعم إن المصيبة بالمقتول نجل الرسول والبتول وعلي الليث الصؤول، مصيبة لا يجبر كسرها، وشعلة في صدور المؤمنين لا يطفىء جمرها، وعظيمة من العظائم يتجدد على الأيام ذكرها، ورزية لا يتنفس فجرها، وقارعة زلزلت منها الأرض برها وبحرها، عجباً لمن يتذكر مصارع هؤلاء الأتقياء الشهداء العظماء من أهل بيت صفوة الخلق خاتم الأنبياء، ثم يتمتع بعدهم بشربة من الماء، سبحان الله، أي ظلم جرى على أهل الحراب والمحراب وأرباب الكتيبة والكتاب، وفتيان الطعان والضراب، ورجال القب والقباب، قاصمي الأصلاب، وقاسمي الأسباب، وقاصمي الرقاب، وهازمي الأحزاب، وفالقي جماجم الأتراب، أمراء الخطاب المستطاب من ملوك يوم الحساب، سلاطين يوم الثواب والعقاب.

ما عذر أرجاس بني أمية إذ منعوهم من الطعام والشراب والفرات يومئذ مكرعة الكلاب؟ حبسوا سادة الخلق في صحراء الاكتئاب، ثم ذبحوا تلك النفوس الزكية وعرضوها للنسور والذئاب؛ وعفروا تلك الوجوه البدرية في التراب، هيهات لا عذر إلا أن يساقوا بعد عتاب ربّ الأرباب بأيدي الملائكة الغلاظ الشداد الغضاب إلى دار العذاب الشديد الالتهاب، الضيقة المسالك والشِعاب، صفت الدنيا للطغاة ذوي العناد واتسقت أحوال الوجاهة للإنكار ذوي الأحقاد ونفذت أوامرهم على رقاب العباد ولفظت إليهم الخزائن نفائس الطارف والتلاد. وآل الرسول مشردين في البلاد، منحجرون في كل شعب بغير بزة وزاد، مستشعرون للخوف، مكتحلون بالسهاد، قد ضربت عليهم الأرض بالسهاد، بنات الظَلَمَة في الدور والقصور مسبلات الستور، وبنات الرسول في حر الشمس

في مهب الصبا والدبور، ضاربات الصدور على هؤلاء البدور وغروبها في مغارب القبور، ومصيرها إلى بطون السباع وحواصل الطيور، تمتعت اليزيدية تمتعاً قليلاً وسيعذبون بذلك عذاباً طويلاً، يورثهم ذلك العذاب رنة وعويلاً إذ نسوا وراءهم يوماً ثقيلاً، يوم لا ينفع خليلاً خليلاً ولا يغني عنه فتيلا، إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل ضليلاً، وفواكه ذلك قطوفها، ويسقون لما منعوا من ماء الفرات ﴿كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾[1]؛ وجدوا إلٰهاً رحيماً كريماً، قد أسدى إليهم نعيماً مقيماً، وهؤلاء وجدوا الرسول خصيماً وسكنوا سعيراً وجحيماً، سقوا صديداً وغساقاً وحميماً يدخل الله من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً.

فيا إخواني، لو تصوَّر المحب لآل الرسول ما لاقوا من الخطب المهول لاختار مواساتهم في الموت الشديد وجعله عدّة للعيش الرغيد، أيُجدل الحسين وأهل بيته وأصحابه على الرمال ويعلَّى كريمه الشريف على القنا كالهلال، وتسبى ذراريه محمولين حسراً على الجِمال يُطاف بهم في البلاد مقرنين في الأصفاد هذا والدموع جامدة ونيران الأحزان هامدة، والأشجان متباعدة لا يحسن ذلك من أهل الإيمان ولا من كاملي العقول والأديان، بل والله قلَّ لهذا المصاب خروج الأرواح من شدة الاكتئاب.

فيا إخواني، اسكبوا الدموع وأقلُّوا الهجوع على مَن فقدهم عظيم ومصابهم جسيم، فقد ورد في الخبر عن أهل العلم والأثر، عن منذر النوري: سمعت الحسين عليه السلام يقول: من دمعت عيناه فينا دمعة أو قطرت عيناه فينا قطرة بوأه الله في الجنة حقباً.

وعنه عليه السلام أنه قال: أنا قتيل العبرة ما ذُكرت عند مؤمن إلا بكى واغتمَّ لمصابي.

وعن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: أيما مؤمن ذرفت عيناه لقتل أبي عبد الله الحسين حتى تسيل على خده بوأه الله في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً.

فهذه والله النعمة العظمى والثواب الهني الأهنى.

وعن الباقر عليه السلام أنه قال: رحم الله شيعتنا لقد شاركونا بطول الحزن على مصاب جدي الحسين، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده حزناً على ما مسنا من الأذى من عدونا في دار الدنيا بوأه الله منزل صدق في الجنة.

وروي عن الصدوق القمي في كتاب «كامل الزيارات» بإسناده إلى زارة، قال أبو عبد الله: يا زارة، إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإن الأرض بكت أربعين

(1) سورة الإنسان: الآيتان 17 - 18.

صباحاً بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وابتزت، وإن البحار تفجرت، وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين، وما اختضبت منا امرأة ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجل حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده. وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته وحتى يبكي لبكائه رحمة من رآه، وإن الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء من الملائكة. ولقد خرجت نفسه عليه السلام فزفرت جهنم زفرة كادت الأرض تنشق لزفرتها، ولقد جرت نفس عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية فشهقت جهنم شهقة لولا أن الله حبسها بخزانها لأحرقت مَن على فوق الأرض من فورها، ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلا ابتلعته، ولكنها مأمورة مصفودة. ولقد عتت على الخزان غير مرة حتى أتاها جبرائيل فضربها بجناحه فسكنت، وإنها لتبكيه وتندبه، وإنها لتتلظى على قاتله، ولولا مَن على الأرض مِن حجج الله لتفطرت الأرض وأكفت ما عليها. وما يكثر الزلازل إلاّ عند اقتراب الساعة، وما عين أحب إلى الله تعالى ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه وما من باكٍ يبكيه إلا وقد وصل فاطمة وأسعدها عليه، وما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدي فإنه يحشر وعينه قريرة، والبشارة بلقائه والسرور على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون.

والخلق يعرضون وهم خدام الحسين عليه السلام تحت العرش، وفي ظلّ العرش، لا يخافون سوء الحساب، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه، وأن الحور لترسل إليهم: إنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدون فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة. وإن أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار، ومن قائل: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[1]، وإنهم ليرون منزلهم وما يقدرون أن يدنوا إليهم ولا يصلون إليهم، وإن الملائكة لتأتيهم من أزواجهم ومن خزانهم ما أعطوا من كرامة فيقولون: نأتيكم إن شاء الله تعالى. فيرجعون إليَّ بمقالاتهم فيزدادون إليهم شوقاً إذ هم خُيِّروا بما هم فيه من الكرامة وقربهم من الحسين فيقولون: الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر وأهوال القيامة ونجانا مما كنا نخاف، ويؤتون بالمراكب والرجال على النجائب فيستوون وهم في الثناء على الله والصلاة على محمد وآله حتى ينتهوا إلى منازلهم.

وعن زيد الشحام قال: كنا عند أبي عبد الله نحن وجماعة من الكوفيين، إذ دخل

(1) سورة الشعراء: الآيتان 100 - 101.

جعفر بن عفان على أبي عبد الله فقربه وأدناه ثم قال: يا جعفر، قال: لبيك جعلني الله فداك، قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين وتجيد، قال: نعم جعلني الله فداك، قال: قل. فأنشده ومن حوله حتى سالت له الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال: يا جعفر والله لقد شهد الملائكة المقربون ها هنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر ولقد أوجب الله لك يا جعفر في ساعته الجنة بأسرها وغفر لك. وقال أيضاً: يا جعفر ألا أزيدك؟ قال: نعم يا سيدي، قال: ما من أحد قال في الحسين شعراً بكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له.

وعنه عليه السلام قال: إذا كان يوم العاشر من المحرم تنزل الملائكة من السماء ومع كل ملك منهم قارورة من البلور الأبيض ويدورون في كل بيت ومجلس يبكون فيه على الحسين عليه السلام فيجمعون دموعهم في تلك القوارير فإذا كان يوم القيامة فتلتهب نار جهنم فيضربون من تلك الدموع على النار فتهرب النار عن الباكي على الحسين مسيرة ستين ألف فرسخ.

أيا شيعة المختار نوحوا لمصرع ... الشهيد وبالدمع الغزير فجودوا
تطأه الخيول الحادثات بركضها ... ويسفى عليه بعد ذاك صعيد
وآل رسول الله يشهرون في الملا ... وآل ابن هند في الخدور قعود
ورأس إمام السبط في رأس ذابل ... طويل على رأس سنان يميد
وينكثه بالخيزران شماتة ... به وسروراً كافر وعنيد
برزن النساء الهاشميات حسراً ... عليهن من نسج الثكول برود
نوادب يخدشن الوجوه تفجعاً ... وتلطم بالأيدي لهن خدود
فقوموا بأعباء العزاء فإنه ... جليل وأما غيره فزهيد

فيا إخواني، يحق لي أن أجعل النوح عليهم دأبي وأن أظهر عليهم جزعي واكتئابي، وكيف لا؟ والعيش بعدهم لا يصفو والزفرة عليهم لا تقفوا، وكيف الصبر؟ لمن يمثل مولاه الحسين عليه السلام وهو واقف ينادي في ميدان القتال: ألا هل من نصير ينصر الآل، ألا هل من معين يعين عترة المختار، ألا هل من ذاب يذب عن الذرية الأطهار، أين الثقاة البررة والأتقياء الخيرة، أين من أوجب حقاً عليه الإسلام، أين الوصية فينا من الرسول؛ فما عذر أهل الزمان عن إقامة العزاء للإمام الشهيد العطشان؟.

نقل أن الحسين عليه السلام، لما كان في موقف كربلا أتته أفواج من الجن الطيارة وقالوا له: نحن أنصارك فمرنا بما تشاء فلو أمرتنا بقتل عدو لكم لفعلنا، فجزاهم خيراً

وقال لهم: إني لا أخالف قول جدي رسول الله ﷺ حيث أمرني بالقدوم عليه عاجلاً وإني الآن قد رقدت ساعة فرأيت جدي رسول الله قد ضمني إلى صدره وقبَّل ما بين عيني وقال لي: يا حسين إن الله عزَّ وجلَّ شاء أن يراك مقتولاً ملطخاً بدمائك مخضباً شيبتك بدمائك مذبوحاً من قفاك وقد شاء الله أن يرى حرمك سبايا على أقتاب المطايا وإني والله سأصبر حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين. ثم أنه عليه السلام لم يزل يحمل على القوم ويقاتلهم حتى قتل من القوم ألوفاً، فلما نظر الشمر لعنه الله إلى ذلك قال لعمر بن سعد: أيها الأمير، والله لو برز إلى الحسين أهل الأرض لأفناهم عن آخرهم فالرأي أن نفترق عليه ونملأ الأرض بالفرسان والرماح والنبل تحيط به من كل جانب، قال: ففعلوا ذلك، وجعل الحسين يحمل تارة على الميمنة وأخرى على الميسرة حتى قتل على ما نقل ما يزيد على عشرة آلاف فارس ولا يبين فيهم لكثرتهم حتى أثخنوه بالجراح.

نقل أنه وقع فيه ثمانون جرحاً ما بين طعنة ونبلة، فبينما هو كذلك إذ رماه اللعين خولى بن يزيد الأصبحي بسهم فوقع في لبته فأرداه صريعاً على الأرض، فجعل ينزع السهم ويأخذ الدم بكفه فيخضب به رأسه ولحيته، فقيل له: ما هذا يا أبا عبد الله؟ فقال: حتى ألقى جدي وأنا مخضوب بدمي فأشكوا إليه ما نزل بي، قال: فنادى شمر بن الجوشن لعنه الله: ما انتظاركم فيه! احملوا عليه من كل جانب، فضربه زرعة بن شريك لعنه الله على عاتقه الأيسر وضربه الآخر من كندة على وجهه وآخر ضربه على مفرق رأسه وحمل عليه جوشن فقطعه وأصاب السيف رأسه فسال الدم منه وأخذ منه البرنس، فقال له الحسين عليه السلام: لا أكلت بيمينك ولا شربت بها وحشرك الله مع القوم الظالمين.

قال: فأقبل الكندي بالبرنس إلى منزله فقال لزوجته: هذا برنس الحسين فاغسليه من الدم، فبكت وقالت له: ويلك قتلت الحسين وسلبت برنسه! والله لا أصبحتك أبداً؛ فوثب إليها ليطلمها فانحرفت عن اللطمة فأصابت يده الباب التي في الدار فدخل مسمار في يده فعملت عليه حتى قطعت من وقته ولم يزل فقيراً حتى مات لا رضي الله عنه.

وطعنه سنان بن أنس النخعي برمح وبادر إليه خولى بن يزيد ليحتز رأسه فرمقه بعينيه فارتعدت فرائصه منه فلم يجسر عليه وولى عنه. ثم ابتدر إليه أربعون فارساً كل يريد قطع رأسه، وعمر بن سعد لعنه الله يقول: عجلوا عليه، عجلوا عليه، فدنا إليه شبث بن ربعي وبيده سيف ليجتز رأسه فرمقه عليه السلام بطرفه فرمى السيف من يده وولى هارباً وهو ينادي: معاذ الله يا حسين أن ألقى أباك بدمك.

قال: فأقبل إليه رجل قبيح الخلقة، كوسج اللحية، أبرص اللون يقال له: سنان،

فنظر إليه عليه السلام فلم يجسر عليه وولى هارباً وهو يقول: ما لك يا عمر بن سعد غضب الله عليك أردت أن يكون محمد خصمي؛ فنادى ابن سعد: من يأتيني برأسه وله ما يتهنا به؟ فقال الشمر: أنا أيها الأمير، فقال: أسرع ولك الجائزة العظمى. فأقبل إلى الحسين وقد كان غشى عليه، فدنا إليه وبرك على صدره فحس به عليه السلام وقال: يا ويلك من أنت فقد ارتقيت مرتقى عظيماً؟ فقال: هو الشمر، فقال له: ويلك من أنا؟ فقال: أنت الحسين بن علي وابن فاطمة الزهراء وجدك محمد المصطفى! فقال الحسين: ويلك إذا عرفت هذا حسبي ونسبي فلم تقتلني؟ فقال الشمر: إن لم أقتلك فمن يأخذ الجائزة من يزيد؟ فقال عليه السلام: أيما أحب إليك الجائزة من يزيد أو شفاعة جدي رسول الله ﷺ؟ فقال اللعين: دانق من الجائزة أحب إليَّ منك ومن جدك!، فقال الحسين عليه السلام: إذا كان لا بد من قتلي فاسقني شربة من الماء، فقال له: هيهات والله لا ذقت قطرة واحدة من الماء حتى تذوق الموت غصة بعد غصة!، فقال له: ويلك اكشف لي عن وجهك وبطنك، فكشف له فإذا هو أبقع أبرص له صورة تشبه الكلاب والخنازير، فقال الحسين عليه السلام: صدق جدي فيما قال، فقال: وما قال جدك؟ قال: يقول لأبي علي يقتل ولدك هذا رجل أبقع أبرص أشبه الخلق بالكلاب والخنازير. فغضب الشمر من ذلك وقال: تشبِّهني بالكلاب والخنازير! فوالله لأذبحنك من قفاك. ثم قلبه على وجهه وجعل يقطع أوداجه روحي له الفداء وهو ينادي: وا جداه وا محمداه وا أبا قاسماه وا أبتاه وا علياه أأقتل عطشاناً وجدي محمد المصطفى؟ أأقتل عطشاناً وأبي علي المرتضى وأمي فاطمة الزهراء؟ فلما احتز الملعون رأسه شاله في قناة فكبر وكبر العسكر معه، وشرع في سلب الحسين عليه السلام، فأخذ سراويله بحر بن كعب، وأخذ عمامته أحبش بن يزيد، وأخذ سيفه رجل من بني دارم، وانتهبوا رحله، فتزلزلت الأرض وأظلم الشرق والغرب، وأخذت الناس الصواعق والرجفة من كل جانب، وأمطرت السماء دماً، وانكسفت الشمس لقتله، وفيه يقول الشاعر:

ألم تر أن الشمس أضحت مريضة ... لقتل حسين والبلاد اقشعرت
وإن قتيل الطف من آل هاشم ... أذلّ رقاب المسلمين فذلّت

فيا فؤادي القريح من الكآبة والحزن لا تستريح، أو ما يحق لهذا الرزء الجليل أن تشق عليه القلوب فضلاً عن الجيوب.

نقل أنه لما قتل الحسين عليه السلام جعل جواده يصهل ويحمحم ويتخطى القتلى في المعركة واحداً بعد واحد، فنظر إليه عمر بن سعد فصاح بالرجال: خذوه وآتوني به،

وكان من جياد خيل رسول الله ﷺ، قال: فتراكضت الفرسان إليه فجعل يرفس برجليه ويمانع عن نفسه ويكدم بفمه حتى قتل جماعة من الناس ونكس فرساناً عن خيولهم ولم يقدروا عليه، فصاح ابن سعد: ويلكم تباعدوا عنه ودعوه لننظر ما يصنع؟ فتباعدوا عنه، فلما أمن الطلب جعل يتخطى القتلى ويطلب الحسين عليه السلام حتى إذا وصل إليه جعل يشم رائحته ويقبله بفمه ويمرغ ناصيته عليه وهو مع ذلك يصهل ويبكي بكاء الثكلى حتى تعجب كل من حضر، ثم انفلت يطلب خيمة النساء وقد ملأ البيداء صهيلاً، فسمعت زينب صهيله فأقبلت على سكينة وقالت: هذا فرس أخي الحسين قد أقبل، لعله معه شيئاً من الماء. فخرجت متخمرة من باب الخباء تتطلع إلى الفرس، فلما نظرتها فإذا هي عارية من راكبها والسرج خال منه فهتكت عند ذلك خمارها ونادت: والله قتل الحسين، فسمعت زينب قولها فصرخت وبكت وأنشأت تقول:

شرقت بالريق في أخ فجعت به ... وكنت من قبل أرعى كل ذي جاري
فالوهم أحسبه شيئاً فأندبه ... لولا التخيُّل ضاعت فيه أفكاري
قد كنت آمل آمال أُسر بها ... لولا القضاء الذي في حكمه جاري
جاء الجواد فلا أهلاً بمقدمه ... إلا بوجه حسين مدرك الثار
ما للجواد لحاه الله من فرس ... أن لا يجد دون الضيغم الجاري
يا نفس صبراً على الدنيا ومحنتها ... هذا الحسين قتيل بالعرى عاري

قال: فخرجن النساء فلطمن الخدود وشققن الجيوب وصحن: وا محمداه، وا علياه، وا فاطماه، وا حسناه، وا حسيناه، وارتفع الضجيج وعلا الصراخ، فصاح ابن سعد: أضرموا عليهم النار في الخيمة! فقيل: يا ويلك يا عمر ما كفاك ما صنعت بالحسين وتريد أن تحرق حرم رسول الله بالنار؟ لقد عزمت أن تخسف بنا الأرض!، فأمرهم بعد ذلك بنهب ما في الخيم، فيا ويلهم ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله من غير جرم اجترموه ولا مكروه ارتكبوه! فيا لها من مصيبة ما أوجعها! ومن رزية ما أفجعها! فكيف لا يحزن المحبون؟ وقد ذبح المبغضون ذرية رسول الله ﷺ من غير سبب، وداروا برؤوسهم البلدان من غير أمر قد وجب، وسبوا نساءهم على الجمال وأدخلوهم على يزيد في أذلّ الأحوال، ما هو إلا شيء ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾[1]:

ولم أنس من بين النساء سكينة ... تقول ودمع العين يهمى ويهمل

(1) سورة مريم: الآية 90.

أبي يا أبي يا خير ذخر فقدته ... فيا ضيعتي من ذا لضيمي أؤمل
أبي يا أبي ما كان أسرع فرقتي ... لديك فمن لي بعدك اليوم يكفل
أبي يا أبي من للشدائد يرتجي ... ومن لي إذا ما غبت كهف ومؤئل
أبي يا أبي هل لا تعود لثاكل ... تعلّ من الأحزان طوراً وتنهل
ومن لليتامى بعد بُعدك سيدي ... ومن للأيامى كافل ومتكفل
فعذب حياتي بعد فقدك والدي ... وما دمت حتى للقيامة حنظل
وتشكو إلى الزهراء بنت محمد ... بقلب حزين بالكآبة مقفل
أيا جدتا قومي من القبر وانظري ... حبيبك متروب الجبين مرمل
عرايا على عادي العرى متعفراً ... قتيلاً خضيباً بالدماء مغسل
وقد قطعوا دون الوريد وريده ... وديس ومنه الرأس في الرمح يحمل
وقد حرموا ماء الفرات عتاوة ... علينا وسلب الفاطميات حلّلوا
وتلك الوجوه المشرقات برغمها ... تهتك ما بين الأنام وتهزل
وتلك الجباه الشامخات على القنا ... تُشجُّ وتُرمى بالتراب وتُرمل
وساروا بنا يا جدتاه حواسراً ... وأوجهنا بعد التخفر تبذل
سبايا على الأقتاب تبدو جسومنا ... عرايا بلا ظل به نتظلّل

وقال آخر:

وزينب من فرط الأسى تُكثر البكا ... تقول: أخي مَن لي إذا نابني الدهر
أخي يا ابن أمي يا حسين أما ترى ... نساءك حسرى عزّ عندهم الستر
أخي يا كفيلي يا شقيقي وعدتي ... ومعتمدي إن مسني العسر واليسر
أخي كنت ركني في الشدائد ملجأ ... وعوني ومن في حكمه النهي والأمر
أخي قد رمانا الدهر بالضر والعنا ... أخي قد علانا بعدك الذلّ والكسر
أخي قلَّ صبري واحتمالي ومَن تكن ... فقيداً لها من أين يلقى لها الصبر
أخي بعدك السجاد في قيد أسرهم ... فلهفي لمن قد مضّه القيد والأسر
أخي لو ترانا فوق أقتاب بِدْنهم ... يُسار بنا حسرى يعالجنا القهر
أخي كل خطب هان عند حلوله ... سوى يومك الجاري فمطعمه مرّ
فيا نكبة هدَّت قوى دين أحمد ... وعظم مُصاب في القلوب له سعر

وقال آخر[1]:

تمسك بالكتاب ومن تلاه ... فأهل البيت هم أهل الكتاب
بهم نزل الكتاب وهم تلوه ... وهم أهل الهداية للصواب
إمامي وجَّد الرحمٰن طفلاً ... وآمن قبل تشديد الخطاب
علي كان صديق البرايا ... علي كان فاروق العذاب
شفيعي في القيامة عند ربي ... نبيي والوصي أبو تراب
وفاطمة البتول وسيِّدا مَن ... يخلَّد في الجنان من الشباب
على الطف السلام وساكنيه ... وروح الله في تلك القباب
نفوس قدَّست في الأرض قدماً ... وقد خلصت من النطف العذاب
مضاجع فتية عهدوا فناموا ... هجوداً في الفدافد والشعاب
علتهم في مضاجعهم كعاب ... بأرواق منعمة رطاب
وصيرت القبور لهم قصوراً ... مناخاً ذات أفنية رحاب
بنات محمد أضحت سبايا ... يسقن مع الأسارى والتهاب
معثرة الذيول مكشفات ... كسبي الروم دامية الكعاب
لئن أبرزن كرهاً من حجاب ... فهنَّ من التعفف في حجاب
أيبخل بالفرات على حسين ... وقد أضحى مباحاً للكلاب
فلي قلب عليه ذو التهاب ... ولي جفن عليه ذو انسكاب

نقل عن زينب بنت علي عليها السلام قالت: في اليوم الذي أمر ابن سعد بسلبنا ونهبنا كنت واقفة على باب الخيمة إذ دخل الخيمة رجل أزرق العينين وأخذ جميع ما كان فيها وأخذ جميع ما كان عليَّ، ونظر إلى زين العابدين فرآه مطروحاً على نطع من الأديم وهو عليل، فجذب النطع من تحته وجاء إليَّ وأخذ قناعي وقرطين كانا في أذنيّ وهو مع ذلك يبكي! فقلت له: لعنك الله هتكتنا وأنت مع ذلك تبكي! قال: أبكي مما جرى عليكم أهل البيت، قالت زينب: فأغاظني قوله فقلت له: قطع الله يديك ورجليك وأحرقك بنار الدنيا قبل الآخرة، فوالله ما مرت به الأيام حتى ظهر المختار وفعل به ذلك، ثم أحرقه بالنار. وأما علي بن الحسين عليهما السلام فإنه أقبل إليه الشمر مع جماعة وأردوا قتله فقيل له: صبي عليل لا يحل قتله، ثم أقبل عليهم عمر بن سعد لعنه الله فضج النساء في

(1) وينقل أنه لزينب بنت فاطمة عليهما السلام.

وجهه بالبكاء والنحيب حتى ذهل اللعين وارتعدت فرائصه وقال لهم: لا تقربوا هذا الصبي، ووكّل بعلي بن الحسين وعياله من حضر، وقال لهم: احفظوا واحذروا أن يخرج منهم أحد. فلما رأت أم كلثوم ما حل بهم بكت وأنشأت:

يا سائلي عن فتية صرعوا ... بالطف أضحوا رهن أكفاني
وفتية ليس يجارى بهم ... بنو عقيل خير فرسان
ثم بعون وأخيه معاً ... فذكرهم هيّج أحزاني
من كان مسروراً بما مسّنا ... أو شامتاً يوماً بنا شاني
لقد ذلّلنا بعد عزّ فما ... أرفع ضيماً حين يغشاني
لقد هتكنا بعد صون لنا ... وسامني وجدي وأشجاني

قال: ثم أن عمر بن سعد اللعين نادى بأصحابه: من يبتدر إلى الحسين فيوطىء ظهره وصدره بفرسه؟ فابتدر من القوم عشرة رجال منهم إسحاق بن حنوة الحضرمي، وهو الذي يقول:

* نحن رضضنا الصدر بعد الظَهْر *

فداسوه بخيولهم حتى هشموا صدره وظهره، ورجع عمر بن سعد من ذلك. وقيل: أقام إلى الغد فجمع قتلاه فصلى بهم ودفنهم وترك الحسين وأصحابه. فلما ارتحلوا إلى الكوفة وتركوهم على تلك الحال، عمد أهل الغاضرية من بني أسد فكفنوا أصحاب الحسين وصلُّوا عليهم ودفنوهم، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً. ثم أن عمر بن سعد أمر بالرحيل، فأخذوا السبايا على الجمال وحملوا علي بن الحسين أسيراً وحملوا الرؤوس على الأسنة وتركوا القتلى مطرحين بأرض الغاضريات.

ونقل عن الشعبي أنه قال: سمع أهل الكوفة ليلة قتال الحسين قائلاً يقول:

أبكي قتيلاً بكربلاء ... مضرَّج الجسم بالدماء
أبكي قتيل الطغاة ظلماً ... بغير جرم سوى الوفاء
أبكي قتيلاً بكى عليه ... من ساكن الأرض والسماء
هتك أهلوه واستحلُّوا ... ما حرَّم الله في الإماء
بأبي جسمه المعرى ... إلاَّ من الدين والحياء
كل الرزايا لها عزاء ... وماذا لرزئي من عزاء

قال: ثم أن عمر بن سعد لما أذن للناس بالرحيل إلى الكوفة وأمر بحمل السبايا من

بنات الحسين وإخوته وذراريهم مروا بجثة الحسين ومن معه صاحت النساء ولطمن وجوههن ونادت زينب بنت علي: يا محمداه صلى عليك مليك السماء، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، معفر بالتراب، مقطّع الأعضاء، يا محمداه بناتك في العسكر سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليهم الصبا، هذا أبيك محزوز الرأس من القفا، لا هو غائب فيُرجى ولا جريح فيداوى، فما زالت تقول هذا القول حتى أبكت كل صديق وعدو حتى رأينا دموع الخيل تنحدر على حوافرها.

ولله در بعض المحبين حيث يقول:

قفوا ودِّعونا قبل بُعدكم عنا ... وداعاً فإن الجسم من أجلكم مضنى
فقد نقضت مني الحياة وأصبحت ... على فجاج الأرض من بعدكم سجنا
سلامي عليكم ما أمرّ فراقكم ... فيا ليتنا من قبل ذاك اليوم قد متنا
وإني لأرثى للغريب وإنني ... غريب بعيد الدار والأهل والمعنى
إذا طلعت شمس النهار ذكرتكم ... وإن غربت جددت من أجلكم حزنا
لقد كان عيشي بالأحبة صافياً ... وما كنت أدري أن صحبتنا تفنى
زمان نَعِمْنَا فيه حتى إذا انقضى ... بكينا على أيامنا بدم أقنى
فوالله قد زاد اشتياقي إليكم ... ولم يدع التغميض لي بعدكم جفنا
وقد بارحتني لوعة البين والأسى ... وقد صرت دون الخلق مقترعاً سنا
وقد رحلوا عني أحبة خاطري ... فما أحد منهم على غربتي حنا
عسى ولعل الدهر يجمع بيننا ... وترجع أيام الهنا مثل ما كنا

فيا إخواني، كيف لا نلبس جلابيب الأحزان وسرابيل الأشجان على سادات الزمان وأمناء الملك الديان المبرئين من الزيادة والنقصان، الممدوحين بكل جارحة ولسان؟ فتعساً لمن أرداهم، وسحقاً وخيبة لمن خالفهم وعصاهم. ليتني حضرتهم يوم الطفوف ووقيتهم بنفسي من الحتوف ولكن الأمر ما أراد الله ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

روى الثقاة من أصحاب الحديث بأسانيدهم عن هند بنت الحرث قالت: نزل رسول الله ﷺ خيمة خالتي أم سعد فنام ثم قام من رقدته فدعا بماء يغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحنا فإذا هي أعظم دوحة وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد، ما أكل منها جائع إلا شبع ولا ظامىء إلا روي، ولا سقيم إلا برىء، ولا أكلت من ورقها شاة إلا درّ لبنها، فكنا نسميها المباركة،

حتى أصبحت ذات يوم تساقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا مما رأينا، فما راعنا إلا نعي رسول الله ﷺ. ثم أنه بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوكة من أسفلها إلى أعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضرتها فما شعرنا إلا بقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها، ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها، فبينما نحن فزعين مهمومين إذ أتانا مقتل الحسين السبط ويبست الشجرة على أثر ذلك وذهبت.

وروي عن ابن عباس قال: كنت نائماً في منزلي في المدينة قابلة الظهر فرأيت رسول الله ﷺ وهو مقبل من نحو كربلا وهو أشعث أغبر والتراب على شيبته، وهو باكي العين حزين القلب ومعه قارورتان مملؤتان دماً، فقلت له: يا رسول الله ما هذه القارورتان المملؤتان دماً؟ فقال: هذه فيها من دم الحسين وهذه الأخرى من دم أهل بيته وأصحابه، وإني رجعت الآن من دفن ولدي الحسين، وهو مع ذلك لا يفيق من البكاء والنحيب. قال ابن عباس: فاستيقظت من نومي فزعاً مرعوباً حزيناً على الحسين ولم أعلم بقتله، فبقيت في الهم والغم أربعة وعشرين يوماً حتى جاء الناعي إلى المدينة بقتل الحسين عليه السلام، فحسبت من يوم الرؤيا إلى ذلك اليوم فإذا هو يوم قتل الحسين، وفي تلك الساعة كان مقتله، فتعجبت من ذلك وتزايدت أحزاني وتصاعدت أشجاني.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان فنظم وقال فيهم[1]:

لغير مصاب السبط دمعك ضائع ... ولم نحظ بالحظ الذي أنت طامع
ولا أنت فيما تدعيه من الولاء ... إذا لم يذب من لوعة الحزن سامع
فكل مصاب دون رزء ابن فاطم ... حقير ورزء السبط والله فازع
فدعني عذولي والبكاء فإنني ... أراك خلياً لم ترعك الفواجع
لأي مصاب أم لأي رزية ... تُصان لها دون الحسين المدامع
لحا الله طرفاً لم يسح دموعه ... بقان فما دمع على السبط ضائع
فأين ادعائك الود والعهد والولاء ... وقولك إني تابع ومتابع
يبيت حسين ساهر الطرف خائفاً ... وطرفك ريان من النوم هاجع
وجسم حسين بالدماء مرمل ... وجسمك في ثوب من الحزن دارع

(1) القصيدة لمحمد بن حماد رحمه الله تعالى.

أيا عين ابكي للحسين وما جرى ... عليه وما جرت عليه الخدايع
لقد كاتبوه الناكثون وكثَّروا ... لقولهم أقدم فسعدك طالع
وليس لنا إلاك يا ابن محمد ... إماماً وإن الدين والحق ضائع
وأنفسنا دون النفوس وأهلها ... وأموالنا تفديك والكل طائع
فأقبل مولاي الحسين بأهله ... يحدثهم وحدب الظهور الجراشع
فلم يلق إلا غادراً ومنافقاً ... وكل لعين أحرقته المطامع
يسائله ماذا الذي أنت طالب ... وفي أي قول جئت فيه وطامع
فقال لهم: كُتب لكم ورسائل ... تُخبر أن الكل للحق طائع
فأبدوا جحوداً واعتدوا وتجبروا ... وباحوا بما كانوا بذكراه طالعوا
وأصبح ممنوعاً من الماء وِزده ... وقد ملكت دون الحسين الشرائع
فيا لهف قلبي للشهيد وأهله ... وأصحابه كل هناك يطالع
إلى الماء يجري واللئام تحوطه ... كلون سماء موجه متدافع
وللفاطميات العفاف تلهف ... على شربه والذئب والكلب شارع
فلما رأى السبط الشهيد ضلالهم ... وكل لكل في الغواية تابع
أتى نحوهم في نعله وردائه ... ولا راعه من كثرة القوم رائع
وقال لهم: يا قوم أي شريعة ... مبدلها أم أي بدعة بادع
يحلُّ لكم قتلي بغير جناية ... ألا فانسبوني من أنا ثم راجعوا
نفوسكم قبلي الندامة والأسى ... فما الحزن من بعد التفرط نافع
إذا لم تكونوا ترتضون قدومنا ... دعوني عنكم إني الآن راجع
فقالوا له: خل العلل والمنى ... وصحبك جمعاً سلموا ثم بايعوا
وإلا فكاسات المنون ملاءة ... بها السم من زرق الأسنة ناقع
فشأنك والحالين أي كلاهما ... تريد فأخبرنا بما أنت صانع
فقال لهم: كفوا عن الحرب إنني ... أفكر فيما قلتم وأطالع
ولما دجى الليل البهيم عليهم ... وطاب لخالين القلوب المضاجع
دعا السبط أنصاراً كراماً أعفة ... وما منهم إلا حمي وطائع
فقال لهم: بالحل امضوا واسلكوا ... سبيل النجا بالليل فالبر واسع

فقالوا جميعاً: لا رعى الله عيشة ... نعيش بها والسبط للموت جارع
فقاموا يرون الموت أكبر مغنم ... وما منهم إلا عن السبط دافع
وقام لهم سوق من الموت حامياً ... وتجاره سمر القنا والقواطع
ونادى منادي الموت واشتجر القنا ... وقد نشرت للبيع ثم البضائع
فكم بائع نال السعادة والمنى ... وكم خاب ذاك اليوم شارٍ وبائع
فللّه من أقمار تمٍّ تساقطت ... على الأرض صرعى فهي فيها طوالع
وآساد غيل بعد بأس وسطوة ... مذلّلة من بعد عزّ خواضع
وعاد حسين مثل ما قال شاعر ... كما مثل كف طار عنها الأصابع
ونسوانه من بين سبي وغارة ... حزاناً حيارى نادبات جوازع
وبنت عليٌ لا تملُّ من البكا ... بقلب لها قلب الأحبة لاسع
تقول: أخي هذا الفراق متى اللقا ... وفي أي وقت يجمع الشمل جامع
أخي مَن لنا مِن بعد فقدك كافل ... وفيمن تلوذ البائسات الضوائع
وصاح ابن سعد إذ رأى السبط وحده ... وليس له من قتله من يمانع
ألا عجلوا قتل الحسين وسلبه ... ونهب خيام للنساء وسارعوا
فمال عليه القوم بالبيض والقنا ... ورشق سهام رميه متتابع
فأردوه وخضوب الثياب كأنه ... شمام هوى من سرجه أو مقالع
كأني بشمر جالساً فوق صدره ... لرأس حسين بالمهند قاطع
وعلاً سِنان رأسه في سنانه ... ونور حسين السبط كالبدر ساطع
فيا لك من يوم عظيم مصابه ... عجيب أمور للشواهق ضارع
ففحم الغوى والجهل والبطل جامع ... ونهر الهدى والدين والحق ضائع
وفيه حسين بالدماء مرمل ... وفيه يزيد بالمسرة راتع
وزواره عود وخمرة وقينة ... وزوار مولاي الحسين الجوامع
وطفل يزيد بالمهود ممهد ... وطفل حسين بالمنية راضع
وأطلال أولاد الدعيِّ عوامر ... وأطلال أولاد النبي بلاقع
وآل زياد بالستور أعزَّة ... وآل رسول الله فيها ضوارع
كمثل الإماء يُضربن من كل جانب ... وقد أخذت عن رؤوسهن المقانع

إذا نظروا رأس الحسين إمامهم إلى الأرض من فوق المطايا تواقع
ولم أنس زين العابدين مكبَّلاً وشمر له بالسبِّ والضرب واجِع
وفخذاه نضاخان قانٍ وقلبه من الوَجْدِ والتبريح بالذلِّ خاشع
فكل مُصاب هان دون مصابهم وكل بلاء دونه متواضع
أيا سادتي يا آل طٰه عليكم سلام متى ناح الحمام المراجع
فوالله ما لي في المعاد ذخيرة ولا عمل فيه انمحى الذنب طائع
سوى حبكم يا خير من وطأ الثرى وإني بذاك الذخر راضٍ وقانع
لعل ابن حماد محمد عبدكم له في غدٍ خير البرية شافع
عليكم سلام الله ما هبَّت الصبا وما لاح نجم في دجى الليل لامع

الباب الثاني

يا إخواني، وكيف لا تحزنون على حبيب رب العالمين، وثمرة فؤاد الزهراء بنت خاتنم النبيين، وقرة عين علي أمير المؤمنين؟ وكيف لا يكون كذلك وقد ورد في الخبر عن سيد البشر أنه قال في الحسن والحسين: «اللهم أحبهما وأحب من يحبهما»، وقال: «من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة. ومن بغضهما بغضته، ومن أبغضته بغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار».

فوا عجباه ممن يحبهما رسول الملك الخلاق كيف يقع بهما أهل الضلال والنفاق، فأي فؤاد لا يحزن لفقدهم، وأي عين تحبس دمعها من بعدهم؟ وكيف تستقر القلوب وقد أصبح أهل بيت الرسول ﷺ مطرودين عن الأوطان مشردين في البراري والبلدان، شاسعين في الأمصار كأنهم من سبايا الكفار من غير جرم اجترموه، أو مكروه ارتكبوه، فكم من ورع أُريق دمه وذي كمال نكس علمه، فلو سمعتم كيف ينوح عليهم لسان الصلوات، ويحنُّ إليهم إنسان الخلوات، وتبكيهم محاريب المساجد، وتناديهم أندية الفوائد، لشجاكم سماع تلك الواعية النازلة وعرفتم تقصيركم في هذه المصيبة الشاملة.

ولله در من قال من الرجال:

ولم أنس مولاي الحسين وقد غدا يودِّع أهليه ويوصِّي ويعجل
ينادي: ألا يا أهل بيت محمد أصيغوا لما أوصيكموا وتقبلوا
عليكم بتقوى الله لا تتغيروا لعظم رزاياكم ولا تتبدلوا

ودوموا على أعمالكم وانتهالكم وقوموا إذا جنَّ الدجى وتنفلوا
وإن نابكم خطب فلا تتضعضعوا لوقع الرزايا واصبروا وتحملوا
وفاطمة الصغرى تقول لأختها: هلمي إلى التوديع فالأمر مهول
أرى والدي يوصي بنا أخواته وعيناه من حزن تفيض وتهمل
وتدعو ألا يا سيدي بلغ العدى بنا ما تمنوا في النفوس وأملوا
وقمن النساء الفاطميات ولهاً فأبصرن منه ما يسوء ويذهل
وخرت عليه زينب مستغيثة ومعجرها من نحره متبلل
وتشكو إلى الزهراء فاطم حالها وتندب مما نالها وتولول
أيا أم قومي من ثرى القبر وانظري حبيبك ملقى في الثرى لا يغسل
وهل أنت يا ست النساء عليمة بأنّا حيارى نستجير ونسأل
وهل لك علم من علي فإنه أسير عليل في القيود مغلّل
علمتم وما أعلمتمونا برزئكم وحملتمونا اليوم ما ليس يُحمل
فيا حسرة لا تنقضي ومصيبة لقد نزلت بالناس دهياء معضل

نقل أن الحسين عليه السلام لما أراد الخروج إلى العراق قالت له أم سلمة: يا مولاي لا تخرج، فقد سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول: يقتل ابني الحسين بالعراق، وعندي تربة دفعها إليَّ في قارورة، فقال: والله إني مقتول كذلك وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني أيضاً، ثم أخذ تربة فجعلها في قارورة وأعطاها إياها وقال: اجعليها مع القارورة التي أعطاك إياها جدي فإذا فاضتا دماً فاعلمي أني قد قُتلت. قالت أم سلمة: فلما كان يوم عاشوراء نظرت إلى القارورتين بعد الظهر فإذا هما قد صارتا دماً فصاحت وأعلمت مَن كان عندها فصرخوا وأقاموا عليه العزاء. ولم يُقلب ذلك اليوم حجر ولا مدر إلا ووجد تحته دم عبيط.

علم جده ﷺ أنه مقتول فأوعز إليه فاستقر ذلك في الخاطر وانعقدت عليه السرائر فهان عليه ما يلقاه في طاعة ربه ومولاه حتى جاهد على الضلال ممتثلاً لرضا ذي الجلال، فويل لمن خصماؤه شفعاؤه وشفعاؤه خصماؤه.

فيا إخواني لا تسأموا في إقامة الأحزان، ولا ترغبوا عن إظهار الجزع والأشجان، فإنه قليل في جنب هذا الخطب الجليل.

نقل أنه لما ارتحل عمر بن سعد، لعنه الله تعالى، ومن معه من أرض كربلا متوجهاً

إلى الكوفة ومعهم حرم رسول الله ﷺ ورؤوس العلويين ورأس الحسين عليه السلام يقدمهم، سمعوا هاتفاً يقول[1]:

مررت على أبيات آل محمد فلم أرى أمثالها يوم حلت
فلا أبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت عنها برغم تخلّت
وكانوا رجاه ثم صاروا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت
ألا إن قتل السبط من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذُلّت
أم تر أن الشمس أضحت مريضة لقتل حسين والبلاد اقشعرت
فليت الذي أهوى إليه بسيفه أصاب به يُمنى يديه فشُلّت

عن مسلم الجصاص قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أجصص الأبواب وإذا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة فأقبلت على خادم وكان يعمل معنا، فقلت: ما لي أرى الكوفة تضج؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد بن معاوية، فقلت: من هذا الخارجي؟ قال: الحسين بن علي. قال: فتركت الخادم حتى خرجت ولطمت وجهي حتى خشيت على عينيَّ أن تذهبا وغسلت يدي من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلت نحو أربعين شقة تحمل على أربعين جملاً فيها الحَرَم والنساء وأولاد فاطمة، وإذا بعلي بن الحسين على بعير بغير وطاء وأوداجه تشجب دماً، وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم يا أمة لم تراع جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيِّرونا على الأقتاب عارية كأننا لم نشيِّد فيكم دينا
بني أمية ما هذا الوقوف على تلك المصائب لا تبلونَّ داعينا
تصفقون علينا كفكم فرحاً وأنتم في فجاج الأرض تسبونا
أليس جدي رسول الله ويلكم أهدى البرية من سبل المضلّينا
يا وقعة الطف قد أورثتني حزناً والله يهتك أستاء المسيئينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أم كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام. وصارت

(1) نقل أن الأبيات لسليمان بن قتيبة.

تأخذ ذلك من أيدي الأطفال ومن أفواههم وترمي به إلى الأرض.

قال: كل ذلك والناس يبكون على ما أصابهم، ثم أن أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل وقالت لهم: يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم! فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء. فبينما هي تخاطبهم وإذا بضجة قد ارتفعت وإذا هم بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين، وهو رأس أزهري قمري أشبه الخلق برسول الله ﷺ، ولحيته كسواد التيح قد اتصل بها الخضاب، ووجهه دائرة قمر طالع، والريح تلعب بها يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومأت إليه بحرقة وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتمَّ كمالاً ... غاله خسفه فأبدى غروبا
ما توهَّمت يا شقيق فؤادي ... كان هذا مقدراً مكتوبا
يا أخي فاطم الصغرى كلِّمها ... فقد كاد قلبها أن يذوبا
يا أخي قلبك الشفيق علينا ... ما له قد قسا وصار صليبا
يا أخي لو ترى علياً لدى الأسر ... مع اليتيم لا يطيق وجوبا
كلما أوجعوه بالضرب ناداك ... بِذُلٍّ يفيض دمعاً سكوبا
يا أخي ضمّه إليك وقرِّبه ... وسكِّن فؤاده المرعوبا
ما أذلّ اليتيم حين ينادي ... بأبيه ولا يراه مُجيبا

قال: ثم أن ابن زياد اللعين جلس في قصر الأمارة وأذن للناس إذناً عاماً وأمر بإحضار رأس الحسين، فأحضر بين يديه وجعل ينظر إليه ويبتسم، وكان بيده قضيب، فجعل يضرب به ثناياه.

قال: وكان إلى جانبه رجل من الصحابة يقال له: زيد بن أرقم، وكان شيخاً كبيراً، فلما رآه يفعل ذلك قال له: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين فوالله الذي لا إلٰه إلاَّ هو لقد رأيت ثنايا رسول الله ﷺ ترشف ثناياه، ثم انتحب وبكى؛ فقال ابن زياد: أتبكي؟ أبكى الله عينك، والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لأضربن عنقك. فنهض عنه مولياً، ثم دخلت عليه زينب بنت علي وهي متنكرة وعليها أرذل ثيابها، فجلست ناحية وقد حفَّ بها إماؤها؛ فقال ابن زياد: من هذه؟ فلم تجبه، فأعاد القول ثانية، فقال له بعض الخدم: زينب بنت علي، فأقبل عليها ابن زياد وقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يُفتضح الفاسق ويُكذب الفاجر وهو أنت يا عدو الله وعدو رسوله. فقال لها: كيف رأيت صنع الله بأخيك

وأهل بيته؟ فقالت: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم وتتحاجون وتتخاصمون عنده، وإن لك يا ابن زياد موقفاً فأعِد له جواباً، وآنى لك به!. فغضب ابن زياد واستشاط، فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من خطاياها. فقال ابن زياد: قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك. فرقّت زينب وبكت وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت. فقال ابن زياد: هذه شجاعة، ولعمري كان أبوها أشجع منها. فقالت: ما للمرأة والشجاعة وآنى لي الشجاعة، وإني لفي شغل عنها ولكن صدري نفث بما قلت.

ثم عرض عليه علي بن الحسين فقال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الحسين، وقد كان لي أخ أكبر مني قتلوه الناس، فقال له ابن زياد: قتله الله؛ فقال علي بن الحسين: الله يتوفى الأنفس حين موتها، قال: فغضب ابن زياد وقال: ألك جرأة على جوابي وفيك بقية الرد عليَّ! اذهبوا إليه فاضربوا عنقه، فتعلقت به زينب وقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه وإن قتلتموه فاقتلوني معه، فنظر ابن زياد وقال: وا عجباً للرحم! والله إني لأظنها تود أن أقتلها دونه، دعوه فإني أراه لما به مشغول.

ثم قام من مجلسه وخرج من القصر وجاء المسجد وصعد المنبر وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر الأمير يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب وشيعته. فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، وكان من شيعة علي عليه السلام، وقال بأعلى صوته: يا عدو الله الكذاب أنت وأبوك والذي ولاّك وأبوه يا ابن مرجانة تقتل أولاد الأنبياء وتقوم مقام الصدِّيقين الأتقياء!، قال ابن زياد: عليَّ به، فأخذته الجلاوزة فنادى: معاشر الأزد، فاجتمع منهم جمع كثير فانتزعوه من أيديهم، فلما كان الليل أمر ابن زياد من يأتيه به وقد كان كف بصره، فهجموا عليه ولم يكن عنده غير ابنته، فقال لها: يا بنية ناوليني سيفي وقولي خلفك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم ظفروا به وأخذوه أسيراً إلى ابن زياد، فقال له: الحمد لله الذي أعمى عينيك، فقال له: الحمد لله الذي فتح عينيك وأعمى قلبك. فأمر به فضربت عنقه وصلب رحمة الله عليه.

قال من حضر: رأيت ناراً قد خرجت من القصر كادت تحرقه، فقام ابن زياد عن سريره هارباً ودخل بعض بيوته كل ذلك ولم يرتدع اللعين عن غيه وشقاوته، ثم التفت إلى السبي، فرأى زينب وهي تتخفى بين النساء وتستر وجهها بكمها لأن قناعها أُخذ منها، فقال لها: يا زينب كلميني بحق جدك رسول الله، فقالت: وما الذي تريد وقد هتكتني بين

النساء؟ قال: كيف رأيت صنع الله بأخيك! أراد يكابر الأمير يزيد في مكة فخيّب الله أمله وقطع رجاءه، فقالت زينب: ويلك يا ابن مرجانة كم تسحب علينا أثواب غيك، فإن أخي إن طلب الخلافة فلا عدوان عليه فإنه طلب ميراث جده وأبيه وإنه أحق بالأمر منك وممن أمَّرك، لكنك استخرت الجحيم لنفسك، فاستعد لله جواباً إذ كان هو القاضي والخصم جدي رسول الله والسجن جهنم. قال: فغار علي بن الحسين على عمته فقال لابن زياد: إلى كم تهتك عمتي بين من يعرفها ومن لا يعرفها! قطع الله يديك ورجليك. قال: فاستشاط ابن زياد وأمر بضربه، فمُنع من ذلك.

قال: ثم أن اللعين دعا بالشمر وخولى وشبث بن ربعي وعمر بن الحاج وضم إليهم ألف فارس وزودهم وأمرهم بأخذ السبايا والرؤوس إلى دمشق، إلى يزيد، وأمر أن يشهروهم في كل بلدة يدخلونها. فساروا على الفرات وأخذوا من أول منزل نزلوا وكان المنزل خراباً، فوضعوا الرأس بين أيديهم والسبايا قريباً منه، وإذا بكف خارج من الحائط وقلم يكتب بدم هكذا:

أترجو أمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم الحساب
فلا والله ليس لهم شفيع ... وهم يوم القيامة في العذاب

قال: ففزعوا من ذلك وارتاعوا ورحلوا من ذلك المنزل، وإذا بهاتف يسمعونه ولا يرونه، وهو يقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم: ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي عند مفتقدي ... منهم أُسارى ومنهم ضرَّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلّفوني بسوء في ذوي رحمي

قال: فلما وصلوا إلى تكريت أنفذوا إلى صاحب البلد أن: تلقانا فإن معنا رأس الحسين وسباياه. فلما أخبرهم الرسول بذلك نُشرت الأعلام وخرجت الغلمة يتلقونهم، فقالت النصارى: ما هذا؟ فقالوا: رأس الحسين، فقالوا: هذا رأس ابن بنت نبيكم؟ قالوا: نعم، قال: فعظم ذلك عليهم وصعدوا إلى بِيَعِهِم وضربوا النواقيس تعظيماً لله رب العالمين، وقالوا: اللهم إنَّا إليك براء مما صنع هؤلاء الظالمون.

قال: فلما رحلوا من تكريت وأتوا على وادي النخلة سمعوا بكاء الجن وهن يلطمن الخدود على وجوههن ويقلن:

مسح النبي جبينه فله بريق في الخدود ... أبواه من علياء قريش جده خير الجدود

وأخرى تقول:

ألا يا عين جودي فوق خدي فمن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا إلى متكبّر في المُلك عبد

قال: فلما وصلوا إلى بلدة يقال لها: مرشاد، خرج المشايخ والمخدرات والشبان يتفرجون على السبي والرؤوس وهم مع ذلك يصلُّون على محمد وآله ويلعنون أعداءهم، وهو من العجائب، ثم رحلوا عنهم إلى مدينة يقال لها: بعلبك، وكتبوا إلى صاحبها بأن: تلقانا فإن معنا رأس الحسين بن علي، فأمر بالرايات فنشرت وخرج الغلمان يتلقونهم على نحو من ستة أميال فرحاً بهم.

قال: فدعت عليهم أم كلثوم فقالت: أباد الله كثرتكم وسلّط عليكم من يقتلكم.

قال: فعند ذلك بكى علي بن الحسين وقال:

هو الزمان فلا تفنى عجائبه عن الكرام وما تهدىء مصائبه
فليت شعري إلى كم ذا تجاذبنا فنونه وترانا كم نجاذبه
يسري بنا فوق أقتاب بلا وطاء وسائق العيس يحمى عنه غاربه
كأننا من أسارى الروم بينهم كأن ما قاله المختار كاذبه
كفرتم برسول الله ويحكم فكنتم مثل من ضلّت مذاهبه

قال: ونصبوا الرمح الذي فيه الرأس إلى جانب صومعة راهب، فسمعوا هاتفاً يقول:

والله ما جئتكم حتى بصرت به بالطف منعفر الخدين منحورا
وحوله فتية تدمى نحورهم مثل المصابيح يغشون الدجى نورا
كان الحسين سراجاً يُستضاء به الله أعلم أني لم أقل زورا

فقالت أم كلثوم: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا ملك من الجن أتيت أنا وقومي لننصر الحسين فصادفناه وقد قُتل. قال: فلما سمعوا بذلك رعبت قلوبهم وقالوا: إننا علمنا أننا من أهل النار بلا شك. فلما جن الليل أشرف الراهب من صومعته ونظر إلى الرأس وقد سطع منه نور وقد أخذ في عنان السماء، ونظر إلى باب قد فُتح من السماء والملائكة ينزلون وهم ينادون: يا أبا عبد الله عليك السلام، فجزع الراهب من ذلك، فلما أصبحوا وهمُّوا بالرحيل أشرف الراهب عليهم وقال: ما الذي معكم؟ قالوا: رأس الحسين ابن علي، فقال: ومن أمه؟ قالوا: فاطمة بنت محمد، قال: فجعل الراهب يصفق بكلتا يديه وهو يقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم صدقت الأخبار فيما قالت. فقالوا: وما الذي قالت الأخبار؟ قال: يقولون إذا قتل هذا الرجل مطّرت السماء دماً وذلك

لا يكون إلا لنبي أو ولد وصي؛ ثم قال: وا عجباه من أمة قتلت ابن بنت نبيها وابن وصيه! ثم أنه أقبل على صاحب الرأس الذي يلي أمره، وقال له: أرني الرأس لأنظر إليه، فقال: ما أنا بالذي أكشفه إلا بين يدي الأمير يزيد لأحظى عنده بالجائزة وهي بدرة عشرة آلاف درهم، فقال الراهب: أنا أعطيك ذلك، فقال: أحضره، فأحضر له مال، قال: ثم أخذ الرأس وكشف عنه وتركه في حجره فبدت ثناياه فانكب عليها الراهب وجعل يقبلها ويبكي ويقول: يعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله أن لا أكون أول قتيل بين يديك، ولكن إذا كان في الغد فاشهد لي عند جدك أني أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ثم ردّ الرأس بعد أن أسلم وأحسن إسلامه. فسار القوم ثم جلسوا يقتسمون الدراهم، فإذا هي خزف مكتوب عليها: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]، قال: ثم ساروا إلى أن قربوا من دمشق، وإذا بهاتف يقول:

رأس ابن بنت محمد ووصيه ... يا للرجال على قناة يُرفع
والمسلمون بمنظر وبمشهد ... لا جازع فيهم ولا متوجِّع
كحلت بمنظرك العيون عماءها ... وأصم رزؤك كل أذن تسمع
ما روضة إلاَّ تمنت أنها ... لك تربة ولخط جنبك مضجع
منعوا زلال الماء آل محمد ... وغدت ذئاب البر فيه تكرع
عين علاها الكحل فيه تفرقعت ... ويد تُصافح في البرية تقطع

قال: فلما وردوا إلى دمشق جاء البريد إلى يزيد وهو معصب الرأس ويداه ورجلاه في طشت من ماء حار وبين يديه طبيب يعالجه وعنده جماعة من بني أمية يحادثونه، فحين رآه قال له: أقر عينيك بورود رأس الحسين، فنظره شزراً! وقال: لا أقر الله عينك. ثم قال للطبيب: أسرع واعمل ما تريد أن تعمل. قال: فخرج الطبيب عنه وقد أصلح جميع ما أراد أن يصلحه، ثم أنه أخذ كتاباً بعثه إليه ابن زياد وقرأه؛ فلما انتهى إلى آخره عض على أنامله حتى كاد أن يقطعها، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ودفعه إلى من كان حاضراً، فلما قرأوه قال بعضهم لبعض: هذا ما كسبت أيديكم. فما كان إلا ساعة وإذا بالرايات قد أقبلت ومن تحتها التكبير، وإذا بصوت هاتف لا يُرى شخصه يقول:

جاؤوا برأسك يا ابن بنت محمد ... مترملاً بدمائه ترميلا
ويكبِّرون بأن قُتلت وإنما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا

(1) سورة الشعراء: الآية 227.

قال: ثم دخلوا بالسبايا والرؤوس إلى دمشق وعلي بن الحسين معهم على جمل بغير وطاء وهو يقول:

أُقاد ذليلاً في دمشق كأنني ... من الزنج عبد غاب عنه نصير
وجدي رسول الله في كل مشهد ... وشيخي أمير المؤمنين أمير
فيا ليت لم أنظر دمشق ولم أكن ... يراني يزيد في البلاد أسير

قال: ثم أتوا إلى باب الساعات فوقفوا هناك ثلاث ساعات يطلبون الإذن من يزيد، فبينما هم كذلك إذ خرج مروان بن الحكم، فلما نظر إلى رأس الحسين عليه السلام صار ينظر إلى أعطافه جذلاً طرباً، ثم خرج أخوه عبد الرحمٰن فلما نظر إلى الرأس بكى ثم قال: أما أنتم فقد حجبتم عن جده رسول الله ﷺ والله لا جامعتكم على أمر أبداً. قال: ثم قال: عزيزٌ عليَّ يا أبا عبد الله ما نزل بك. ثم أنشأ يقول:

سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله ليس لها نسل
إمام غريب الطف أدنى برأسه ... من ابن زياد وهو في العالم الرذل

قال: ثم أن يزيد لعنه الله بعث يطلب الرأس، فلما أوتي به إليه وضعه في طشت من ذهب وجعل ينكث ثناياه بقضيب كان عنده، وهو يقول: رحمك الله يا حسين لقد كنت حسن المضحك. ثم أنشأ:

نفلق هاماً من رجال أعزَّة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما

قال: ثم نظر إلى علي بن الحسين وقال: أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني في سلطاني ففعل الله به ما رأيت. فقال علي بن الحسين: ما أصابكم من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، فقال يزيد لولده خالد: أجب علي بن الحسين على جوابه، فلم يدر خالد ما يقول، فقال أبوه: قل له: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[1]، فقال علي بن الحسين: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2]. فسكت يزيد، وإذا بغراب ينعق ويصيح في أعلا القصر، فأنشأ اللعين يقول:

يا غراب البين ما شئت فقل ... إنما تندب أمراً قد فُعل
كل ملك ونعيم زائل ... وبنات الدهر يلعبن بكل
ليت أشياخي ببدر شهدوا ... وقعة الخزرج من وَقْعِ الأسل

(1) سورة الشورى: الآية 30.
(2) سورة الزمر: الآية 42.

لأهلُّوا واستهلُّوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تُشل
قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
وأخذنا من علي ثارنا وقتلنا الفارس الندب البطل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم في المُلك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

قال: ثم أنه التفت إلى القوم وقال: كيف صنعتم بهم؟ فقالوا: جاءنا بثمانية عشر من أهل بيته وسبعين رجلاً من شيعته وأنصاره فسألناهم النزول على حكم الأمير يزيد فأبوا فغدونا عليهم من شرق الأرض وغربها وأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم فلاذوا بنا كما يلوذ الحمام من الصقر، فما كان إلا ساعة حتى أتينا على آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرملة وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح وزوارهم العقبان والرخم. قال: فأطرق يزيد رأسه وقال: كنت أرضى من طاغيتكم بدون قتل الحسين.

قال: ثم أن هند بنت عبد الله بن عمر، زوجة يزيد، دعت برداء وتقنَّعت ووقفت خلف الستار، فلما رأت الرأس بين يدي يزيد قالت: ما هذا؟ فقال: رأس الحسين ابن فاطمة، فبكت هند وقالت: عزيز على فاطمة أن ترى رأس ابنها بين يديك يا يزيد، ويحك فعلت فعلة استوجبت بها النار يوم القيامة، والله ما أنا لك بزوجة ولا أنت لي ببعل؛ ويلك يا يزيد بأي وجه تلقى الله وجده رسول الله؟ فقال لها: ارتدعي يا هند من كلامك هذا والله ما أخبرت بذلك ولا أمرت به، فعند ذلك خرجت عنه وتركته. ثم دخل عليه الشمر اللعين يطلب منه الجائزة وهو يقول:

إملأ ركابي فضة أو ذهباً قتلت خير الخلق أماً وأباً

قال: فنظر إليه يزيد شزراً وقال: أملأ ركابك حطباً وناراً، ويلك إذا علمت أنه خير الخلق أماً وأباً فلم قتلته وجئتني برأسه؟ اخرج من بين يدي لا جائزة لك عندي. فخرج على وجهه هارباً قد خسر الدنيا والآخرة ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾[1].

قال: وحضر عند يزيد رأس الجالوت، فرآه يقلِّب رأس الحسين بالقضيب، فقال له: أتأذن لي أن أسألك يا يزيد؟ فقال: اسأل ما بدا لك. فقال له: سألتك بالله هذا رأس مَن؟ فما رأيت أحسن منه ولا من مضحكه؟ فقال: هذا رأس الحسين بن علي خرج علينا بأرض العراق فقتلناه، فقال رأس الجالوت: فيما استوجب هذا الفعل؟ فقال: ويلك دعوه

(1) سورة الزمر: الآية 15.

أهل العراق وكتبوا إليه وأرادوا أن يجعلوه خليفة فقتله عاملي عبيد الله بن زياد وبعث إليَّ برأسه، فقال له: يا يزيد هو أحق منكم بما طلب وهو ابن بنت نبيكم، ما أعجب أمركم! إن بيني وبين داود نيفاً وثلاثين جداً واليهود يعظّمونني ويأخذون التراب من تحت قدمي وأنتم بالأمس نبيكم بين أظهركم واليوم شددتم على ولده فقتلتموه وسبيتم حريمه وفرّقتموهم في البراري والقِفار! إنكم لأشر قوم! فقال له يزيد: ويلك امسك عن هذا الكلام أو تُقتل.

ثم إن اللعين أمر بإحضار السبايا، فأحضروا بين يديه، فلما حضروا عنده جعل ينظر إليهن ويسأل من هذه، ومن هذه؟ فقيل: أم كلثوم الكبرى، وهذه أم كلثوم الصغرى، وهذه صفية، وهذه أم هاني، وهذه رقية بنت علي، وهذه سكينة، وهذه فاطمة بنتا الحسين، وهذا علي بن الحسين. فالتفت اللعين إلى سكينة وقال: يا سكينة أبوك الذي كفَّر حقي وقطع رحمي ونازعني في ملكي، فبكت سكينة وقالت: لا تفرح بقتل أبي فإنه كان مطيعاً لله ولرسوله ودعاه إليه فأجابه وسعد بذلك وإن لك يا يزيد بين يدي الله مقاماً يسألك عنه فاستعد للمسألة جواباً وآنى لك الجواب. قال لها: اسكتي يا سكينة فما كان لأبيك عندي حق. قال: فوثب رجل من لخم وقال: يا أمير هب لي هذه الجارية من الغنيمة فتكون خادمة عندي ـ يعني سكينة ـ، قال: فانضمت إلى عمتها أم كلثوم وقالت: يا عمتاه أترين نسل رسول الله يكونون مماليكاً للأدعياء؟ فقالت أم كلثوم لذلك الرجل: اسكت يا لكع الرجال قطع الله لسانك وأعمى عينيك وأيبس يديك وجعل النار مثواك إن أولاد الأنبياء لا يكونون خدمة لأولاد الأدعياء. قال: فوالله ما استتمت كلامها حتى أجاب الله دعاءها في ذلك الرجل، فقالت: الحمد لله الذي عجل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة فهذا جزاء من يتعرض بحرم رسول الله.

نقل عن علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: لما وفدنا على يزيد بن معاوية لعنه الله، أتونا بحبال وربطونا مثل الأغنام وكان الحبل بعنقي وعنق أم كلثوم وبكتف زينب وسكينة والبنيات وساقونا، وكلما قصرنا عن المشي ضربونا حتى أوقفونا بين يدي يزيد، فتقدمت إليه وهو على سرير مملكته وقلت له: ما ظنك برسول الله لو يرانا على هذه الصفة؟ فبكى وأمر بالحبال فقطعت من أعناقنا وأكتافنا.

ونقل أيضاً: أن الحريم لما أُدخلن إلى يزيد بن معاوية كان ينظر إليهن ويسأل عن كل واحدة بعينها وهن مربطات بحبل طويل، وكانت بينهن امرأة تستر وجهها بزندها لأنها لم تكن عندها خرقة تستر وجهها، فقال: من هذه؟ قالوا: سكينة بنت الحسين، فقال: أنت

سكينة؟ فبكت واختنقت بعبرتها حتى كادت تطلع روحها، فقال لها: وما يبكيك؟ قالت: كيف لا تبكي من ليس لها ستراً تستر وجهها ورأسها عنك وعن جلسائك؟ فبكى اللعين ثم قال: لعن الله عبيد الله بن زياد ما أقوى قلبه على آل الرسول. ثم قال لها: ارجعي حتى آمركن بأمري.

كثير الحزن من مثلي قليل ... فاقلل من مصابك يا عليل
مصابي لو علمت به عظيم ... ورزئي حين تعلمه جليل
أصبت بسيد ساد البرايا ... فليس لفضل سؤدده عديل
شريكي في مصيبتي الرسول ... وفاطم والوصي وجبرائيل
حسين ابن النبي فدته نفسي ... على الرمضاء عريان قتيل
يرى ماء الفرات على ظماء ... وليس إلى الورود له سبيل
يُطاف برأسه في رأس رمح ... وجثته ترضضها الخيول
وقد برزت حلائله سبايا ... كسبي الروم موقفها ذليل
فأي مصيبة من ذاك أدهى ... إذا ذكرت تفكرها العقول
فماذا للنبي إذا رأته ... غداة الحشر أمته تقول
وكلهم لعترته ظلوم ... غشوم قاتل شان خذول
ستعلم أمة قتلت حسيناً ... بأن عذاب قاتله وبيل
إذا عُرِضوا على الرحمٰن صفاً ... وجاءت ثمَّ فاطمة البتول
وفي يدها قميص السبط تشكو ... ظلامتها فينصفها الجليل
ويهوي الظالمون بها جميعاً ... إلى قعر الجحيم لهم عويل
وتشفع في مواليها فتعطى ... شفاعتها كما قال الرسول
وتقدمهم إلى الفردوس حتى ... تكون ثوابهم ولهم مَقيل
وأني من مواليهم حياتي ... لأن ثواب مولاهم جزيل
أحبهم وأبغض شانئيهم ... وذلك لي إلى ربي وسيل
وأنشر فضلهم نثراً ونظماً ... وأعلم أن ذاك لهم قليل

فانظروا يا إخواني إلى ما قد حل بذراري رسول الملك العلام من الطغاة الكفرة اللئام، أخرجوهن من خدورهن مسلبات، للشعور ناشرات، وللخدود لاطمات، وللمحامي والكفيل فاقدات، ولمحاسن الوجوه بأيديهن ساترات. يعزُّ عليَّ ذكر هذا

المصاب أو يسمح بسطره بناني أو أتمثله في خاطري وجناني، ولكن لا حيلة فيما صدر مما جرى به القضاء والقدر إلا من فاتته نصرتهم يوم القتال فلا ييأس من مشاركتهم في تلك الحال، فإن الله تعالى جعل متابعتنا لهم فيما أمكن من الأفعال وحزننا وبكائنا بالدموع السجال، وبث عيوب أعدائهم أهل الزيغ والضلال قائماً مقام الجهاد معهم يوم القتال، كما ورد في الخبر عن سيد الأوصياء وخير الأتقياء علي عليه السلام أنه قال لأصحابه: الزموا بيوتكم واصبروا على البلاء ولا تتحركوا بأيديكم وسيوفكم وهواء ألسنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله كان كمن مات شهيداً ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام صلاته وجهاده بسيفه ويده وأن لكل شيء أجلاً وانتهاء.

وعلى مثل أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[1]:

ما لدمعي لم يطفأ حر غليلي ... للقتيل الظامي وأي قتيل
لقتيل أبكى النبي وأذكى ... حرق الحزن في فؤاد البتول
لقتيل بكت عليه السماوات ... وأملاكها بدمع همول
لقتيل عزَّى به جده وهو ... ربيب على يدي جبرائيل
كيف يلجأ على النازح الثاكل ... أو يرعوي لعذل العذول
أين قلب الخلي من لوعة الحزن ... وقلب المتيَّم البتول
فضح الدمع من تطلع بالحب ... وصحت شواهد المعلول
لست أنساه يسأل الركب ... والسائل أوفى جزاء من المسؤول
مستدلاً مستخيراً ما اسم هذي الأرض ... وهو الدليل وابن الدليل
ناشقاً ترب كربلا باكياً مستعبراً ... مؤذناً لهم بالنزول
ثم قال: اضربوا الخيام وقِيلوا ... ليس من حادث الردى من مقيل
ها هنا تُنحر النحور ولم يبق ... لنا في الحياة غير القليل
ها هنا يصبح العزيز من الأشراف ... في قبضة الحقير الذليل
ها هنا تُهتك الكرائم من آل ... عليٍّ بذلّة وخمول

(1) القصيدة للشيخ الخليعي رحمه الله تعالى.

من دمي يُبلل الثرى ها هنا ... وا حرَّ قلبي على الثرى المبلول
ورقا فوق منبر حامد الله ... يثني على العزيز الجليل
ثم قال: اربعوا فقتلي شفاء ... لصدور مملوءة بالذحول
فأجابوه: حاشى الله بل يفديك ... كلٌّ بالنفس يا ابن البتول
فجزاهم خيراً وقال: لقد ... فزتم ونُلتم نهاية المأمول
ومضى يقصد الخيام ويدعو ... ودِّعيني يا أخت قبل الرحيل
ودِّعيني فما إلى جمع شملي ... بكم بعد فرقة من سبيل
ودِّعيني واستعملي الصبر إنَّا ... من قبيل يفوق كل قبيل
شأننا إن طغت علينا خطوب ... نتلقى الأذى بصبر جميل
لا تشقِّي جيباً ولا تلطمي خداً ... فإنَّا أهل الرضا والقبول
واخلفيني على بناتي وكوني ... خير مستخلف لأكرم جيل
وأطيعي إمامك السيد السجاد ... رب التحريم والتحليل
فإذا ما قضيت نحبي فقولي ... في الإلٰه خير سبيل
واذكريني إذا تنفلت بالليل ... عقيب التكبير والتهليل
وغدا طالباً قتال بني الزرقاء ... ببيض الظبا وزرق النصول
فاتكاً فيهم كَفَتْكِ أمية ... يوم بدر بالصارم المصقول
فأتاه سهم اللعين فأرداه ... صريعاً يرضّ تحت الخيول
ومضى المهر ناعياً يقصد الفسطاط ... في كسره وضعف صهيل
فبرزن النسوان من خلل السجف ... حيارى في رنة وعويل
وأتت زينب إليه تنادي ... وا أخي وا مؤملي وا كفيلي
يا ابن أبي يا واحدي يا شقيقي ... وا سبائي وا ذلّتي وا غليلي
ثم تدعو بأمها: أم يا أم ... ادركيني وعجلي واندبي لي
واخرجي من ثرى القبور ونوحي ... لي على غربتي وحزني الطويل
واسعديني وابكي على النازح ... الدار الغريب المشرد المقتول
ثم تدمي الخد الأسيل من النحر ... المدمى باللثم والتقبيل
وتنادي: يا أخي ما ترى الأيتام ... يعثرن دهشة بالذيول

ما ترى نجلك المفدى بذلّ وسقام بادٍ وداء دخيل
يتشكى ثقل الحديد عليلاً لهف قلبي على الأسير العليل
ثم تبكي والسبط ملقى على الأرض رميلاً وا حسرتا للرميل
كلما أفحمت ومَلّت من الندى رنا نحوها بطرف كليل
يا لها من مصيبة أضعفت أركان دين الهدى وخطب جليل
أيُعَلا رأس الحسين على الرمح ويهدى إلى الطغاة النغول
يا ابن بنت النبي جفني بتسكاب دموعي عليك غير نجيل
ما شجاني إلا مصابك لا فقد حبيب ولا فراق خليل
عبدك التابع الخليعي محزون بكم عارف لكم بالدليل
ما ثنته عنكم خطوب كما قيل ولا قاس عالماً بجهول
حاشى لله كيف يمضي مع الفاضل دعوى إمامة المفضول
لكن الجاهل المقلد لا يفرق بين الدليل والمدلول
أنتم الآمرون للناس بالتقوى وأهل التنزيل والتأويل
حكمكم في العباد ماضٍ فيهم بين ضلال مرد وضل ضليل
فاقسموني إذا قسمتم نعماً وجحيماً إلى ثواب جزيل

الباب الثالث

يا إخواني، كيف لا ينهد ركني لمصابهم وأتجرع بعض ما تجرعوه من غصصهم وأوصابهم؟ وهم شفعائي في يوم الدين إلى رب العالمين. حاشى لله بل طال ما شبت نار أحزاني فأكتمها عن من ينظر إليَّ ويراني، وكم كادت مدامعي أن تظهر كتماني فأزيلها بأرداني لئلا يظهر عليها جلسائي وخلاني، ولم لا أموت في هواهم وأتلف مهجتي برضاهم لأفوز بالأجر العظيم والثواب الجسيم؟.

حكي عن الشعبي الحافظ لكتاب الله تعالى أنه قال: استدعاني الحجاج بن يوسف في يوم عيد الضحية، فقال لي: أيها الشيخ أي يوم هذا؟ فقلت: هذا يوم الضحية، قال: بما يتقرب الناس في مثل هذا اليوم؟ فقلت: بالأضحية والصدقة وأفعال البر والتقوى، فقال: اعلم أني قد عزمت أن أضحي برجل حسيني. قال الشعبي: فبينما هو يخاطبني إذ سمعت من خلفي صوت لسلسلة وحديد فخشيت أن ألفت فيستخفني وإذا قد مثل بين يديه

رجل علوي وفي عنقه سلسلة وفي رجليه قيد من حديد، فقال له الحجاج: ألست فلان ابن فلان العلوي؟ قال: نعم أنا ذلك الرجل، فقال له: أنت القائل إن الحسن والحسين من ذرية رسول الله؟ قال: ما قلت ولا أقول ولكني أقول: إن الحسن والحسين ولدا رسول الله وأنهما دخلا في ظهره وخرجا من صلبه على رغم أنفك يا حجاج، قال: وكان متكئاً على مسنده، فاستوى جالساً وقد اشتدى غيظه وغضبه وانتفخت أوداجه حتى تقطعت أزرار بردته، فدعا ببردة غيرها فلبسها، ثم قال للرجل: يا ويلك إن تأتيني بدليل من القرآن يدل أن الحسن والحسين ولدا رسول الله دخلا في ظهره وخرجا من صلبه وإلا قتلتك في هذا الحسين أشر قتلة وإن أتيتني بما يدل على ذلك أعطيتك هذه البردة التي بين يدي وخليت سبيلك. قال: وكنت حافظاً كتاب الله تعالى كله وأعرف وعده ووعيده وناسخه ومنسوخه، فلم تخطر على بالي آية تدل على ذلك، فحزنت على نفسي، يعزُّ والله عليَّ ذهاب هذا الرجل العلوي، قال: فابتدأ الرجل يقرأ الآية فقال: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فقطع عليه الحجاج قراءته وقال: لعلك تريد أن تحتج عليَّ بآية المباهلة وهي قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾[1]؟ فقال العلوي: هي والله حجة مؤكدة معتمدة ولكني آتيك بغيرها، ثم ابتدأ يقرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾[2] وسكت، فقال له الحجاج: فلم لا قلت وعيسى! أنسيت عيسى؟ فقال: نعم، صدقت يا حجاج فبأي شيء دخل عيسى في صلب نوح عليه السلام وليس له أب؟ فقال له الحجاج: إنه دخل في صلب نوح من حيث أمه، فقال العلوي: وكذلك الحسن والحسين دخلا في صلب رسول الله بأمهما فاطمة الزهراء. قال: فبقي الحجاج كأنما أُلقم حجراً، فقال له الحجاج: ما الدليل على أن الحسن والحسين إمامان؟ فقال العلوي: يا حجاج لقد ثبتت لهما الإمامة بشهادة النبي في حقهما لأنه قال في حقهما: «ولداي هذان إمامان فاضلان إن قاما وإن قعدا تميل عليهما الأعداء فيسفكون دمهما ويسبون حرمهما»، ولقد شهد النبي لهما بالإمامة أيضاً حيث قال: «ابني هذا ـ يعني الحسين ـ إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة»، فقال الحجاج: وكم عمر الحسين في دار الدنيا؟ فقال: ست وخمسون سنة. فقال له: وفي أي يوم قُتل؟ قال: يوم العاشر في شهر عاشوراء بين الظهر والعصر. فقال له: ومن قتله؟ فقال: يا حجاج لقد جنَّد الجنود ابن زياد بأمر اللعين يزيد فلما اصطفت العساكر لقتاله فقتلوا حماته وأنصاره وأطفاله وبقي فريداً، فبينما هو يستغيث فلا يغاث

(1) سورة آل عمران: الآية 6.
(2) سورة الأنعام: الآيتان 84 - 85.

ويستجير فلا يجار يطلب جرعة من الماء ليطفىء بها حر الظما، فبينما هو واقف يستغيث إلى ربه إذ جاءه سنان فطعنه بسنانه ورماه خولى بسهم مشؤوم فوقع في لبّته وسقط عن ظهر جواده إلى الأرض يجول في دمه، فجاءه الشمر لعنه الله فاجتز رأسه بحسامه ورفعه فوق قناته وأخذ قميصه إسحاق الحضرمي وأخذ سيفه قيس النهشلي وأخذ بغلته حارث الكندي وأخذ خاتمه زيد بن ناجية الشعبي، وأحاط القوم بخيامه وعاثوا في باقي أثاثه، وأسبوا حريمه ونساءه. فقال الحجاج: هكذا جرى عليهم يا علوي؟ والله لو لم تأتيني بهذا الدليل من القرآن وبصحة إمامتهما لأخذت الذي فيه عيناك ولقد نجاك الله تعالى مما عزمت عليه من قتلك، ولكن خذ هذه البردة لا بارك الله لك فيها. فأخذها العلوي وهو يقول: هذا من عطاء الله وفضله لا من عطاءك يا حجاج. ثم أن العلوي بكى وجعل يقول:

صلّى الإلٰه ومن يحفُّ بعرشه والطيبون على النبي الناصح
وعلى قرابته الذين نهضوا بالنائبات وكل خطب فادح
طلبوا الحقوق فأُبعدوا عن دارهم وعوَّى عليهم كل كلب نائح

نقل أنه لما دعا اللعين يزيد بسبي الحسين وأعرضوا عليه، قالت له زينب بنت علي: يا يزيد أما تخاف الله سبحانه من قتل الحسين؟ وما كفاك حتى تستحث حرم رسول الله من العراق إلى الشام؟ وما كفاك انتهاك حرمتهن حتى تسوقنا إليك كما تُساق الإماء على المطايا بغير وطاء من بلد إلى بلد؟ فقال لها يزيد لعنه الله: إن أخاك حسيناً قال: أنا خير من يزيد وأبي خير من أبيه وأمي خير من أمه وجدي خير من جده، فقد صدق في بعض وألحن في بعض؛ أما جده رسول الله فهو خير البرية، وأما أن أمه خير من أمي وأباه خير من أبي كيف ذلك وقد حاكم أبوه أبي؟ ثم قرأ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، قال: فقالت: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2]. ثم قالت: يا يزيد ما قتل الحسين غيرك ولولاك لكان ابن مرجانة أقل وأذل، أما خشيت من الله بقتله؟ وقد قال رسول الله فيه وفي أخيه: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، فإن قلت لا فقد كذبت وإن قلت نعم فقد خصمت نفسك. فقال يزيد: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾[3]، وبقي خجلاناً وهو مع ذلك لم يرتدع عن غيه وبيده قضيب ينكث ثنايا الحسين، فدخل عليه رجل من الصحابة ـ ونُقل أنه زيد بن

(1) سورة آل عمران: الآية 26.
(2) سورة آل عمران: الآيتان 169 - 170.
(3) سورة آل عمران: الآية 34.

أرقم ـ فقال له: يا يزيد فوالله الذي لا إلٰه إلا هو لقد رأيت رسول الله يقبّلهما مراراً كثيرة ويقول له ولأخيه الحسن: «اللهم إن هذان وديعتي عند المسلمين» وأنت يا يزيد هكذا تفعل بودائع رسول الله! قال: ثم أن يزيد غضب عليه وأمر به فسجن حتى نقل أنه مات وهو في السجن ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ونقل أن سكينة بنت الحسين قالت: يا يزيد رأيت البارحة رؤيا إن سمعتها مني قصصتها عليك، فقال يزيد: هاتي ما رأيت! قالت: بينما أنا ساهرة وقد كللت من البكاء بعد أن صليت ودعوت الله بدعوات رقدت عيني رأيت أبواب السماء قد تفتحت وإذا أنا بنور ساطع من السماء إلى الأرض وإذا أنا بوصائف من وصائف الجنة، وإذا أنا بروضة خضراء وفي تلك الروضة قصر، وإذا أنا بخمس مشايخ يدخلون إلى ذلك القصر وعندهم وصيف، فقلت: يا وصيف أخبرني لمن هذا القصر؟ فقال: هذا لأبيك الحسين أعطاه الله ثواباً لصبره، فقلت: ومن هؤلاء المشايخ؟ فقال: أما الأول فآدم أبو البشر، وأما الثاني فنوح نبي الله، وأما الثالث فإبراهيم خليل الرحمٰن، وأما الرابع فموسى الكليم، فقلت: ومن الخامس الذي أراه قابضاً على لحيته باكياً حزيناً من بينهم؟ فقال لي: يا سكينة أما تعرفينه؟ فقلت: لا، فقال: هذا جدك رسول الله، فقلت له: إلى أين يريدون؟ فقال: إلى أبيك الحسين، فقلت: والله لألحقن جدي وأخبرنه بما جرى علينا. فسبقني ولم ألحقه، فبينما أنا متفكرة وإذا بجدي علي بن أبي طالب وبيده سيفه وهو واقف، فناديته: يا جداه قُتل والله ابنك من بعدك، فبكى وضمني إلى صدره وقال: يا بنية صبراً وبالله المستعان. ثم أنه مضى ولم أعلم إلى أين، فبقيت متعجبة، كيف لم أعلم به؟! فبينما أنا كذلك إذا بباب قد فتح من السماء، وإذا بالملائكة يصعدون وينزلون على رأس أبي. قال: فلما سمع يزيد ذلك لطم على وجهه وبكى وقال: ما لي ولقتل الحسين.

وقيل في نقل آخر: أن سكينة قالت: ثم أقبلت على رجل دري اللون، قمري الوجه، حزين القلب، فقلت للوصيف: من هذا؟ فقال: جدك رسول الله، فدنوت منه وقلت له: يا جداه قتلت والله رجالنا وسفكت والله دماؤنا، وهُتكت والله حريمنا، وحُملنا على الأقتاب بغير وطاء، نُساق إلى يزيد، فأخذني إليه وضمني إلى صدره. ثم أقبل عليَّ آدم ونوح وإبراهيم وموسى، ثم قال لهم: ما ترون إلى ما صنعت أمتي بولدي من بعدي؟ ثم قال الوصيف: يا سكينة اخفضي صوتك فقد أبكيتي رسول الله، ثم أخذ الوصيف بيدي وأدخلني القصر وإذا بخمس نسوة قد عظَّم الله خلقتهن وزاد في نورهن وبينهن امرأة عظيمة

(1) سورة هود: الآية 18.

الخلقة ناشرة شعرها، وعليها ثياب سود، وبيدها قميص مضمخ بالدم، وإذا قامت يقمن معها وإذا جلست يجلسن معها، فقلت للوصيف: من هؤلاء النسوان اللواتي قد عظّم الله خلقتهن؟ فقال: يا سكينة هذه حواء أم البشر، وهذه مريم ابنة عمران، وهذه خديجة بنت خويلد، وهذه هاجر، وهذه سارة، وهذه التي بيدها القميص المضمخ بالدم وإذا قامت يقمن معها وإذا جلست يجلسن معها هي جدتك فاطمة الزهراء، فدنوت منها وقلت لها: يا جدتاه قُتل والله أبي وأُيتمت على صغر سني، فضمتني إلى صدرها وبكت بكاءاً شديداً وبكين النسوة كلهن وقلن لها: يا فاطمة يحكم الله بينك وبين زيد يوم فصل القضاء. ثم أن يزيد تركها ولم يعبأ بقولها ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]:

قتلتم أبي ظلماً فويلٌ لأمكم ستُجزون ناراً حرها تتوقّد
سفكتم دماء حرَّم الله سفكها وحرَّمها القرآن ثم محمد
ألا فابشروا بالنار إنكم غداً لفي سقر حقاً يقيناً تخلّدوا
وإني لأبكي في حياتي على أبي على خير مَن بعد النبي سيولد
بدمع غزير مستهل مكفكف على الخد مني ذائب ليس يجمد

قال: ثم إن يزيد لعنه الله أمر الخطيب أن يصعد المنبر يسب علياً والحسن والحسين. قال: فصعد ففعل ذلك، فقال له زين العابدين: سألتك بالله إلا ما أذنت لي بالصعود إلى المنبر وأتكلم بكلام لله فيه رضى وللأمة فيه صلاح، فاستحى منه فأذن له، ثم أن زين العابدين جعل بعذوبة منطقه وفصاحة لسانه ودلائل النبوة بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فإني أعرِّفه بنفسي، أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن من حجّ ولبّى، أنا ابن من طاف وسعى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن من دنى فتدلى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن خديجة الكبرى، أنا ابن صريع كربلا، أنا ابن محزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن الذي افترض الله ولايته فقال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾[2]، ألا أن الاقتراف مودتنا أهل البيت، أيها الناس فضلنا الله بخمس خصال: فينا الشجاعة، والسماحة، والهدى، والحكم بين الناس بالحق، والحمية في قلوب المؤمنين.

قال: فقام المؤذن فقطع خطبته، فلما قال: الله أكبر الله أكبر، قال الإمام زين

(1) سورة الشعراء: الآية 227. (2) سورة الشورى: الآية 23.

العابدين: كبَّرت كبيراً وعظَّمت عظيماً وقلت حقاً جليلاً، فقال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال الإمام: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، فقال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، فبكى زين العابدين وقال: يا زيد محمد جدي أم جدك؟ فقال: بل جدك، قال: لم قتلت ولده؟ فلم يرد جواباً. حتى نقل أنه قال: ما لي بالصلاة حاجة، فخرج ولم يصلِّ.

قال: ثم أن المنهال لقي علي بن الحسين عليه السلام فقال: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ فقال: كيف أصبح من قتل بالأمس أبوه وأهله وهو يتوقع الموت بعدهم. ثم قال: أصبحت العرب تفتخر على العجم لأن محمداً منهم ونحن أهل البيت أصبحنا مظلومين مقتولين مشردين. قال: فَعَلَت الأصوات بالبكاء والنحيب حتى أن يزيد، لعنه الله، خشي الفتنة.

ونقل عن هند زوجة يزيد قالت: كنت أخذت مضجعي، فرأيت باباً من السماء قد فتحت والملائكة ينزلون كتائب كتائب إلى رأس الحسين وهم يقولون: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله. فبينما أنا كذلك إذ نظرت إلى سحابة قد نزلت من السماء وفيها رجال كثيرون وفيهم رجل دريُّ اللون قمري الوجه فأقبل يسعى حتى انكب على ثنايا الحسين يقبِّلهما وهو يقول: يا ولدي قتلوك أراهم ما عرفوك ومن شرب الماء منعوك، يا ولدي، أنا جدك رسول الله، وهذا أبوك علي المرتضى، وهذا أخوك الحسن، وهذا عمك جعفر، وهذا عقيل، وهذان الحمزة والعباس. ثم جعل يعدِّد أهل بيته واحداً بعد واحد. قالت هند: فانتبهت من نومي فزعة مرعوبة وإذا بنور قد انتشر على رأس الحسين فجعلت أطلب يزيد وهو قد دخل إلى بيت مظلم وقد دار وجهه إلى الحائط وهو يقول: ما لي وللحسين وقد وقعت عليه الهمومات فقصصت عليه المنام وهو منكس الرأس.

قال: فلما أصبح استدعى بحرم رسول الله ﷺ فقال لهن: أيما أحب إليكن المقام عندي أو الرجوع إلى المدينة ولكم الجائزة السنية؟ قالوا: نحب أولاً أن ننوح على الحسين، قال: افعلوا ما بدا لكم. ثم أخليت لهن الحجر والبيوت في دمشق ولم تبق هاشمية ولا قرشية إلا ولبست السواد على الحسين، وندبوه على ما نقل سبعة أيام، فلما كان اليوم الثامن دعاهن يزيد وعرض عليهن المقام فأبينَّ وأرادوا الرجوع إلى المدينة، فأحضر لهم المحامل وزيَّنها وأمر بالأنطاع من الإبريسم وصب عليها الأموال وقال: يا أم كلثوم خذوا هذا المال عوض ما أصابكم؟ فقالت أم كلثوم: يا يزيد ما أقل حياءك وأصلف وجهك، أتقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالاً! والله لا كان ذلك أبداً:

فيا ذلّة الإسلام من بعد عزّه ويا لك رزء في الأنام خطير
فيا عبرتي سحي ويا حرقتي ازدادي ويا نفس ذوبي فالمصاب كبير
فأي حياة بعد ذا الرزء ترتجي وأي فؤاد يعتريه سرور

نقل اللعين يزيد: أوعد علي بن الحسين بثلاث حاجات يقضيها له، فلما أحضره قال له: اذكر لي حاجاتك اللاتي وعدتك بهن، فقال له: الأولى: أن تريني وجه سيدي ومولاي الحسين فأتزوّد منه وأودعه. والثانية: أن ترد علينا ما أخذت منا. والثالثة: إن كنت قد عزمت على قتلي فوجّه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن. فقال: أما وجه أبيك لن تراه أبداً، وأما قتلك فقد عفونا عنك، وأما النسوة فلا يسير بهن إلى المدينة غيرك، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه، فقال عليه السلام: أما مالك فهو موفور عليك، وإنما طلبت ما أُخذ منا لأن فيها مغزل فاطمة بنت محمد ومقنعتها وقلادتها وقميصها. فأمر اللعين برد ذلك وأمر برد الأسارى إلى أوطانهم.

قال: فسار القائد وكان يتقدمهم تارة ويتأخر عنهم تارة، فقلن النساء له: بحق الله عليك إلا ما عرجت بنا على طريق كربلا. ففعل ذلك حين صل إلى قرب الناحية، وكان قدومهم إلى ذلك المصرع يوم العشرين من صفر، فوجدوا هناك جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من نساء بني هاشم، فتلاقوا في وقت واحد فأخذوا بالنوح والبكاء وإقامة المآتم إلى ثلاثة أيام، فلما انقضت توجهوا إلى نحو المدينة.

قال بشر بن حذلم: لما صرنا قريباً من المدينة نزل علي بن الحسين وحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه، وقال لي: يا بشر ادخل المدينة وانعي أهلها بأبي عبد الله وأخبرهم بقدومنا. قال بشر: فركبت ودخلت المدينة ورفعت صوتي بالبكاء والنحيب فقلت: يا أهل المدينة هذا علي بن الحسين قد قَدِم إليكم مع عماته وأخواته وقد نزل قريباً منكم وأنا رسوله إليكم أعرّفكم بمكانه.

قال: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا وبرزنَّ من خدورهن مخمشة وجوههن لاطمات يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور. قال: فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم.

قال: ثم إن أهل المدينة تبادروا مسرعين إلى نحو زين العابدين وأنا معهم فوجدت الناس قد ملأوا الطرق والأمكنة، فنزلت عن فرسي وبقيت أتخطى رقاب الناس حتى قربت من باب الخيمة وكان زين العابدين عليه السلام داخلاً، فخرج وبيده منديل يمسح به دموعه ـ وكان عمره يومئذ على ما نقل أحد عشر سنة ـ، فجلس على كرسي له وهو لا

يتمالك على نفسه من شدة البكاء والناس يعزونه وهم مع ذلك يبكون وينحبون، فأومى إليهم أن اسكتوا، فقام وقال: الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين، بارىء الخلائق أجمعين، الذي بَعُدَ فارتفع في السماوات العلى، وقَرُبَ فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور ومجامع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب.

أيها الناس، إن الله له الحمد وله الشكر قد ابتلانا بمصائب جليلة، ومصيبتنا ثلمة عظيمة في الإسلام ورزء جليل في الأنام، قتل أبي الحسين وعترته وأنصاره وشيعته، وسبيت نساؤه وذريته، وطِيف برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، فهذه الرزية تعلو على كل رزية، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

أيها الناس، من منكم يُسر قلبه بعد قتل أبي، وهو ابن بنت رسول الله، أم أية عين تحبس وتضن بانهمالها فلقد بكت السبع الشداد لقتله، والسبع الطباق لفقده، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها وسكانها، والأرضون بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والطيور بأوكارها، والحيتان في لجج البحار، والوحوش في البراري والقفار، والملائكة المقرَّبون والسماوات والأرضون.

أيها الناس، أي قلب لا ينصدع لقتله ولا يحزن لأجله، أيها الناس أصبحنا مشردين لائذين شاسعين عن الأمصار كأننا من أولاد الكفار من غير جرم اجترمناه أو مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ولا فاحشة فعلناها، فوالله لو أن النبي أوصى إليهم في قتالنا لما زادوا على ما فعلوه بنا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قام يمشي إلى دار الرسول ليدخلها.

وأما أم كلثوم فحين توجهت إلى المدينة جعلت تبكي وتقول:

مدينة جدنا لا تقبلينا ... فبالحسرات والأحزان جينا
ألا فاخبري رسول الله عنا ... بأنّا قد فُجعنا في أخينا
وأن رجالنا في الطف صرعى ... بلا رؤوس وقد ذبحوا البنينا
واخبري جدنا أنّا أُسرنا ... وبعد الأسر يا جد سُبينا
ورهطك يا رسول الله أضحوا ... عرايا بالطفوف مسلبينا
وقد ذبحوا الحسين ولم يراعوا ... جنابك يا رسول الله فينا
فلو نظرت عيونك للأسارى ... على أقتاب الجِمال محمَّلينا
رسول الله بعد الصون صارت ... عيون الناس ناظرة إلينا

وكنت تحوطنا حتى تولت عيونك ثارت الأعدا علينا
أفاطم لو نظرت إلى السبايا بناتك في البلاد مشتتينا
أفاطم لو نظرت إلى الحيارى ولو أبصرت زين العابدينا
أفاطم لو رأيتينا سهارى ومن سهر الليالي قد عُمِينا
أفاطم ما لقيت من عداكي ولا قيراط مما لقينا
فلو دامت حياتك لم تزالِ إلى يوم القيامة تندبينا
وعرّج بالبقيع وقف وناد: أ أين حبيب رب العالمينا
وقل يا عم يا الحسن المزكى عيال أخيك أضحوا ضائعينا
أيا عماه إن أخاك أضحى بعيداً عنك بالرمضا رهينا
بلا رأس تنوح عليه جهراً الطيور والوحوش الموحشينا
ولو عاينت يا مولاي ساقوا حريماً لا يجدن لهن مُعينا
على متن النياق بلا وطاء وشاهدت العيال مكشفينا
مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً رجعنا لا رجال ولا بنينا
وكنا في الخروج بجمع شمل رجعنا حاسرين مسلبينا
ونحن في أمان الله جهراً رجعنا بالقطيعة خائفينا
ومولانا الحسين لنا أنيس رجعنا والحسين به رهينا
فنحن الضائعات بلا كفيل ونحن النائحات على أخينا
ونحن السائرات على المطايا نُشال على جِمال المبغضينا
ونحن بنات (يٰس) و(طٰه) ونحن الباكيات على أبينا
ونحن الطاهرات بلا خفاء ونحن المخلصون المصطفونا
ونحن الصابرات على البلايا ونحن الصادقون الناصحونا
ألا يا جدنا قتلوا حسيناً ولم يرعوا جناب الله فينا
ألا يا جدنا بلغت عِدانا مُناها واشتفى الأعداء فينا
لقد هتكوا النساء وحملوها على الأقتاب قهراً أجمعينا
وزينب أخرجوها من خباها وفاطم والهة تبدي الأنينا

سكينة تشتكي من حر وَجْدٍ تنادي الغوث ربّ العالمينا
وزين العابدين بقيد ذلّ ورامـوا قتله أهل الخؤونا
فبعدهم على الدنيا تراب فكأس الموت فيها قد سُقينا
وهذي قصتي مع شرح حالي ألا يا سامعون ابكوا علينا

قال الراوي: أما زينب فأخذت بعضادتي الباب ونادت: يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين، وهي مع ذلك لا تجف لها عبرة ولا تفتر من البكاء والنحيب، وكلما نظرت إلى علي بن الحسين تجدد حزنها وزاد وجدها.

وأما علي بن الحسين عليهما السلام، فلما دخل إلى دار الرسول وجدها مقفرة الطلول خالية من سكانها، حاكية أحزانها وقد غشيها القدر النازل، وساورها الخطب الهائل، وأطلت عليها عذابات المنايا، وأظلتها جحافل الرزايا، فهي موحشة العرصات لفقد الأئمة الهداة، وللرياح في محو آثارها إلحاح، ولسان حالها يندب ندب الفاقد ويذري دمعاً من عين ساهرة، وقد جالت عواصف الشمال والدبور في تلك المعالم والقصور، وقالت بلسان حالها: يا قوم ساعدوني على الحزن على أناس كنت آنس بهم في الخلوات، وأسمع تهجدهم في الصلوات، فيا ليتني حيث لم أحظ بالمساواة عند النزال وحرمت معالجة تلك الأهوال كنت لأجسادهم الشريفة محلاً لجثثهم وموطناً ومجناً، فكيف لا أندب الأطلال والدوارس، وأوقظ الأعين النواعس؟ وقد كان سكانها سُماري في ليلي ونهاري، وهم شموسي وأقماري، وأفتخر على أمثالي بجوارهم، وأتمتع بمواطىء أقدامهم وآثارهم، فكيف يقلُّ جزعي وحزني عليهم؟ وكيف لا تنهدّ أركاني تشوقاً إليهم، ولله در من قال:

وقفت على دار النبي محمد فألقيتها قد أقفرت عرصاتها
وأمست خلاء من تلاوة قارىء وعُطِّل منها صومها وصلاتها
وكانت ملاذاً للأنام وجنة من الخطب يغني المعتكفين صلاتها
فأقفرت من السادات من آل هاشم ولم يجتمع بعد الحسين شتاتها
فعيني لقتل السبط عبرى ولوعتي على فُقْدهم ما تنقضي زفراتها
فيا كبدي كم تصبرين على الأذى أما آن أن تقنى إذاً حسراتها

أيها المفتون بهذا المصاب ملاذ الحماة من سفرة الكتاب بلزوم الأحزان على أئمة الأنام ورؤساء الإيمان، فقد روي عن الباقر عليه السلام: أن زين العابدين عليه السلام كان

مع علمه وصبره شديد الجزع والشكوى لهذه المصيبة والبلوى، وأنه بكى على أبيه أربعين سنة بدمع مسفوح وقلب مقروح، يقطع نهاره بصيامه وليله بقيامه، فإذا حضر الطعام لإفطاره ذكر قتلاه ونادى: وا أباه، ثم يقول: قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، وأنا آكل طيباً وأشرب بارداً، ثم يبكي كثيراً حتى يبلّ ثيابه بدموعه.

ولله در من قال:

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضي علينا الأسى لولا تآسينا
حالت لبُعدكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً لياليا
إن الزمان الذي قد كان يضحكنا ... أنساً بقربكم قد عاد يبكينا

نقل أنه قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام: إلى متى هذا البكاء يا مولاي؟ فيقول: يا قوم إن يعقوب النبي فقد سبطاً من أولاده الاثني عشر فبكى عليه حتى ابيّضت عيناه من الحزن وابنه حي في دار الدنيا، ويعلم أنه لم يمت، وأنا قد نظرت بعيني إلى أبي وسبعة عشر من أهل بيتي قتلوا في ساعة واحدة، فترون حزنهم يذهب من قلبي، وذكرهم يخلو من لساني، وشخصهم يغيب عن عيني، لا والله لا أنساهم حتى أموت.

فعلى الأطائب من أهل البيت فليبكي الباكون، وإياهم
فليندب النادبون، ولمثلهم تُذرف الدموع من العيون

أو لا تكونون كبعض مادحيهم حيث عرته الأحزان، فنظم وقال فيهم[1]:

نقل أن بعض الرجال في يوم عاشورا أتاه ليهنأه بالعيد على ما هو معروف بينهم، فقال:

هني بالعيد إن أردت سؤائي ... أي عيد لمستباح العزاء
إن في مأتمي عن العيد شغلاً ... فالهي عني وخلّني بشجائي
فإذا الناس عيّدوا بسرور ... كان عيدي بزفرة وبكائي
وإذا جدّدوا الأبزة جدّدت ... ثياباً من لوعتي وضنائي
وإذا أدمنوا الشراب فشربي ... من دموعي ممزوجة بدمائي
وإذا استشعروا الغناء فنوحي ... وعويلي على الحسين غنائي
وقليل لو مت هماً ووجداً ... لمصاب الغريب في كربلاء

(1) القصيدة لابن حماد رحمه الله تعالى.

أيَـهْـنَـا بـعِـيْـده مـن مـوالـيـه أيـاديـهـم يـد الأعـداء
آه يـا كـربـلا كـم فـيـك مـن كـرب لـنـفـس شـجـيـة وبـلاء
أألـذ الـحـيـاة بـعـد قـتـيـل الـطـف ظـلـمـاً إذاً لـقـلّ حـيـائـي
كـيـف ألـتـذّ شـرب الـمـاء وقـد جـرع كـأس الـردى بـكـرب الـظـمـاء
كـيـف لا أسـلـب الـعـزاء إذا مـا أنـا مـثـلـتـه سـلـيـب الـرداء
كـيـف لا تـسـكـب الـدمـوع جـفـونـي بـعـد تـضـريـج شـيـبـه بـالـدمـاء
تـطـأ الـخـيـل جـسـمـه فـي ثـرى الـطـف وجـسـمـي يـلـتـذ لـيـن الـوطـاء
بـأبـي زيـنـب وقـد سـبـيـت بـالـذلّ مـن خـدرهـا كـسـبـي الإمـاء
فـإذا عـايـنـتـه مـلـقـى عـلـى الـتـرب مـعـرًى مـجـدلاً بـالـعـراء
أقْـبَـلَـتْ نـحـوه فـيـمـنـعـهـا الـشـمـر فـتـدعـو فـي خـفـيـة وخـفـاء
أيـهـا الـشـمـر خـلِـنِـي أتـزود نـظـرة مـنـه فـهـي أقـصـى مـنـائـي
مـا لـجـدي عـلـيـك حـق فـلـم تـضـربـنـي جـاهـراً بـسـوء مـراء
ثـم تدعو الحسين: يا شقيق روحي وابـن أمـي خـلّـفـتـنـي لـشـقـائـي
يا أخي يومك المشؤوم برى جسمي وعـظـمـي وأوهـى قـوائـي
يـا أخـي كـنـت أرتـجـيـك لـمـوتـي وحـيـاتـي فـالآن خـاب رجـائـي
يا أخي لو فُدِيَ من الموت شخص كـنـت أفـديـك بـي وقـلّ فـدائـي
يـا أخـي لا حـيـيـت بـعـدك بـل لا عـشـت إلا بـمـقـلـة عـمـيـاء
آه وا حسرتاه لفاطمة الصغرى وقـد أبـرزت بـذل الـسـبـاء
كفها فوق رأسها من جوى الثكل فـلـهـف لـهـا عـلـى الأحـشـاء
فـإذا عـايـنـت أبـاهـا صـريـعـاً فـاحـصـاً بـالـيـديـن فـي الـرمـضـاء
لـم تـطـق نـهـضـة إلـيـه مـن الـضـعـف تـنـاديـه فـي خـفـي الـنـداء
يـا أبـا مـن تـرى لـيـتـمـي وضـعـفـي بَـعْـدَكُـم يـا أبـا ومـن لـضـنـائـي
فـإذا لـم يـطـق جـوابـاً لـهـا إلا بـغـمـر الـجـفـون بـالإيـمـاء
أقـبـلـت نـحـو عـمـتـيـهـا وقـالـت: مـا أرى والـدي مـع الأحـيـاء
عـمـتـا مـا لـه جـفـانـي ومـا كـان لـه قـط عـادة بـالـجـفـاء
يـا بـنـي أحـمـد الـسـلام عـلـيـكـم مـا دارت كـواكـب الـجـوزاء

أنتم صفوة الإلٰه من الخلق ومن بعد خاتم الأنبياء
يا نجوم الهدى بنوركم يهدى الورى في حنادس الظلماء
أنا مولاكم ابن حماد أعددتكم في غد ليوم الجزاء

قد تمَّ الجزء الثاني من كتاب «المنتخب»
وبه تمَّ الكتاب

فهرس المحتويات

مقدمة المؤلف 3

الجزء الأول

المجلس الأول: في الليلة الأولى من عشر المحرم 5

الباب الأول 5

الباب الثاني 13

الباب الثالث 19

المجلس الثاني: في أول يوم من عشر المحرم 25

الباب الأول 25

الباب الثاني 30

الباب الثالث 35

المجلس الثالث: في الليلة الثانية من عشر المحرَّم 40

الباب الأول 40

الباب الثاني 45

الباب الثالث 51

المجلس الرابع: في اليوم الثاني من عشر المحرم 58

الباب الأول 58

الباب الثاني 63

الباب الثالث 71

المجلس الخامس: في الليلة الثالثة من عشر المحرم 78

الباب الأول 78

الباب الثاني 84

الباب الثالث 92

المجلس السادس: في اليوم الثالث من عشر المحرم 99
الباب الأول 99
الباب الثاني 106
الباب الثالث 114
المجلس السابع: في الليلة الرابعة من عشر المحرم 120
الباب الأول 120
الباب الثاني 128
الباب الثالث 136
المجلس الثامن: في اليوم الرابع من عشر المحرم 142
الباب الأول 142
الباب الثاني 148
الباب الثالث 153
المجلس التاسع: في الليلة الخامسة من عشر المحرم 161
الباب الأول 161
الباب الثاني 170
الباب الثالث 176
المجلس العاشر: في اليوم الخامس من عشر المحرم 183
الباب الأول 183
الباب الثاني 189
الباب الثالث 195

الجزء الثاني

المجلس الأول من الجزء الثاني، في الليلة السادسة عشرة من محرم 209
الباب الأول 209
الباب الثاني 217
الباب الثالث 225
المجلس الثاني من الجزء الثاني، في اليوم السادس عشر من المحرم 231
الباب الأول 231
الباب الثاني 237

حديث الكساء 239
الباب الثالث 245
المجلس الثالث من الجزء الثاني، في الليلة السابعة من عشر المحرم 251
الباب الأول 251
الباب الثاني 257
الباب الثالث 264
المجلس الرابع من الجزء الثاني، في اليوم السابع من عشر المحرم 273
الباب الأول 273
الباب الثاني 280
الباب الثالث 287
المجلس الخامس من الجزء الثاني، في الليلة الثامنة من عشر المحرم 294
الباب الأول 294
الباب الثالث 301
الباب الثالث 309
المجلس السادس من الجزء الثاني، في اليوم الثامن من عشر المحرم 319
الباب الأول 319
الباب الثاني 327
الباب الثالث 333
المجلس السابع من الجزء الثاني، في الليلة التاسعة من عشر المحرم 340
الباب الأول 340
الباب الثاني 348
الباب الثاني 355
المجلس الثامن: من الجزء الثاني، في اليوم التاسع من عشر المحرم 362
الباب الأول 362
الباب الثاني 368
الباب الثالث 374
المجلس التاسع من الجزء الثاني، في الليلة العاشرة من المحرم، وفيه ابتداء مصرع الإمام الحسين عليه السلام 380

الباب الأول 380
الباب الثالث 395
الباب الثالث 409
المجلس العاشر من الجزء الثاني، في اليوم العاشر من شهر المحرم 419
الباب الأول 419
الباب الثاني 433
الباب الثالث 447